# الإسرائيليات والموضوعات وبدع التفاسير قديماً وحديثاً

دراسة وإعداد

أبو أنس
حامد أحمد الطاهر البسيوني



# الْإِسْرَائِيلِيَّاتُ وَالْمَوْضُوعَاتُ

# وَبِدَعُ التَّفَاسِيرِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا

دراسة وإعداد

أَبُو أَنَسٍ

حَامِد أَحْمَد الطَّاهِر الْبَسْيُونِيّ




دار التقوى للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م

رقم الايداع : ٢٠٠٦/٢٣٠٣٨

الترقيم الدولى : 977-929-023-2




دار التقوى للنشر والتوزيع

ت: ٤٧١٥٥٠٦ - ٢٢٣١١٠٣



# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمد الشاكرين، ونشكره شكر الحامدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فخلال العصور المتعاقبة، والدهور المتتالية حظى القرآن الكريم بآلاف الدراسات التى قام بها الدارسون فى محاولة للكشف عن إعجازه وتبيان أحكامه ومعانيه، وكل ما يشمله القرآن من علوم نافعة لا غنى للمسلم عنها فى حياته اليومية، فلا يزال القرآن هو مصدر عقيدتنا وتشريعنا إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين.

إن اهتمام المسلمين بالقرآن إنما ينبع من اعتقادهم بأنه هو كلام الله تعالى الذى نزّله على عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ، ولم تمتد إليه يد التحريف أو التبديل، فهو كلام الله تعالى وكلمته الأخيرة إلى البشرية، لم يتدخل البشر فى صياغته كما فعلت أمة يهود بالتوراة وأمة النصارى بالإنجيل، وهو ما ذكره الفيلسوف اليهودى (أسبينيوزا) فى رسالته (فى اللاَّهوت والسياسة) حيث قرر أن التوراة كتبت بواسطة أفراد من البشر فى عصور متعددة. وهى نتيجة يقينية خرج بها من خلال بحث ودراسة مطولتين، وهو نفسه ما قرره ابن حزم فى كتابه (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) حيث قرر أن التوراة كتبت بعد موسى عليه السلام بحوالى ثلاثمائة سنة، وقرر أن اليهود وقعوا فى الرِّدة سبع مرات أقلها ثلاث سنوات وأكثرها أربعين سنة، كما أعلن ملوكهم الكفر، حتى إن: (يهواحاز بن يوشيا الملك الداودى، المالك لجميع بنى إسرائيل بعد انقطاع ملوك سائر الأسباط، بَشَر (أى كشط) من التوراة أسماء الله تعالى، وألحق فيها أسماء الأوثان، وجاء أخوه (الياقيم) من بعده فأحرق التوراة بالجملة وقطع أثرها). ثم قال: (فأى كتاب أو أى دين يبقى مع هذا. . وأى كتاب يبقى مع تمادى الكفر، ورفض الإيمان هذه المُدد الطِّوال فى بلدٍ صغير، مقدار ثلاثة أيام فى مثلها، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم)[1].

وأما الإنجيل: فقد قالت المستشرقة كاترين هنرى: (يؤمن المسيحيون بأن أسفار الكتاب المقدس موحى بها من الله معنًى وروحًا، لا لفظًا ونصًا لأنها كتبت بواسطة أفراد من البشر فى عصور متعددة. وفيها أخطاء عديدة فى الصياغة والتركيب والتاريخ وغيرها)[2].

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (١/ ١٨٤ ـ ١٩٦).

(٢) التاريخ فى الكتاب ـ تأليف المستشرقة كاترين هنرى ص١٢٦، ط: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر. وأيضًا: المدخل إلى الكتاب المقدس لحبيب سعد ص١٦ ـ نفس الناشر.

أمـا القرآن الكريم فقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ (الحجر : ٩)، ونقل إلينا القرآن بالتـواتر نقل الجمع عن الجمع مع اختلاف أماكنهم وتباعدهـا ، فاستحال فى العادة تواطؤهم على الكذب ، ويكفيك سطوة القرآن الروحية وسيطرته على كل من يسمعه .

لقد تـوافرت إذن القـدسية المطلقة والكاملـة للقرآن دون أدنـى شك ، وعلى مـدى العصور المتعاقبة كـانت كل فـرقة تـرى أن الاستشهـاد بآيات القـرآن هو الـوسيلـة المُثلـى لنصـرة آرائها واعتقاداتها ، لأن القرآن هو كتاب المسلمين الأول بلا منازع وقد أقر المسلمون قاعدة أخرى ألا وهـى : (أن كل مـذهب يعـجز صـاحبه عن تـأييده بآى القـرآن هـو بـالضـرورة مـخالـف لروح الإسلام ومعـتقدات أهلـه) ، وعلى العـكس فكل مـا جاء متـوافـقًا مع القـرآن وآيه اتسم بـصفة الاستحقاق والقبـول لدى القاعـدة العريضة من المسلمين وخلال هذه الـدراسات ظهرت كتب التفـاسير خـاصة التـفسير بـالمأثـور وهو الاتجاه المحافظ فـى التفسـير ليعـتمد علـى تفسـير القرآن بالقرآن ، أو بـالسُّنة ، أو بقول الـصحابى ، أو بقول التـابعى أو بما جاء عـن بعض السلف ، لتبرز قضـية (الإسرائيليات والموضوعات) داخل كتب الـتفسير خاصـة (كتب التفسير بـالمأثور) وهى القضية التى سنحاول علاجها نظريًّا وعمليًّا داخل هذا البحث الذى سبقه عدة دراسات فى هذا المجـال ، إلا أن صـاحب هـذه الدراسة حاول قـدر الإمكان أن يتلافـى ما وقـع فيه الآخرون من الإسهـاب والـتطـويل ، أو الإيجـاز والإخلال ، ثم حـاول أن يعطـى جـديدًا من خلال الإتيـان بالنص التوراتى مترجمًا من العبرية إلى العربية لتتحقق المصداقية التامة والكاملة لهذه الدراسة ، ولا نكـون قد رمينـا أحدًا بما لـيس فيه ، ثم حاول أن ينـاقش متن النص وسنـده قدر الإمكان مع الاحتفاظ بأقوال الأثبات الثقات المحققين من علماء الحديث وأئمة التفسير .

ولا يحسبنَّ أحـدٌ أن هذه الـدراسة تسـىء إلى أحـد من المفسـرين قدر مـا تريد إيضـاح الخطأ والزلـل ، فإن أئـمة الـتفسير ـ رحمهـم الله ـ لولا أن الله تـعالـى قد قـيضهـم لحفظ آيات الـقرآن وتفسيرها لـضاع علم كثير علـى هذه الأمة ، إلا أن الكَمَـال يأبى إلا أن يكون بعـيدًا عن متناول البشـر ، وكذلـك ابتعد عنـا ، فما نـزعم أننا وفـينا الـدراسة حقهـا ، وإنما اجتهـدنا فـى ذلك قدر الإمكان .

بقى أن أذكر أن جهودًا كثيرة سبقتنى فى هذا المضمار استفدت منهـا كثيرًا وكثيرًا ، وأن أيدٍ ارتفعت تدعو بإتمام هذا البحث ، فللْكُل منا جزيل الشكر .

نسأل الله تعالى العفو عن الزلات والتقصير ، وقبول هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم .

اللهم إن أكن قـد أصبـت الإخلاص فى عـملى فـانفع بكلمـاتى ، وأعـنى عـلى الإخلاص وارحمنى .

كتبه راجى عفو ربه

**أبو أنس حامد أحمد الطاهر البسيونى**

# القسم الأول

## (مدخل ومقدمات)

(١) الإسرائيليات.

(٢) الوضع والوضاعون.

(٣) التفسير والمفسرون.



# الفصل الأول

## ظهور الإسرائيليات في كتب التفسير وأثرها وموقف علماء المسلمين منها

### (أ) تعريف الإسرائيليات:

لم تحظ قضية من قضايا التفسير بمثل ما حظيت به قضية (الإسرائيليات) حيث نوقشت هذه القضايا على نحو واسع، وألفت فيها أسفارٌ ومجلدات عديدة شاعت وانتشرت بين أوساط المهتمين بهذه القضية، وحاول كل من كتب فى هذه القضية أن يبدأ بتعريف الإسرائيليات، ثم شرح وتتبع كيفية ظهورها، وتقديم النماذج لها، ثم عرض شامل أو مختصر لأبرز رجال الإسرائيليات ورواتها داخل التراث الإسلامى.

وسوف نحاول خلال صفحات هذا البحث تقديم الجديد، وتصحيح الخطأ، واستدراك ما فات هؤلاء قدر الإمكان لنحاول الابتعاد عن التكرار، والتقليد.

إلا أن تعريف الإسرائيليات هو أمر هامٌ للبدء فى مثل هذه الدراسات.

* فقد قدّمت الدراسات السابقة عدة تعريفات للإسرائيليات منها:

(١) أن الإسرائيليات هى الأساطير، والأحاديث المنقولة عن مصادر يهودية على كثرة، ونصرانية على قِلَّة.

(٢) وتوسَّع البعض فعدّ دسائس أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم فى التفسير والحديث من قبيل الإسرائيليات كذلك، وذلك من باب تغليب الطابع اليهودى على غيره، إذ أن معظم ما يروى من هذه الأساطير يرجع فى مصدره إلى أصل يهودى، وكان أول من نشرها اليهود المجاورون للمسلمين فى المدينة.

(٣) وذكر البعض إضافة أخرى للتعريف، وهى: أن من الإسرائيليات: ما رواه مسلمة بنى إسرائيل؛ بل ومسلمة النصارى كذلك.

**ومن خلال التعريفات السابقة نستطيع إدراك الآتى:**

(أ) أن الإسرائيليات نسبة إلى (بنى إسرائيل) وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام حيث قال الله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ

وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ ﴾ (مريم: ٥٨).

واليهود والنصارى ينسبون إلى (إسرائيل) عليه السلام لكونهم من ذريته لا على دينه.

(ب) أن مصدر الإسرائيليات هو (التوراة) الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام، أو (التلمود) وهى التوراةُ الشفهية التى تحتوى على عدة شروح للتوراة - فى زعم اليهود - ومن المعلوم أن (التلمود) كتب بيد الأحبار والحاخامات، ولم يتنزل من عند الله تعالى، مضافًا إلى التوراة والتلمود (الزبور) وهو كتاب داود عليه السلام، وتسمى هذه الكتب جميعًا: (أسفار العهد القديم).

أما العهد الجديد فهو (الإنجيل) أو الكتاب المقدس وهو مصدر آخر من مصادر الإسرائيليات.

ومما هو غنىٌّ عن الذكر أن جميع الكتب السابقة على القرآن قد نالها التحريف بنص الآيات، وباعتراف أصحابها - كما سيأتى ذكره - ولذا كان من الواقعى اتهام هذه المصادر وأصحابها بـ (الكذب - والزيف - والزور - والبهتان) كما أنه من الطبيعى امتلاء هذه المصادر بالقصص اللامعقول، وبالخرافات، والأساطير، وامتزاج الغث بالسمين فيها.

(جـ) ومن الواضح فى هذه التعريفات تغليب الجانب اليهودى على النصرانى، نظرًا لكثرة عدد اليهود داخل جزيرة العرب، ولغلبة اليهود على التجارة، وقلة عدد النصارى داخل الجزيرة العربية، ولأن النصارى يعتمدون التوراة كعنصر أول للإيمان حيث لا بد للنصرانى من الإيمان بأسفار العهد القديم أولاً ثم بالجديد وهو الإنجيل.

ومن هنا جاء تغليب المصدر اليهودى على المصدر النصرانى ضعيف التواجد بالجزيرة العربية، ونظرًا لوجود عداوات داخلية تكمن فى نفوس العرب تجاه دولة الروم الصليبية، ولميل العرب إلى دولة الفرس المجوسية لكونهم وثنيين؛ وهو ما ظهر جليًّا فى فرح العرب لانتصار الفرس على الروم قبل نزول القرآن.

وبهذا نستطيع تقديم تعريف آخر للإسرائيليات داخل نطاق التفسير والحديث بأنها (كلُ ما دخل إلى التراث الإسلامى وبخاصة فى مجال التفسير من روايات لها أصلٌ ومصدرٌ يهودى يمكن الوقوف عليه، أو أصل ومصدر نصرانى يمكن الوقوف عليه، وأما ما لم نجد له أصلاً فى مصادرهم ولا يقبله العقل أو المنطق - وكان من روايات اليهود أو ممن أسلم منهم - فهو من باب الخرافات والأساطير أو الموضوعات وهى دراسة ذات صلة بالموضوع نطاق البحث هنا).

**(ب) بداية ظهور الإسرائيليات في الفكر الإسلامي والعربي عامة:**

كان نزوح أهل الكتاب إلى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بمئات السنين :

(١) فقد جاء اليهود إلى الجزيرة العربية هاربين من الشام بعد تخريب الهيكل عام (٧٠م) حيث استوطنوا بـ (يثرب ـ وحِمْيَر ـ وتيماء ـ ووادى القرى) وأقاموا حصونهم بها حتى جاء الإسلام[١] .

(٢) إلا أن العرب عرفوا التهود فيما بعد ، حيث تهوّد أهل اليمن على يد (تُبّع) الذى ذهب ليغزو المدينة قبل الإسلام ، فردّه أهلها ، وحمل معه اثنين من أحبار اليهود أكرمهما وقربهما ، فكان ذلك سببًا فى انتشار اليهودية فى اليمن حيث قال ابن كثير : (ثم كرّ ـ أى تبع ـ راجعًا إلى اليمن ودعا أهلها إلى التهود معه ، وكان إذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فتهود معه أهل اليمن)[٢] .

وقد ذكر اليعقوبى فى تاريخه أن قومًا من بنى الحارث بن كعب ، وغسان ، وجذام ، قد تهودوا[٣] .

(٣) أما النصارى فقد هرب كثير منهم كنتيجة طبيعية للقهر الدينى الذى عاشوه فى بلادهم حيث اضطهدوا فى البداية من الوثنيين ، ثم من اليهود ، أو منهما سويًّا ، ثم اضطهدتهم الدولة البيزنطية التى اعتنقت مذهبًا مخالفًا لمذهب رعيتها ، فهرب كثير منهم إلى الجزيرة العربية حيث الابتعاد عن الاضطهاد ، وممارسة الشعائر الدينية بحرية ، وكان قد تنصر من العرب قومٌ من قريش منهم ورقة بن نوفل ، وامرؤ القيس بن زيدة مناة ، وبنو تغلب ، وطيء ومذحج ، ولهراء ، وسليح ، وتنوخ ، وغسَّان ، ولخم[٤] ، حتى إن قبيلة غسّان تنصرت ووالت دولة الروم علانية ، وكانوا شركاء لهم وأنصارًا فى معاركهم ضد المسلمين كما حدث فى تبوك ، واليرموك وغيرهما .

(٤) وهذا الوجود اليهودى النصرانى أثّر فى العرب كما ترى ، وكان للتجارة هى الأخرى أثرًا فى التعرف على اليهودية والنصرانية والتأثر بهما من خلال رحلتى الصيف

---

(١) الجاحظ : الرسائل ـ الجزء الثالث ـ الرد على النصارى ص٣١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٩٦) .

(٣) تاريخ اليعقوبى (١/ ٢٥٧) .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص٩٤١ لابن حزم ، تاريخ اليعقوبى (١/ ٢٥٨) .

إلى الشام، والشتاء إلى اليمن، وإن كان التأثر هنا بدرجة أقل من سكنى اليهود والنصارى للجزيرة العربية، لكنه أثر لا يستطيع أحدٌ إنكاره.

(٥) فلما جاء الإسلام حدثت المحاورات والمناقشات بين المسلمين وبين أهل الكتاب خاصة خلال الفترة المدنية - حيث سجّل القرآن جوانب عدة من هذه الحوارات، وعرض لآراء أهل الكتاب وفنّدها وأظهر تهافتها حتى أفضى ذلك إلى إسلام عدد كبير من عامة أهل الكتاب وأحبارهم ورهبانهم، فمنهم من حسن إسلامه وآخرون منهم نافقوا ودخلوا إلى الإسلام طلبًا للتخريب والهدم والدّس كما فعل كثيرون منهم.

(٦) وقد كان المسلمون على عهد النبى ﷺ تحدث بينهم وبين اليهود مشاحنات ومحاورات كاختلاف أبى بكر، وعمر مع أحبار[١] اليهود، ولطم المسلم لليهودى حين قال: لا والذى اصطفى موسى على العالمين[٢]، إلا أن وجود النبى ﷺ بين ظهرانى الصحابة كان يزيل كثيراً من اللَّبس، ويبدد سحائب الكذب وغيومها، وكذلك سار الأمر فى عهد الصحابة الذين كانوا أكثر الناس دقة وتثبتًا وعدلاً وأمانة فلم تتسرب الإسرائيليات إلى التفاسير والأحاديث.

(٧) إلا أن ظهور الكذب وانتشاره، وفشو الوضع فى عصر التابعين وتابعيهم خدمة للأهواء والأغراض جعل الناس لا يميزون بعد بين الصادق والكاذب، خاصة أن عديدًا من التابعين تساهل فى الروايات، بل إن عددًا من التابعين يهوديًا كان أو نصرانيًا دخل فى الإسلام نتيجة المدّ الإسلامى السريع من خلال حركة الفتوحات فخلط هؤلاء بين عملٍ صالحٍ وآخر سيئًا، والكارثة أن هؤلاء لم يرووا الإسرائيليات فقط، بل تجاوزوها إلى الخرافات والأساطير التى لا سند لها من كتاب أو صحائف، وساعدهم على انتشار ما قالوا شغف الصحابة والتابعين إلى معرفة كل شىءٍ عن أخبار الأمم السابقة ورسلهم وأنبيائهم مما لم ينزل فيه قرآن، ولم يأت فيه حديث نبوى شريف.

(٨) إلا أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ) أمر بكتابة الحديث وتدوينه، فكان هناك اتصالٌ بين الحديث والتفسير حيث صار التفسير أحد أبواب الحديث، وهنا

---

(١) الحبر: بكسر الحاء وفتحها: العالم: ذميًا كان أو مسلمًا بعد أن يكون من أهل الكتاب، وهو الرجل الصالح وجمعه أحبار، وحبور، لسان العرب (٢/ ٨٤٨) وهو فى العبرية بمعنى العلاّمة أو التقى الورع.

(٢) متفق عليه: البخارى (٢٤١١) فى الخصومات، مسلم (٣٣٩/ ١٥٥ - ١٥٦) فى الفضائل.

كان النقاء من الإسرائيليات التى عادت فظهرت فى كتب التفاسير حين استقل التفسير[١] كعلم لـه أصوله وعلماؤه، فأصبحت الإسرائيليات؛ بل والخرافات جزء لا يتجزأ من علم التفسير.

ويبقى أن نذكر فى هذه الجزئية نقلاً عن العلاَّمة ابن خلدون تفسيره لظهور الإسرائيليات، وصور تسربها إلى التفسير حيث قال:

وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذٍ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا أبقوا على ما كان عندهم مما لا تَعلُّق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم، وفى أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فى الصحة التى يجب بها العمل ويتساهل المفسرون فى مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ[٢].

إن الرجل قد أرجع انتشار الإسرائيليات إلى سببين وهما: غلبة الأمية على العرب، والروح الفضولية للنفس البشرية التوّاقة إلى معرفة كل شىء، ثم أن هذه الأخبار لا ترتبط بالأحكام الشرعية التى توجب التحرى والتثبت فى تلقيها ونشرها فسوّغ لهم ذلك نقلها وكتابتها، هذا بالإضافة إلى ما ذكرناه من عوامل فى بداية هذه النقطة.

---

(١) التفسير والمفسرون: د. الذهبى ص١٦٦.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٥٢٩ - ٥٣٠ بتحقيقى - ط دار الفجر للتراث.

### (جـ) أقسام الإسرائيليات:

وقد قسّم العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام حسب موقعها من الشريعة الإسلامية وهى كالآتى:

**أولاً: ما يوافق الصحيح من شريعة الإسلام وأخبار القرآن:**

ومن ذلك ما رواه مسلم عن فاطمة بنت قيس من حديث (الجسَّاسة) حيث جمع النبى ﷺ الناس وقال لهم: «والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميمًا الدارى كان رجلاً نصرانيًّا فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثًا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية. . » الحديث[1].

ويدخل تحت هذا القسم قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وقصة (جُريج العابد)، وبعض ما جاء فى التوراة أو الإنجيل مبشراً بالنبى ﷺ معرفًا بصفاته.

**ثانيًا: ما يخالف شريعة الإسلام، وأخبار القرآن:**

كالطعن فى عصمة الأنبياء، وهو ما نقله المسلمون عن اليهود بشأن يوسف عليه السلام فى الهَمَّ بامرأة العزيز كما سيأتى، وقصة الخطيئة المزعومة لداود عليه السلام، وخاتم سليمان، والتوراة مليئة بهذا الصنف من القصص التى تتهم الأنبياء بالوقوع فى الشرك، والزنا، والتهم الأخلاقية التى تأبى طبيعة النبوة نفسها أن يقع أمثالها من النبى أو الرسول حتى صاح ابن حزم: «وتالله ما رأيت أمة تقر بالنبوة، وتنسب إلى الأنبياء ما يشبه هؤلاء الكفرة»[2].

وقد جاء النهى صريحًا عن سؤال أهل الكتاب والأخذ عنهم ـ خاصة فيما يتعلق بهذه المسألة ـ حيث روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «كيف تسألون أهل الكتاب عن شىء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله ﷺ أحدث، تقرءونه محضًا[3] لم يُشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟! لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذى أنزل عليكم»[4].

---

(١) صحيح مسلم (٢٩٤٢/ ١١٩ ـ ١٢٢) فى الفتن باب قصة الجساسة.

(٢) الرد على ابن النغريلة اليهودى (١/ ١٤٧).

(٣) محضًا: خالصًا لا شوائب فيه من تحريف أو تأويل.

(٤) صحيح: البخارى (٧٣٦٣) فى الاعتصام ـ باب قول النبى ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء».

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : «لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم فتكذبوا بحق ، وأن تصدقوا بباطل»(١) .

والصحابة لن ينهوا عن هذا من باب الرأى ، وإنما لا بد لهم من سماع من النبى ﷺ.

**ثالثًا: ما ليس فى شريعتنا أو فى القرآن ما يوافقه، وما لا يخالفه:**

أى أنه مسكوت عنه فلا إيمان به ولا تكذيب ، وهذا هو الأكثر الذى نُقل عن أهل الكتاب ، ولعله الذى نهى النبى ﷺ عن تصديقه أو تكذيبه كما جاء - فى صحيح البخارى - عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»(٢) .

وهذا القسم تجد كتب التفسير خاصة به مملوءة ، حيث يذكر فيها أسماء أصحاب الكهف وعددهم ، واسم الغار ، وطيور إبراهيم عليه السلام(٣) ، والشجرة التى أكل منها آدم عليه السلام ، وما دار فى سفينة نوح عليه السلام بينه وبين إبليس ، وما كان من الفأرة والحمار والخنزير ، والأخبار التى تشبه قصص ألف ليلة وليلة .

**وما نستطيع أن نتوصل له فى النهاية من خلال هذه الأقسام أن نقول:**

(١) إن ما يتوافق مع شريعتنا هو (إسلامى) أقرّ الإسلام بصحته قياسًا على مبدأ : (شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد فيه نص) ، ولا ينبغى إطلاق اسم الإسرائيليات عليه لأن الإسلام يَجُب ما قبله .

ولذلك ستخرج هذه الجزئية من هذا البحث ، ويتوجه الاهتمام إلى الجزئيتين الباقيتين .

(٢) أما المخالف للشريعة وأخبار القرآن فبطلانه (واضح) وإخراجه من منظومة التفسير وكتبه لا أقول : واجب ؛ بل فرض عين على كل من تصدى للعمل فى هذا المجال .

(٣) وأما المسكوت عنه فهو فى الغالب أساطير وخرافات ، إثم بقائها أكبر من نفعه ، إذ سيتحول التفسير الإسلامى إلى كتاب آخر يضاف إلى كتب القصص والأساطير التى لا يقبلها عقل أو منطق ، أو شرع لأنها أوهامٌ وخرافات عَمل الأحبار على نشرها بين

(١) حسن : حسنه ابن حجر (١٣/ ٣٣٤) فى فتح البارى .

(٢) صحيح : البخارى (٧٣٦٢) فى الاعتصام - الباب السابق .

(٣) انظر د. الذهبى : الإسرائيليات فى التفسير والحديث ، ود. أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ومقدمة تفسير ابن كثير ، وابن تيمية (مقدمة فى أصول التفسير) ص٤٦ - ٤٧ .

عوام يهود لإبعادهم عن النص الأصلى للتوراة، وترويج بيع التوراة لهم بثمن بخس دراهم معدودة، ولخدمة الملوك الظالمين آنذاك.

وقد زادت ضرورة تنقية التراث من هذه الأساطير فى عصر (صراع الحضارات) المزعوم حيث يدعى آخرون أن لهم الفضل على الفكر الإسلامى لإثبات التفوق على المسلمين، فما أحرانا بالتخلص من هذه الأباطيل.

**(د) موقف علماء المسلمين من الإسرائيليات وروايتها قديمًا وحديثًا:**

ربما كان من السهل تسرب الإشاعة والخبر والترويج له، إلا أن محاربة الإشاعة وتصحيح ما جاء فيها أمرٌ صعب يتطلب جهودًا مضنية، ووقتًا أطول، وهو ما ينطبق تحديدًا على دخول الإسرائيليات وتسربها إلى كتب التفسير، حيث دخلت على حين غفلة، وتلقاها الكثير بعفوية وتلقائية يحسدون عليها، وقد اشترك فى هذه الجريمة القُصاص، والوعاظ، والخطباء، وبعض أهل الحديث، وكثيرٌ من أهل التفسير، وبعض رواة السِّير من المؤرخين، والوضاعين والزنادقة - إلا أن تنقية كتب التفسير وتطهيرها من هذه الإسرائيليات أمرٌ يتطلب صفات ومؤهلات خاصة فلا يكفى التعرض للإسرائيليات على أنها متلقاة من أهل الكتاب فقط بل البحث عن مصدرها وأصلها وهذا مما يتطلب جهدًا، وعملاً، وعلمًا، وصبرًا، وتجردًا، وإنصافًا لنصل فى النهاية إلى الحقيقة فى أبهى ثيابها كأنها الشمس فى رائعة النهار.

وقد تنبه سلف الأمة من العلماء العدول إلى خطورة خرافات بنى إسرائيل وأساطيرهم التى سجلها المفسرون فى طيات كتبهم، فانبرى الكثير منهم لمحو هذه الأساطير، أو تصحيحها، وتبيان زيفها وزورها.

وقد كان لحديث: «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج»[1] أثرًا كبيرًا فى فتح باب التحديث والتلقى عن بنى إسرائيل، حيث كان لفهم الحديث فهمًا خاطئًا لبعضهم مجالاً واسعًا للنقل عن بنى إسرائيل دون تحرج، ونسى هؤلاء أن بقية الحديث: «ومن كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». ومن نقل عن بنى إسرائيل يعلم تمام العلم كذبهم وافتراءهم على الله، وافتئاتهم على الرسل والأنبياء، ولذلك انبرى العلماء فى تصحيح

---

(١) صحيح: البخارى (٣٤٦١) فى أحاديث الأنبياء باب (٥٠) ما ذكر عن بنى إسرائيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما.

فهم الحديث كما ذكره ابن حجر العسقلانى[١]، فقال:

(١) قال مالك: المراد - يعنى من الحديث - جواز التحدث عنهم بما كان من أمرٍ حسن، أما ما عُلِم كذبه فلا.

(٢) وقال الشافعى: من المعلوم أن النبى ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى: حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه.

(٣) وقد تفطن ابن حجر إلى معنى دقيق حين قال: (لا حرج) أى لا تضيق صدوركم بما تسمعونه من الأعاجيب فإن ذلك وقع لهم كثيرًا.. والمراد رفع الحرج عن حاكى ذلك لما فى أخبارهم من الألفاظ الشنيعة نحو قولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ (المائدة: ٢٤)، وقولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ (الأعراف: ١٣٨).

وهذا هو الوجه الذى نقبله ونرتضيه حيث إن النبى ﷺ رأى أن بعض الصحابة تحرج فى النقل عن بنى إسرائيل خاصة أمور كفرهم وما فيها من الأقوال التى تكفر صاحبها، فأراد إرساء قاعدة: (ناقل الكفر ليس بكافر) وإنما تكون العبرة والعظة فى هذا المجال، أما التوسع فى نقل الغث والسمين فلا أرى له وجهًا فى الشريعة ثم إنه عليه السلام قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب»، فالحديث هنا لهم لا لنا، فلم يأمر ﷺ بنقل الحديث عنهم، بل كأنه أمر بالتأدب حين محادثتهم ومحاورتهم جريًا على مبدأ: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

ولو فهم كثير من ناقلى الإسرائيليات أن الأمر يقتصر على مجرد السماع دون النقل والرواية والإخبار لارتحنا من عناءٍ طويل، ولما كانت هذه الضجة الواسعة.

(٤) أما شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه فى (مقدمة فى أصول التفسير) قسّم الإسرائيليات وموقف المسلمين منها - ضاربًا الأمثلة - كما نقلناها نحن عنه، ثم جاء برأى قاطع فى (معارج الوصول)[٢] حيث قرر أن (القرآن مستقلٌ بذاته، وليس صاحبه فى حاجة إلى الكتب السابقة عليه، بخلاف النصارى مثلاً، فإنهم بحاجة إلى التوراة ليتبينوا أحكام دينهم فيها).

---

(١) فتح البارى (٦/ ٤٩٨ - ٤٩٩).

(٢) ص٥٤.

ثم قال: (ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد)[١].

(٥) أما الإمام ابن كثير الدمشقى (ت٧٧٤هـ) فقد بيّن موقفه من الإسرائيليات خلال مقدمته لرائعته (البداية والنهاية) حيث قرر الآتى: (ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع فى نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو القسم الذى لا يصدق ولا يكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه لنا فنذكره على سبيل التحلى به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما صحّ نقله، أو حَسُن، وما كان فيه ضعف نبينه. فأما الحديث الذى رواه البخارى - رحمه الله - فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: «بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عنى ولا تكذبوا علىَّ، ومن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[٢] فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها. فيجوز روايتها للاعتبار. وهذا هو الذى نستعمله فى كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناءً بما عندنا، وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال[٣].

**وعلى هذا فموقف الرجل كالآتى:**

(أ) جواز رواية الموافق لشرعنا على سبيل التحلى لا الاعتماد.

(ب) جواز رواية المسكوت عنه للاعتبار - كما فعل ابن تيمية رحمه الله.

(جـ) عدم جواز رواية المخالف لشرعنا إلا لإنكاره وإبطاله وبيان زيفه.

وهذا يوضح أن ابن كثير يوافقنا فى منهجنا فلا يعتمد صحة السند فقط بل ينظر إلى طبيعة المنقول منه، والمنقول إليه من ناحية الاختلاف أو الاتفاق مع القرآن وأخباره ولذلك فقد تحاشى ذكر الكثير من الإسرائيليات فى تفسيره إلا ما ألزم به نفسه فيما نقلناه عنه آنفًا، حيث شدد النكير على رواة هذه الخرافات ووضح ما يتفق وما لا يتفق منها مع القرآن، إلا أنه وقع فى بعض الأحوال فى فخها ساكتًا عن توضيح رأيه والتعقيب عليها بالنقد أو التحليل. والله يغفر له.

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص٤٦.

(٢) صحيح: سبق تخريجه.

(٣) البداية والنهاية (١/ ٩) بتحقيقى - ط دار الفجر للتراث.

(٦) أما بعض التفسيرات القديمة فقد تباين موقف أصحابها ما بين التدقيق والتمحيص أو التساهل والعفوية.

* فالطبرى شيخ المفسرين على علمه الواسع وإحاطته بفنون الشريعة كان متساهلاً بشكل يُحسد عليه حتى صار كتابه مصدرًا من مصادر الإسرائيليات حين ملأه وحشاه بها دون تمحيص أو أدنى تعليق إلا قليلاً، وجاء مَنْ بعده فنقلوا عنه بنفس التساهل والغفلة، ولن تخطئ العين فى كل قصة مصدرها التوراتى أو النصرانى حتى كأنك تطالع أحد كتب أهل الكتاب المترجم باللغة العربية.

* وأما أبو حيان فى (البحر المحيط) يعرض عن ذكر الإسرائيليات أو يقلل من ذكرها فى بعض النواحى، وعلى سبيل المثال تجده عند ذكر بناء الكعبة يوضح إلى أن المفسرين: (طولوا فى ذلك بأشياء لم يتضمنها القرآن ولا الحديث الصحيح، وبعضها يناقض بعضًا، وذلك على جرى عادتهم فى نقل ما دبَّ وما درج ولا ينبغى أن يعتمد إلا على ما صحّ فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ)[١].

* أما البيضاوى (ت٦٨٥هـ) فى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) فإنه قد أعرض عنها، لكنه كان كالمستجير من الرمضاء بالنار، فأوقع نفسه فى فخ الأحاديث الموضوعة والضعيفة خاصة ما يتعلق منها بفضائل السور القرآنية، حتى قام المناوى بتحقيقه كما فى كتاب (الفتح السماوى فى تخريج أحاديث البيضاوى).

* وأما النسفى (٧٠١هـ) فى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) فقد كان موقفه عجيبًا فتارة يردد أوهام اليهود لما نسبوا الخطيئة إلى داود عليه السلام، ثم يعود فيقول: (وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل يهود)[٢].

* ثم كان الخازن (ت٧٤١هـ) صاحب (لباب التأويل فى معانى التنزيل) الذى ملأ كتابه بالخرافات والأساطير خاصة ما يتعلق بقصة أيوب عليه السلام.

* أما السيد محمود الألوسى (ت١٢٧٠هـ) صاحب تفسير (روح المعانى) فإنه لم يكن ممن يطمع فى غفلته أو يستهان به فى هذا المجال فقد كان شديد النقد للروايات الإسرائيلية والأخبار المكذوبة يردها على أصحابها وينقدها مبينًا زيفها وبهتانها، بل

(١) البحر المحيط (١/ ٣٨٧) لأبى حيان المتوفى (٧٤٥هـ).

(٢) تفسير النسفى (٤/ ٤١ ـ ٤٢).

ويسخر منها أحيانًا، مبينًا سبب دسها داخل كتب التفسير، حتى إنه تحدث عن خرافة (عوج بن عنق) فقال: (ولا ريب أن هذا وأمثاله من صنع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم)[١].

* أما القرطبى مثلاً فإنه راح ينقل الإسرائيليات دون تمحيص أو تدقيق إلا قليلاً خاصة أنه صاحب تفسير فقهى، أكثر منه لغوى أو قصصى.

* بينما جاء السيوطى فى (الدر المنثور) ليخرج علينا تارة أخرى بسفر جديد ملىء بالإسرائيليات والأغاليط التى حشدها كناقل للأخبار فقط دون تمحيص أو تدقيق.

*أما المدرسة الحديثة التى وصفها الشيخ الذهبى[٢] - رحمه الله - بأنها مدرسة تتسم تفاسيرها بلون أدبى اجتماعى فقد هاجمت هذه المدرسة الإسرائيليات، وشككت فى رجالها الذين نقل المسلمون عنهم كـ (كعب الأحبار) و(وهب بن منبه) وغيرهما، وشنوا حربًا لا هوادة فيها على الإسرائيليات ورواتها.

* فالشيخ محمد رشيد رضا فى تفسيره (المنار) يحمل على الإسرائيليات ورواتها فيقول: (كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب فى التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية والهداية السامية، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو. . . وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات. . . وأكثر التفسير المأثور قد سرى إلى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب)[٣]، ثم يعود مشددًا النكير على المفسرين ممن أولعوا بحشو تفاسيرهم بالإسرائيليات فيقول: (كما ولعوا بحشوها بالقصص والإسرائيليات التى تلقفوها من أفواه اليهود وألصقوها بالقرآن لتكون بيانًا له وتفسيراً، وجعلوا ذلك ملحقًا بالوحى والحق الذى لا مرية فيه أنه لا يجوز إلحاق شىء بالوحى غير ما تدل عليه ألفاظه وأساليبه إلا ما ثبت بالوحى عن المعصوم الذى جاء به ثبوتًا لا يخالطه الريب)[٤].

ثم راح الرجل يشنع على كعب الأحبار ووهب بن منبه وكان لكعب النصيب الأكبر من الاتهامات.

---

(١) روح المعانى (٦/ ٨٦ للألوسى).

(٢) التفسير والمفسرون (٢/ ٥٢٣) للشيخ الذهبى - رحمه الله -.

(٣) تفسير المنار (١/ ٨٧) للشيخ رشيد رضا.

(٤) السابق (١/ ١٧٥).

فيقول: (بمثل هذه الخرافات كان كعب الأحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم، وخُدع به الناس لإظهاره التقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم)[(١)].

ثم يعود قائلاً: (وقد هدانا الله من قبل إلى حل بعض مشكلات أحاديث أبى هريرة المعنعنة على الرواية عن كعب الأحبار الذى أدخل على المسلمين شيئًا من الإسرائيليات الباطلة والمخترعة، وخفى على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده)[(٢)].

وألقى الرجل قنبلة حين قال:

(كعب الأحبار الذى أجزم بكذبه، بل لا أثق بإيمانه)[(٣)]!!

ثم نختم حديثنا عنه إذ قال: (ثم ليعلم أن شر رواة هذه الإسرائيليات أشدهم تلبيسًا وخداعًا للمسلمين هذان الرجلان: كعب الأحبار، ووهب بن منبه)[(٤)].

وقد وقع الرجل فى مغالطات عدة سبب تحامله على كعب، ووهب، وتميم الدارى، وحيث راح يشكك فى حديث الجساسة الذى رويناه فى صحيح مسلم، حتى قال فيه: (إنه مصنوع)[(٥)].

ثم ردّ حديث البخارى الذى رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه: (قيل لبنى إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حِطة، فدخلوا يزحفون على استاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة حبة فى شعرة)[(٦)].

فقال الشيخ رضا بأنه (لا يخلو من علة إسرائيلية)[(٧)]. إلى جانب تشكيكه فى عدالة الصحابة أو التابعين، مثلما فعل مع كعب ووهب، ولو تأمل الرجل قليلاً لعلم أن الخداع ربما جاز أن يقع فى حبائله كثير من الناس لكن أن يخدع النبى ﷺ وينقل الكذب عن تميم الدارى - كما فى حديث الجساسة - هذا هو الافتراء بعينه على نبى الله ﷺ الذى ما ينطق عن الهوى، ولا يقول إلا صدقًا.

ولقد وقع الرجل فى حرج نفسى جعله لا يصدق (الأعاجيب) التى وقعت فى بنى

---

(١) السابق (٩/ ٤٥٩).

(٢) السابق (٨/ ٤٩٩).

(٣) مجلة المنار ج٩ - م٢٧ - ص٦٩٧.

(٤) السابق ج١٠ - م٢٧ - ص٧٨٣.

(٥) تفسير المنار (٩/ ٤٥٧).

(٦) صحيح: البخارى (٤٤٧٩) فى التفسير - سورة البقرة باب (٥)، مسلم (٣٠١٥/ ١) فى التفسير.

(٧) تفسير المنار (١/ ٣٢٥).

إسرائيل، كفلق موسى عليه السلام للحجر بعصاه، فتراه يقول عن هذه القصة: (وهذه من الخرافات التى اختلقها وهب، ليس لها أصلٌ عند اليهود ولا عند المسلمين، ولولا جنون الرواة بكل ما يقال عن بنى إسرائيل لما قبلوا من مثله أن يشرب مئات الألوف أو الملايين من حجر صغير)(١).

لقد كانت المفاجأة عندما نقل الشيخ رضا بعض الإسرائيليات فى تفسيره، ففى قول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ (البقرة: ٧٣)، قال: ويروون فى هذا الضرب روايات كثيرة، قيل: إن المراد: اضربوا المقتول بلسانها، وقيل: بفخذها، وقيل: بَذَنبها(٢).

بل نقل صراحة عن وهب فى قصة تابوت بنى إسرائيل، حيث قال: روى نحو هذا ابن جرير، قال: حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: (وكان بالقوتين اللتين سارتا بالتابوت أربعة من الملائكة يسوقونهما)(٣).

وقد لاحظ هذا الشيخ الذهبى ـ رحمه الله ـ فقال: (وكان الأجدر بهذا المفسر ـ يقصد الشيخ رضا ـ الذى يشدد النكير على عشاق الإسرائيليات أن يكف هو أيضًا عن النقل عن كتب أهل الكتاب خصوصًا وهو يعترف أنه قد تطرّق إليها التحريف والتأويل)(٤).

* وعلى نفس الدرب سار الشيخ أحمد مصطفى المراغى فى تفسيره، فشدّد النكير على رواة الإسرائيليات.

* وجاء الأستاذ/ سيد قطب ـ رحمه الله ـ ليمتطى حصانه كفارس للميدان فى ردّ الإسرائيليات، والإعراض عن ذكرها، بل ومناقشة بعضها من الناحية العقلية ـ لا الشرعية ـ حيث أجاد فى هذه الناحية كثيرًا على الرغم من امتلاء تفسيره بمغالطات شرعية كفكرتى (الحاكمية، والجاهلية) إلا أن إعماله العقل فى الإسرائيليات شىء يحسب له لا عليه، فعند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ (يوسف: ٢٤) يقول ـ رحمه الله ـ (فأما الذين ساروا وراء الإسرائيليات فقد رووا أساطير كثيرة يصورون فيها يوسف هائج الغريزة مندفعًا شبقًا، والله يدافعه ببراهين كثيرة فلا يندفع! صوّرت له هيئة

---

(١) السابق (٩/ ٣٤٣).

(٢) تفسير المنار (١/ ١٥١).

(٣) السابق (٢/ ٤٨٤).

(٤) التفسير والمفسرون (١/ ١٩٢ ـ ١٩٧).

أبيه يعقوب فى سقف المخدع عاضًا على إصبعه بفمه! وصوّرت له لوحات كتب عليها آيات من القرآن - أى نعم من القرآن! تنهى عن مثل هذا المنكر، وهو لا يرعوى! حتى أرسل الله إليه جبريل يقول له: أدرك عبدى، فجاء فضربه فى صدره... إلى آخر هذه التصورات الأسطورية التى سار وراءها بعض الرواة وهى واضحة التلفيق والاختراع)[1]، ولقد كان على مقربة من النبع لكنه لم يضرب بمعوله وتولى راجعًا ولو استشهد بالنصوص الشرعية لكان خيرًا له، وعلى الرغم من ذلك فإننا سنحتاجه كثيرًا خلال هذه الدراسة. وهكذا يتضح لنا أن المدرسة الحديثة مدرسة عقلية لا شرعية، أو أدبية لا تفسيرية اتجهت إلى رفض الإسرائيليات وانجرفت مع هذا التيار الذى أوقعها فى مخالفات شرعية عدة، ولو توقفوا مع تبيان الزور، والبهتان لكان خيرًا لنا، ولهم.

**وأقول فى النهاية:**

لا زلت عند رأيى أن ما وافق أخبار القرآن من الإسرائيليات هو (إسلامى) حيث نسخ القرآن الكتب والشرائع التى كانت قبله، بينما نشدد النكير على ما هو مكذوب من أخبار بنى إسرائيل فلا يجوز أن ننقله عنهم أو نكرره، أما المسكوت عنه فتركه أولى من ذكره، وتبيان تهافته أولى من ترديده وهى دعوة لمحققى التراث أن يعملوا على تنقية كتب التراث من هذه الأباطيل والأساطير.

## (هـ) رجال الإسرائيليات ورواتها فى كتب التفسير:

وقد اشتهر عدد من الصحابة والتابعين برواية الإسرائيليات، حتى إن بعض العلماء عدّ للروايات الإسرائيلية أقطابًا وأعلامًا، وقد اختلفت وجهات النظر تجاه هؤلاء من الصحابة أو التابعين، وذلك حسب موقف كل فريق من هذه الرويات، لكن المخزى أن عددًا من المُحْدَثِين قد رمى بعض الصحابة والتابعين بالزندقة، والكذب، والوضع، وألقوا بهم إلى أسفل سافلين حيث اجترءوا على عدالة الصحابة، وعلى من أجمعت الأمة على صلاحه وعدالته من التابعين، وسنحاول خلال هذه الصفحات أن نقدم تعريفًا بهؤلاء الصحابة والتابعين لنوضح الحقيقة ناصعة لا تحتمل تشكيكًا أو مغالطة، فإن لهؤلاء مبلغًا من العلم، ومكانة فى الإسلام، وباعًا فى الرواية.

---

(١) فى ظلال القرآن (٤/ ١٩٨١) - ط دار الشروق.

## أولاً: المنقول عنهم الإسرائيليات: (علماء متهمون):

### (١) عبد الله بن سلام (ت٤٣هـ):

هو (أبو يوسف) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى الأنصارى حليف القواقلة من بنى عوف من الخزرج، وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، أسلم عند مقدم النبى ﷺ إلى المدينة، وقد ورد فى مناقبه عدة أحاديث صحاح لا تقبل التشكيك، ومنها:

* ما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبى ﷺ المدينة، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إنى سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبى: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرنى به جبريلُ آنفًا»[١]. قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد». قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهُت، فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى، فجاءت اليهود، فقال النبى ﷺ: «أى رجل عبد الله بن سلام فيكم؟» قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبى ﷺ: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا اله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا وتنقصوه. قال: هذا كنت أخاف يا رسول الله[٢].

* وعن عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال: ما سمعت النبى ﷺ يقول لأحدٍ يمشى على الأرض: «إنه من أهل الجنة» إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ (الأحقاف: ١٠)[٣].

* وعن قيس بن عُباد، قال: كنت جالسًا فى مسجد المدينة، فدخل رجلٌ على وجهه أثر الخشوع، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة، فصلى ركعتين تجوّز فيهما، ثم خرج

---

(١) آنفًا: منذ قليل.

(٢) صحيح البخارى (٣٣٢٩) فى أحاديث الأنبياء.

(٣) صحيح البخارى (٣٨١٢) فى مناقب الأنصار ـ مسلم (٢٤٨٣/ ١٤٧) فى فضائل الصحابة.

وتبعته، فقلت: إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنّة، قال: والله ما ينبغي لأحدٍ أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لِمَ ذاك: رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ فقصصتُها عليه، ورأيتُ كأني في روضة - ذكر من سعتها وخضرتها - وسطها عمودٌ من حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عُروةٌ، فقيل لي: ارْقه[١]. قلت: لا أستطيع، فأتاني مِنْصفٌ[٢] فرفع ثيابي من خلفي، فرقيت حتى كنت في أعلاها، فأخذت بالعروة فقيل له: استمسك. فاستيقظت وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبي ﷺ. فقال: «تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة عروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت». وذلك الرجل عبد اللهُ بن سلام[٣].

* روى أحمد في المسند عن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ أتى بقصعة من ثريد، فأكل ففضل منه فضلةٍ، فقال: «يدخل من هذا الفَج رجلٌ من أهل الجنة، يأكل هذه الفضلة». قال سعد: وكنت قد تركت أخي عمير بن أبي وقاص يتهيأ لأن يأتي النبي ﷺ، فطمعت أن يكون هو، فجاء عبد الله بن سلام فأكلها[٤].

وهكذا ترى عبد الله بن سلام رضي الله عنه خير يهود يوم أن كان على دينهم، فلما جاء الإسلام وأسلم ترقى في سلم الأخلاق حتى صار من أعلم الصحابة ومجاهديهم، ويكفي أنه من المشهود لهم بالجنة، وإنه لصاحب شرف الصحبة الذي لو ظل أحدنا ساجدًا حتى يقصم ظهره ومات على ذلك ما ناله ولا نال جزءًا منه، والصحابة كلهم عدول، فلا ينبغي الهمز واللمز في حق عبد الله بن سلام رضي الله عنه الصحابي الجليل.

وعبد الله بن سلام كغيره من الصحابة رضوان الله عليهم الذين حاول كثير من المغرضين النيْل منهم وإلصاق التهم بهم لتفقد الأمة ثقتها في رعيلها الأول الذي حفظ لها القرآن والسنة، ونقل إليها علوم النبوة كاملة، وهنا سيجد المشككون وسيلة لرد كثير من آي القرآن، وسنة النبي ﷺ، وفرائض الإسلام لا مجرد القصص المروي عن بني إسرائيل.

---

(١) ارقه: اصعده.

(٢) منصف: خادم.

(٣) صحيح البخاري (٣٨١٣) في مناقب الأنصار، مسلم (٢٤٨٤/ ١٤٨ - ١٥٠) في فضائل الصحابة.

(٤) حسن: أحمد (١/ ١٦٩) في المسند. وصححه الحاكم (٣/ ٤١٦) في المستدرك ووافقه الذهبي.

ولعلى أذكر هنا أن بداية الحنق على عبد الله بن سلام ظهرت يوم أن ذهب للّذين حاصروا دار عثمان رضى الله عنه فقال لهم: ـ إنّ لله سيفًا مغمودًا عنكم، وإن الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه نبيكم، فالله الله فى هذا الرجل أن تقتلوه، فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلّن سيف الله المغمود عنكم ولا يغمد إلى يوم القيامة. فقال الثوار: اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان[١].

فهى فرية قديمة جديدة يشعل نارها يهودُ وأذنابهم، فما النَّيل من الصحابى عبد الله بن سلام إلا لشىء فى نفس اليهود الذين اغتاظوا بإسلامه، فأردوا الثأر منه بعد موته داخل أروقة التاريخ، ولا يستبعد من قوم افتروا على الله ورسله كذبًا، أن يفتروا على ابن سلام هو الآخر كذبًا.

يبقى أن نذكر أن عبد الله بن سلام روى عن النبى ﷺ، وروى عنه ولداه يوسف ومحمد، وأبو هريرة، وأبو بردة بن أبى موسى الأشعرى، وعطاء بن يسار.

ومثل هذا الصحابى جبلٌ لا تؤثر فيه معاول الفئران، ومثله كمثل شجرة وقفت عليها ذبابة، فقالت: وقفت عليك أيتها الشجرة العظيمة. فقالت الشجرة: وقفت ورحلت وأنت ذبابة، وبقيت أنا الشجرة العظيمة.

ولله در الحسد بدأ بصاحبه فقتله.

**(٢) تميم الدارى:**

وهو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة، ينسب إلى (الدار) وهى بطن من لخم، كان نصرانيًّا فأسلم فى سنة تسع من الهجرة وسكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان رضى الله عنه[٢].

وكان ممن جمعوا القرآن فى عهد النبى ﷺ، وكان أول من قصّ فى عهد عمر رضى الله عنه[٣].

وعن ابن شهاب أن (أول من قصّ فى مسجد رسول الله ﷺ تميم الدارى استأذن عمر أن يُذكِّر الناس فأبى عليه حتى كان آخر ولايته فأذن له أن يُذكر فى يوم الجمعة قبل أن

---

(١) رواه الترمذى (٣٢٥٦) فى التفسير ـ وقال: حسن غريب.

(٢) الإصابة (١/ ١٨٦) لابن حجر، الاستيعاب (١/ ١٩٣) لابن عبد البر.

(٣) الإصابة (١/ ١٨٦).

يخرج عمر، فاستأذن تميم عثمان بن عفان رضى الله عنه فى ذلك، فأذن له أن يُذَكِّر يومين فى الجمعة (الأسبوع) فكان تميم يفعل ذلك)[١].

ويبقى له منقبة لم ينلها سواه حيث حدَّث عنه النبىُّ ﷺ فى حادثة[٢] هى الأولى، فبعد أن كان الصحابة هم الذين ينقلون الحديث عن النبى ﷺ إذا برسول الله ﷺ ينقل الحديث عن واحدٍ من أصحابه لم يجاوره إلا عامًا واحدًا إذ أسلم تميم الدارى عام تسع للهجرة، وتوفى النبى عليه السلام بعدها بعام، وذاك فضل يعلو كل فضل، إذ تحقق فيه الآتى:

* ثقة النبى ﷺ بتميم الدارى لتصديق الوحى إياه، فحديث النبى عليه السلام وحى من الله كما أن القرآن وحى من الله.

* رواية الفاضل عن المفضول.

* قبول خبر الواحد لأنه ثقة، وكذلك كان تميم الدارى.

ورسول الله ﷺ لم يكن ممن يطمع فى غفلتهم وهو المؤيد بوحى الله تعالى، بينما سمح عمر رضى الله عنه لتميم بالقصص، وكان عبارة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتلاوة القرآن، وعمر هو عمر الذى يعرفه القاصى والدانى مُلهم، مُحدث، بل ومُشَرع من بعد رسول الله ﷺ والأكثر أنه كان يستوثق من روايات الصحابة كأُبى بن كعب وأبى ذرٍّ، والعباس، ولا يقبل الحديث فى أحوال عدة إلا بشهادة عدد من الصحابة، حتى خشى أبو هريرة رضى الله عنه من التحديث فى حياة عمر، فإذا كان عمر بهذا القدر من الحرص فى ترديد الأحاديث والقصص، فهل يمكن أن يحتال عليه (تميم الدارى؟) معاذ الله أن نقول ما ليس لنا به علم، سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن تميم الدارى عاش صحابيًّا، ومات صحابيًّا، وما نقله عن النصرانية لم نسمع به ولم يحدث أحد به، لأن جمهور مستمعيه كانوا من الصحابة الذين عملوا بمقتضى: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» فكان السماع دون النقل، وحتى من نقل، نقل بحرص شديد، وحسبك أن تعلم أن تميم كان يحدث بحديث الجساسة، والدجال، وعن الشيطان، فأين نصرانيته هنا؟!

إن الذين نفخوا فى بوق التجريح لتميم ما زادوه إلا رفعة، حيث نالوا من صحابى

(١) الخطط للمقريزى (٢/ ٢٥٣) دار صادر بيروت.

(٢) كان هذا هو حديث الجساسة الذى رواه مسلم وقد ذكرناه فى بداية الكتاب.

جليل له حق الصحبة وشرفها لم يخرج على شرع ربه، ولا سنة نبيه ﷺ، ونسى هؤلاء قاعدة: «الصحابة كلهم عدول».

أما تميم نفسه فحياته مثال للعابد المسلم لا الراهب النصرانى، إنه الرجل الذى اشترى حلة بألف درهم ليصلى فيها، ويقرأ القرآن فى ركعة، ويُسِرُّ عبادته لئلا يطلّع عليها الناس، وهو الذى نام ليلة لم يقم يتهجدها، فعاقب نفسه بسنة كاملة لم ينم فيها[١]!!

**(٣) كعب الأحبار (ت٣٢هـ):**

هو كعب بن ماتع بن عمرو بن قيس من آل ذى رعين، وقيل: ذى الكلاع الحميرى، ويكنى بـ (أبى إسحاق) والأرجح أنه أسلم فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وسكن معه المدينة، وغزا الروم فى خلافة عمر، ثم تحول فى خلافة عثمان إلى الشام، فسكنها، حتى توفى هناك، وعلى ذلك فهو تابعى لا صحابى لعدم تحقق رؤيته للنبى ﷺ، إلا أنه أكثر من إرسال الحديث إلى النبى ﷺ.

وكان كعب عالمًا بلغ من العلم مبلغًا عظيمًا، لذا عرف باسم (كعب الحبر) و(كعب الأحبار) وجمع علم أهل الكتاب وعلم الإسلام، إلا أنه كان وثيق الصلة بمصادره اليهودية حيث روى ابن سعد فى طبقاته أن عامر بن عبد الله بن قيس جلس إلى كعب وبينها سِفْر من أسفار التوراة وكعب يقرأ[٢].

وعلى الرغم من هذا فإن الصحابة كانوا يجلونه، وجاء علماء الجرح والتعديل ليفردوا له مكانة بين الثقات فلم يتهموه بالوضع أو الاختلاق، أو الزندقة، بل اجتمع الجمهور على توثيقه، ولم يذكره أحدٌ فى الضعفاء أو المتروكين وخرَّج له مسلم فى صحيحه من كتاب الإيمان، وخرّج له أبو داود، والترمذى، والنسائى.

وقد قال الصحابة فيه خيرًا:

* فقد قال معاوية رضى الله عنه: (ألا إن كعب الأحبار أحد العلماء، وإن كان عنده علم كالثمار وإن كنا فيه لمفرطين)[٣].

* وفى رواية ابن سعد: (وإن كان عنده لعلم كالبحار وإن كنا فيه لمفرطين)[٤].

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) لابن الجوزى، ومجمع الزوائد (٥/ ١٣٥) للهيثمى بسند صحيح.

(٢) الطبقات (٧/ ٧٩) لابن سعد.

(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٤).

(٤) ابن حجر (١٣/ ٣٣٥) فى فتح البارى.

* وقال أبو الدرداء: (إن عند ابن الحميرية لعلمًا كثيرًا)[١].

وقال عبد الله بن الزبير: ما أصبت فى سلطانى شيئًا إلا قد أخبرنى به كعب قبل أن يقع[٢].

أما علماء الجرح والتعديل فقد ذكروه بالخير:

فقال عنه ابن حجر: كان كعب من أخيار الأحبار[٣].

ويكفى رواية مسلم له فى صحيحه مع أصحاب السنن أيضًا.

إلا أن الضجة التى ثارت حول كعب كان مصدرها حديث البخارى عن حُميد بن عبد الرحمن، وفيه: (سمع معاوية يحدث رهطًا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك ـ لنبلوا عليه الكذب)[٤].

وقد فسر العلماء هنا الكذب بالآتى:

فقال ابن الجوزى: (المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبًا لا أنه يتعمد الكذب وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار)[٥].

وقال ابن حبان: (أراد معاوية أنه يخطئ أحيانًا فيما يخبر به لا أنه يتعمد الكذب).

وأما آراء المحدثين فى كعب:

فإن رجلاً كرشيد رضا يعلن عن موقفه تجاه كعب فيقول: (كعب الأحبار الذى أجزم بكذبه، بل لا أثق بإيمانه).

وكالمراغى الذى قال: (. . . المفسرون من أهل الكتاب الذين كانوا يكيدون للإسلام والعرب كروايات وهب وهو فارسى الأصل. . . ومثله كعب الأحبار الإسرائيلى، وقد كان كلاهما كثير الرواية للغرائب التى لا يعرف لها أصل معقول ولا منقول، وقومهما كانوا يكيدون للإسلام والمسلمين الذين فتحوا بلاد الفرس وأجلوا اليهود من الحجاز)[٦] وجاء العقاد من ورائهم ليتهم كعب الأحبار بالضلوع فى مؤامرة اغتيال عمر رضى الله عنه ـ كما ذكر فى عبقريته ـ ثم جاء أبو رية ليعلن عن كعب (إنه أظهر الإسلام خداعًا

---

(١) ابن حجر (١٣/ ٣٣٥) فى فتح البارى.

(٢) و(٣) السابق ـ نفسه.

(٤) صحيح: البخارى (٧٣٦١) فى الاعتصام باب (٢٥).

(٥) ابن حجر (١٣/ ٣٣٥) فى الفتح.

(٦) تفسير المراغى (٩/ ٢٤).

وطوى قلبه على يهوديته)!!

إن شدة الضربة هنا أنها موجهة من المسلمين لا غيرهم، وإن كانوا قد تلقفوها عن (مرجليوث) و(بروكلمان) والمستشرقين الذين تزيوا بزى العربية طمعًا فى إفساد الإسلام والمسلمين.

وإن مؤرخًا من الطراز الممتاز كالذهبى يعلن عن كعب أنه: (كان خبيرًا بكتب اليهود، له ذوق فى معرفة صحيحها من باطلها فى الجملة)[١] وابن حجر الذى قال: (إن كعبًا كان أشد منهم بصيرة وأعرف بما يتوقاه)[٢]، وفى هذا إعلان عن عدالة كعب ليكون سهمًا يُدْرأ به فى نحور القائلين على الرجل ظلمًا وزورًا.

إن القضية هنا ليست فى عدالة كعب أو جرحه، ولكن إذا صحّ أن كعب خدع الصحابة فإن هذا يقدح فى عقل الصحابة ورأيهم، وعدالتهم، مما يعنى أننا سنعيد النظر فى كل ما نقلوه؛ لا بل سنعيد النظر فى شخصياتهم هم، ومن منهم الحاقد على الإسلام؟ ومن المحب له؟ وهكذا يجب أن تفهم القضية. إلا أننى أجد نفسى وقد أدنت كعبًا فى قيامه بـ (الترويج) لما فى التوراة من الأخبار خاصة أنه لو راجع حديث: «من حدث بحديث يُرَى أنه كَذِبٌ فهو أحد الكذابين»[٣] ولو سكت عنها لكان خيرًا، ولزاد الخير إن كان قام بتمحيص الروايات وتدقيقها.

ويبقى دفاع الشيخ الذهبى رحمه الله - براءة من أحد المُحْدثين لكعب، إذ قال مُبرئًا ساحته: (وإذا كانت هذه الإسرائيليات المروية عن كعب وغيره قد أثرت فى عقيدة المسلمين وعلمهم أثرًا غير صالح، فليس ذنب هذا راجعًا وأضرابه لأنهم رووه على أنه مما فى كتبهم ولم يشرحوا به القرآن - اللهم إلا ما يتفق من هذا مع القرآن ويشهد له - ثم جاء من بعدهم فحاولوا أن يشرحوا القرآن بهذه الإسرائيليات فربطوا بينها وبينه على ما بينهما من بُعد شاسع بل وزادوا على ذلك ما نسجوه من قصص خرافية، نسبوها لهؤلاء الأعلام ترويجًا لها وتمويهًا على العامة، فالذنب إذن ذنب المتأخرين الذين ربطوا هذه الإسرائيليات بالقرآن وشرحوه على ضوئها، واخترعوا من الأساطير ما نسبوه زورًا وبهتانًا إلى هؤلاء الأعلام وهم منه براء)[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٠).

(٢) الفتح (١٣/ ٣٣٥).

(٣) رواه مسلم فى المقدمة باب (١).

(٤) التفسير والمفسرون (١/ ١٨٨).

**( ٤ ) وهب بن مُنبه (ت١١٠هـ):**

هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن سيج بن ذى كناز، اليمانى، الصنعانى، قال عبد الله ابن الإمام أحمد عن أبيه : كان من أبناء فارس، وأصل والده (منبه) من خراسان من أهل هراة، أخرجه كسرى منها إلى اليمن، فأسلم فى عهد النبى ﷺ، ولد وهب فى خلافة عثمان وتوفى عام (١١٠هـ) على الأرجح وروى عن أبى هريرة، وأبى سعيد الخدرى، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر، وأنس، وغيرهم.

وروى عنه عبد الله، وعبد الرحمن، وعمر بن دينار، وأخرج له البخارى ومسلم، والنسائى، والترمذى، وأبو داود، ويعده العلماء من خيار علماء التابعين، إذ كان كثير الاطلاع على الكتب القديمة.

وقد وثقه الجمهور من علماء الجرح والتعديل، إلا الفلاَّس الذى قال: كان ضعيفًا، وكانت شبهته فى ذلك أنه كان يتهم بالقول فى القدر) إلا أن العلماء: قالوا بورعه وصلاحه[١].

وأطلق عليه ابن خلكان (صاحب الأخبار والقصص)[٢] دلالة على علمه وماله من باع فى رواية القصص والأخبار.

وما قيل فى كعب من اتهامات قيل فى وهب الذى وثقه أبو زرعة والنسائى، وذكره ابن حبان فى الثقات، واعتمد عليه البخارى ووثقه، وقال الذهبى: كان ثقة كثير النقل من كتب الإسرائيليات.

إلا أن المسئولية تقع على وهب فى ذكره لأمور كان فى غنًى عن ذكرها، وحسبه منها أن كثيراً من المفسرين قد نقلوها عنه بتلقائية وعفوية أيضًا، إلا أننا فى معرض دفاعنا عنه ضد متهميه نقول: إن وهب لم يختلق حديثًا، أو يضعه، ولم يأت به من عند نفسه، بل كان واسطة فى نقل هذه الأخبار كغيره فنقلت عنه.

إنها النفس البشرية: توّاقة دائمًا لمعرفة ما عند الغير!! وهكذا كان كثير من العلماء.

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ١٦٦ - ١٦٨)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٨).

(٢) وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٨).

**تعقيب:**

وبعد ذكر هؤلاء (الأقطاب) الذين رويت عنهم الإسرائيليات بقى أن نذكر هذه الملاحظات:

(١) أنهم لم يخترعوا هذه الإسرائيليات أو يلفقوها من عندهم، وإنما كانت لهم مصادرهم الإسرائيلية التى نقلوها عنها، فروايتهم للكذب والاختلاق لا تعنى كذبهم واختلاقهم.

(٢) لكن هذا لا يعفيهم من مسئولية الوساطة فقد كانوا وسطاء فى حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين، وما يتحملوه هنا هو أنهم فتحوا الباب أمام ضعفاء الإيمان كى ينسبوا إليهم المزيد من الضلالة والافتراءات التى تتفق ونوع ما رووه من القصص.

(٣) أن نقلهم كان فى الجانب القصصى، والأعاجيب بعيدًا عن العقيدة والتشريع.

(٤) أنهم لم ينسبوا أيًّا من هذه الأباطيل إلى النبى ﷺ فليسوا بوضّاعين للحديث كغيرهم.

(٥) أن العلماء - علماء الجرح والتعديل - وهم سيف مسلولٌ على رقاب الرواة عدلوهم ولم يذكروا فيهم جرحًا.

(٦) أننا لن نطعن فى أحدٍ منهم خاصة الصحابيين عبد الله بن سلام، وتميم الدارى رضى الله عنهما، ولن ننساق وراء تكفيرهم كما فعل رشيد رضا، وأحمد أمين، وأبو ريَّة، والعقاد، ولكننا نثق فى إسلامهم، ونَكِلِ ما فى قلوبهم إلى عالم السر وأخفى.. والله أعلم.

## ثانيًا: الذين نقلوا الإسرائيليات: (صحابة عدول):

### (١) عبد الله بن عمرو بن العاص:

وهو الصحابى الجليل ابن الصحابى، الزاهد، العابد، الورع، العالم، رضى الله عنه وأرضاه، ويكنى بأبى عبد الرحمن، أسلم قبل أبيه، وكان أبوه أكبر منه بثلاث عشرة سنة، وقيل: باثنتى عشرة سنة، وكان عابدًا، عالمًا، حافظًا، قرأ الكتب، واستأذن النبى ﷺ فى أن يكتب حديثه فكتب حين أذن له النبى ﷺ، فقد روى الإمام أحمد فى مسنده، وروى غيره، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: قلت: يا رسول الله! أكتب ما

أسمع منك؟ قال: «نعم». قلت: في الرضا والغضب؟ قال: «نعم، فإني لا أقول إلا حقًّا»[١].

وفي حديث أبي هريرة أنه قال: ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثًا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب[٢].

وقد رُمي عبد الله رضي الله عنه بفرية رددها الناس عبر عصور مختلفة حتى قال ابن حجر: (إن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جَملٍ من كتب أهل الكتاب فكان ينظر فيها، ويحدث منها فتجنب الأخذ عنه لذلك كثيرٌ من أئمة التابعين)[٣]. وقد ذكر هذا السبب في معرض تبيانه لماذا أكثر الناس الرواية عن أبي هريرة ولم يكثروا عن عبد الله بن عمرو، وهذا الحمل يسمونه في المصادر التاريخية بـ (الزاملتين) قيل: إن عبد الله أصابهما يوم اليرموك، فكان ينظر فيهما ويحدث الناس بما فيهما دون تذوق أو تفرقة بين ما هو غث أو سمين.

**وهذه الفرية نستطيع دفعها بعدة أمور، وهي:**

(١) أن عبد الله رضي الله عنه كان مشغولاً بالعبادة إلى حد كبير، حتى أن ابن حجر نفسه في الموضع السابق من الفتح يقول: (أن عبد الله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلّت الرواية عنه)، إذن كيف يعود ويتهمه بعد ذلك بأنه منبوذ من ثقات التابعين وأئمتهم، فأقلوا من التلقي عنه؟ وهو ما يعضده حديث البخاري ومسلم عن عبد الله أنه قال: كنت أصوم الدّهر، وأقرأ القرآن كل ليلةٍ، قال: فإمَّا ذُكرت للنبي ﷺ، وإمّا أَرْسل إليّ فأتيته، فقال لي: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى يا نبي الله! ولم أُرِدْ بذلك إلا الخير. قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام». قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فإن لزوجك عليك حقًّا، ولِزَوْرِك[٤] عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا. قال: «فصُمْ صوم داود نبي الله ﷺ فإنه كان أعبد الناس». قال: قلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: «كان يصوم يومًا ويفطر يومًا»، قال: «واقرأ القرآن في كل شهرٍ». قال: قلت: يا نبي الله إني أطيق

(١) صحيح: أحمد (٢/ ٣٤٠، ٣٦٠) في المسند، الترمذي (١٩٩٠) في البر والصلة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: البخاري (١١٣) في العلم - باب كتابة العلم.

(٣) ابن حجر (١/ ٢٠٧) في فتح الباري.

(٤) زَوْرِك: زائروك.

أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه فى عشرين». قال: قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه فى كُل سَبْعٍ، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا». قال: فشدّدت فشُدّد علىّ. قال: وقال لى النبى ﷺ: «إنك لا تدرى لعلك يطول بك عُمْر». قال: فَصِرْت إلى الذى قال لى النبى ﷺ. فلما كبرت وَدِدْتُ أنى كنت قبلت رخصة نبى الله ﷺ[1].

إن ما نراه فى هذا الحديث أن عبد الله رضى الله عنه ظلّ على عبادته كما هى منذ أن كان شابًا حتى عجز وتمنى لو أخذ برخصة النبى ﷺ، ومثله لا نرى له انشغالاً بشىء آخر سوى العبادة التى وجّه إليها جُلّ اهتمامه بعكس أبى هريرة رضى الله عنه الذى اتجه إلى صلاة الضحى، وصيام ثلاثة أيام، من كل شهر متفرغًا للعلم والقضاء، والإفتاء والتحديث. أما عبد الله فتراه يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم الليل، ويبكى حتى يعمى، مجتهدًا فى العبادة دونما توقف ليفى بعهد قطعه على نفسه أمام رسول الله ﷺ وأمام الوحى، ومن ثَمَّ أمام الله تعالى، فلا مجال للتحديث أو الرواية إذن رغم الكتابة.

ثم إن ابن حجر نفسه وهو أحد المُتَّهِمِين لعبد الله يقول: كان أكثر مقامه ـ يعنى عبد الله ـ بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة[2].

(٢) أما عبد الله نفسه فقد جاء فى وصفه أنه كان (عاقلاً)[3] وكان (واسع العلم) والعقل إلى جوار العلم ينتجان رجلاً ثاقب الفهم، نافذ البصيرة يستطيع التمييز بين هذا وذاك دونما أن يكون غافلاً عمّا يقرأ أو يلقى إلى الناس من علم، لقد صحّ أن عبد الله كان قارئًا للتوراة، ولما أصابه من (الزاملتين) لكن هل يستبدل صحابى رسول الله ﷺ البعرة بالبعير، ويبيع القرآن بالتوراة!! وكيف يكون أحد علماء الصحابة إذن؟ وقد كانوا يستفتونه ويعملون برأيه، وهو صاحب الموقف الشديد ضد أبيه ومعاوية فى معركة صِفِّين، وكان أكثر الناس ذكرًا لحديث: (ويح ابن سُمية تقتله الفئة الباغية) فلما رأى عمّار بن ياسر قد قُتل صاح فيهم: قتلتم عمار!! ولولا أن رسول الله ﷺ أمره بطاعة أبيه لما كان فى صف معاوية! إنها إذن هى النقطة المفقودة فى بحر الاتهامات: أن عبد الله كان

---

(١) صحيح البخارى (١١٣١) فى التهجد، مسلم (١١٥٩/ ١٨١ ـ ١٩٣) فى الصيام. واللفظ له.

(٢) فتح البارى (١/ ٢٠٧).

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٦٣٤) لابن كثير.

فى صف معاوية ضد على ، فانهال عليه الشيعة بمثل هذه الاتهامات ، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم .

(٤) وأما قول ابن حجر : (فتجنب الأخذ عنه لذلك كثيرٌ من أئمة التابعين) .

فمردودٌ عليه ، إذ نقل وروى عن عبد الله : مسروق ، وسعيد بن المسيب ، وأبو سلمة ابن عبد الرحمن ، وعروة بن الزبير ، وحميد بن عبد الرحمن ، وخلق كثير سواهم .

وما نصل إليه فى النهاية أن عبد الله عاش صحابيًا ومات صحابيًّا منشغلاً بالعلم والعبادة ، وأنه لم يكن يومًا من الأيام إلا قارئًا لما جاء فى التوراة شأنه فى ذلك شأن زيد ابن ثابت رضى الله عنه الذى قرأ التوراة إلا أن اشتراك عبد الله فى معركة صفين إلى جانب معاوية رضى الله عنه كان محور الاتهام له من قبل مرتزقة الشيعة وغيرهم والأصح أن يراعى فى ذلك حق الصحبة لهذا البحر الفحل ، وحسبك من ابن تيمية ما قاله عن جيل الصحابة رضوان الله عليهم حيث ذكر أن (هذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم والفقه فى الدين ، والبصر والتأويل ، ففجرت من النصوص أنهار العلوم ، واستنبطت كنوزها ، ورزقت فهمًا خاصًّا)[1] ، ثم قال عنهم أيضًا : (هم مشايخ الإسلام وأئمة الهدى الذين جعل الله تعالى لهم لسان صدق فى الأمة)[2] . ولَعبدُ الله منهم ، ولا كرامة لحاقد أو حاسد .

### (٣) أبو هريرة رضى الله عنه:

وقد اختلف فى اسمه ، وفى نسبه اختلافًا كثيرًا ، وأشهر ما قيل فيه : أنه كان فى الجاهلية عبد شمس ، أو عبد عمرو ، وفى الإسلام : عبد الله أو عبد الرحمن وهو دَوْسى .

قال ابن عبد البر : لا يصح فى اسمه ونسبه مع الخلاف الكثير الذى فيه شىء .

وقال الحاكم : أصح شىء عندنا فى اسم أبى هريرة : عبد الرحمن بن صخر ، وغلبت عليه كنيته ، فهو كمن لا اسم له ، أسلم عام خيبر ، وشهدها مع النبى ﷺ ثم لزمه ، وواظب عليه راغبًا فى العلم ، راضيًا بشبع بطنه ، وكان يدور معه حيث دار ، وكان من أحفظ الصحابة يحضر ما لا يحضره أحدٌ منهم لملازمته النبى ﷺ .

---

(١) نقض المنطق ص٧٩ لابن تيمية .

(٢) توحيد الربوبية ص٤٧٤ .

قال البخاري : روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من صحابي وتابعي .

والقضية هنا أن أبا هريرة لم يتهم بنقل الإسرائيليات فقط قدر ما اتهم بالكذب على رسول الله ﷺ .

وقد بدأت هذه الاتهامات تنصب على أبي هريرة رضي الله عنه مبكرًا حتى أنه قال : (إنّ الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ـ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثًا ، ثم يتلو : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٥٩، ١٦٠)، إنَّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفق[١] بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وإنّ أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون)[٢] .

ثم ذكر أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله ! إني أسمع منك حديثًا كثيرًا أنساه . قال : «ابْسُط رداءك» . فبسطه ، قال : فغرف بيديه ثم قال : «ضُمّه» فضممته فما نسيت شيئًا بعده[٣] .

ويروى الحاكم من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال : كنت أنا وأبو هريرة وآخرُ عند النبي ﷺ فقال : «ادعوا» . فدعوت أنا وصاحبي ، وأمنّ النبي ﷺ ثم دعا أبو هريرة فقال : اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي ، وأسألك علمًا لا يُنْسى ، فأمّن النبي ﷺ ، فقلنا : ونحن كذلك يا رسول الله . فقال : «سبقكما الغلام الدَّوْسي»[٤] يقصد أبا هريرة .

إذن كان أبو هريرة عالمًا بما ينسب إليه من تُهم شنيعة مقتضاها ومؤداها : الكذب على الله ورسوله ﷺ ، ولذلك كان حريصًا على الدفاع عن نفسه حتى أنه يومًا من الأيام حدّث بجوار حجرة عائشة رضي الله عنها ، ثم قال : يا صاحبة الحجرة أتذكرين مما أقول شيئًا؟ فلما قضت تسبيحها ، لم تذكر ما رواه ، ولكن قالت : لم يكن رسول الله ﷺ يسرد الحديث سردكم[٥] . فلم تنكر عليه شيئًا ، وإنما عابت عليه سرعته في أداء الحديث ، ولو

---

(١) الصَّفق: ضرب اليد على اليد ، وجرت به عادتهم عند عقد البيع . ومنه (الصَّفقة) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (١١٨) في العلم ، مسلم (٢٤٩٢/ ١٥٩) في فضائل الصحابة .

(٣) صحيح : رواه البخاري (١١٩) في العلم ، مسلم (٢٤٩٢) في فضائل الصحابة .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك وسكت عنه ابن حجر (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦) في الفتح .

(٥) صحيح : البخاري (٣٥٦٨) في المناقب ـ باب (٢٣) ، مسلم (٢٤٩٣/ ١٦٠) في فضائل الصحابة .

تمهل لكان أفضل - فى نظرها -. فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه كثير الحفظ، واسع الرواية، لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث، كما قال بعض البلغاء: أريد أن أقتصر، فتزاحم القوافى على فِىَّ(١).

وهكذا ترى الرجل رضى الله عنه يريد شهادة عائشة أحفظ الناس بحديث النبى ﷺ وأعلمهم به حتى يكون ذلك دفعًا لتهمة ألصقت به زورًا وبهتانًا، وهكذا ترى عائشة رضى الله عنها تريده أن يسرد الكلام لا يسرع فيه.

ثم إن الصحابة نقلوا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يبدأ حديثه بذكر قول النبى ﷺ: «من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» ويكون ذلك دفعًا لتهمة ألصقت به زورًا وبهتانًا، وإليك هذه الروايات التى تظهر براءة أبى هريرة رضى الله عنه:

* فقد روى الإمام أحمد أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يفتتح مجلسه بأن يقول: قال رسول الله ﷺ الصادق المصدوق: «من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار». والحديث متواتر.

* وجاء مروان بن الحكم بأبى هريرة وعنده (أبو الزعيزعة) كاتبه، فراح أبو هريرة يحدث، والكاتب مستخف وراء السرير يسجل ما يقوله أبو هريرة، حتى إذا مرَّ عامٌ دعا مروان بأبى هريرة تارة أخرى، والكاتب من وراء الحجاب يرصد ما يقوله أبو هريرة، ومروان يسأله عما كتب فى العام الماضى، فما زاد أبو هريرة، ولا نقص، ولا قدّم، ولا أخّر(٢).

* وكان ابن عمر يقول لأبى هريرة: أنت يا أبا هريرة كنت ألزمنا برسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه(٣).

أما علماء الأمة، وعلماء الجرح والتعديل فقد قالوا فيه خيرًا.

* فقال أبو صالح: كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن بأفضلهم.

* وقال الشافعى: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره.

* وقال الذهبى: احتجّ المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه؛ لحفظه وجلالته، وإتقانه

---

(١) الفتح (٦/ ٥٧٩) لابن حجر.

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٤٨١).

(٣) صحيح: أحمد (٢/ ٢٧٦) فى المسند. والترمذى (٣٨٣٥) فى المناقب.

وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدب معه ويقول: (أفْتِ يا أبا هريرة).

ولكن نبت غرس الشيطان فى هذه الأمة حتى اتهمت أصحاب النبى ﷺ أهل العدالة التى لا يشك فيها حتى اتهم بعضهم أبا هريرة علانية ودون مواربة، بل إن بعضهم ألف كتابًا تعرض فيه لأبى هريرة بالنقد والتجريح كما لم يتعرض لهما أحدٌ من جانب منكرى السنة فى العصر الحديث المتظاهرين بالغيرة عليها[١]. ولكن قيّض الله الدراسات الجادة التى أنصفت هذا الرجل من صحابة النبى ﷺ[٢].

وكان من ضمن افتراءات هؤلاء ما قاله أحدهم: (إن الصحابة وثقوا بمسلمة أهل الكتاب واغتروا بهم، فصدّقوهم فيما يقولون، ورووا عنهم ما يفترون، وإن أبا هريرة كان أكثر الصحابة وثوقًا بهم، وأخذًا عنهم، وانقيادًا لهم).

إلاّ أن أبا هريرة لم يكن غافلاً كما ذكر هذا المغبون، فإنه رضى الله عنه على سبيل المثال، يروى حديث «إن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه»[٣].

فيراجع أبو هريرة كعبًا فى تفسيره إياها، حيث قال كعب: بأنها فى جمعة واحدة من السنة، فيرد عليه أبو هريرة قوله هذا، ويبين له: أنها فى كل جُمعة، فيرجع كعب إلى التوراة، فيرى الصواب مع أبى هريرة، فيرجع إليه، وكذلك نجد أبا هريرة يسأل عبد الله ابن سلام عن تحديد هذه الساعة، ويقول له: ـ أخبرنى ولا تضنن علىَّ، فيجيبه ابن سلام: بأنها آخر ساعة فى يوم الجمعة، فيراجعه أبو هريرة كيف وقد قال الرسول ﷺ: «لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى» وتلك الساعة لا يصلى فيها، فيجيبه بقوله: ألم يقل رسول الله ﷺ: «من جلس ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى»[٤]. [٥]

وهذه القصة لا تبين براءة أبى هريرة من الغفلة، والنقل بلا تثبت أو روية فقط، بل هى براءة لعبد الله بن سلام أيضًا من تهمة انغماسه فى يهوديته وتوراتها، فهو الذى يستشهد بحديث النبى ﷺ ليبين الأمر دون الرجوع إلى التوراة حسبما رُمى رضى الله عنه من قِبَلِ نبت الشيطان فى أرض المسلمين.

---

(١) هو محمود أبو رية ـ عفا الله عنه ـ.

(٢) هو د. عجاج الخطيب فى (أبو هريرة: راوية الإسلام).

(٣) صحيح: البخارى (٩٣٥) فى الجمعة، مسلم (٥٨٢/ ١٣ ـ ١٥) فى الجمعة.

(٤) القسطلانى (٢/ ١٩٠) فى شرح البخارى.

(٥) والقصة رواها الترمذى بسند صحيح (٤٩١) فى كتاب الجمعة ـ باب (٢) وصححه الألبانى هناك.

وهذه شهادة أحد المستشرقين للصحابة جميعًا بعدالتهم، وحفاظهم على دين الله من عبث العابثين، وتلاعب السفهاء حيث يقول: (إن الأثر العظيم الذى تركته شخصية الرسول ﷺ، فى أولئك الرجال، إنما هى حقيقة من أبرز حقائق التاريخ الإنسانى، ثم هى فوق ذلك ثابتة بالوثائق التاريخية ـ فهل يخطر فى خيالنا أن أولئك الرجال الذين كانوا على استعداد لأن يضحوا بأنفسهم وما يملكون فى سبيل رسول الله ﷺ، كانوا يتلاعبون بكلماته)[١]. والفضل ما شهدت به الأعداء.

إن ما أراده الطاعنون فى أبى هريرة وغيره هو التشكيك فيما نقله الصحابة إلينا لتصبح دعوتهم إلى تقويض أحكام الشريعة، وتفسير القرآن، ورد الأحاديث النبوية ذات صبغة شرعية عقلية، وإلا فلماذا طعنوا فى رواة الحديث خاصة دون الطعن فى بقية الصحابة الذين أقلوا من الرواية؟ إنه للغرض ذاته.

**(٣) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:**

وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عم النبى ﷺ، وقد دعا له النبى ﷺ بالفقه، وتعلم التأويل، وسوف تكون لنا وقفة طويلة معه رضى الله عنه فى وقته لكن رُمى ابن عباس خاصة من المستشرقين بأن مدرسته التفسيرية (ذات مسحة يهودية) كما قال المستشرق أوتولوث O,Loth، وكذلك رماه أحمد أمين فى (فجر الإسلام)[٢] بالأخذ عن أهل الكتاب دون تمحيص. وضمه أبو رية إلى مجموع من اتهمهم بالنقل عن بنى إسرائيل ومسلمتهم دون تمحيص أو تدقيق أو نقد فى كلام طويل مردود عليه[٣].

ولا يخفى على الأمة قدر ابن عباس رضى الله عنهما، وعلمه، وفهمه، وهو صاحب دعوة النبى ﷺ بالفقه، والتأويل، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، وموضع ثقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وإجماع الأمة على علمه، وفقهه أكبر من أن يجترحه أحد السفهاء بكلمة فى كتاب، وإن ما قاله أبو رية، وأحمد أمين، وغيرهما ما هو إلا (قصاصة منقولة من كعب محرف).

---

(١) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ص٩٤.

(٢) ص٢٤٨.

(٣) أضواء على السنة المحمدية ص١٤٧ وما بعدها.

* وهناك بعض المجروحين الذين روجوا الإسرائيليات سنناقشهم فى موضع آخر من الكتاب، على أنه يبقى لنا بعض الملاحظات فى هذا الفصل:

**الأولى:** أن ما قد يكون الصحابة قد قبلوه من علم كعب الأحبار وعبد الله بن سلام، ونحوهما، فإنه قبلوه باعتبار أن راويه لهم مسلم صادق العقيدة، قد اعتنق الإسلام عن اقتناع وحسن إسلامه فينبغى أن يعامل معاملة المسلمين الصادقين من حيث قبول روايتهم ولو شك الصحابة لحظة فى صدق إسلام أحدهم لما قبلوا منه شيئًا، كيف وقد نهى النبى ﷺ عن ذلك - فيما يرويه عنه البخارى بسنده: (حدثنا يحيى بن بكيرة حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يُشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم)[١].

فالصحابة تلقوا عن كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام وغيرهما ما قد يكون تلقيه بوصفهم مسلمين صادقى العقيدة، لا بوصفهم من (أهل الكتاب) ممن ينصب فيه عليهم، ذلك أن الإسلام يجب ما قبله كما قال رسول الله ﷺ، فحين تلقى الصحابة عن أحدهم ما قد تلقوه فإنما فعلوا ذلك لاعتقادهم صدق إسلام من تلقوا منهم.

أما قضية صدق إسلام هؤلاء - كما تذكره كثير من المصادر الإسلامية[٢] - أو عدم صدقها وتخفِّيهم وراء ستار الإسلام لهدمه من الداخل ببث آراء وخرافات فيه - كما ذكر بعض الباحثين - فهى من حيث حقيقتها قضية أخرى تحتاج لبحث مستقل فى كل منهم، والمؤكد أن ابن عباس أو غيره من الصحابة لم يكن ليأخذ من أحدهم شيئًا وهو يشك فى صدق إسلامه، فليس هذا - من وجهة عقيدتهم فيهم - أخذًا عن أهل الكتاب.

● **والحقيقة الثانية المؤكدة:** أن الصحابة لم يكونوا ليأخذوا عن أحدهم شيئًا يتعارض مع المقررات الدينية الثابتة فى القرآن والسنة[٣]، ومن ثم ينحصر مجال الأخذ

---

(١) سبق تخريجه بسند صحيح.

(٢) وقد قدمنا لها قريبًا.

(٣) انظر التفسير والمفسرون (١/ ٧٣) للشيخ الذهبى.

المحتمل فيما لا يمس جوهر العقيدة أو المبادئ الدينية المقررة ، أعنى أن يكون مجال الأخذ المحتمل منحصرًا فى بعض قصص الأمم السابقة وبعض التفصيلات التى لا تمس أصول الدين ، وما قد يروى عن الصحابة مما يختلف مع هذه الحقيقة بصورة يقينية ، فالظن بمثل الصحابة فى عقلهم وعلمهم ومنزلتهم فى التفسير أن يكون ما يروى عنهم فى ذلك منتحلاً عليهم من الرواة ، ومن قال إن كل ما روى عنهم - أو عن غيرهم من كبار الصحابة - صادق بصورة يقينية لا تحتمل الشك ، ولقد تشكك العلماء الأقدمون فى كثير مما نسب إلى ابن عباس مثلاً أو غيره فى مجال التفسير ، ويروى السيوطى عن الخليلى ، قوله : (وهذه التفاسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية ، ورواتها مجاهيل كتفسير جويبر عن الضحاك عن ابن عباس)[1] .

لكننا يجب ألا ننزلق فى هاوية الشك المذهبى العقيم دون أدلة مقنعة ، بل يجب أن يكون شكًّا منهجيًّا قائمًا على أرجل قوية من الأسباب الموضوعية المقنعة ، وقد ترك لنا العلماء الأقدمون مقاييس ودراسات تنير لنا الطريق لأية دراسة جادة تبتغى وجه الحق وحده ولهذا يجب أن نكون منصفين لأنفسنا وتاريخنا وللحقيقة قبل أى شىء ، بأن نكون حريصين على التحقيق العلمى النزيه الدقيق لتراثنا ، مع ما يقتضيه هذا من جهود أسهل منها بكثير أن ننساق مع نزعات التشكيك لمجرد التقليد وارتداء ثوب التحرر الفكرى والإتيان بجديد ، أو نقف فى الطريق المضاد الذى يكمن فى النزعة التوكيدية التى تتحمس بدون بحث كاف لإثبات صحة كل ما يتصل بالتراث ، وترتدى ثوب التعصب الذميم الذى يباعدها عن المناهج العلمية وهو أيضًا طريق خاطئ .

**أما الحقيقة الثالثة المؤكدة:** فهى أنه لو صح - فرضًا وجدلاً - بعد البحث المنهجى المستوفى لشروطه أن قد أخذوا عن كعب الأحبار أو عبد الله بن سلام أو غيرهما ما يتعارض مع المقررات الثابتة فى القرآن والسنة أو ما لا يصح فى النظر العقلى من أساطير وخرافات ، أو ما لا يتماشى مع الروح الإسلامى ، من مزاعم يهودية قديمة - فإن ذلك كله مرفوض مردود ، لا يشفع له فى القبول من جمهور المسلمين أن يكون الصحابة قد صدقوه وأخذوا به لأن القول فى الدين بخاصة فى تفسير القرآن - كما قال عمر بن الخطاب : فكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد ، إلا رسول الله ﷺ ، لأنه كان يوحى إليه ، قال عمر على المنبر : (أيها الناس ، إن الرأى ، إنما كان من رسول الله مصيبًا ، إن الله كان

(١) الإتقان : (٢/ ٣٦١) للسيوطى .

يريه ، وإنما هو منك الظن والتكلف)[١] .

فإن صح ما سبق أن ذكرناه عن الصحابة فى التفسير ، فإنما ينبغى النظر إليه على أنه اجتهاد منهم جانبهم التوفيق لا يلزم المسلمين الأخذ به ، لكن هذا كله ما يزال بالنسبة لنا فرضًا نظريًّا أقررناه جدلاً لكى نقرر عليه قاعدة مسلمة منذ عصر الصحابة هى أن كل قول يتعارض مع ما ثبت فى الإسلام بطريق يقينى فهو مردود كائنًا من كان قائله[٢] .

أما **الحقيقة الرابعة**، فإن علماء المسلمين من الصحابة والتابعين تلقفوا عن مسلمة أهل الكتاب الإسرائيليات فى مجالات محدودة بعيدًا عن الأحكام والعقائد ؛ وأخذوا عنهم فى مجال القصص كبدء الخليقة ، وقصص الأنبياء ، وأنساب الأنبياء والرسل أو قصص الأنبياء الذين لم تذكر قصصهم أو أسماؤهم فى القرآن كقصة النبى حزقيال أو شمويل ، وأرميا ، وبلعام ، وهذا بعيد تمام البعد عن صلب الدين ، لا خشية منه على جوهر الدين وإن كان من الأفضل كثيرًا أن ينقى التراث الإسلامى منه .

## ● أثر الإسرائيليات فى التفسير:

وينبغى أن نوضح فى النهاية خطورة الإسرائيليات وأثرها السيئ ، فلقد كان لها أسوأ الأثر على علم التفسير خاصة كتبه ، ويتمثل هذا الأثر السيئ فى الآتى :

(١) دخول كثير من الأباطيل والأساطير التى نسبت إلى رواة الإسرائيليات من أمثال كعب ووهب رحمهما الله .

(٢) كما أدى دخول هذه الأباطيل إلى النظر بعين الشك والريبة والاتهام لمن قام برواية الإسرائيليات بشكل عام ، واتضح هذا فى أقوال المحدثين تحديدًا الذين رموا الصحابة والتابعين باتهامات عدة .

(٣) ومما زاد الطين بلة أن الوضاعين والزنادقة ، وضعاف الإيمان انتهزوا الفرصة فنسبوا هذه الإسرائيليات إلى النبى ﷺ .

(٤) كما أن هذه الإسرائيليات يخشى منها على عقيدة المسلم الذى يجب عليه الإيمان بعصمة الأنبياء فترى هذه الإسرائيليات تعتدى على هذه العصمة وتنتهكها متهمة إياهم باتهامات لا يجوز إلصاقها بآحاد المؤمنين ، فما بالك بالرسل والأنبياء؟!

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ٦٢) لابن قيم الجوزية .

(٢) انظر دراسات فى التفسير ـ لإستاذنا الدكتور/ محمد بلتاجى ص٩١ ـ ٩٤ .

(٥) ومثل هذه الإسرائيليات لا تمثل بالنسبة للمستشرقين إلا نقطة هامة للانطلاق نحو هجوم شامل على الإسلام والقرآن، حين اتخذوا من هذه الإسرائيليات موضوعًا للطعن في الإسلام وتصويره على أنه دين الخرافات والأساطير التي لا يقبلها العقل أو المنطق.

(٦) ومما هو جدير بالذكر أن فريقًا من المستشرقين قد بنى نتيجة خطيرة على ما وجده من الإسرائيليات في كتب التفسير حيث أنه اتهم النبي ﷺ بأنه قد أخذ عن علماء اليهود وأحبارهم وأسفارهم دينه بالكامل، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين أن يؤمنوا بضرورة وحتمية عودة شعب الله المختار إلى أرض الميعاد، حتى قال قائلهم: (مطلوب إعادة تفسير القرآن ونقده تاريخيًّا من قِبَل المسلمين ليعرفوا ما يدينون به لليهودية ولبني إسرائيل)!!

❊ ❊ ❊

# الفصل الثانى

## (الموضوعات)
## الوضع والوضاعون

### (١) تعريف الموضوع:

لم يبتل الإسلام على مدى تاريخه الطويل قدر ما ابتلى (بالوضع والكذب) فى مجال الحديث النبوى، حيث امتدت يد العبث والعابثين من الزنادقة وضعاف الإيمان لتنال من حديث النبى ﷺ فلم تستطع، فاتجهت إلى دخول جحر الضب الذى دخله اليهود والنصارى من قبل، فقد حرّف اليهود والنصارى كلام أنبيائهم ورسلهم، وحولوه إلى ما يتفق وأهواءهم ورغباتهم، وهكذا فعل الزنادقة والكذابون والوضاعون، فصدق فيهم قول النبى ﷺ: «لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جُحر ضب لدخلتموه، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتم»[١].

**والموضوع:** أى المختلق على رسول الله ﷺ، الذى لا ينسب إلى رسول الله ﷺ إلا كذبًا وبهتانًا وليس حديثًا إلا فى زعم الوضّاع الذى اختلقه إما بحسن نية، أو سوء نية فى كثير من الأحايين.

### (٢) بداية ظهور الموضوعات:

وإذا عدنا إلى التاريخ وجدنا أن الوضع فى الحديث النبوى قد انتشر وذاع بعد انقسام المسلمين بالفتنة الكبرى التى راح عثمان رضى الله عنه ضحيتها إلى شيع وأحزاب دينية أو سياسية، كل فريق منها يبتغى الوصول إلى الحكم، والتسلح بكل ما يمكنه من قوة، لتقوية ركنه، وإضعاف جانب الفرق الأخرى، فكان الحديث النبوى أحد هذه الأسلحة

---

(١) صحيح: الحاكم (١/ ١٢٩) فى المستدرك عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبى، وصححه الألبانى (٥٠٦٧) فى صحيح الجامع.

لما للسنة من مكانة فى النفوس، وتأثير فى القلوب، ومن ثمَّ لجأ إليه كل فريق يلتمس فيه ما يسند نحلته، ويسدد رأيه، ويفت فى عضد خصمه، فإن لم يجدوا وضعوا فى ذلك من الأحاديث ما يحقق لهم ما يصبون إليه، وقد تورط فى ذلك كثيرٌ من الفرق السياسية، والكلامية، والمذاهب الفقهية على حدّ السواء.

وقد أدت ظاهرة الوضع إلى ردة فعل عنيفة من جانب صفوة المسلمين من صحابة أو تابعين، فاحتاطوا لذلك بطلب الأسانيد، ووضع المقاييس النقدية، فالسند - فى الرواية مثلاً - لم يكن معروفًا أول الأمر فلما وقعت الفتنة وانقسم المسلمون شيعًا وأحزابًا بدأ السؤال عن الإسناد، حتى إن محمد بن سيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمُّوا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[١].

وقال عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[٢].

وقال ابن عباس: كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول قال رسول الله ﷺ - ابتدرنا أبصارنا وأصغينا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف[٣].

ووصل الأمر فى بعض الأحيان إلى استعداء الصحابة والتابعين السلطات الحاكمة على هؤلاء الوضاعين لتأديبهم.

وقد هال أحد رواة الحديث ما رآه من كثرة الموضوعات فاتجه إلى أستاذه شاكيًا منهم، فقال: (تعيش لها الجهابذة)[٤]، أى ليقوموا بواجبهم من النصحية لله ولرسوله ﷺ بتمييز هذا من ذاك وكان العراق (مرتع) الشيعة أكثر الناس وضعًا وكذبًا على الله ورسوله ﷺ.

## (٣) حكم رواية الموضوعات:

تحرم رواية الموضوع إلا لبيان حاله فيجتنب، كمعرفة الشر لاتقائه، أما فيما عدا ذلك فتحرم روايته، ولو كان فى القصص أو الترغيب والترهيب، وهو ما جاء فى حديث النبى ﷺ المتواتر الذى رواه ثلاثة وستون صحابيًّا عن النبى ﷺ بلفظه ومعناه: «مَنْ كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» وأدلّ منه على حرمة رواية الموضوع مع العلم بوضعه

---

(١) و(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/ ٨١، ٨٢، ٨٧) للنووى.

(٣) السابق ص٨٢.

(٤) الجهابذة: ج (جهبذ) وهو الناقد النحرير.

دون بيان لحالة الحديث الذى رويناه عن مسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال: «مَنْ حدَّث عنى بحديث يرى أنه كذبٌ فهو أحد الكاذبين ـ أو الكذّابين». ولم يشذ عن هذا الراى إلا فرقة واحدة من أهل القبلة هى فرقة الكَرَّامية[1]، فقد استحلوا رواية الموضوعات فى الترغيب والترهيب، ولا غرو فهم يستحلون الكذب، وشهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم[2].

## (٤) درجات الوضاعين:

وتختلف درجات الوضاعين، فمنهم من وضع الحديث بـ (حسن نية) كبعض الزهاد والصوفية من حسنى النية سيئى التصرف وضعوا الأحاديث (حِسْبَة) للترغيب والترهيب، لما رأوا انصراف الناس عن القرآن إلى السيرة والفتاوى، وما كان أغنى الله ورسوله ودينه وقرآنه عن هذا الصنيع السيئ، وصدق القائل: عدو عاقل خيرٌ من صديق جاهل.

* وبعضهم وضع الحديث لنصرة هواه وبدعته، كالزنادقة وأصحاب الأهواء والبدع، والمتعصبين لآرائهم الفقهية والكلامية.

* ومنهم من اختلفت غاية وضع الحديث عنده حسب ما اقتضته حاجته.

## (٥) أسباب الوضع وبواعثه:

### أولاً: الاحتساب والتقرب إلى الله:

وهو صنيع كثير من الزهاد والصوفية، حيث قال القطان: (ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد)[3]، ويعنى بهم الذين جهلوا فن صناعة الحديث، وليس لهم من كمال الورع ما يحميهم من التزيد فيه، فادعوا أنهم رأوا انشغال الناس عن العبادة بأمور الدنيا وانسياق البعض وراء الشهوات والانغماس فيها، فسعوا إلى ترغيبهم فى ثواب الله تعالى وتخويفهم من عقابه، وكأنهم ظنوا الشريعة ناقصة فعمدوا

---

(١) الكرامية: فرقة ضالة تنسب إلى محمد بن كرام السجستانى الضال الفاسق الذى قال بأن صفحة العرش مماسة لصفحة السموات، واتبعوا عقيدة التجسيم والتشبيه، وضلوا ضلالاً بعيدًا (التبصير فى الدين ص٦٥).

(٢) تدريب الراوى (١/ ٢٨٣)، ومقدمة صحيح مسلم (١/ ٦٢).

(٣) ابن الجوزى ـ الموضوعات الكبرى (١/ ٤١).

إلى إتمامها، وما علموا أنها جاءت شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية.

ومنهم: أحمد بن محمد بن غالب المعروف بـ (غلام خليل) قال عنه أبو حاتم الرازى: (روى أحاديث مناكير عن شيوخ مجهولين ولم يكن محله عندى ممن يفتعل الحديث وكان رجلاً صالحًا)[١] واعترف بوضع الحديث، وقال: (وضعناها لنرقق بها قلوب العامة).

وأبو عصمت نوح بن أبى مريم الملقب بـ (نوح الجامع) يضع فى فضائل سور القرآن الأحاديث سورة سورة، فلما سئل وعوتب فى ذلك، قال: (رأيت انصراف الناس عن القرآن إلى فقه أبى حنيفة ومغازى ابن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث، أرغب فى قراءته)[٢].

والغريب حقًّا أن يجمع الرجل بين الوصف بالصلابة فى السنة والذبّ عنها بشدة ثم يضع الحديث، والمثل لهذا (أبو بشر أحمد بن محمد) الفقيه المروزى[٣] الذى وضع أحاديث فى فضائل قزوين احتسابًا، ولا أدرى ما الاحتساب فى فضائل قزوين؟!.

**ثانيًا: اتباع الهوى:**

وهو حال كثير من الوضاعين خاصة الزنادقة والشيعة، وهذا ما يوضحه قول شيخ من الشيعة تاب عن بدعة، فقال: (انظروا عمن تأخذون دينكم كنا إذا هوينا أمرًا جعلناه حديثًا)[٤].

وأكثر الوضاعين كانوا من الشيعة أو ممن تستروا بالتشيع لكسب تأييد العوام ليحققوا أغراضهم كالمختار بن عبد الله الثقفى، وكان معظم الوضع فى فضائل على رضى الله عنه، حتى قال ابن الجوزى: (فضائل على الصحيحة كثيرة، غير أن الرافضة (الشيعة) لا تقنع فوضعت له ما يضع لا ما يرفع)[٥].

وقد اعترف أحدهم - وهو معلى بن عبد الرحمن الواسطى عند موته بالوضع، فقال: (وضعت فى فضل على سبعين حديثًا)[٦].

---

(١) ابن أبو حاتم الرازى (١/ ٧٣) ق (١) فى الجرح والتعديل.

(٢) الحاكم: المدخل فى أصول الحديث ص٢٠ - ط العلمية - حلب.

(٣) الموضوعات (١/ ٤٠) لابن الجوزى.

(٤) السيوطى (١/ ٢٨٥) تدريب الراوى.

(٥) السنة قبل التدوين (١٩٦).

(٦) الأسرار المرفوعة - للقارى على بن الملا ص٦٣، وفى ميزان الاعتدال (٤/ ١٤٩) تسعين حديثًا.

ويشارك الشيعة فى وضع الأحاديث الكَرَّامية الذين أباحوا الكذب ووضع الأحاديث.

ويشترك معهم الزنادقة، والزنديق هو: (القائل ببقاء الدهر فلا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق، وليست فى كلام العرب، ويعبرون عنه بملحد ودهرى)[١]. وقد انتشرت هذه الطائفة فى عهد العباسيين وكانوا من أكثر الناس وضعًا للحديث لا لشىء إلا ليشوهوا صورة الإسلام وينفروا المسلمين من الشريعة والدين، حتى وصفهم ابن قتيبة بالاحتيال على الإسلام وتهجينه لدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة[٢].

وقد جمع حماد بن زيد أحاديثهم فوجدها أربعة عشر ألف حديث[٣]، وفى رواية: اثنى عشر ألفًا، وهذا - والحمد لله - يدل على معرفة النقاد بها، وقد اعترف أحدهم وهو ابن أبى العوجاء المقتول فى عام (١٦٠هـ) بعدد الأحاديث التى وضعها فقال: لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال، وأحلل فيها الحرام[٤].

ويبدو أن كثيراً منهم كان يضع الأحاديث فى الضلالات فى التشبيه والتعطيل، وتغيير أحكام الشريعة، وذم العرب، ومدح الفرس والأعاجم كحديث: (سيأتى ملك من ملوك العجم فيظهر على المدائن كلها إلا دمشق)[٥]، وعن الأعاجم أيضًا نسب كذبًا إلى النبى ﷺ قوله: (لأنا بهم أوثق منى بكم)[٦].

إن هؤلاء قد افتضح أمرهم جميعًا حيث تصدى لهم جهابذة الحديث فى كل عصر، فشهروا بهم، وكشفوا سترهم.

**ثالثًا: التعالم بين العامة:**

وهذا دأب القصاص والمذكرين، خاصة أنهم يريدون أحاديث فى الرقاق ترغب وترهب، والصحاح فيها قليلة، أو مما يشق عليهم حفظه، ومما لا يفهمه بعضهم ولا يرغب فيه مستمعوهم، وقد حلل ابن قتيبة هدف القاصّ، ونفسية العامى فقال: (والقُصَّاص على قديم الأيام، فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير، والغريب، والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن العوام القعود عند القاص ما

(١) لسان العرب (٢/ ١٢) مادة زندق.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص٢٧٩ .

(٣) الموضوعات (١/ ٣٨) لابن الجوزى.

(٤) الذهبى: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٤٤).

(٥) و(٦) انظر أحمد أمين (١/ ٧٥) فى ضحى الإسلام.

كان حديثه خارجًا عن فطر العقول، أو كان رقيقًا يحزن القلوب، ويستغزر العيون)(١).

ثم ذكر مبالغتهم فى وصف نعيم الجنة، واعتمادهم فى بيانه على الوسائل الملموسة لدى السامع من القياس والعدّ فيقول: (فإذا ذكر الجنة، قال: فيها الحوراء من مسك، أو زعفران، وعجيزتها ميلٌ فى ميل، ويبوئ الله تعالى وَلِيَّه قصرًا من لؤلؤة بيضاء فيه سبعون ألف مقصورة، فى كل مقصورة سبعون ألف قبة، فى كل قبة سبعون ألف فراش، على كل فراش سبعون ألف كذا، فلا يزال فى سبعين ألف كذا وسبعين ألف كذا، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين، ولا دونها).

ثم يعود ليبين الرابطة بين القاص والسامع فيذكر أنه (كلما ازداد العجب، وطال الجلوس، كان العطاء أسرع وأكثر)(٢).

وكان بعضهم يتعالم - أى يدعى العلم - وهى مأساة لا زالت تتكرر حتى وقتنا هذا، فقد خرج أحد الوعاظ الفُسَّاق فى مسجد الرّصافة يروى عن أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين - وهما حاضران دون أن يدرى بهما، فقال: (من قال لا إله إلا الله، خلق الله من كلمته طيرًا من ذهب...) فقال يحيى بن معين: (من حدثك بهذا الحديث؟) قال: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين. فقال له: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله ﷺ، فقال: كأن ليس فى الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما، لقد روينا عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وقام كالمستهزئ بهما(٣).

إن الإثم الذى اقترفه هؤلاء الفساق لم يكن فقط الكذب على رسول الله ﷺ، بل وحشو أذهان العوام بما يضرهم ولا ينفعهم، فالإنسان يحتاج إلى الدماء تسرى فى جسده، فإذا وضع الماء بدلاً من الدماء مات الإنسان فورًا، وكم من مرتزقة العلم يحيون بيننا أماتوا القلوب ظنًّا منهم أنهم أحيوها، وهذه هى النتيجة فالمتدينون صار أغلبهم: الموقوذة، والنطيحة، والمتردية!! وليتهم تركوا الساحة للعلماء فكان خيرًا لدين الله ولدعوته.

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص٢٧٩.

(٢) السابق ص٢٨٠.

(٣) الموضوعات (٤٦/١) لابن الجوزى.

**رابعًا: التقرب إلى الحكام:**

وذلك كصنيع غيّاث بن إبراهيم النخعى الذى رأى شغف المهدى بالحمام فوضع له حديثًا فى اللعب بالحمام وفيه: «لا سَبْق إلا فى نصل، أو خُفٍ، أو جناح».

وقوله: (أو جناح) زيادة تعمدها ليتقرب بها إلى الخليفة المهدى الذى سرعان ما اكتشف خبث طويته فكافأه، ثم قال: (أشهد أن قفاك، قفا كذاب)، وأمر بذبح الحمام، لعلمه أنه كان سببًا فى وضع النخعى ما وضعه أمامه[١].

**خامسًا: التعصب للجنس والبلدان:**

والوضاعون هنا جماعة من المتأثرين بالأحوال السياسية والظروف الاجتماعية، شعروا بضعف مكانتهم فعمدوا إلى الافتخار بأصلهم، ولغتهم وبلدانهم، وإلى استنقاص غيرهم إثباتًا لمكانتهم، وحدث رد الفعل فتبودل الذم وصار الممدوح مذمومًا والعكس.

فقد ذم العرب الفرس، فقالوا: (أبغض الكلام إلى الله تعالى الفارسية)[٢].

ووضعوا: (من غش العرب لم يدخل شفاعتى ولم تنله مودتى)[٣].

وذم بعضهم السّودان وهم (الزنوج): فقالوا: (دعونى من السودان، إنما الأسود لبطنه وفرجه)[٤].

ووضع أحدهم حديثًا فى فضائل بعض البلدان: (يحول الله تعالى يوم القيامة ثلاثة قُرى من زبرجدة خضراء تزف إلى أزواجهن: عسقلان والأسكندرية وقزوين)[٥].

إلى غير هذه الموضوعات التى افتريت كذبًا على الله وعلى رسوله ﷺ.

**سادسًا: التعصب للمذاهب الفقهية:**

(إن سائر الأنبياء يفتخرون بى، وأنا أفتخر بأبى حنيفة، مَن أحبه فقد أحبنى، ومن أبغضه فقد أبغضنى).

(وسيكون فى أمتى رجل يقال له: محمد بن إدريس فتنته على أمتى أضر من فتنة إبليس).

---

(١) علوم الحديث ص٢٨٧ .

(٢) الموضوعات (١/ ١١١) لابن الجوزى.

(٣) الزندقة والشعوبية ص١٨٢ للدكتورة سميرة مختار الليثى.

(٤) المنار المنيف ص١٠١ لابن قيم الجوزية.

(٥) السيوطى (١/ ٤٦٣) فى اللآلئ المصنوعة.

يبين هذان الحديثان ما وصل إليه سفه بعض المتعصبين للمذاهب الفقهية فإذا بهم يتورطون فى وضع الأحاديث والكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، بل لم يكتفوا بهذا فنصروا آراءهم الفقهية بوضع الحديث أيضًا حين وضع أحدهم حديثًا وفيه : (من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له) وردّ أحدهم فقال : (من قال فى ديننا برأيه فاقتلوه). ولا أدرى من المستحق للقتل؟!

ويبدو أن وضع الحديث لدى كثيرٍ من حمقى الفقهاء كان مهنة احترفوها لنصرة آرائهم.

**سابعًا: المصلحة الشخصية:**

كأحد الوضاعين الذى رجع ابنه من الكُتاب باكيًا، فلما علم أن المعلم ضربه، قال: والله لأخزينهم ثم وضع حديثًا فى ذم المعلمين[1]، والآخر الذى باع الهريسة فوضع حديثًا يروج لها[2].

وهكذا تنوعت الدوافع لوضع الحديث، ولا شك أنه يشاركهم فى هذا الوضاعون الذين استغلوا تهافت بعض المسلمين على قراءة الإسرائيليات فوضعوا لهم بعض الإسرائيليات على حين غفلة من أهل الإسلام ونسبوها كذبًا وزورًا إلى كعب، ووهب، وابن سلام، وابن عباس، وبقية الصحابة الكرام ومن كذب على الله ورسوله سهل عليه الكذب على آحاد المؤمنين من الصحابة والتابعين، وهكذا ترى أن منظومة العلوم الإسلامية عمومًا تتداخل فيما بينها لتشبه حركة الأوانى المستطرقة، لأن الكل يصب فى اتجاه واحد.

## (٦) علامات الحديث الموضوع:

وقد وضع العلماء للحديث الموضوع علامات وهى :

(أ) اعتراف الوضّاع نفسه، فقد يتوب إلى رشده ويستيقظ إيمانه خوفًا من عقاب الله تعالى، فيبادر إلى الاعتراف بخطيئته تبرئة لذمته، ورغبة فى إراحة نفسه، ومن هؤلاء عمر بن صبح الذى وضع خطبة للنبى ﷺ، ولكن ما لبث أن اعترف بالوضع، وكذلك ميسرة بن عبد ربه الذى قال عن الموضوعات التى وضعها : (وضعتها أرغب الناس)[3]،

(١) علوم الحديث ومصطلحه ص٢٨٥ .

(٢) المنار المنيف ص٦٤ ـ ٦٥ .

(٣) تدريب الراوى (١/ ٢٧٥).

وكان الزنادقة أيضًا يعترفون بوضع الأحاديث دون تحديدها رغبة منهم في بلبلة المسلمين، وتشكيكهم في دينهم.

(ب) وجود قرينة في الراوي تشهد بكذبه ووضعه، فقد روى عُفَير بن معدان فقال: قدم علينا عمر بن موسى، فاجتمعنا عليه، فجعل يقول: حدثنا الشيخ الصالح، فلما أكثر قلنا له: من شيخنا هذا الصالح؟ قال: خالد بن معدان. قلت له: في سنة كم لقيته؟ قال: سنة ثمان ومائة (١٠٨هـ) قلت له: فأين لقيته؟ فقال: في غزاة أرمينية. فقلت له: اتق الله يا شيخ ولا تكذب. مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة (١٠٤) وأنت تزعم أنك لقيته بعد موته بأربع سنين، وأزيدك أخرى: أنه لم يغز أرمينية قط، كان يغزو الروم[١].

(جـ) وجود قرينة في المروي تدل على وضعه، كأن يكون: ركيك اللفظ، ساقط المعنى؛ لأن هذا الدين حسن فيمتنع أن يكون فيه رديء، كرواية (لو كان الأرز رجلاً لكان حليمًا، ما أكله جائع إلا شبع).

قال ابن القيم: (فهذا من السجع البارد الذي يصان عنه كلام العقلاء، فضلاً عن كلام سيد الأنبياء)[٢].

(د) أن يكون مخالفًا للعقل والفطرة والحس والمشاهدة كقولهم: (إذا غضب الله أنزل الوحي بالفارسية وإذا رضي أنزله بالعربية)[٣].

(هـ) أن يكون مناقضًا للقرآن الكريم، كقولهم: (الدنيا سبعة آلاف سنة، أتاني آخرها ألفًا)[٤]

وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ (الأعراف: ١٨٧)، والحديث السابق مخالف للسنة النبوية أيضًا حيث قال عليه السلام: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». رواه مسلم[٥].

(و) أن يدعي الوضاع أن النبي ﷺ فعل أو قال شيئًا اتفق الصحابة على كتمانه، كما ادعى الشيعة في قولهم عن علي رضي الله عنه، (هذا وصيي وأخي، والخليفة من

---

(١) الكفاية ص١٩٣ للخطيب البغدادي.

(٢) المنار المنيف ص٥٤-٥٦.

(٣) السابق ص٩٠.

(٤) المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير للغماري ص٨.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٨) في الإيمان عن عمر رضي الله عنه، وله رواية من البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بعدى، فاسمعوا له وأطيعوا)[١].

(ز) أن يكون هناك عقاب ووعيد شديد على ذنب صغير، أو وعد عظيم على عمل قليل، وهذه هى الأخبار المنتشرة بين العامة ترى أحدهم يروى: (من صلَّى يوم الأحد أربع ركعات بتسليمة واحدة يقرأ فيها (الحمد) و(آمن الرسول) كتب الله له ألف حجة، وألف عمرة، وألف غزوة)[٢].

(ح) الإغراق فى الخيال القصصى وهى عامة أحاديث القصاص والمذكرين.

## (٧) موقف العلماء من الموضوعات:

سبق أن ذكرنا أن العلماء حرموا التحديث بالموضوع إلا لاتقاء شره، وقد كثرت المصنفات فى هذا الأمر لتبيان الموضوعات من غيرها، وتسابق العلماء فى هذا المجال ومنها:

(أ) الموضوعات لابن الجوزى، لكن يعيب ابن الجوزى التسرع فى الحكم على الحديث.

(ب) (اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) للسيوطى.

(جـ) (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) للشوكانى.

(د) (الأسرار المرفوعة) لعلى القارى.

(هـ) (تنزيه الشريعة) لابن عراق.

وكذا يحسب للشيخ الألبانى ـ رحمه الله ـ جهده فى (السلسلة الضعيفة والموضوعة).

إلا أن هذا البحث سيهتم بما جاء فى كتب التفسير أكثر من أى مجالٍ آخر.

## (٨) خطورة الموضوعات على الإسلام والمسلمين:

(أ) تشويه جمال الدين، وتغيير معالمه وملامحه.

(ب) تشويه العقيدة، والمساهمة فى الانحراف العقدى لدى كثير من الناس لما تشمله الموضوعات من أكاذيب على الله ورسوله.

(جـ) انشغال كثير من المسلمين بها حتى تركوا الصحيح ونسوه تمامًا وهو حال كثير من

---

(١) المنار المنيف (٥٧ ـ ٥٨).

(٢) قواعد التحديث ص١٥٧ للقاسمى.

الخطباء والوعاظ .

(د) إحداث الفرقة بين جموع المسلمين المتمسكين برواية الموضوع .

(هـ) وسيظل الموضوع جرحًا نازفًا يعطل دفق الدماء فى جسد هذه الأمة حيث سيعيدها إلى الوراء طالما كذبت على الله ورسوله ﷺ .

(و) أنها مجال للطعن فى الإسلام ، والسُّنة النبوية ، والإسلام عمومًا .

* * *

# الفصل الثالث

## التفسير

### (أ) بين التفسير والتأويل:

حاول بعض العلماء إيجاد الفارق بين كلمتى (التفسير والتأويل) وذلك لتقارب المعنيين حتى أن السيوطى قال: (واختلف فى التفسير والتأويل)، فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنى واحد وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابورى، فقال: قد نبع فى زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه. وقال الراغب: التفسير أهم من التأويل، وأكثر استعماله فى الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل، وأكثر ما يستعمل فى الكتب الإلهية والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها.

وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معانٍ مختلف إلى واحد مما ظهرت به الأدلة[١].

إلا أننا دون الاستفاضة فى مناقشة هذه الآراء التفصيلية جمعنا بعض الأقوال للعلماء فى التأويل والتفسير.

(١) فالفيروزآبادى فى القاموس المحيط يرى أن التأويل: هو تقدير الكلام وتفسيره، والتأويل والتفسير بمعنى واحد[٢].

(٢) وقال آخرون: التفسير مبالغة الفسر وهو الكشف الذى لا شبهة فيه، أما التأويل فهو حمل الكلام إلى غير الظاهر بلا جزم[٣].

(٣) وأدلى الشيخ أبو زهرة - رحمه الله - بدلوه فى هذه المسألة، فقال: (التفسير لا يخرج اللفظ عن مدلول العبارات وهو يعتمد على التفكير الفقهى. أما التأويل: فهو إخراج اللفظ عن ظاهر مدلوله لدليل فقهى آخر)[٤].

---

(١) الإتقان (٢/ ٢٩٤ - ٢٩٥) إلى آخر هذه التعريفات التى ذكرها السيوطى.

(٢) القاموس المحيط (٣/ ٢٣١)، (٢/ ١١٠).

(٣) التلويح على التوضيح (١/ ١٢٥).

(٤) أصول الفقه ص١٢٣ .

● **أما ما نراه فى هذه المسألة:**

(١) أن القرآن الكريم أطلق لفظ التأويل بمعنى التفسير كما فى قوله تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف:٢١)، وقوله تعالى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف:٧٨)[١].

(٢) فالتأويل هنا يساوى التفسير دون فارق بينهما، يدل على ذلك دعاء النبى ﷺ لابن عباس: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»، كما سماه: «ترجمان القرآن»، أى مفسره، والمعبر عمّا فيه، وكما هو معروف، فقد كانت شهرة ابن عباس بتفسير القرآن، وكان أكثر ما أثر عنه من علم فى بيان المراد من آياته.

(٣) وهذا ما يجعلنا نقول: إن التفسير والتأويل يشتركان فى معنًى واحد، وهو: (محاولة الكشف عن حقيقة شيء ما)، وأنه حينما يستخدم كل منهما فى شرح معانى القرآن الكريم فإنه يجمعهما هذا المعنى العام المشترك[٢].

(٤) وهذا ما يجعلنا نرفض تمامًا تفسير بعضهم وتعريفه لـ (التأويل) حيث قالوا: هو صرف الألفاظ القرآنية عن ظاهرها إلى معنى آخر يدعى المفسر أنه باطن فيها.

وهذا ما فتح أبواب الشر على هذه الأمة، فبدأ بعضهم يقر بأن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، كما فعلت طائفة الإسماعيلية من الشيعة حين فسروا قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ...﴾ (النور:٣٥)، فأسندوا إلى جعفر الصادق أنه قال: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ أى فاطمة عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ يعنى الحسن، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ يعنى الحسين ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ فاطمة كوكب درى بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ إبراهيم عليه السلام، كما ذكر فى قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ (النور:٤٠) يعنى: معاوية وبنى أمية[٣].

(٥) إن ما نصل إليه فى النهاية أن القرآن كتابٌ عربى تجرى معانيه على الاستعمالات اللغوية والبيانية العربية ولهذا ينبغى أن يلتزم المفسر، فنرفض تحميل اللفظ أكثر من معناه الذى يطيقه.

---

(١) وانظر النساء (٥٩)، والإسراء (٣٥)، والأعراف (٥٣)، ويونس (٣٩) وغيرها.

(٢) دراسات فى التفسير د. بلتاجى ص١٦ .

(٣) الأصول فى الكافى (١/ ١٩٥) وفيه مئات التأويلات من هذا النوع.

كما نستطيع أن ننقل تعريف الزركشى للتفسير، وهو:

(علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والصرف، والبيان، وأصول الفقه، والقراءات، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ، والمنسوخ)[1].

أضف إلى ذلك حاجة المفسر إلى علوم أخرى كالجرح والتعديل، وعلوم الحديث، والتاريخ العربى قبل الإسلام وبعده.

**ومعنى هذا أن المفسر يحتاج إلى معرفة كافية ببعض العلوم وهى:**

**(١) اللغة:**

والمراد بها العلم الواسع المتعمق لا العلم السطحى الضحل، فيكون عارفًا بأسرار لغة العرب، والفروق اللغوية، والأشعار إذ الشعر ديوان العرب.

**(٢) النحو:**

وهو كالماء والهواء بالنسبة للمفسر، فيكون عالمًا بالإعراب، والتقديم والتأخير، وإلا وقع فى أخطاء فادحة، كما فى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ (فاطر: ٢٨) فلو رفع لفظ الجلالة ولم ينصبه لوقع فى الكفر وهو لا يعلم.

**(٣) علم الصرف:**

وهو ما يوضح بنية الكلمة وأصلها.

**(٤) علم الاشتقاق:**

لكى يعلم معنى الكلمة واشتقاقها، فالنبوة من النبأ، أى الخبر، ومن النبو: أى رفعة المكان، وسيفيد هذا العلم من عدم تحميل الألفاظ أكثر مما تتحمله لغويًا.

**(٥) علوم البلاغة:**

كعلم المعانى، والبيان، والبديع وهى وجوه تبين جماليات القرآن وبلاغته، وبها ظهر إعجاز القرآن، حيث اتفقت الأمة على أن إعجاز القرآن فى نظمه لا فى شىء آخر، فقد ردّ البلاغيون على القائلين بـ(الصرفة) وهى فى زعمهم: أن الله صرف الناس عن القول بالقرآن - وكان الذى تولى كبر هذه الفرية إبراهيم بن سَيَّار المعتزلى (ت٢٣١هـ) فانبرى الجرجانى (ت٤٧١هـ)، والخطابى (ت٣٨٨هـ)، وابن أبى الأصبع المصرى (ت٦٥٤هـ) لبيان إعجاز القرآن فى نظمه وألفاظه المتراصة بجوار بعضها البعض، وقد بيّن هؤلاء

(١) الزركشى (١/ ١٢) فى البرهان.

روعة القرآن وتعبيراته، وتملكه لكل أسرار الجمال التعبيرى التى تجعلنا نقف مبهورين أمام نوعٍ من أنواع القدرة الإلهية التى لا تجاريها فى أى مجال من المجالات قدرة بشر مهما كانت استعداداته ومواهبه.

ولا بد لمفسر القرآن من إدراك هذه العلوم وتحصيلها وإلا كان كحاطب الليل، أو الأعور بأى عينيه شاء، الذى يفسد أكثر مما يصلح مهما كانت نيته حسنة.

**(٦) علم القراءات:**

وهو هام لمفسر القرآن كى يرجح وجهًا على آخر، بل وليعرف كيف ينطق اللفظ القرآنى.

**(٧) علم أصول الدين:**

والمقصود به العقيدة أو التوحيد، ليفرق بين الأصول والفروع.

**(٨) علم أصول الفقه:**

ليعرف وجه الاستدلال على الأحكام وطريقة استنباطها من النصوص والآيات وبه يظهر معانى (المحكم) و(المتشابه) وغيرهما.

**(٩) علم أسباب النزول:**

وهو كالحاجب للعين يحرس القرآن من دَسِّ الإسرائيليات والموضوعات فيه، ويزيل اللبس فى فهم بعض الآيات، ويوضح ما هو حق وما هو باطل لقربه من علم الحديث.

**(١٠) علم الناسخ والمنسوخ.**

**(١١) علم الفقه.**

**(١٢) علم الحديث والسنن والآثار والجرح والتعديل.**

**(١٣) وأذكر الآن بعض العلوم الأخرى الواجب على المفسر معرفتها فى زماننا:**

* علم مقارنة الأديان حتى يستطيع الرد على أباطيل المخالفين لعقيدة الإسلام.

* علم التاريخ، والمغازى والسير.

* المعرفة ببعض العلوم التجريبية بعد زيادة النزعة فى الوقت الحالى نحو: (التفسير العلمى) أو (الإعجاز العلمى فى القرآن) مع عدم الانسياق وراء النظرية العلمية التى تخضع لقانون الاحتمالية، فإذا تبين للمفسر ثبات النظرية بصورة يقينية لا مجال فيها للمراجعة قال بها.

* معرفة قواعد بعض اللغات الأجنبية خاصة (الإنجليزية والفرنسية) فلا زالت الأمة

تتلقى الاتهامات من غير المسلمين مترجمة ، ولا يُرد عليها إلا بالعربية على طريقة (مِنى وإلىّ) ، وأزعم أن تعلم هذا الفرع من العلوم فرض كفاية لو قام به البعض سقط عن الآخرين ، وإلا فسيتحول إلى فرض عين على المفسرين إن تقاعسوا عنه .

**(ب) شروط يجب توافرها فى المفسر:**

وهذه الشروط وضعها العلماء كسياج يحمى كتاب الله تعالى من قول القائل فيه بغير علم ، وحتى لا يكون القرآن بضاعة لمن لا علم له أو عمل فيقول فيه كيفما شاء وبما شاء ، ولولا هذه الشروط والآداب لكان المسلمون عن بَكْرة أبيهم مفسرين للقرآن وعلماء فيه ، ومن هذه الشروط :

**(١) صحة الاعتقاد ، ولزوم سنة الدين:**

وقال الطبرى : يجب أن يتوافر فى المفسر صحة الاعتقاد ، ولزوم سنة الدين ، فإن كان متهمًا فى دينه لا يؤتمن على الدنيا ، فكيف يؤتمن على أساس الدين ومنبعه ، وهو الإخبار عن الله عز وجل .

وقد جاء التحذير أيضًا من مسروق الذى قال : اتقوا التفسير ، فإنما هو الرواية عن الله تعالى[١] .

وصحة الاعتقاد تحمى صاحبها من القول على الله بغير علم ، أو الكذب على رسوله ﷺ ، أو الحديث بدون احتراز أو تأدب مع الأنبياء والرسل كما حدث من بنى إسرائيل ، فسدت عقيدتهم ، فسبوا إلههم ، ورموا الأنبياء بأقذع التهم وأشنعها وأفظعها ولم يتورعوا عن الكذب .

**(٢) ألا يكون من أهل الأهواء والبدع:**

فإن صاحب الهوى ، ومتبع البدعة أصم أعمى ، لا يرى فى دنياه هدفًا إلا نصرة مذهبه وهواه على غيره من المذاهب والآراء ولو ورّطه ذلك فى الوقوع فى الصحابة ، أو الكذب على الله ورسوله ، أو تجريح الأنبياء . وكذلك فعل الزمخشرى يوم أن كتب (الكشاف) فظهرت نزعته الاعتزالية حين أوجب على الله ، وقال بالتخيل فى القرآن ، وسبّ الصحابة ، إلى غير هذه المغالطات ، فتراه مثلاً عند قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ (الأعراف : ١٧٢) ،

---

(١) مقدمة تفسير ابن كثير (١/ ٢١) بتحقيقى .

فحمل هنا هذه الحادثة على التمثيل والتخييل والوهم وضرب الأمثال(١).

ثم تراه ينكر الرؤية فى الآخرة جريًا على مذهب المعتزلة فى تفسيره لقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ (الأنعام: ١٠٣).

كما نفى الشفاعة كالمعتزلة بل رد حديث: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»، قائلاً: ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبى، ومسألتنا طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به(٢).

بل إنه ليقع فى النبى ﷺ كما فى قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣)، فقال: كناية عن الجناية، لأن العفو مرادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت(٣). وماذا بقى إذن من عصمة النبى ﷺ الذى عاتبه ربه فعفا عنه أولاً ثم عاتبه - كما ذكر ابن كثير(٤) - فلا خطأ، ولا جناية، ولا شىء مما ذكره الزمخشرى ثم تراه يتعرض للصحابة الأجلاء فيعرض بعبد الله بن عمرو بن العاص، وخروجه لمقاتلة على بن أبى طالب مع أن النبى ﷺ نهى عن اتخاذ أصحابه غرضًا يتناول بالسب أو بالتعريض.

وصدق القائل: (من اتبع الهوى فقد هوى).

**(٣) تعلم العلوم السابق ذكرها قريبًا:**

وإلا صار كفاقد أحد أعضائه، وهو ما تكرر كثيراً فى عصرنا، فكثير منهم كتب بأسلوب أدبى رائع - كصاحب الظلال - إلا أنه وقع فى موسى عليه السلام لأنه لم يكن صاحب دراسة عقدية، ولا تكاد تعثر فى تفسيره إلا على القليل من الأحاديث أو الآثار، بل يتجاوز هذا كله إلى المدرسة العقلية الفنية، وسبقه فى ذلك الشيخ/ رشيد رضا لما وقع فى الصحابة أمثال عبد الله بن سلام، وذلك لاقتصاره على علوم دون أخرى.

بينما برز الشيخ/ محمد متولى الشعراوى كمفسر متميز خلال هذه الفترة، فلم يتعد كونه مفسراً ولم يتطرق إلى القضايا التى تجعل قارئه يتهمه بنقص العلم أو التعدى على عصمة الأنبياء، وعدالة الصحابة.

---

(١) الكشاف (٢/ ١٠٢) للزمخشرى.

(٢) السابق (٢/ ٦٩).

(٣) السابق (٢/ ١٥٣).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٩٩).

**( ٤ ) اتباع أسلوب السلف الصالح فى تفسير القرآن:**

فيبدأ فى تفسير القرآن بالقرآن ، فإن لم يجد فيتجه إلى السنة المطهرة ، وإلا فإنه يتجه إلى أقوال الصحابة ، ثم أقوال التابعين ، وعليه أن يمسك عن القول فى القرآن برأيه .

**( ٥ ) الابتعاد عن التأويلات المنحرفة:**

كتفسيرات الصوفية (ابن عربى) ، وتفسيرات الشيعة الباطنية .

**( ٦ ) الابتعاد عن الإغراق فى التفكير العقلى:**

فإن العقل قوة بشرية محدودة لا يجب أن تحكم فى شرع الله وكلامه ، بل ينصاع العقل ساجدًا أمام عظمة ربه ، ويخضع لأوامره ، وينفذها منشغلاً بتصديق كلمات ربه ، وتحويلها إلى واقع عملى ملموس ، كى يصبح شرع الله فى صورة رجال يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق .

**( ٧ ) إخلاص النية والابتعاد عن الرياء:**

لقول الله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠) ، وقال القرطبى : (يجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقى الله فى نفسه ، ويخلص العمل لله ، فإن كان تقدم له شىء مما يكره ، فليبادر بالتوبة والإنابة ، وليبتدئ الإخلاص فى الطلب وعمله ، فالذى يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره ، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره)[١] .

ويدخل فى هذا أيضًا كتمان العلم ، أو مجاراة السفهاء ، أو طلب الدنيا بالقرآن ، فإن دعوة الله تعالى يجب أن تكون غنية عن المطامع والمطاعم .

**( ٨ ) التحلى بآداب حملة القرآن وحفاظه:**

وقد جمع هذه الآداب عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فقال :

لا ينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض ، ولا يجهل مع من يجهل ، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن ، لأن فى جوفه كلام الله تعالى ، وينبغى له أن يأخذ نفسه بالتصاون عن طرق الشبهات ، ويُقل الضحك والكلام فى مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه ، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار .

وينبغى له أن يتواضع للفقراء ، ويتجنب التكبر والإعجاب ، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة ، ويترك الجدال والمراء ، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب .

(١) تفسير القرطبى (١/ ٣٣) ط دار الحديث .

وينبغى له أن يكون ممن يؤمن شره، ويرجى خيره، ويسلم من ضره، وألا يسمع ممن نَمَّ عنده، ويصاحب من يعاونه على الخير ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزينه ولا يشينه[١]، وينبغى له أن يتعلم أحكام القرآن، فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو؛ فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب، وهو لا يفهم ما يتلو، وما أقبحه فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا[٢].

**(٩) التثبت فى النقل، وتحرى الصدق:**

وهو شرط وأدب ذو صلة بالدراسة هنا حيث أن النقل أمانة وقد قال ابن سيرين: (هذا الحديث دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم)[٣]، قصد التثبت عند الرواية، والتأمل عمن يروى عنه الدين، فلا يروى المفسر إلا عن ثقات أثبات متقنين.

إننى أزعم أن تأخر المسلمين تكمن وراءه عدة أسباب أهمها: الأخذ بالإسرائيليات، والموضوعات، والقول بالجبر، وهى أمور متشابكة مردها ومرجعها فقدان الثبت الثقة المتقن الذى لا يروى إلا صدقًا، ولا يحدث الناس إلا حقًّا، تراه الأمين المؤتمن على شرع الله عز وجل لا يزيد ولا ينقص، ولا يميل إلى هوى وبدعة، بل همه نشر دين الله كما جاء عن الله إلى رسول الله، وهؤلاء هم من نبتغيهم ليصلحوا ما أفسده الآخرون.

## (جـ) الحاجة إلى علم التفسير:

يقول الحافظ ابن كثير فى تفسيره:

فالواجب على العلماء الكشفُ عن معانى كلام الله وتفسيرُ ذلك وطلبه من مظانه وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٧٤)، فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم وإقبالهم على الدنيا وجَمعها، واشتغالهم بغير ما أُمروا به، من اتباع كتاب الله، فعلينا أيها

(١) الشين: ضد الزين، وهو القبيح كما فى لسان العرب (٢/ ١٢٨٩).

(٢) القرطبى (١/ ٣٥) فى مقدمة تفسيره.

(٣) صحيح: مسلم فى المقدمة (١/ ٨٤) نووى.

المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أُمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه وتفهُّمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۞ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الحديد: ١٦، ١٧). ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيهٌ على أنه تعالى كما يُحيي الأرضَ بعد موتها، كذلك يلين القلوبَ بالإيمان، والهُدى بعد قسوتها من الذنوبِ والمعاصي، واللهُ المؤمَّلُ المسئولُ أن يفعل بنا هذا إنه جوادٌ كريم(١).

* وقال الزركشي:

أما بعد: فإن أوْلى ما أعملت فيه القرائح، وعلقت به الأفكار اللواقح، الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل، الذي تقوم به المعالم، وتثبت به الدعائم، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجّة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يُدْرك غوره، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسْن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسَّم لفظه ومعناه، إلى ما ينشط السامع، ويقرِّط المسامع(٢)، من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق(٣)، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، وترديد ما له مزيد، إلى غير ذلك مما احتوى من الصياغة البديعة، والصناعة الرفيعة، فالآذان بأقراطه حالية، والأذهان من أسماطه غير خالية، فهو من تناسب ألفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، ومن تبسم زهره وتنسُّم نشره حديقة مبهجة للنفوس والأسماع، والأحداق، كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرة، ومن بهجتها درة، لاحت عليها بهجة القدرة، ونزل مِمّن له الأمر، فله على كل كلام سلطان وإمرة، بهر تمكن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشارته،

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٦) في المقدمة - بتحقيقي.

(٢) أن يكون لها كالقرط.

(٣) لبيق: ظريف.

وعجيب انتقالاته، من قصص باهرة، إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وحكم زاهرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتنزيه، والتحميد سائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تنزيه واستغفار، إن كل سياق الكلام ترجية بسط، وإن كان تخويفًا قبض، وإن كان وعدًا أبهج، وإن كان زجرة أرعب، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان ترغيبًا شوَّق، هذا، وكم فيه من مزايا، وفى زواياه من خبايا، ويطمع الحبر فى التقاضى، فيكشف الخبر عن قصايا.

فسبحان من سلكه ينابيع فى القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب، لا يستقصى معانيه فهمُ الخلق، ولا يحبط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطّلْق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكُّره[١].

إن القرآن الكريم هو ذلك الكتاب الجامع للعقيدة، والتشريع، والهداية، والاعتبار، والحجاج والقصص، والتاريخ، وآيات الإعجاز العلمى فى الطبيعة والخلق، ولما كان كذلك اشتدت الحاجة إلى من يفسره ويوضحه لعوام الناس حيث هو كلام الله وكلمته، الأخيرة الموحى بها إلى البشرية، ومن أجل ذلك فإن التفسير سيظل عنوانًا على إيمان المسلمين بهذه الحقيقة التى لا مراء فيها، وإنما أرادوا بجانب الإيمان بالقرآن الوقوف على أحكامه، وقصصه، وحكمه، وأسراره وما فيه من إعجاز بلاغى، وعلمى يزداد به إيمان المؤمنين، ويقين العالمين، ويمحى به جهل الجاهلين، فلولا التفسير ما فهم القرآن، حتى قال السيوطى: (نحن أشد الناس احتياجًا إلى التفسير؛ لقصورنا عن مدارك اللغة وأسرارها بغير تعلم).

وقد ندب الله تعالى المسلمين إلى تفهم القرآن حيث قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

وقال سبحانه: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (ص: ٢٩).

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يسألون النبى ﷺ عن القرآن وما فيه، كقصة عدى ابن حاتم فى قضية ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

---

(١) مقدمة البرهان (١/ ٢٢ ـ ٢٣).

وسؤال الصحابة للنبى ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ (الأنعام: ٨٢)، وبعدها توالت أسئلة عمر لابن عباس عن (الكلالة) و﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ (النصر: ١)، وغيرها من الأسئلة كما دارت الحوارات حول المتشابه من القرآن كما فى قصة صبيغ بن عسل الذى شرب الخمر متأولاً القرآن فى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ (المائدة: ٩٣).

وفى هذا دليل على أهمية التفسير فى حياة المسلمين، فبالقرآن صلح أول هذه الأمة، ولا صلاح لآخرها إلا به أيضًا، والتفسير هو الطريق إلى فهم القرآن.

## (د) أقسام التفسير:

(١) وقد روى الطبرى فى تفسيره قول ابن عباس رضى الله عنهما: إن التفسير أربعة:

(أ) حلال وحرام لا يعذر أحدٌ بجهله.

(ب) وتفسير تفسره العرب بألسنتها.

(جـ) وتفسير تفسره العلماء.

(د) وتفسير لا يعلمه إلا الله[(١)].

وقد فسّر ذلك الزركشى فى البرهان فقال:

* فأما الذى تعرفه العرب بألسنتها: فهو ما يرجع إلى لسانهم من اللغة والإعراب.

* وأما ما لا يعذر أحد بجهله: فهو ما تبادر إلى الأفهام معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام، ودلائل التوحيد، وكل لفظ أفاد معنى واحدًا جليًّا يعلم أنه مراد الله تعالى، فهذا القسم لا يلتبس تأويله، إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ (محمد: ١٩)، وأنه لا شريك له فى الألوهية، وإن لم يعلم أن «لا» موضوعة فى اللغة للنفى، و«إلاّ» موضوعة للإثبات، وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر.

ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ (البقرة: ٣٤) ونحوه إيجاب المأمور به، وإن لم يعلم أن صيغة «افعل» للوجوب.

* وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى: فهو ما يجرى مجرى الغيوب، كالآيات التى تذكر فيها الساعة والروح، والحروف المقطعة، وكل متشابه فى القرآن عند أهل الحق، فلا

---

(١) الطبرى (١/ ٥٨) فى تفسيره ـ برقم (٧١).

مساغ للاجتهاد فى تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف، وبنص من القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله.

* وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم: فهو الذى يغلب عليه إطلاق التأويل، وذلك باستنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم. وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدًا، فهو الذى لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه اعتمادًا على الدلائل والشواهد دون مجرد الرأى.

(٢) ويعمد ابن النقيب إلى تبيان ما يجوز تفسيره وما لا يجوز الخوض فى تفسيره فيقول:

**اعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام:**

**الأول:** علم لم يطلع الله عليه أحدًا من خلقه، وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته، وغيوبه التى لا يعلمها إلا هو، وهذا لا يجوز لأحدٍ الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعًا.

**الثانى:** ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب، واختصه به وهو لا يجوز الكلام فيه إلا له -ﷺ-، أو لمن أذن له، وأوائل السور من هذا القسم، وقيل: من القسم الأول[1].

**الثالث:** علومٌ علمها الله نبيهﷺ، مما أودع فى كتابه من المعانى الجلية والخفية، وأمر بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين:

(أ) منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، وهو أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم الماضية، وأخبار ما هو كائن من الحوادث، وأمور الحشر والمعاد.

(ب) ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستخراج من الألفاظ وهو قسمان:

(١) قسم اختلفوا فى جوازه، وهو تأويل الآيات المتشابهة فى الصفات[2].

---

(١) قصد بداية السور من حروف﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓر﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿حمٓ﴾ وغيرها وقد روى عن الربيع بن خُثَيْم بسند صحيح أنه قال: إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء، وأطلعكم على ما شاء، فأما ما استأثر به لنفسه، فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه، وأما الذى أطلعكم عليه فهو الذى تسألون عنه وتخبرون به، وما بكل القرآن تعلمون وما بكل ما تعلمون تعملون. رواه القرطبى (١/ ١٧٢) فى التفسير وسنده صحيح.

(٢) وهذا كلام مردود إذ أن أهل السنة يؤمنون بالصفات كما جاءت يرونها بلا تشبيه أو تعطيل أو تأويل أو تمثيل وهو ما جرى عليه السلف الصالح كما فى عبارة مالك، والليث، وابن تيمية وغيرهم: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب)، وذلك فى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (طه: ٥).

(٢) وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية لأن مبناها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة، وضروب المواعظ والحكم، والإشارت لا يمتنع استنباطها منه، واستخراجها لمن له أهلية.

وقد روى عن الشافعى - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله ﷺ أو خبر عن أحد أصحابه، أو إجماع العلماء، ومن هذه النصوص الجيدة التى تدل على العمق فى البحث، والأصالة فى الرأى، والدقة فى التفكير نعلم أن:

من القرآن ما لا يجوز الخوض فيه قط.

وأن منه ما الأولى عدم الخوض فيه؛ لأنه لا يؤدى إلى أمر تركن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، وأن هذا وذاك لم يرد فيه عن المعصوم ﷺ روايات صحيحة ثابتة، وإنما الكثرة الكاثرة منها روايات ضعيفة أو واهية أو مكذوبة مختلقة[1].

إن الحقيقة المرة التى اكتشفناها من خلال هذا النص أن كثيرًا من التفسيرات المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين رضوان الله عليهم مثار شك لأنها فى معظم الأحوال لم تصح عنهم، وإنما نسبت إليهم دون تحقيق، وهو ما سينطبق تحديدًا على الإسرائيليات التى تعج بها كتب التفاسير حتى تحولت بعض كتب التفسير إلى توراة مترجمة بالعربية فى بعض الأحوال، نقلها بعض الرواة العرب، وهو تعبير رغم قسوته إلا أنه يعبر عن مدى المأساة التى استشعرناها حين تتبعنا كثيرًا من الروايات الباطلة داخل الكتب.

لقد كان الزنادقة والوضاعون يلبسون عباءة الرواية والزهد والصلاح، ثم يقومون بما يشبه عملية (أسلمة) الروايات الباطلة والأساطير والخرافات وتغليفها بثوب الرواية الإسلامية، وجاء بعض العلماء ليتلقاها دون تمحيص أو تحقيق أو نقد، إلا أن الله تعالى قيّض لها (الجهابذة) فإننا نخشى من أن تتحول بعض الدراسات لعملية (تشكيك) فى تاريخنا، ولكن ينبغى أن يفهم أن كثيرًا من هذه الدراسات يقوم بعملية تصحيح لا تشكيك، وتدقيق وتحقيق ليمتلأ الجسد دمًا بدلاً من الماء والهواء.

---

(٢) الإتقان للسيوطى (٢/ ١٨٢ - ١٨٣) نقلاً عن العلامة أبى شهبة - رحمه الله تعالى -.

## (هـ) التفسير فى عهد الصحابة:

نستطيع أن نقول ـ دون أن نكون مغالين ـ إن تفسير القرآن الكريم نشأ بصورة ما من ابتداء نزول آياته على النبى ﷺ، لأنه نص نزل لكى يفهم ويعمل بما فيه كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (ص: ٢٩)، ومن ثم كانت آياته الأولى مجالاً للتدبر وإنعام النظر فى معانيها ومقاصدها.

وقد كان رسول الله ﷺ نفسه أول مفسر لآيات القرآن الكريم، لكنه لم يفسر آياته كلها أو حتى معظمها.

أما فى عصر الصحابة فقد أثرت عن الصحابة جهود كثيرة فى تفسير آيات القرآن، وما منهم أحد إلا كان له شىء من النظر والتفكر فى بعض آياته، وهو شىء اندرج بعد ذلك على كل المسلمين الصادقين الذين كان الدين بالنسبة لهم معيار حياتهم وسلوكهم، وهو شىء يتمشى مع ما أمر به القرآن المسلمين حين ذكر الله تعالى أنه أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته، كما أن القرآن الكريم قد عاب الذين لا يتدبرون آياته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤).

ولن تتسع هذه الدراسة لاستقصاء كل الجهود التفسيرية فى عصر الصحابة، بل لعل الحقيقة أن ذلك أمر غير مستطاع البتة، لأنه مما لا شك فيه أن بعض النظر الباطنى من الصحابة فى بعض آيات القرآن لم يسجل ولم يدون واقتصر الأمر فيه على التأمل والاستبطان الفكرى الذاتى، مما لا يقع تحت مجال إمكان رصده ووصوله إلينا.

على أن ما نقل إلينا عن هذا العصر كاف لكى نخرج منه بصورة واضحة عن جهود الصحابة التفسيرية على وجه العموم.

يروى السيوطى أنه اشتهر بتفسير القرآن من الصحابة عشرة، هم: الخلفاء الأربعة (أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى) وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأُبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير، كما يروى أن أكثر من روى عنه التفسير من الخلفاء الأربعة هو على بن أبى طالب، والرواية عن الثلاثة (أبو بكر، وعمر، وعثمان) نزرة جداً، وكان السبب فى ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب فى قلة رواية أبى بكر رضى الله عنه للحديث. ولا أحفظ عن أبى بكر رضى الله

عنه فى التفسير إلا آثارًا قليلة جدًا لا تكاد تجاوز العشرة[١] .

وفى اعتقادى أن تقدم وفاة أبى بكر وعمر وعثمان ، لم يكن وحده هو السبب وراء قلة المروى عنهم من التفسير ، لأنه مما لا شك فيه أن العقول فى أية طبقة وجيل من الناس متفاوتة فى أخذ كل منها بنصيب فى هذا العلم أو ذلك .

كما أن قدرات البشر متفاوتة ، ومجالاتها مقسمة بينهم ، ولا يعنى اشتراك طبقة ما فى الفضل أو المنزلة تساويهم فى مقدار علم كل منهم ومقدرته فى كل مجال .

● **صحابة مفسرون:**

**(١) أبو بكر الصديق رضى الله عنه:**

أما أبو بكر ، فالآثار المروية عنه فى التفسير قليلة جدًا كما قال السيوطى ، ويبدو أنه كان متحرجًا من كثرة القول فى كتاب الله ، وهى نزعة سادت كثيراً من السلف ، ومن أقواله القليلة فى تفسير القرآن أنه كان يفسر لفظ الكلالة فى آيتى سورة النساء بأنه : (ما خلا الوالد والولد) ، وقبل أن يدلى برأيه هذا ، قال : أقول فيها برأيى فإن يكن صوابًا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان[٢] .

**(٢) عمر بن الخطاب رضى الله عنه:**

ما زال المسلمون يعرفون لعمر رضى الله عنه أنه أول من حَرَّك الهمم نحو جمع القرآن الكريم فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه[٣] .

* وأما جهود عمر فى مجال تفسير القرآن فقد كان معظمها فى مجال التشريعات العملية التى واجهته بضرورة استنباط أحكام لها ، ويبدو أن كثرة شواغله العملية واحتياجها إلى تشريعات ملائمة مستنبطة من النصوص قد استنفدت جهوده كلها ، فكان التفسير عنده بحثًا ملحًّا عن حكم لواقعة تواجهه ، ولم يكن إعمال نظر فى آيات القرآن لمجرد تفسيرها وبيان معانى ألفاظها على النحو المألوف فى التفسير بعده ، بل إن منهجه فى ذلك كان الانصراف عن البحوث المجردة فى معانى الكلمات القرآنية حين لا تتوقف عليها

---

(١) الإتقان (٢/ ٣١٧) للسيوطى .

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٢٤٦) ، أحكام القرآن (٢/ ١٠٤) للجصاص .

(٣) وقد روى البخارى القصة كاملة فى حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه برقم (٤٩٨٦) فى فضائل القرآن ـ باب (٣) .

نتيجة عملية، ومن ذلك أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس: ٢٧ - ٣١)، فقال: هذه الفاكهة والقضب وهذه الأشياء قد عرفناها، فما الأب؟ فوضع يده على رأسه، ثم قال: إن هذا لهو التكلف يا ابن أم عمر، وما عليك ألا تدرى ما الأب؟[١].

وعلق ابن الجوزى على قول عمر هذا بقوله: (ظاهر هذا الحديث يعطى الإعراض عن تفسير القرآن، وليس المراد به ذلك، قال أبو بكر بن مقسم: ما عرف عمر عين الأب من النبت، لأنه ليس من لغته[٢]، وليس بالناس إلى البحث عنه حاجة)[٣].

فالحاصل أن عمر كان بعيدًا كل البعد عن كل نزعات التعالم والادعاء فيما لا يعلم حقيقة، كما أن جهوده فى التفسير اتجهت وجهة عملية بحيث لم تتسع للبحث فى معانى الكلمات التى لا يتوقف على العلم بها نتيجة عليه.

* كما كان عمر بن الخطاب يرى أنه ينبغى ألا يعرض أحد لتفسير آية إلا وهو يعلم سبب نزولها - إن وجد مثل هذا السبب - وذلك أن الجهل بسبب نزول الآية كثيرًا ما يكون سببًا فى استخلاص أحكام خاطئة منها، وقد حدث هذا فى عصره.

فقد رُوِىَ أن قدامة بن مظعون شرب الخمر، فلما أراد عمر أن يجلده قال: والله لو شربت - كما يقولون - ما كان لك أن تجلدنى يا عمر، قال: ولِمَ يا قدامة؟ قال: لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣)، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، شهدت مع رسول الله بدرًا وأحدًا والخندق، والمشاهد، فقال عمر لمن حوله من الصحابة: ألا تردون عليه قوله؟ فقال ابن عباس: إن هؤلاء الآيات أنزلن عذر للماضين وحجة على الباقين لأن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠) فإن الله قد نهى عن شرب الخمر. قال عمر: صدقت. وقال لقدامة: أخطأت التأويل يا قدامة، إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله.

(١) الموافقات (١/ ٢١) للشاطبى.

(٢) يقصد لهجته القرشية.

(٣) سيرة ومناقب عمر ص١٣٩.

ثم جلده[١] .

وهذا أساس قوى وضعه عمر فى تفسير الآيات ليسترشد به المفسر ، فإن سبب نزول الآية هنا حل إشكالية تأويلها ، فاتضح الصحيح من السقيم فيها ، ولو تتبع المفسرون ـ من غير أهل التفسير بالمأثور ـ أسباب النزول فى معظم الآيات لكان حلاً لإشكاليات عدة ، وعلى نفس الجانب فإن على المفسر بالمأثور أن يتتبع صحة الخبر (دراية ورواية) أى فى سند القصة ومتنها .

* وهذا يقودنا إلى أساس آخر وضعه عمر فى تقبل التفسير أو الرواية على وجه العموم ألا وهو (التثبت من الرواية قبل قبولها والعمل بها) ، ففى عام سبعة عشر للهجرة (١٧هـ) أراد عمر توسيع المسجد النبوى بالمدينة فاشترى ما حوله من الدُّور ، وكان للعباس بن عبد المطلب بيت بجواره ، فطلب إليه عمر أن يبيعه ، أو يبنى له بيتًا آخر بدلاً منه فى أى مكان من المدينة ، أو يتصدق به لتوسيع مسجد المسلمين ، فرفضها العباس جميعًا ، وطلب من عمر أن يحتكما إلى أُبى بن كعب ، فقال أبى : سمعت من رسول الله ﷺ يقول : «إن الله أوحى إلى داود أن ابن لى بيتًا أُذْكر فيه ، فخطّ له خطة بيت المقدس فدخل فيها بيت رجل من بنى إسرائيل رفض أن يبيعه ، فحدّث داود نفسه أن يأخذه منه ، فأوحى الله إليه : أن يا داود أمرتك أن تبنى لى بيتًا أذكر فيه ، فأردت أن تدخل فى بيتى الغصب ، وليس من شأنى الغصب ، وأن عقوبتك ألا تبنيه ، فقال : يا رب ! فمن ولدى؟ قال : من ولدك ـ أى من يبنيه) . فأخذ عمر بمجامع ثياب أُبى بن كعب ، وقال : جئتك بشىء فجئت بما هو أشد منه ، لتخرجن مما قلت . فجاء يقوده حتى أدخله المسجد ، فأوقفه على حلقة من أصحاب الرسول ﷺ فيهم أبو ذر فقال : إنى نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه ، إلا ذكره ، فقال أبو ذر : أنا سمعته من رسول الله ﷺ ، وقال آخر : أنا سمعته ، وقال آخر : أنا سمعته ، فأرسل عمر أُبيًا ، فأقبل أبى عليه فقال : يا عمر أتتهمنى على حديث رسول الله ﷺ؟ فقال عمر : يا أبا المنذر ، أنا والله ما اتهمتك عليه ، ولكنى كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله ﷺ ظاهراً .

ثم قال عمر للعباس : اذهب فلا أعرض لك فى دارك .

---

(١) هذه القصة رواها الشاطبى (٣/ ١٨٢) فى الموافقات ، وقد روينا سبب نزول الآية فى أسباب النزول ص١٧٢ ـ ١٧٣ . وهى عند أحمد (٢/ ٣٥) فى المسند ، وأبى داود (٣٠٢٦) فى الأشربة .

فقال العباس : أما إذا فعلت هذا فإنى قد تصدقت بها على المسلمين أوسع بها عليهم فى مسجدهم[١] .

ونحتاج إلى رواية أخرى فى هذه القصة وهى رواية الذهبى حيث قال عمر لأُبى : (أما إنى لم أتهمك ، ولكنى أحببت أن أتثبت)[٢] .

ومن هنا ندرك أن عمر رضى الله عنه كان المثال النموذجى ، أو النموذج الأمثل لما يجب أن يكون عليه المفسر من التحقق والتثبت من الروايات ، فليس الأمر مجرد ملئ كتب فقط قدر ما هى كتب أثرت فى مسيرة أمة وتكوينها الثقافى والفكرى ، بل وانعكس ذلك على عقيدتها وحياتها الاجتماعية .

ويمكننا وضع منهج عمر رضى الله عنه فى التفسير عمومًا كالآتى :

(أ) النزعة العملية فى تفسير آيات القرآن .

(ب) رفض الجدل فى متشابه القرآن .

(جـ) دعوته إلى ضرورة العناية بالشعر الجاهلى ، باعتبار أن فى ألفاظه واستعمالاته يكمن تفسير كثير من آيات القرآن وتراكيبه .

(د) رفضه الحاسم لكل محاولة فى التفسير تتجاهل سبب النزول أو طريقة الأساليب العربية فى التعبير ، أو تقطع جملة عن سياقها العام لتأويلها بما لا يمكن قبوله بالنظر إلى السياق كله .

(هـ) رجوعه عن بعض آرائه الاجتهادية لتفسير مستوف للشروط يقتنع به من بعض الصحابة .

### (٣) عثمان بن عفان رضى الله عنه:

والأمر بعثمان بن عفان فى التفسير شبيه بأبى بكر ، أو دون ذلك ، ويكفى فى جهوده بالنسبة للقرآن أنه جمع المسلمين على قراءة واحدة حين خاف عليهم أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فى وجوه القراءة ، كما أن رسم المصحف ينسب إليه .

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/ ١/ ١٣ ـ ١٤) .

(٢) تذكرة الحفاظ (١/ ٨) للذهبى .

**( ٤ ) على بن أبى طالب رضى الله عنه:**

وقد كان على بن أبى طالب يرى أن الله قد وهبه ملكة فيما يتصل بتفسير القرآن كانت تيسر له فهم آياته ، وقد روى عن أبى الطفيل - بسنده - قال : شهدت عليًّا يخطب وهو يقول : سلونى ، فوالله لا تسألون عن شىء إلا أخبرتكم ، وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل(١) .

ويبدو من كل الروايات أن فكرة امتياز على فى التفسير كانت حاضرة فى ذهنه دائمًا ، وكانت مثار سرور له لاتصالها بكلمات الله المنزلة ، وقد روى الشافعى : أخبرنا سفيان ابن عيينة ، عن مطرف ، عن الشعبى ، عن أبى جحيفة ، قال : سألت عليًّا رضى الله عنه : هل عندكم من النبى ﷺ شىء سوى القرآن ؟(٢) فقال : لا ، والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا أن يؤتى الله عبدًا فهمًا فى القرآن ، وما فى هذه الصحيفة ، قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ فقال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مؤمن بكافر(٣) .

ولم يكن على رضى الله عنه ممن أثر عنه رواية الإسرائيليات وإنما وضع الشيعة فى فضله أحاديث عدة ، حتى قال الشعبى : (ما كذب على أحد فى هذه الأمة ما كذب على علىٍّ رضى الله عنه)(٤) وقد وضحنا كذبهم من ذى قبل ، إلا أن ما نشير إليه بإيجاز هنا ، أن السمة التفسيرية لعلى رضى الله عنه هى جمعه الآيات فى موضوعٍ واحدٍ ليستخلص منها جميعًا حكمًا صادقًا يفسر فيه القرآن بعضه بعضًا من ذلك ما رواه ابن حزم ، أن امراة ولدت بعد زواجها بستة شهور فحسب ، فأمر عمر بن الخطاب بإقامة حد الزنا عليها ، فذكره على بن أبى طالب بقوله تعالى : ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف : ١٥) ، مع قوله : ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة : ٢٣٣) ، فرجع عمر عن الأمر بإقامة الحد عليها(٥) ، أى أنه لما كانت العادة ألا تلد المرأة لستة أشهر فقد ظهرت لعمر قرينة اعتبرها كافية للحكم بالزنا قبل الزواج ، تطبيقًا لقوله : «وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال أو النساء ، إذا قامت البينة ، أو كان الحبل ، أو

(١) الإتقان (٢/ ٣١٩) للسيوطى .

(٢) أى خاصًّا بكم أهل البيت وقيل : للتعظيم كما فى الفتح (١/ ٢٠٤) .

(٣) صحيح : البخارى (١١١) فى العلم ، مسلم (١٣٧٠/ ٤٦٧) بنحوه فى الحج . والعقل : الدية .

(٤) تذكرة الحفاظ (١/ ٧٧) للذهبى .

(٥) الأحكام (٢/ ١٢٥) .

الاعتراف»[١]. لكن عليًّا تدارك الأمر قبل تنفيذه فذكر لعمر آيتين من كتاب الله، وفسرهما مجتمعتين بحيث فهم منهما أن مدة الحمل يمكن أن تكون ستة أشهر فرجع عمر عما أمر به أولاً، لأن احتمال أن تكون مدة الحمل ستة أشهر يحول دون القطع بوقوع الزنا[٢].

وأمثال هذا كثير عن على رضى الله عنه، وهو ما يعنى ابتعاده الكامل والتام عن رواية الإسرائيليات، وانشغاله بالنزعة العملية فى التفسير لتوضيح أحكام القرآن خاصة توليه القضاء فى عهد عمر رضى الله عنه وتبيانه فى عهد عثمان لبعض القضايا كموافقته على حرق المصاحف وجمع المسلمين على مصحف واحدٍ، ثم انشغاله بالحروب بعد ذلك، والأكثر عدم اطمئنانه لهذه الروايات الإسرائيلية، ثم جاء من بعده من الشيعة ليفسدوا علمًا كثيراً، ويخلطوا الأوراق الصحيحة بالسقيمة.

**(٥) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه:**

أما عبد الله بن مسعود، فإن السيوطى يقول عنه: (إنه روى عنه - يعنى فى تفسير القرآن - أكثر مما روى عن على، وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه أنه قال: والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته)[٣]. وأخرجه أبو نعيم عن أبى البخترى قال: (قالوا لعلى: أخبرنا عن ابن مسعود. قال: عَلِمَ القرآن والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علمًا)[٤].

وقد كان ابن مسعود من السابقين إلى الإسلام، وتلقى القرآن من فم رسول الله ﷺ، وكان رسول الله يحب أن يسمع القرآن منه، وكانت له نظرات فى القرآن، رواها عنه أهل الكوفة الذين أقام بينهم بعد أن أرسله إليهم عمر بن الخطاب معلمًا[٥]، وقد أثرت عنه قراءات تختلف إلى حد ما عن القراءة المتواترة فى المصاحف العثمانية، وهذه القراءات المنسوبة إليه إما أن تكون من آثار انعكاس لهجته الهذلية الخاصة فى القراءة، وإما أن تكون قراءات تفسيرية قصد منها تفسير بعض ألفاظ القرآن وأحكامه، فأثرت عنه

(١) وهذا قول البخارى ومسلم والترمذى وأبى داود.

(٢) ذكره أستاذنا د/ محمد بلتاجى ص٢٦٠ فى منهج عمر بن الخطاب فى التشريع.

(٣) و(٤) الإتقان (٢/ ٣١٩) للسيوطى.

(٥) أسد الغابة (٣/ ٣٨٤-٣٨٨).

على أنها قرآن، وما هى إلا تفسير، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: ٦٤)، حيث قرأها ابن مسعود: (تعالوا إلى كلمة عدل بيننا وبينكم) واللفظان بمعنى واحد.

ومثل هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه كثير، وإنما قصد به التفسير لا أكثر، إذ أن هذه الفترة كانت تعد طور النشأة لـ (علم تفسير القرآن)، إلا أنها قراءات أثرت فى فقه أهل العراق الذين نقلوه عن ابن مسعود من ذلك ما يرويه السرخسى الحنفى المذهب فى كفارة اليمين حيث يقول: (أما صوم كفارة اليمين فثلاثة أيام متتابعة عندنا، خلافًا للشافعى رحمه الله تعالى الذى قال: إنه (يعنى الصوم) مطلق فى القرآن[1]، ونحن (مذهب أبى حنيفة) أثبتنا التتابع بقراءة ابن مسعود فإنها كانت مشهورة إلى زمن أبى حنيفة رحمه الله) ثم يقول السرخسى إن الزيادة فى مذهب أبى حنيفة تثبت بالخبر المشهور[2].

ويقول السرخسى: واشتراط صفة التتابع عندنا فى الصوم فى كفارة اليمين ليس بطريق حمل المطلق على المقيد[3]، بل بقراءة ابن مسعود رضى الله عنه)[4].

وهذه القراءة قال عنها ابن قدامة: (إن كانت قرآنًا فهى حجة، وإلا فهى رواية عن النبى ﷺ من تفسيره للآية[5].

وعلى هذا فإننا لن نقف على رواية لابن مسعود توصف بالصحة نجده فيها قد روى الإسرائيليات أو الأساطير فيها، وهو ما يجعلنا نتشكك فى أن كثيرًا من الروايات الإسرائيلية صحيحة النسب إلى الصحابة أو التابعين رضى الله عنهم.

**(٦) أُبى بن كعب رضى الله عنه:**

أما أُبى بن كعب الأنصارى فقد كان له مع القرآن شأن خاص، إذ كان من كُتَّاب الوحى لرسول الله ﷺ، بل قيل إنه (أول من كتب لرسول الله حين قدم إلى المدينة)[6].

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾ (المائدة: ٨٩) فلا اشتراط للتتابع هنا.

(٢) المبسوط (٣/ ٧٥).

(٣) مثل صيام الظهار المقيد بالتتابع.

(٤) المبسوط (٧/ ٤) و(٨/ ١٤٤).

(٥) المغنى لابن قدامة (٨/ ٧٥٢).

(٦) أسد الغابة (١/ ٦٢).

كما روى أن رسول الله قال عنه ما يدل على أنه كانت له خصوصية بقراءة القرآن، حيث قال عن أمة المسلمين: «. . أقرؤهم أبى بن كعب»، كما روى أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أمرنى أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ (البينة:١)». فقال أُبى: الله سمانى لك؟ قال: «نعم». فجعل أُبى يبكى[١].

وقد أُثِرَت عن أُبى روايات فى التفسير، مثل ما يرويه ابن الأثير بسنده عن أُبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (الفتح:٢٦)، فقال فى تفسير كلمة التقوى: «شهادة أن لا إله إلا الله»[٢].

### (٧) عبد الله بن عباس رضى الله عنهما:

وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، علمه الله التأويل، وفقهه فى الدين استجابة لدعوة النبى ﷺ، هناك روايات تدل على أن الصحابة قد عرفوا لابن عباس غزارة علمه، ومنزلته العالية فى فهم القرآن وتفسيره، من ذلك ما رواه ابن عباس نفسه فقال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدرٍ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال: لِمَ يَدْخل هذا معنا، وإن لنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن علمتم. فدعاهم ذات يومٍ، فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذٍ إلا ليريهم، فقال: ما تقولون فى قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ (النصر:١)؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لى: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ (النصر:٣)، فقال عمر: لا أعلم منها إلا ما تقول[٣].

وفى الجملة، فقد روى عن ابن عباس فى التفسير ما يقول عنه السيوطى أنه «ما لا يحصى كثرة»[٤] مما يدل على أن دعوة رسول الله له قد تحققت.

---

(١) صحيح: البخارى (٣٨٠٩) فى مناقب الأنصار مسلم (٧٩٩/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦) فى صلاة المسافرين.

(٢) أسد الغابة (١/ ٦٢).

(٣) صحيح: البخارى (٤٩٧٠) فى التفسير باب (١١٠).

(٤) الإتقان (٢/ ٣٢١) للسيوطى.

والمستعرض لكل ما روى عن ابن عباس فى التفسير يلاحظ فى وضوح هذه السمات :

**الأولى:** أنه كان يفسر آيات القرآن وألفاظه تفسيراً لغويًّا معتمداً على الوضع اللغوى للألفاظ واستعمالاتها العربية فى الشعر وأساليب البيان العربية ، لأن القرآن كما يقول ابن خلدون نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا ـ على وجه العموم ـ يفهمونه ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه[1] ، وقد كان ابن عباس رجلاً عربيًّا قُرشيًّا يعيش فى زمن كانت فيه السليقة اللغوية العربية خالصة من أى تأثير أجنبى عنها ، ومن الطبيعى أن يلجأ ابن عباس فى التعرف على معانى الألفاظ القرآنية إلى الشعر الجاهلى ، وهو ما يبدو واضحًا من كثير من الروايات التفسيرية عنه ، وقد صرح ابن عباس بذلك ، فيما يروى عنه مثل قوله : «الشعر ديوان العرب ، فإذا خفى علينا الحرف[2] من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه» ، ومثل : (إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر ديوان العرب)[3] .

**والسمة الثانية:** فيما يروى عن ابن عباس فى التفسير : رجوعه إلى أسباب نزول الآيات ، وقد مر بنا مثال لذلك فى رده على من فسر قوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ...﴾ (المائدة : ٩٣) تفسيراً خاطئًا مبنيًّا على خفاء سبب النزول ، أو تجاهله وقد مرّ بنا هذا أثناء الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

**أما السمة الثالثة:** فهى رجوعه فى تفسير بعض الآيات إلى بعض الروايات التى كان يرويها بعض من دخل إلى الإسلام من اليهود مثل كعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، وقد وجه إلى ابن عباس بسبب هذا شىء من النقد من بعض الباحثين المحدثين ، قال جولد تسيهر : وكثيراً ما نجد من مصارد العلم المفضلة لدى ابن عباس اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام (كعب الأحبار) و(عبد الله بن سلام) .

وقد تعرضنا فى نهاية الفصل الأول للحديث عن هذه النقطة الأخيرة حيث أوضحنا أنه إن صحّ النقل عنهم فإنما نقل ابن عباس رضى الله عنهما وغيره عنهم لأنهم أسلموا ، رفعهم إسلامهم عن مظنة الكذب ، كما أنه لم ينقل عنهم إلا فى الجانب القصصى فقط .

---

(١) المقدمة (٤٠٣) .

(٢) يقصد اللهجة عمومًا كاللفظ ، والتركيب ، والقراءة وطريقة النطق .

(٣) الإتقان (١/ ٢٠٦) للسيوطى .

**أما السمة الرابعة:** فهى كثرة المرويات عن ابن عباس رضى الله عنهما التى أثارت جدلاً واسعًا حيث قال السيوطى: (وقد ورد عن ابن عباس فى التفسير ما لا يحصى كثرة). ثم أردفه بقول الشافعى: (لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا شبيه بمائة حديث)[١].

وهو قول نستريح إليه كثيرًا حيث أن ابن عباس رضى الله عنهما ألصقت به، ونسبت إليه روايات لا توصف إلا بالأساطير والخرافات، والعجائب خاصة تفسير (تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى الشافعى صاحب (القاموس المحيط)، وسلسلة الرواية فى هذا الكتاب عن ابن عباس ترجع إلى محمد بن مروان (السدى الصغير) عن محمد بن السائب الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، وهى السلسلة المعروفة بـ (سلسلة الكذب) عن ابن عباس ـ كما سنرى.

وهكذا نرى أن ابن عباس رضى الله عنهما كان من أكثر الصحابة الكرام الذين ألصقت بهم تهمة النقل عن بنى إسرائيل ومسلمتهم، وفى تصورى أن هذا يعود إلى أسباب عدة، منها:

(أ) أن ابن عباس ـ بالنسبة إلى عوام المسلمين ـ اسم يتمتع بالقبول، وكثرة الروايات عنه سيرجع سببها إلى كثرة علمه، وبذلك سينتشر الباطل المروى عنه، وسيقبل بلا مناقشة أو تحقيق، وهو ما لا يحدث مع صحابة آخرين كعمر رضى الله عنه المعلوم عنه قلة التفسير وقلة الروايات، وكذا الحال بالنسبة لأبى بكر رضى الله عنه، أو حتى على، أما ابن عباس فهو ترجمان القرآن، وحبر الأمة، وصاحب العلم الوفير الغزير، فيسهل الكذب عليه.

(ب) كثرة الطرق عن ابن عباس رضى الله عنهما، فمنها الطرق الصحيحة، والجيدة، والواهية، والضعيفة، وهناك سلسلة الكذب، وأكثر الروايات هى الضعيفة والكذب، وأصحابها بين متعمد للكذب، وآخر غافل عن أصول علم الرواية، فكان هذا بمثابة الفرصة للوضاع والكذاب والزنديق لدس السم داخل العسل، أو الجبن للفأر الذى لا يقاوم رائحته، فسال لعاب الضعفاء، والغافلين فنقلوا هذه الروايات المكذوبة، وساعدوا على نشرها.

---

(١) السابق (٢/ ٢٢٢).

(جـ) أن وظيفة المفسر نفسها التى كانت تعتمد على النقل، وحشد القصص والروايات أكثر من التحقيق والتدقيق فخلط المفسرون عملاً صالحًا وآخر سيئًا، وكثير منهم لم يعلق على ما روى ليوضح صحيحه من سقيمه، كالقرطبى مثلاً فى تفسير سورة يوسف، أو الثعلبى فى تفسيره، فروجوا دون قصد لبضاعة مزجاة كان الأفضل لها أن تلقى فى عرض بحر النسيان لتستقر فى قاعه طعامًا لأسماكه.

(د) وهنا ندرك أيضًا دور القصاصين والوعاظ الذين اتخذوا من ابن عباس رضى الله عنهما نموذجًا للقاص، والواعظ كما اتخذ الصوفية (الخضر) عليه السلام مصدر إلهام لهم، ونموذجًا للعلم اللَّدُنى فساعد هذا أيضًا على انتشار هذه الروايات المكذوبة.

(هـ) ودخل المستشرقون المعترك هم وصبيانهم فى بلاد المسلمين فأشاعوا عن مدرسة ابن عباس رضى الله عنهما أنها ذات المسحة اليهودية، ورُوِّج لهذه الأكاذيب كثيراً.

(ج) عدم وجود دراسة حقيقة تعتمد على منهج موثق فى تتبع الروايات الواردة عن ابن عباس رضى الله عنهما لأنها تتكلف عناء بحثيًّا، وماديًّا يرهق كثيراً من الباحثين، وقد يستنفذ عمر طويلاً دون الوصول إلى النتائج المرجوة[١].

وسنحاول جاهدين خلال هذه الدراسة توضيح كثير من هذه الأباطيل المروية والملصقة كذبًا بابن عباس رضى الله عنهما.

(٨) مفسرون آخرون:

أما زيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير، وغيرهم من الصحابة فقد أخذوا بنصيب من تفسير آيات القرآن الكريم، بيد أن ما يروى عنهم فى ذلك جد قليل، ويصل أحيانًا إلى حد الندرة أو العدم بالنسبة لبعضهم، وذلك راجع إلى قلة ما تكلموا به فى التفسير، ولعله يرجع أيضًا - بالنسبة لبعضهم - إلى عدم توفر سبل الرواية والنقل.

---

(١) وأود أن أشير إلى أننى قمت بدراسة مشتركة مع الأخ/ مجدى فتحى السيد بعنوان: (صحيح تفسير ابن عباس). حاولت منها تقديم الصحيح من تفسير ابن عباس رضى الله عنهما، ولعل الله عز وجل أن يوفق فى طبعها ونشرها بين جموع المسلمين، لتساهم ولو بقدر بسيط فى إزالة الكذب عن هذا الصحابى الجليل رضى الله عنه.

## (و) التفسير بعد الصحابة (عصر التابعين وتابعيهم):

كان (التوريث) واحداً من سمات منهج الصحابة رضوان الله عليهم فى حياتهم، فقد تفرقوا فى البلدان لنشر علوم الإسلام وفنون الشريعة، والقرآن، فورَّثوا العلم لجيل التابعين، وهو الجيل الثانى فى الخيرية بعد الصحابة الكرام حيث قال النبى ﷺ: «خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[١].

وكان التفسير فى مقدمة العلوم التى تلقاها التابعون عن الصحابة، ثم توالت جهود التابعين الخاصة فأضافوا كثيراً إلى هذا العلم وأدوه بعد ذلك إلى تابعى التابعين، حتى وصلنا، وهكذا امتدت فروع المعرفة الإسلامية فى الزمان بفروعها جيلاً بعد جيل.

ولا شك أن إفراد كل طبقة من المفسرين بحيث يرصد جهودها فى التفسير يحتاج إلى مجلدات ضخمة تجمع منهج التأليف فيها: الأناة فى البحث والفكر، والاستقصاء والتتبع، والتحقيق والتوثيق والتحليل، هذا إن أردناها دراسة مستوعبة، لكننا هنا نعرف فقط بهؤلاء المفسرين فقط مع ذكر بعض ما قاله علماء الجرح والتعديل فيهم لا لشىء إلا خدمة للبحث والدراسة التى بين أيدينا.

ويؤرخ السيوطى للمفسرين بعد طبقة الصحابة فيروى:

قال ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبى رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاوس، وغيرهم.

وكذلك فى الكوفة: أصحاب عبد الله بن مسعود.

وعلماء أهل المدينة فى التفسير مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد، ومالك بن أنس[٢].

ونحن نضيف إليهم أهل مصر من أمثال (عطاء بن دينار الهذلى ت١٢٦هـ) و(عبد الله ابن وهب ت١٩٧هـ).

وأيضًا أهل الشام الذين لم تخل أرضهم من مفسر تلقى عن صحابة رسول الله ﷺ مثل مكحول (ت١١٥هـ)، إلا أننا ندرك أنهم قلة لأن صحابة النبى ﷺ الذين سكنوا

---

(١) صحيح: البخارى (٢٦٥٢) فى الشهادات باب (٩)، مسلم (٢٥٣٣/ ٢١٠ ـ ٢١٢) فى فضائل الصحابة. باب (٥٢) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

(٢) ابن تيمية ص١٥ مقدمة فى أصول التفسير، والسيوطى (٢/ ٣٢٣) فى الإتقان.

الشـام كان معظمهم منشغلاً بالجهاد أو القضاء والإفتاء، أو الوعظ كأبى الدرداء، وأبى عُبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهم جميعًا، غير أن لكل علمٍ أعلامه، ولكل زمان مشاهيره الذين ارتقوا مرتقى يصعب على الآخرين الوصول إليه، وقد نقل المفسرون عن كثير من التابعين، إلا أنهم جعلوا لهم رءوسًا فى التفسير، غير أننا لا ننكر أن يكون هناك من كان له جهد فى التفسير لم يصل إلينا، أو لم يدون، أو لم يجد تلامذة ينقلونه كما حدث مع الليث بن سعد حيث ضيعه تلامذته، ومن مشاهير المفسرين فى جيل التابعين:

**(١) مجاهد بن جبر (٢٠هـ - ١٠٣هـ):**

ويقال: ابن جبير المخزومى، مولى السائب بن أبى السائب، وهو شيخ مفسرى التابعين، وكان ممن سمعوا من ابن عباس رضى الله عنهما، قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، أقف عند كل آية منها وأسأله عنها، فيم نزلت، وكيف كانت؟

وقد اختلفت روايات العدد فقيل: ثلاثين، أو أربعين، وغيرها، والمهم هو جوهر الرواية ومدلولها الذى يعطى انطباعًا أن مجاهدًا كان من أوثق تلامذة ابن عباس رضى الله عنهما، رواية عنه، بل هو الأوثق، ولهذا يعتمد عليه فى تفسيره كلُ من: الشافعى، والبخارى، وغيرهما من أهل العلم رغم قلة روايته عن ابن عباس[١].

وقد قال العلماء: ومنهم النووى: (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك).

وقد ذكرنا آنفًا قول ابن تيمية، وقد جعله أولاً فى التابعين إذ تحدث عن التفسير.

**(٢) عطاء بن أبى رباح (٢٦ - ١١٤هـ):**

وقد انفرد بالفتوى بمكة مع مجاهد، وقد كان أفطس، أعرج، أَشلَّ، ثم عمى بعد ذلك، إلا أنه ممن صنعوا الحياة، ودفقوا الدماء فى علم التفسير، تلقى عن ابن عباس، وعائشة، وأبى هريرة رضى الله عنهم، وقيل: أدرك مائتين من أصحاب النبى ﷺ، وكان أحد أوعية العلم[٢].

---

(١) الإتقان (٢/ ٣٢٣) والمعارف ص١٥٤ لابن قتيبة.

(٢) المعارف ص١٥٥ لابن قتيبة، وشذرات الذهب (١/ ١٤٧) لابن العماد.

**(٣) عكرمة مولى ابن عباس (٢٥هـ - ١٠٥هـ):**

البربرى الأصل، أحد فقهاء مكة، وأحد التابعين الأعلام، وُهب لابن عباس فاجتهد فى تعليمه، ورحل إلى مصر وخراسان، واليمن وأصبهان، والمغرب وغيرها، وأذن له ابن عباس فى الفتوى وهو حى.

كما اعتبره سعيد بن جبير أعلم منه، وعلى ما يبدو أنه قد تكلم فى تفسير آى القرآن، حيث قال سماك بن حرب: (سمعت عكرمة يقول: لقد فسرت ما بين اللَّوحين)[١].

وقد جهد ابن عباس فى تعليمه حتى قال عكرمة: (كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل (يعنى القيد) ويعلمنى القرآن والسنن)[٢].

وقال سماك: قال عكرمة: كل شىء أحدثكم فى القرآن فهو عن ابن عباس[٣].

إلا أنه قد ثارت حوله بعض الشبهات خاصة أن على بن عبد الله بن عباس اتهمه بالكذب على أبيه بعد موته، وروى أن عليًّا ربطه على باب كنيف، وروى أنه كان يرى رأى الخوارج[٤].

إلا أن هذه الاتهامات سرعان ما بطلت حين روى عنه أحمد بن حنبل، والبخارى، وجمهور العلماء، إلا مالكًا فقد أعرض عنه، ولكن توثيق الجمهور لعكرمة، ورده التهم هو الحجة على مالك وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.

**(٤) سعيد بن جبير (ت٩٥هـ):**

هو القارئ المفسر، الفقيه المحدث، قتله الحجاج، وقد قال عنه الإمام أحمد: قُتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحدٌ إلا وهو محتاج - أو قال: مفتقر - إلى علمه[٥].

وقال عنه قتادة: إنه كان من أعلم التابعين بالتفسير، وقد كان يجمع إلى العلم شجاعة العلماء المأثورة عن رجال السلف الصالح[٦].

وقد روى سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما، وطريقه من الطرق الصحاح عنه.

---

(١) و(٢) الإتقان (٢/ ٣٢٣).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٨٧) لابن كثير.

(٤) المعارف ص١٥٧ لابن قتيبة، وشذرات الذهب (١/ ١٣٠).

(٥) البداية والنهاية (٩/ ١٠١) لابن كثير.

(٦) المعارف ص١٥٧ لابن قتيبة.

(٥) طاووس بن كيسان (ت١٠٦هـ):

وهو من أعلام التابعين، أخذ عن عائشة رضى الله عنها، وعن ابن عباس وغيرهما، وقيل: كان أعلم التابعين بالحلال والحرام.

وقد تجلت فيه طبيعة السلف التى كانت تتحرج من التصريح بالفتوى بالرأى خوف الخطأ فيه، لكنها لا ترى بُدًّا من الاجتهاد والتصريح به لحاجة الناس إليه فى حياتهم العملية، ويعبر عن هذه الروح، قوله: (أخاف إن تكلمت، وأخاف إن سكت، وأخاف أن آخذ بين الكلام والسكوت). وقد وثقه العلماء ورووا عنه.

(٦) سيعد بن المسيب (ت٩٥هـ):

وهو سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الفقه والحديث، والزهد والعبادة والورع، وهو المشار إليه، والمنصوص عليه، وكان أعلم الناس بحديث أبى هريرة، وبقضايا عمر.

لقى جماعة من الصحابة، ورى عنهم كعلى، وعثمان، وسعد، وابن عمر، وأبى هريرة.

قال مكحول: طفت الأرض كلها فى طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المُسيب.

(٧) الحسن البصرى (ت١١٠هـ):

وهو أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن البصرى، واسم أبى الحسن يسار من سبى ميسان - وهى بلدة بفارس قديمًا، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، وقدم البصرة بعد مقتل عثمان، ورأى عثمان، وقيل: إنه لقى عليًّا بالمدينة، وأما بالبصرة فإن رؤيته لم تصح، لأنه كان فى وادى القرى متجهًا نحو البصرة حين قدم على بن أبى طالب البصرة، لقى طلحة وعائشة، ولم يصح له منهما سماع وهو إمام وقته فى كل فن وعلم، وزهد، وورع، وعبادة، وكان مبرزًا مقدمًا حتى بين صحابة النبى ﷺ.

(٨) مكحول الشامى (ت١١٣هـ)، وقيل: (١١٦هـ):

هو أبو عبد الله، مكحول بن عبد الله الشامى، من سبى كابل.

قال ابن عائشة: (كان مولى لامرأة من قيس، وكان سنديًّا لا يفصح، قال الواقدى:

كان مولى لامرأة من هذيل، وقيل: هو مولى سعيد بن العاص وقيل: مولى لبنى ليث، وكان معلم الأوزاعى سعيد بن عبد العزيز.

قال الزهرى: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبى بالكوفة، والحسن البصرى بالبصرة، ومكحول بالشام، ولم يكن فى زمان مكحول أبصر بالفتيا منه، وكان لا يفتى حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا رأى والرأى يخطئ ويصيب.

سمع أنس بن مالك وواثلة بن الأسقع، وأبا هند الدارى وغيرهم، روى عنه الزهرى وحميد الطويل، والأوزاعى، ويحيى الغسانى وابن جريج وربيعة الرأى وعطاء الخراسانى.

**(٩) مسروق بن الأجدع:**

وهو تلميذ لابن مسعود رضى الله عنه، سمى (مسروقًا) لأنه سُرِق وهو صغير ثم وجد، وسماه عمر (مسروق بن عبد الرحمن).

وقال فيه ابن معين: ثقة لا يُسأل عن مثله.

**(١٠) قتادة بن دعامة السدوسى (ت١١٧هـ):**

وقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، وقال عنه سعيد بن المسيب: ما جاءنى عراقى أفضل من قتادة. وقال أبو بكر المزنى: ما رأيت أحفظ منه.

وقال أحمد بن حنبل: هو أحفظ أهل البصرة، ولا يسمع شيئًا إلا حفظه، وقرأ عليه صحيفة جابر مرة واحدة، فحفظها وكان من العلماء.

ومما يدل على شغفه بالعلم قوله: لو كان يكتفى من العلم بشىء لاكتفى موسى عليه السلام بما عنده، ولكنه طلب الزيادة[1].

**(١١) محمد بن كعب القُرظى (ت٢٦٠هـ):**

وهو أبو حمزة صاحب روايات كثيرة عن جماعة من الصحابة، وكان عالمًا بتفسير القرآن، صالحًا عابدًا، وله قواعد عدة فى تفسير القرآن، هدم المسجد عليه وهو يعظ الناس ويذكرهم.

(١) البداية والنهاية (٩/ ٣١٥) لابن كثير.

**(١٢) زيد بن أسلم:**

وهو مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وكانت له حلقة للفتوى والعلم بالمدينة، وروى عن عبد الله بن عمر وسلمة بن الأكوع، وأنس بن مالك وأضرابهم، وله تفسير القرآن يرويه عنه ابنه عبد الرحمن وهو محل ضعف، وتكذيب من المحدثين - أى ولده عبد الرحمن - فقال عنه الذهبى: واهٍ. وقال البيهقى: ضعيف.

وقال ابن تيمية عنه: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه[1].

وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار، وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك فى روايته من رفع المراسيل، وإسناد الموقوف، فاستحق الترك.

وقال الحاكم: وأبو نعيم، روى عن أبيه أحاديث موضوعة.

وهو ما يعنى أن زيد بن أسلم قد ألصق به كذبًا عدة روايات إسرائيلية أو موضوعة.

**(١٣) الضحاك بن مزاحم الهلالى (ت١٠٣هـ):**

وهو أبو القاسم، ويقال: أبو محمد، الخراسانى، تابعى جليل غير أنه لم يصح له سماعٌ من الصحابة ولا من ابن عباس، وإن كان قد رُوِىَ عنه أنه جاوره سبع سنين، وكان إمامًا فى التفسير. قال الثورى: خذوا التفسير عن أربعة: مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك.

وقال أحمد: مأمون، وقال ابن معين وأبو زرعة: هو ثقة.

وضعفه يحيى بن سعيد القطان، وذكره ابن حبان فى الثقات وقال: لم يشافه أحدًا من الصحابة ومن قال إنه لقى ابن عباس فقد وهم[2].

وبعد طبقة التابعين ألفت تفاسير تجمع بين أقوالهم وأقوال الصحابة، كتفسير سفيان ابن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وابن راهويه، والطبرى.

إلا أن معظم هذه التفاسير المدونة لم تصلنا كاملة، ولذلك فستتجاوز هذه التفاسير إلى الكلام عن اتجاهات عامة فى تفسير القرآن ما وصلت إلينا.

---

(١) ابن تيمية: القاعدة الجليلة فى التوسل والوسيلة.

(٢) البداية والنهاية (٩/ ٢٢٦) لابن كثير.

## (ز) اتجاهات مختلفة فى تفسير القرآن الكريم:

### (١) التفسير بالمأثور:

انقسم الناس بعد عصر التابعين إلى قسمين :

**الأول:** أهل الحديث الذين اتبعوا منهج السلف ، فأقلّوا من الرأى والاجتهاد والقياس العقلى .

**والثانى:** أهل الرأى الذين يتصفون بالجرأة فى إعمال العقل ، والإكثار من الرأى والقياس .

وقد كانت هذه هى السمة الغالبة فى كافة العلوم الإسلامية ، ومنها التفسير ، الذى انقسم أهله إلى أصحاب اتجاه التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأى ، وكما يدل اسم التفسير بالمأثور على معناه واتجاهه فإن أهله قد اقتصروا فى تفسيرهم على جمع تفسير القرآن من القرآن ، أو السنة ، أو أقوال الصحابة ، أو أقوال التابعين مقابل التفسير بالرأى الذى اعتمد أصحابه بصورة أساسية على النظر العقلى فى آيات القرآن وألفاظه .

فأصحاب التفسير بالمأثور هم الذين اتجهوا إلى جمع المرويات التفسيرية عن السلف وضيقوا دائرة الرأى وكرهوا كثرة تفريع المسائل ، وتوليد الأفكار ، وكثرة الاستنباط العقلى من الآيات ، وعلى ذلك فإننا نستطيع وصفهم بأنهم أصحاب اتجاه (محافظ) بالنسبة لأصحاب اتجاه التفسير بالرأى الذين رأوا أن آيات القرآن نزلت ليفهمها الناس ويستنبطوا منها بعقولهم كل ما تنتهى بهم عقولهم إلى صوابه ما داموا مستوفين لشروط التفسير من علم باللغة ، وأسباب النزول ، وأساليب العرب فى التعبير البليغ ، وما يتطلبه تفسير القرآن من شروط ـ سبق وأن وضحناها ـ .

إلا أن ما ينبغى أن نوضحه هو أن كل مفسر بالرأى هو مفسر بالمأثور وليس العكس بمعنى أن المفسر بالرأى لا بد أن يأخذ فى تفسيره بشىء مما يعتمد على الرواية ، والمأثور مثل إخبار الصحابى بسبب النزول ، وقوله هو والتابعى فى بعض الآيات ، كما أن عليه الاستشهاد بما يفسر الآية من قرآن أو سنة ، ومعنى هذا أن التفسير بالمأثور له الغلبة على ما سواه من التفاسير ، حتى سماه ابن كثير : **أحسن طرق التفسير** فقال : فإن قال قائلٌ : فما أحسنُ طُرِق التفسير؟

(**فالجواب**): إن أصحَّ الطرق فى ذلك أن يُفَسَّرَ القرآن بالقرآن ، فما أُجِملَ فى مكان فإنه قد بُسَطَ فى موضعٍ آخرَ ، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن

وموضحة له، بل قد قال الإمامُ أبو عبد الله محمدُ بن إدريسَ الشافعى رحمه الله تعالى: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فَهِمَهُ من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤)، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «ألا إنى أوتيتُ القرآن ومثله معه»[1]. يعنى السُّنّة والسنة أيضًا تُنزَّلُ عليه ﷺ بالوحى كما ينزل القرآن إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.

والغرضُ أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «بِمَ تحكم؟» قال: بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم تجد؟» قال أجتهد برأيى. قال: فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله»[2] وهذا الحديث فى المسند والسنن بإسناد جيد، كما هو مقررٌ فى موضعه، وحينئذ إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السُّنّة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لِما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختُصُّوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين المهديين وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم - وسيأتى ذكرهم قريبًا. فإذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة، ولا وجدناه عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جبر، وعكرمة، وعطاء، وغيرهم.

وأما قول شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين فى الفروع ليست حُجَّة فكيف تكون حجة فى التفسير. يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشىء فلا يُرتاب فى كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم، ويُرجَعُ فى ذلك إلى لغة القرآن أو السنة، أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة فى ذلك[3].

---

(١) حسن: الترمذى (٢٦٦٤) فى الإيمان.

(٢) صحيح: الترمذى (١٣٢٦) فى الأحكام، وضعفه الألبانى.

(٣) ابن كثير (١/ ١٦، ١٧، ١٩) فى التفسير.

إن أصحاب التفسير بالمأثور إذن هم أهل التفسير بالمنقول سواء صحّ أم لم يصح، وتواتر أم لم يتواتر ذلك أنهم وجدوا حرجًا وكراهية لإعمال العقل والرأى فى التفسير حتى لا يدخل ذلك فى باب القول على الله تعالى بغير علم. وعلى الرغم من الجهود الضخمة التى قام بها أصحاب التفسير بالمأثور فجمعوا الروايات، وأفصحوا عن معانى الآيات، وساهموا بشكل فعال فى تكوين شخصية عقدية سليمة إلا أن كتبهم غلب عليها فى كثير من الأحوال سمة الضعف حين حشوها بالضعاف والموضوعات والإسرائيليات.

وهذا يعود لأسباب عدة أهمها:

(١) أنهم تساهلوا فى الرواية ولم يتشددوا كما فعل أهل الحديث.

(٢) أن كثيرًا منهم نقل أقوال الصحابة وآراءهم بغير إسناد، ومن غير تثبت أو تحرٍ عن رواتها مما جعل الحابل يختلط بالنابل، والصحيح بالضعيف، ثم جاء من بعدهم فنقلوا عنهم بتلقائية وحسن ظن ثم تلقف المستمع ما قيل وما كتب فصار عنده أصلاً لا يقبل التشكيك، وربما صحت الرواية فى بعض الأحوال، إلا أن الاحتمالية قانون تجريبى لا يصلح فى العلوم الشرعية.

وقد رأى الإمام أحمد بن حنبل هذه الكارثة بعينيه رأى العين، ويبدو أنه أحس بثقل المهمة فصاح: (ثلاثة علوم لا أصل لها: التفسير، والتاريخ، المغازى) نظرًا لانقطاع السند.

(٣) أضف إلى ذلك أسبابًا أخرى ذكرناها عند ذكرنا لأسباب وضع الحديث.

● **المحدثون فى معترك التفسير بالمأثور:**

ولأن كثيرًا من المحدثين قد أفرد فى كتبه بابًا أو كتابًا أو فصلاً للتفسير فقد دخل المحدثون معترك التفسير بالمأثور، وأدلوا فيه بدلوهم، وكان من الطبيعى أن يتشددوا فى قبول كثير من الروايات فوضعوا القيود لقبول الأثر الموقوف على الصحابى حين اعتبروه فى حكم الحديث المرفوع، أى المنسوب إلى النبى ﷺ ولكن على شرطين:

**الأول: أن يكون مما لا مجال للرأى فيه:**

ومثال ذلك ما رواه ابن المبارك عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: «ما منكم من أحدٍ إلا سيخلو الله به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرّك بى؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ يا ابن آدم ألم

أكن رقيبًا على عينك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك؟ ألم أكن رقيبًا على أذنيك. . » الحديث[١].

ومثل هذا الحديث السابق لا مجال للرأى فيه، ولا يصح أن يقوله عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إلا عن سماع من النبى ﷺ، كما صحّ سنده فقُبل فى التفسير وغيره على شرط المحدثين.

ومثله أيضًا ما رواه البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إذ قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقى فى النار: حسبى الله ونعم الوكيل[٢].

**الثانى: أن لا يكون الراوى ممن عُرِف عنه الإكثار من رواية الإسرئيليات، أو ممن أسلم من أهل الكتاب:**

إلا أن هذا الشرط عمل به المحدثون حين رووا عن التابعين لا عن الصحابة، فقد روى مسلم خبر (الجسَّاسة) عن تميم الدارى، وروى البخارى وغيره عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه.

وهنا نستطيع أن نقول إننا قد وصلنا إلى نتيجة محددة ألا وهى:

(براءة الصحابة جميعًا من تهمة رواية الإسرائيليات): حتى الذين كانوا على دين اليهودية أو النصرانية قبل الإسلام، فإن ابن عباس، وابن سلام، وتميم الدارى، وأبى هريرة لو كانو رواة إسرائيليات كما زعم بعضهم لأعرض عنهم كثيرٌ من المحدثين، وتشككوا فى رواياتهم خاصة أن أهل الحديث خاصة أهل الجرح والتعديل كانوا سيوفًا بتّارة لا تقبل التساهل، بل لم يكن يخفى عليهم حال أحدٍ من هؤلاء وما هو أشد أن للحديث عللاً قيّض الله لها رجالاً كانوا يعرفونها، ويتحدثون فيها كأنه السكين يسير في جبن طرى، حتى قال أحدهم: رأيت البخارى يتحدث في علل الحديث كأنه يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١).

**إذن فما القول فيما هو منسوب إلى الصحابة من أخبار نقلوها عن أهل الكتاب؟**

إنها أخبار كذب، أو منقطعة السند، وإن كانت أسانيدها صحيحة، ورواها الصحابة، وهو احتمال ضعيف للغاية يشبه احتمال عودة الميت للحياة قبل يوم القيامة،

(١) صحيح: ابن المبارك (٣٨) فى الزهد والرقائق وسنده صحيح وفيه شريك بن عبد الله وهو ثقة.

(٢) صحيح: البخارى (٤٥٦٤) فى التفسير ـ باب (١٣).

فما علينا إلا رد هذا الخبر فالكل يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم ﷺ .

وقد أشار العلامة أبو شهبة[١] إلى نقطة هامة فى هذا المضمار حيث قال :

**• بعض الإسرائيليات قد يصح السند إليها:**

ولعل قائلاً يقول : أما ما ذكرت من احتمال أن تكون هذه الروايات الإسرائيلية مختلقة ، موضوعة على بعض الصحابة والتابعين فهو إنما يتجه فى الروايات التى فى سندها ضعيف أو مجهول ، أو وضاع ، أو متهم بالكذب ، أو سيئ الحفظ ، يخلط بين الروايات ولا يميز ، أو نحو ذلك ، ولكن بعض هذه الروايات حكم عليها بعض الحفاظ الحديث بأنها صحيحة السند . . . فماذا تقول فيها؟ !

**والجواب:** أنه لا منافاة بين كونها صحيحة السند أو حسنة السند أو ثابتة السند ، وبين كونها من الإسرائيليات المروية عن بنى إسرائيل وخرافاتهم ، وأكاذيبهم فهى صحيحة السند إلى من رواها ولكنها ليست متلقاة عن النبى ﷺ ، لا بالذات ولا بالواسطة ، ولكنها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا فثبوتها إلى من رويت عنه شىء ، وكونها مكذوبة فى نفسها أو باطلة ، أو خرافة شىء آخر .

**قلت:** وصحة سندها نادر الوجود ندرة الذيل فى ظهر الإنسان ، إلا إذا زوّر بعضهم رواية من الروايات أو دلّس ، ومحال أن تمر الروايات المكذوبة من بين يدى المحدث إلا إذا كان سيئ الحفظ ، أو عابداً ، أو ممن غلب عليهم الزهد ، ثم إن سداً منيعًا من رجال الجرح والتعديل يقفون لها بالمرصاد .

**• أشهر رواة الإسرائيليات عن الصحابة والتابعين فى التفسير بالمأثور:**

ومما هو جدير بالذكر أن كتب التفسير بالمأثور تمتلئ بعدة أسماء كان من الأولى - فى نظرنا - نبذها وترك الرواية عنها نظراً لأن علماء الجرح والتعديل جرحوهم ، وذكروا فيهم مقالاً ، إلا أن المحدث تشدد ، والمفسر والمؤرخ تساهلا ، ثم تصدى للتفسير فى عصور متأخرة بعض اللغويين ، أو المؤرخين ، أو القصاص الذين لا باع لهم فى التفسير ، ولا علم لهم بالرواية والرواة ، ومن أشهر المجروحين فى هذا المضمار .

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات ص٩٦ بتصرف شديد .

**( ١ ) محمد بن السائب الكلبى (ت٢٠٤هـ):**

وحسبك من أوصافه أنه متهم بالكذب، رُمى بالرفض - التشيع - حتى أنه حُرّق حتى مات[١]، وقال ابن حبان: كان الكلبى سبئيًّا[٢] من أولئك الذين يقولون إن عليًّا لم يمت، وإنه راجعٌ إلى الدنيا، ويملؤها عدلاً كما ملئت جورًا، وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها[٣].

وحتى الطبرى الذى روى عنه كثيرًا قال معقبًا على خبرٍ رواه عنه: (إنه ليس من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله)[٤].

وقال عنه الإمام أحمد: (إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه).

وقال الدارقطنى: (متروك الحديث).

وبالجملة فهو كذاب، متروك، رافضى، خبيث، ومع ذلك روى عنه أهل التفسير بالمأثور كثيرًا دون تحقيق أو تعليق فى معظم الأحوال، ومن هنا كانت الكارثة.

**( ٢ ) ابن جريج المكى (ت١٥٠هـ):**

وهو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومى المكى، إمام الحجاز، الذى قيل عنه إنه (كان أول من ألّف الكتب بالحجاز)، وقيل: (أول من صنف الكتب فى الإسلام).

وقد ذكر المستشرق (بروكلمان) أنه له كتابًا سماه (فى الآثار وحروف التفسير) وجمع فيه روايات عن أصحاب ابن عباس[٥].

ورغم أن (ابن جريج) كان ثقة فى نفسه، حافظًا، إلا أن للعلماء فيه مقالاً:

فقد قال الإمام مالك بن أنس: (كان ابن جُريج حاطب ليلٍ).

وقال يزيد بن زريع: (كان ابن جريج صاحب غثاء).

---

(١) التقريب ص٤٧٩، التاريخ الكبير (١/ ١٠١) للبخارى.

(٢) نسبة إلى عبد الله بن سبأ - اليهودى ابن السوداء الزاعم أنه أسلم وما فعل ولكنه أراد إيقاع الفتنة وقد فعلها وجمع حوله فرقة للصد عن سبيل الله حتى قتلوا عثمان رضى الله عنه، وتسببوا فى حرب على ومعاوية رضى الله عنهما.

(٣) السير (١٠/ ١٠١ - ١٠٢).

(٤) الطبرى (١/ ٧٦).

(٥) تاريخ الأدب العربى (٣/ ٣٥١ - ٣٥٢) لبروكلمان.

ووثقه الذهبى فقال: كان من بحور العلم.

وتوسط فيه الإمام أحمد، فقال: (إذا قال ابن جريج: قال فلان، وقال فلان، وأُخبرتُ جاء بمناكير، وإذا قال: أخبرنى، وسمعت فحسبك به).

إلا أن ما يهمنا كثيراً فى هذا البحث أن ابن جريج لم يلق ابن عباس، ولم يسمع منه، ولا ثبت ذلك بطريق من الطرق، وكان الأحرى به الابتعاد عن الروايات الضعيفة، والموضوعة التى دسها فى كتب التفسير ولو بحسن نية حتى لا يساهم فى نشر الإسرائيليات والموضوعات، أو ضعاف الأحاديث عن الصحابة الكرام رضى الله عنهم.

**(٣) السُّدى الصغير:**

وهو أبو عبد الرحمن محمد بن مروان الكوفى، وهو متروك الحديث. قال عنه ابن حبان: لا يحل كَتْبُ الحديث عنه - إلا اعتباراً - ولا يحل الاحتجاج به بحالٍ[1].

وهو أحد أفراد سلسلة الكذب، بل طريقه عن الكلبى عن ابن عباس هى أوهى الطرق وهى الأكذب فى سلاسل الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما كما ذكر السيوطى: (إن أوهى الطرق عن ابن عباس فى التفسير هى طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس، فإذا انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السُّدى الصغير فهى سلسلة الكذب)[2].

وقال الذهبى: (أما السُّدى الصغير، فهو محمد بن مروان الكوفى، أحد المتروكين، كان فى زمن وكيع)[3].

ومعنى هذا أن كثيراً من التفاسير المنسوبة إلى ابن عباس ما هى إلا أكاذيب وأباطيل مفتراة ما أنزل الله بها من سلطان.

**(٤) مقاتل بن سليمان البلخى (ت١٥٥هـ):**

قال الشافعى: مقاتل قاتله الله.

وقال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة.

وقال أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهمٌ معطل، ومقاتل مشبه.

---

(١) الضعفاء والمتروكين (٣/ ٩٨) لابن الجوزى، وتهذيب الكمال (٢٦/ ٣٩٢) للمزى.

(٢) الإتقان (٢/ ٢٢٢) للسيوطى.

(٣) السير (٥/ ٢٦٥) للذهبى.

وقال أبو حاتم: مقاتل بن سليمان كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذى يوافق كتبهم، وكان مشبهًا يشبه الرب بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك فى الحديث[1].

وهذا بيت القصيد، فلقد عثرنا على واحد من أهم الكذابين والوضاعين الذين افتروا على الله ورسوله ﷺ كذبًا وبهتانًا، وألصقوا بالصحابة روايات باطلة ومكذوبة، ومع ذلك لم يتورع بعض أهل التفسير من النقل عنهم.

(٥) السُّدى الكبير (ت١٢٧هـ):

وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة الكوفى الأعور، وهو صدوق فى نفسه، ولكنه خاب وخسر حين جمع القرآن، وكان سبب ذلك خلطه للروايات، حتى ذُكر أمام الشعبى يومًا أن إسماعيل السدى قد أعطى حظًا من علم. فقال: إن إسماعيل قد أعطى حظًا من الجهل بالقرآن.

وقد وثقه أحمد بن حنبل، إلا أن الجمهور على تضعيفه لخلطه روايات الثقات بالضعفاء، ولأنه روى عن الصحابة دون أن يراهم، فإنه ما رأى إلا أنس بن مالك رضى الله عنه، وكثيرًا ما يخلط بينه، وبين السُّدى الصغير.

ويضاف إلى هؤلاء:

(٦) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد سبق حاله.

(٧) وجويبر الذى لم يلق ابن عباس وروى عنه. وروى عن الضحاك الذى لم يلق ابن عباس أيضًا.

(٨) وعطاء بن دينار وقد سكن مصر وروى عن عبد الله بن لهيعة المصرى وهو ضعيف.

وبذلك ظهرت معالم كثيرة توضح الرؤيا بالنسبة لرواية الإسرائيليات عن الصحابة، فالعلة لم تكن فى الصحابى إذن، بل هى فى التابعى المجروح الذى روى عنه، أو من خلف التابعين من طبقات لهم ميول مذهبية وعصبيات سياسية وغيرها من الأسباب التى دعت هؤلاء إلى الكذب والتقول على الصحابة وإلصاق الروايات بهم.

---

(١) السير (٦/ ٣٢٨) للذهبى.

## ● أهم كتب التفسير بالمأثور:

**(١) جامع البيان فى تأويل القرآن. لابن جرير الطبرى (ت٣١٠هـ):**

وهذا أول مطبوع يمثل أقدم ما وصل إلينا من التفاسير، غير أن كتبًا أخرى سبقته، كتفسير ابن جريج، وتفسير يحيى بن سلام التميمى البصرى الأفريقى (ت٢٠٠هـ) وقد طبع هذا التفسير ببلاد المغرب العربى، إلا أننا قيدنا أنفسنا بشرط الحديث عما هو مطبوع وبين أيدينا بالفعل.

والطبرى يُعرف فى كتب التاريخ بأنه: المؤرخ، المحدث، المفسر، الفقيه، فهو رجلٌ ملحمة، كان إمامًا رائدًا فى هذه العلوم الكبيرة.

ورغم ضخامة تفسيره إلا أنه كان يعتزم أن يخرجه فى عشرة أمثال ما وصلنا، حتى قال العلامة شاكر رحمه الله: (رحم الله أبا جعفر: فإنه كما قال: كان قد حدث نفسه بهذا التفسير وهو صبى، واستخار الله فى عمله، وسأله العون على ما نواه، ثلاث سنين قبل أن يعمله، فأعانه الله سبحانه وتعالى، ثم لما أراد أن يملى تفسيره قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ فقال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه! فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة)[١].

وقد أثنى العلماء على ابن جرير وتفسيره كثيراً:

فقال ابن خزيمة: قد نظرت فى تفسير الطبرى من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير[٢].

وقال الإسفراييني: (لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيراً)[٣].

وقال الذهبى: (كان ثقة صادقًا، حافظًا رأسًا فى التفسير، إمامًا فى الفقه والإجماع، والاختلاف، علاّمة فى التاريخ وأيام الناس عارفًا بالقراءات واللغة وغير ذلك)[٤].

وقد كان تفسيره متسمًا ببعض السمات المنهجية ومنها:

(١) تفسير القرآن بالقرآن، حيث تأتى الآية تفسر الأخرى، أو تخصصها أو تُفصلها.

---

(١) مقدمة المحقق من تفسير الطبرى ص١٧ ـ من الجزء الأول.

(٢) مقدمة تاريخ الطبرى ص٤ .

(٣) شذرات الذهب (٢/ ٢٦٠) لابن العماد الحنبلى.

(٤) السير (١٤/ ٢٧١).

(٢) التفسير بالسنة والمأثور وقد ظهرت عدة ملامح أخرى هنا وهى :

(أ) دقة الإسناد فقد ذكر الرواة بأمانة دون تدليس أو حذف للأسانيد .

(ب) استغلال معارفه اللغوية حيث ردّ المعانى إلى أصولها .

(جـ) الاستشهاد بالحديث النبوى ، الصحيح منه والسقيم .

(د) الاستشهاد بالشعر .

(هـ) تسجيل القراءات .

(و) الاهتمام بالإعراب .

(ز) مناقشة القضايا والآراء الفقهية .

غير أن للعلماء بعض المآخذ على تفسيره ومنها :

(أ) كثرة الروايات الواهية ، والضعيفة ، والمكذوبة ، والمنكرة ، والموضوعة .

(ب) كثرة الروايات الإسرائيلية ، والتى توصف بأنها خرافات وأوهام دون تعقيب أو تمحيص ، ولا أدرى لماذا لم يعقب مع أنه محدث عالم بالرجال؟

هل ترك المهمة لغيره ، مخافة الإطالة؟

أم كان يكتب ليقرأ الناس ثم يسألونه فيوضح لهم ، ليجبرهم على حضور حلقات العلم؟

أم أنه أحسن الظن بمن روى عنهم؟

إنه فى كل الأحوال مدان بنقل الإسرائيليات والموضوعات خاصة أن منها ما قدح فى عصمة الأنبياء حين روى قصة زواج النبى ﷺ بـ (زينب بنت جحش) على طريقة الوضاعين والكذابين ، ونقل ما لا يصح وصف الأنبياء به مما نقل عن مسلمة أهل الكتاب أو ألصق بهم كذبًا وزورًا .

إن الرجل - يرحمه الله - ما كان أغناه عن ترديد الإسرائيليات ، وما ضره لو استبدل كثيرًا من الأباطيل التى نقلها بقليلٍ من الحقائق أو التمحيص الذى سها عنه .

ومع ذلك يبقى تفسيره رائعًا بحق ، ولا أجدنى هنا إلا مكررًا لكلمة يحيى بن معين المحدث الثقة الثبت المتقن يوم قال : (إنا نطعن فى رجالٍ قد يكونوا حطُّوا رحالهم فى الجنة) .

**(٢) بحر العلوم لأبى الليث السمرقندى (ت٣٧٣هـ):**

وهو كتاب مملوء بالإسرائيليات والموضوعات.

**(٣) معالم التنزيل لأبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى (ت٥١٠هـ):**

وهو محدث مفسر، جمع بين دفتى كتابه الصحيح والضعيف، وتفسيره شبيه بتفسير الطبرى حيث فسر القرآن على طريقة التفسير بالمأثور، أقلّ فيه من نقل الإسرائيليات، كما حذف عدة أسانيد بل معظم الأسانيد، قال ابن تيمية عن تفسيره: (والبغوى تفسيره مختصر من الثعلبى لكن صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة)[١].

والأحرى أن يقال: (أقل فى تفسيره من الأحاديث الموضوعة) إذا جاءت عدة موضوعات فيه أقل من غيره.

والعجيب أن البغوى محدث من طراز ممتاز، لكنه حين كتب فى التفسير تساهل كغيره من أهل التفسير، ونقل دون تمحيص أو نقد فى معظم الأحوال، وهذه هى الآفة.

**(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبى إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى (ت٤٢٧هـ):**

وهو كتاب رجحت فيه كفة التفسير بالمأثور عن غيرها من الاتجاهات.

قال الشيخ الذهبى: ذكر فى أول الكتاب: أسانيده إلى من يروى عنهم التفسير من علماء السلف، واكتفى بذلك عن ذكرها أثناء الكتاب، كما ذكر أسانيده إلى مصنفات أهل عصره، وكتب الغريب، والمشكل والقراءات[٢].

ثم عاد ليقول: ويظهر لنا أن الثعلبى كان رجلاً قليل البضاعة فى الحديث، وليس له بعلله معرفة ولا دراية، وإلا ما كان ينسب إلى رسول الله ﷺ بعض ما يرويه من الإسرائيليات وما شاكلها من الموضوعات التى صرّح العلماء بوضعها، والتى لو عرضت على قواعد القوم فى نقد الرواية لظهر زيفها وفسادها، وفى تفسير الثعلبى مُثُلٌ كثيرة على إسرافه، وتساهله فى روايات الإسرائيليات التى يحيلها العقل، ويكذبها الشرع[٣].

وقد سبق شيخ الإسلام إلى نقده فقال: (والثعلبى هو فى نفسه كان فيه خيرٌ ودين،

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص٣٢ ـ لابن تيمية.

(٢) التفسير والمفسرون (١/ ٢٢٩).

(٣) الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص٢٥ .

وكان حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح، وضعيف، وموضوع)[١].

والعجب أن كثيرًا من العلماء كانوا لا يتورعون من نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ كما فعل الثعلبى، والغزالى، والبغوى، وما أدرى لأى سبب حدث هذا الخلل؟!

إنها ظاهرة جديرة بالدراسة، فما زلنا نحيا هذه المأساة حتى هذه اللحظة التى كتب فيها البحث، ترى عمائم مكورة، وطيالس مجورة، وأصوات جهورية، وعلماء تهتز من تحتهم المنابر يشهد لهم بالعلم، ثم إذا به ينسب الحديث إلى رسول الله ﷺ رغم أنه (موضوع). والأحرى التثبت والتحرى، خاصة بعد هذه الطفرة التى حدثت بحدوث الصحوة الإسلامية، واهتمام الناشرين بتحقيق الكتب وتخريج الأحاديث، إلا أنه ما زال للبعض هواه الذى يجاريه.. فاللهم غفرًا.

**(٥) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسى (ت٤٥٦هـ):**

وقد سبق الحديث عنه.

**(٦) زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى (ت٥٩٧هـ):**

قال الذهبى عنه: (.. وله فى كل علم مشاركة لكنه كان فى التفسير من الأعيان، وفى الحديث من الحفاظ، وفى التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظى فله فيه ملكة قوية)[٢].

وهو يذكر أقوال السلف بحذف الأسانيد، ويرتبها ترتيبًا جيدًا، غير أنه وقع فى فخ النقل عن المتروكين، والضعفاء، والوضاعين، كما لم يتورع عن نقل عدد من الإسرائيليات والموضوعات.

**(٧) تفسير القرآن العظيم لعماد الدين بن كثير الدمشقى (ت٧٧٤هـ):**

وتعود أهمية تفسيره إلى عدة أسباب، منها:

(أ) تأخر الفترة التى كتب فيها تفسيره، فقد عاش ومات خلال القرن الثامن الهجرى مما أعطاه كثرة فى المصادر وتنوعًا بينها، فقد حصل على ما يقرب من ثلاثين تفسيرًا أو يزيد، كما وقع تحت يديه ما يربو على السبعين كتابًا من كتب السُّنة، فأعطاه ذلك ثراءً واسعًا دون تخمة أو تضخم معلوماتى يفضى بقارئه إلى الملل.

(ب) وتبرز الأهمية الثانية فى كون ابن كثير أحد المحدثين الحافظين، فقد أعطاه ذلك

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص٣١.

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٤٧) للذهبى.

قدرة على ذكر طرق متعددة للرواية الواحدة بأسانيدها دون حذف أو اختصار للسند.

(جـ) وأثناء عرضه للرواية كان يوضح سقيمها من صحيحها.

(د) إلا أنه روى عدة إسرائيليات، غير أنه كان يشير إلى ضعفها، ويحذر منها تحذيراً شديداً إلا فى بعض المواطن التى غفل عن التنبيه أو التحقيق، وقد كان لتفسيره أكبر الأثر فى معرفة الإسرائيليات ونقدها، بل إنى لأزعم أن جميع من كتب فى نقد الإسرائيليات عيال على ابن كثير - رحمه الله - الذى تتلمذ على يد علماء كان كلٌ منهم وحده مدرسة تسير على الأرض كالحافظ المزى، وابن تيمية، وابن الزملكانى، كما أن شخصية ابن كثير نفسه كانت تتميز بالشدة على أهل البدع والخرافات حيث أعلن عداءه لهم صراحة، وكشف عن كراهيته الكاملة لهم.

ويبقى أن توفيق الله تعالى لابن كثير كان كثيراً، فقد كان قوى الحاسة التفسيرية، قوى الحفظ، تمتع بفن الموهبة التى أفاض الله تعالى عليه منها الكثير والكثير حتى صار كتابه عمدة فى التفسير لا تخلو منه مكتبة إسلامية لمجتهد أو مقتصد فى العلم، فبه بدأ الناس يقرءون التفسير، وبه توسطوا، وبه انتهوا.

**(٨) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ):**

وكان السيوطى رحمه الله واسع المعرفة، كثير التأليف فى فنون الشريعة وعلومها، كتب فى أسباب النزول، وفى علوم القرآن، وفى التفسير، ولا زالت كتبه مصدراً هامًّا لكل دارس وباحث فى علوم القرآن، وقد جاء تفسيره (الدُّر المنثور) تفسيراً بالمأثور (فقط) فلم يذكر آراء فقهية أو لغوية وإنما ذكر الروايات التفسيرية فقط.

إلا أنه أسرف فى ذكر الإسرائيليات والموضوعات حتى جاء كتابه طبعة عربية من التوراة، وصحيفة تمتلئ بالموضوعات على ما فيه من الصحيح، وقد كان الرجل يكتب الحديث والإسناد على طريقة (والعهدة على الراوى) فلم يبين صحيح الحديث من سقيمه، أو درجته عمومًا، فكثر البلاء فى كتابه، وستجد أننا قد اعتمدنا على تفسيره كثيراً فى إبراز الإسرائيليات وتوضحيها خاصة فى المجال القصصى للأنبياء وللأمم الغابرة عمومًا، ولو أحسن لأسماه (الجامع للإسرائيليات).

وتالله ما عبنا فى الرجل قدر ما رأينا العيب فى كتابه الذى تسبب فى عدة مشكلات، فالسند يحتاج إليه المتخصص أو العالم به فيعرف الصحيح من السقيم، أما الجاهل به فإنه يظن فى أحوال عدة أنه طالما ذكر الإسناد فالحديث صحيح، حتى قال أحد العوام:

ومن أنتم لتعدلوا على السيوطى؟

والغريب أن السيوطى كان على علم كامل وتام بسلاسل الكذب، والضعفاء، فكيف فاته الحكم على الحديث؟

ونحن لا نشك فى السيوطى أو غيره، وإنما لا ندرى هل كان فى تصور الرجل أن يمحص الروايات فيما بعد كتابتها؟ أم غلبت عليه العبادة آخر زمانه فلم يشأ أن يجرح أحدًا وترك المهمة لغيره؟ وفى كل الأحوال الرجل مدان كغيره فى نقل الإسرائيليات، وقد زادت المأساة حينما طبع بهامش الدر المنثور كتاب التفسير كذبًا إلى ابن عباس، وهو (تنوير المقياس).

● وعلى هذا فإن كثرة الروايات الإسرائيلية والباطلة فى كتب التفسير بالمأثور تعود إلى هذه الأسباب من خلال عرضنا لأشهر وأهم كتب هذا الاتجاه:

(١) سكوت المفسر عن التحقيق، أو التمحيص والتدقيق فى الرواية المذكورة كما فعل الطبرى والسيوطى.

(٢) جهل المفسر بطرق الرواية، وعلم الرجال، وعدم معرفته بعلل الحديث، وبالجملة قلة بضاعته فى الحديث كما فعل الثعلبى.

(٣) الرواية عن المتروكين والضعفاء، والزنادقة، وعدم استقصاء طرق الروايات وهى آفة تخلص منها ابن كثير - رحمه الله -.

(٤) تساهل المفسرين بالمأثور فى النقل عن بعض المجروحين الذين كذبهم أوضعفهم المحدثون.

(٥) أضف إلى هذا وذاك، انشغال المفسر بملأ كتابه، وتحبير تفسيره قبل فوات عمره فتأخرت مرحلة التحقيق عن مرحلة التدوين، وكان الأفضل أن يسيرا سويًّا.

## (٢) التفسير بالرأى:

والرأى هنا المقصود به: الرأى الداخل فى نطاق الشريعة ومقرراتها، المستوفى لشروطه الذى لا يصدر فيه صاحبه عن الهوى، فهو مباحٌ؛ بل مطلوب فى بعض الأحوال أما الرأى المذموم الذى يقول صاحبه برأيه هو الذى لا يتجرد فيه عن ميول وأهواءٍ فإنه رأى مذموم مردود غير مقبول، بل ومنهى عنه.

وقد سبق أن ذكرت أن أهل الرأى فى التفسير لا يمثلون مدرسة قدر ما يمثلون اتجاهًا

يغلب الرأى على المأثور حيث كل مفسر بالرأى لا بد أن يكون على علم بأسباب النزول، والسنة، واللغة، والفقه وهى أمور لا تعرف إلا بالسنة، وهكذا عاش اتجاه التفسير بالمأثور جنبًا إلى جنب مع اتجاه التفسير بالرأى، حيث عبر كل اتجاه عن نمط للتفكير يختلف قليلاً عن الآخر.

فأهل التفسير بالمأثور يميلون إلى (المحافظة أو الاتباع).

وأهل التفسير بالرأى يميلون إلى (الرغبة فى الابتكار، والثقة فى قدرة العقل على أن ينفرد بنظر صحيح وجديد).

● **رأى الصحابة والتابعين فى التفسير بالرأى:**

إن القاعدة التى رأينها لا تخالف فى معظم كتب التفسير أنه (ما من مفسر إلا وقد أخذ بشىء من الرواية وشىء من النظر العقلى الخاص إن لم يكن فى تقديمه لتفاسير جديدة من نتاج نظرته الخاصة وتأمله فهو فى اختياره لما يرويه من روايات، أو توثيقه لصحة نسبتها وتوجيهه لصحة تأويلها، وهذا كله نوع من الجهد والرأى.

وإنما ذمّ الصحابة والتابعون القول برأيهم بغير علم سابق، أو سماع من النبى ﷺ، وقد وردت عدة آثار فى ذم التفسير بالرأى ومنها:

(١) حديث ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: «من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار»[١].

(٢) وقد روى ابن كثير الحديث السابق موقوفًا على ابن عباس، وكذا رواه ابن أبى شيبة موقوفًا، وإن ضعف بعض العلماء هذا السند إلا أن المعنى يبقى صحيحًا.

(٣) وعن ابن أبى مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها[٢].

(٤) وجاء رجل إلى جُندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن فقال: أحرج عليك إن كنت مسلمًا إلا ما قمت عنى، أو قال: تجالسنى.

(٥) وسأل رجلٌ سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألنى عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شىء، يقصد به عكرمة.

---

(١) حسن بشواهده: الترمذى (٢٩٥٠ ـ ٢٩٥١) فى التفسير ـ باب (١) وله شواهد تحسنه غير أنها ضعاف ورواه ابن أبى شيبة بسند صحيح موقوفًا والأصح وقفه.

(٢) صحيح الإسناد: ابن كثير فى مقدمة تفسيره (١/ ٢٠) وقال: إسناده صحيح.

(٦) وقال عبد الله بن عمر: أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول فى التفسير: منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.

(٧) وروى هشام بن عروة أن أباه لم يتأول آية من كتاب الله قط[1].

ولكن هل تعنى هذه الآثار التوقف عن التفسير بالرأى تمامًا؟

يفسر الترمذى هذا فيقول: إنهم ـ أى السلف ـ شددوا فى هذا فى أن يفسر القرآن بغير علمٍ وأما الذى روى عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنهم فسروا القرآن، فليس الظن بهم أنهم قالوا فى القرآن أو فسروه بغير علمٍ أو من قبل أنفسهم[2].

**فالرأى المذموم** إذن هو: أن يتكلف صاحبه ما لا علم له به، ويسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى فى نفس الأمر لكان قد أخطأ، لأنه لم يأت الأمر من بابه، فكان كمن حكم بين الناس على جهل فهو فى النار وإن وافق حكمه الصواب فى نفس الأمر.

إن الصحابة والتابعين فى الآثار المذكورة آنفًا كانوا يتحرجون من الكلام بغير علم ـ وهو الرأى الذى يفضى بصاحبه إلى التعالم والسقوط فى فخ الموضوعات، والأكاذيب، والأباطيل.

أما إن تكلم بما له به علم لغة وشرعًا فلا حرج عليه، ولهذا جاء التفسير كثيرًا عن طبقات التابعين ومن قبلهم الصحابة لأنهم تكلموا فيما لهم به علم، أما ما ليس لهم به علم فسكتوا عنه خاصة فى مجال المتشابه من الآيات، أو أحرف القرآن المفتتح بها عدة سور كـ﴿الٓمٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿طسٓمٓ﴾ وغيرها.

وقد وضع الزركشى والسيوطى بعض القواعد الأساسية التى ينبغى للمفسر بالرأى السير عليها دون انحرف وهى أربع قواعد:

**الأولى:** النقل عن رسول الله ﷺ مع التحرز عن الضعيف والموضوع.

**الثانية:** الأخذ بقول الصحابى، فقد قيل: إنه فى حكم المرفوع مطلقًا، وخصّه بعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه.

**الثالثة:** الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلا ما يدل عليه الكثير من كلام العرب.

**الرابعة:** الأخذ بما يقتضيه الكلام ويدل عليه قانون الشرع، وهذا النوع الرابع هو ما

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠ ـ ٢١) وقال: آثار صحيحة. وأبوه هو عروة بن الزبير الذى قيل عنه: بحر لا ينزف.

(٢) سنن الترمذى عقب حديث (٢٩٥٢) فى التفسير باب (١).

دعا به النبى ﷺ لابن عباس فى قوله: «اللهم فقهه فى الدين، وعلمه التأويل»[١].

فمن فسّر القرآن برأيه - أى باجتهاد - ملتزمًا الوقوف عند هذه المآخذ معتمدًا عليها فيما يرى من معانى كتاب الله كان تفسيره سائغًا جائزًا خليقًا بأن يسمى التفسير الجائز، أو التفسير المحمود، ومن حاد عن هذه الأصول وفسر القرآن غير معتمد عليها، كان تفسيره ساقطًا مذمومًا مرذولاً، خليقًا بأن يسمى التفسير غير الجائز، أو التفسير المذموم[٢].

**● بعض المآخذ على كتب التفسير بالرأى:**

(١) لقد كانت حسنات التفسير بالرأى فى معظم الأحوال أكثر من سيئاته، فإن أصحابه التفتوا إلى تقصى الآراء الفقهية، واللغوية وغيرها منشغلين عن إيراد الإسرائيليات أو الموضوعات كثيرًا كما فعل أصحاب اتجاه التفسير بالمأثور، على أنهم وقعوا فى فخ (حذف الأسانيد) التى رأوا أنها ستملأ كتبهم وتطيلها فرووا الأسانيد الباطلة أو الموضوعة من غير عمدٍ، وعلى الرغم من كون هذه الموضوعات أقلّ كثيرًا من الواردة فى كتب التفسير بالمأثور، إلا أنها تبقى فى النهاية إسرائيليات وموضوعات يخشى على العوام منها، أو ممن لا دراية لهم بالإسناد ورجاله.

وتزداد الخطورة هنا حينما نجد أن السند محذوف، فتزداد المهمة ثقلاً على الباحث أو الدارس نفسه، وتبقى المشكلة هى هى، وإن كانت بشكل أقل، إنها الإسرائيليات قاتلها الله.

(٢) إن المفسر بالرأى فى أحوال عدة كان على جهل بالرواية والرواة، فتساهل دون قصد، فكثرت الأحاديث الموضوعة المستشهد بها، وإن كان تعرض لنقد بعض الإسرائيليات فى طى حديثه عن قصص الأنبياء والأمم السابقة.

(٣) ثم جاء الإسهاب فى تقصى الآراء، وربما نسى المفسر التفسير واتجه إلى أمر آخر تمامًا، فى محاولة لتبيان كل شىء عن أى شىء، ومن المقطوع به أنه لا ضرر على المسلمين فى دينهم أو دنياهم من خفاء بعض معانى الآيات - خاصة المتشابهة - عليهم، لأنه لا عمل تكليفى أو تشريعى يتوقف على فهمها، لأن مجالها العقيدة وما يتصل بها.

ومما لا شك فيه أن للتفكير، وللرأى، وللاجتهاد بريقه الذى قد يجعل الإنسان

---

(١) حسن: أحمد (١/ ٢٦٦) فى المسند، وفى رواية البخارى (٧٥) فى العلم، ومسلم (٢٤٧٧) فى فضائل الصحابة: (اللهم علمه الكتاب).

(٢) نقلاً عن الشيخ/ سعد أبو عزيز - الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير.

يتمادى فى محاولة استقصاء كل شىء والكشف عن معانيه، ولكن الحقيقة التى يجب الوقوف عندها أن العقل قوة بشرية محدودة لها حدود يجب التوقف عندها، لأن العقل مع عظيم فضيلته إلا أنه لا يزيد فى النهاية عن قدرة من القدرات الكثيرة التى خلقت فى الإنسان، وهو حين ينعم ويمعن النظر فى أمور الحياة والكون من حوله سيدرك فى وضوح عجزه عن إدراك كل شىء، أو الإحاطة بكل الأمور.

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممثلاً لهذا المذهب السلفى الصحيح حين قرأ: ﴿وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ (عبس: ٣١)، فقال: وما الأب؟ فوضع يده على رأسه، ليقول: إن هذا لهو التكلف يا ابن أم عمر، وما عليك ألا تدرى ما الأب؟[١].

ثم إنه الذى قال عنه ابن القيم: (أقر عمر بأنه لم يقض فى الكلالة بشىء، وقد اعترف بأنه لم يفهمها)[٢]، إن ما فهمه عمر هو ما فهمه السلف الصالح أن المطلوب من القرآن علمه، قال الله تعالى: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ (ص: ٢٩)، وهو ما كنا نوده فى كل التفاسير، غير أن الكمال لله وحده.

والنَّقْصُ فى أصل الطبيعة كَامِنٌ ... فبنُو الطَّبِيعة نَقْصُهم لا يُجْحَدُ

## • أهم كتب التفسير بالرأى:

### (١) مفاتيح الغيب للفخر الرازى (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ):

ويسمى بالتفسير الكبير، وهو لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الطبرستانى الشافعى (فخر الدين) وقد كان عقلاً من العقول الكبيرة فى تاريخ الإسلام، وقد جمع بين علوم عصره جميعًا، إلا أن النزعة العقلية قد غلبت عليه فصبغت علمه كله بطابع مميز.

وللرازى مؤلفات فى علم الكلام وأصول الفقه، وإلى جانب ذلك فهو فيلسوف مفكر ذو نظر عقلى مستقل، كما أنه لم يغفل الفقه فى كتاباته.

من أجل هذا فإن الصبغة العقلية الموسوم بها أهل الرأى فى الإسلام تنعكس انعكاسًا واضحًا وظاهرًا فى (مفاتيح الغيب)، بل إنى لأزعم أن هذا التفسير يمثل قمة الاتجاه العقلى بين التفاسير جميعها، وهو ما دعا السيوطى لأن يقول: (وصاحب العلوم العقلية - خصوصًا - الإمام الفخر الرازى - قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها،

(١) سيرة ومناقب عمر ص١٣٩ لابن الجوزى.

(٢) أعلام الموقعين (٢/ ٣٢٦).

وخرج عن شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية.

قال أبو حيان في (البحر المحيط): جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير[(١)].

ولكن... ما نستطيع الجزم به أن المسألة إنما هي في حقيقتها اختلاف أساسي في التكوين العقلي بين الرازي، والسيوطي، وأبي حيان، فالسيوطي: لم تتسع العلوم عنده لتوليد المعاني خاصة أنه كان صاحب نزعة التفسير بالمأثور، بينما كان أبو حيان لغويًّا يعد كتابه أحد مباحث إعراب القرآن، أو القراءات، أما الرازي فإن تكوينه العقلي، ومنهجه الفكري جعلا كتابه يأتي بهذه الصورة.

وقد قال العلامة أبو شهبة ـ رحمه الله ـ:

إن تفسير (مفاتيح الغيب) من أجلّ التفاسير، وإن كان أطال في الاستدلال، وردّ الشّبه إطالة كادت تغطي على كونه كتاب تفسير، ولست مع ابن عطية الذي قال: (فيه كل شيء إلا التفسير) فإنه ـ رحمه الله ـ مع الاستطراد إلى ذكر الأدلة والبراهين، قد وفَّى التفسير حقه، ولولا أن هذا ليس من غرضي في هذا الكتاب، لأقمت على هذا ألف دليل، ومن مميزات هذا التفسير الجليل: أنه يكاد يخلو من الإسرائيليات وإذا ذكر شيئًا فذلك لأجل أن يبطله، وذلك كما صنع في قصة هاروت وماروت، وقصص داود، وسليمان، وغيرهما، كما تعرض بالتزييف لبعض المرويات التي تخل بعصمة النبي ﷺ، وأبطلها كما صنع في قصة الغرانيق، وسنعرض لإبطالها ـ إن شاء الله.

نعم قد ذكر بعض المرويات التي تعتبر من الإسرائيليات، وذلك مثل ما روى في ﴿نٓ﴾ (القلم: ١)، وأنه الحوت الذي على ظهره الأرض، وإن كان ضعفه فيما ضعف من أقوال في هذه الآية، ولكن لم يعول في التضعيف على مخالفتها للعقل، أو ضعفها من جهة النقل، أو كونها من الإسرائيليات، وإنما اعتمد على وجه آخر يرجع إلى النحو[(٢)].

### (٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت٦٨٥هـ):

هو تفسير الإمام ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي.

وله مؤلفات في أصول الفقه، وأصول الدين مما يدل على سعة معارفه، وأخذه بزمام

(١) الإتقان: (٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥) للسيوطي.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات (ص١٣٤) لأبي شهبة.

أكثر العلوم.

والتفسير الذى كتبه لم يكن سفراً للإسرائيليات فاجتنبها كما فعل الرازى، إلا أنه وقع ـ أى البيضاوى ـ فى فخ رواية الموضوع الذى جاء فى كتابه نظراً لعدم درايته بالحديث، وإن كان العلامة المناوى قد ألف كتابًا سماه (الفتح السماوى فى تخريج أحاديث البيضاوى).

وقام الشهاب الخفاجى بوضع حاشية عليه فسرت دقائقه، وخرجت رواياته، وعرضت لمسائله وقضاياه.

(٣) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم** لأبى السعود (ت٩٨٢هـ) وسبق الحديث عنه.

(٤) **تفسير النسفى** وسبق الحديث عنه أيضًا.

(٥) **تفسير روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى** وقد سبق الحديث عنه أيضًا.

(٦) **تفسير القرطبى المعروف بـ (الجامع لأحكام القرآن)** وقد سبق الحديث عنه أيضًا.

(٧) **تفسير الخازن وهو (لباب التأويل فى معانى التنزيل)** وقد سبق الحديث عنه أيضًا.

إلى غير هذه التفاسير المطبوعة وغير المطبوعة، والتى ينتمى أصحابها إلى مدرسة الرأى، ولكننا أشرنا إلى ما سنعتمده فى هذا البحث، وهو ما يعنى أن التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى مكملان لبعضهما البعض حيث إنه من الصعب أن يكتفى القارئ بأحد الاتجاهين دون الآخر، فلولا المأثور ما عرفت الأسانيد والروايات، ولولا الرأى ما عرفت الاستنباطات ولا الآراء الفقهية أو اللغوية.

إلا أن أهل الرأى أبدوا تفوقًا فى رد كثير من الإسرائيليات وإن كانوا أغرقوا فى الموضوعات، وغفلوا عن علم الرواية فى أحوال عديدة، ولو عاد الزمان لأمسك كلٌ قلمه ليعيد ما كتبه تارة أخرى فإنها طبيعة البشر، وطبيعة العقل البشرى يرى ناحية دون الأخرى، ويميل إلى اتجاه دون الآخر، ولو كمل العقل البشرى لصار إلهًا يعبد من دون الله، ولاكتفى كل إنسان بعقله، فالحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

## (٣) اتجاهات منحرفة فى تفسير القرآن:

### (أ) اتجاه المعتزلة (تفسير الكشاف للزمخشرى) (٥٣٨هـ):

نشأت فرقة المعتزلة كفرقة تدافع عن الإسلام وعقائده، وتقدم تصورًا عقليًّا لهذه العقائد مبنيًا على مقولات العقل ومنطقه المشترك بين الناس جميعًا، بيد أنهم جعلوا (العقل البشرى) مقياسهم الأساسى ومنطلقهم إلى الحكم على الأمور كلها، بما فيها عالم الغيب، فانحرفوا عن جادة الصواب، وخالفوا أهل السُّنة والجماعة فى نظرتهم إلى العقيدة الصحيحة.

ومن الصعب أن نقرر هنا كل مبادئ المعتزلة أو حتى بعضها لعدم اختصاص البحث بذلك، إلا أن ما يعبر عن انحراف المعتزلة انحرافًا كاملاً هو تلك المحنة التى صمد فيها الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ حيث رفض القول بـ (خلق القرآن) إذ المعتزلة يقولون عن القرآن ـ وناقل الكفر ليس بكافر ـ: (كلام الله تعالى ووحيه، وهو مخلوق محدث وليس قديمًا، وإلا تعرضنا للقول بتعدد القدماء، والله وحده هو القديم لا أول لوجوده)[1].

وأهل السنة يرون أن القرآن كلام الله قديم غير مخلوق، ومن هنا نرى أن المعتزلة من البداية يتسمون بموقف غير سليم ناحية القرآن الكريم، ووفقًا لهذا الفهم الخاطئ، والعقيدة السقيمة ستأتى تفسيراتهم للقرآن، حيث لن يقتصروا على القول بخلق القرآن فقط؛ بل سيتجاوز ذلك إلى القول بنفى الصفات، وإنكار السنة، ونفى رؤية الله تعالى، والإيجاب على الحق عز وجلّ، ونفى الشفاعة، وغير هذه الأقوال الضالة المنحرفة.

وقد كان للمعتزلة جهود عدة فى تفسير القرآن لكن معظمها لم يصل إلينا.

فقد روى أن واصل بن عطاء (ت١٣٨هـ) ألف فى (معانى القرآن).

وألف بشر بن المعتمر (ت٢١٠هـ) فى (متشابه القرآن).

وألف الجاحظ (ت٢٥٥هـ) فى (نظم القرآن).

وألف الرّمانى (ت٣١٤هـ) (فى تفسير القرآن المجيد).

إلا أن التفسير الذى بقى لنا هو تفسير (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) لجار الله أبى القاسم محمود بن عمر الخوارزمى المعتزلى.

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص٢٤٥ للقاضى عبد الجبار.

وتفسير الكشاف من أكبر الكتب التى شرحت كثيرًا من وجوه الإعجاز فى آيات القرآن من حيث نظمها وبلاغتها، وتركيب ألفاظها، ولذلك فهو تفسير يدخل فى باب التفسير البيانى أو البلاغى لآيات القرآن الكريم، ومن هنا جامعًا بين اتجاه التفسير الاعتزالى، واتجاه التفسير البلاغى، ويعتبر كتابًا أساسيًّا ورائدًا فى كلا الاتجاهين.

وقد سبق أن أوردنا منه أجزاء تعبر عن سوء أدبه مع الله عز وجل أولاً، ثم مع رسوله ﷺ، ثم مع الصحابة الكرام، ونفيه للصفات، والرؤية فى الآخرة، وغير هذه الجهالات، حتى قال الذهبى: (كن حذرًا من كشافه). وقال ابن تيمية: (وأما الزمخشرى، فتفسيره محشو بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة)[1].

وأضيف: أنه تعرض لأهل السنة والجماعة ووصفهم بالمجبرة، والكذب، والافتراء، وسماهم (الحشوية) و(القدرية) و(المشبهة)، وحكم بخروجهم عن الإسلام فى بعض الأحيان.

إلا أنه لم يخل من بعض المميزات، ومنها:

(١) أنه تفسير بلاغى بيانى، فيه عناية فائقة بأسرار الإعجاز القرآن خاصة فى نظمه، وهو جانب تفوق فيه المعتزلة بوجه عام، وكانت لهم اليد البيضاء فيه، على ما بهم من سفه عقائدى.

(٢) اكتشاف الزمخشرى المبكر للمنهج التعليمى الذى نستطيع وصفه بـ (النَّشط) Active فالرجل جاء تفسيره على طريقة السؤال والجواب، مما ساعد على فهم ما يقولَ، ورسّخ المعانى داخل النفوس.

(٣) وعلى قدر ما جاءت فيه بعض الموضوعات كحديث فضائل السور الموضوع، والمنسوب كذبًا إلى أُبى بن كعب رضى الله عنه أو قصة زينب بنت جحش، وزيد بن حارثة رضى الله عنه، إلا أن الكتاب جاء خاليًا فى معظم أحواله من الإسرائيليات، بل اتجه إلى تفنيد الآراء والأقوال، وردها على أصحابها كما فعل فى قصة داود وسليمان عليهما السلام، إلا أنه عاد فلم يتحرج فى نقل الإسرائيليات فى قصة يأجوج ومأجوج.

ولكن... كان للعلماء جهود فى تبيان الحق والباطل فى كتاب (الكشاف) وقد بدأت

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص٥٣ لابن تيمية.

هذه الجهود مبكرة.

* فابن خلدون يقول فى معرض حديثه عن التفسير البيانى: ومن أحسن ما اشتمل على هذا الفن من التفاسير كتاب (الكشاف) للزمخشرى من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرّض له فى آى القرآن من طرق البلاغة.

فصار بذلك للمحققين من أهل السُّنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفًا مع ذلك على المذاهب السنية محسنًا للحجاج عنها فلا جرم أنه مأمون من غوائله، فليغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللسان(١).

وقد أشار إلى أنه قد اطلع على كتاب لوزير عراقى هو (شرف الدين الطيبى) شرح فيه كتاب الزمخشرى وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه فى الاعتزال، بأدلة تزييفها، وللأسف لم يصلنا هذا الكتاب.

* ثم كانت محاولة كُتِبَ لها النجاح حيث قام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المُنيّر الأسكندرى المالكى، قاضى الأسكندرية (ت٦٨٣هـ) بتأليف (الانتصاف) بيّن فيه ما تضمنه الكشاف من الاعتزال، وناقشه فى شىء من الإعراب، وأحسن معه الجدال فى إيجاز.

* ثم كانت هناك محاولة أخرى من الأستاذ (محمد عليان المرزوقى الشافعى) فى التنبيه على ما بالكشاف من الاعتزال، وبيان عقائد أهل السنة فيها، وشرح شىءٍ مما ورد فيه من البحوث اللغوية.

### (ب) التفسير الباطنى أو الإشارى:

وهو من أخطر أنواع التفسيرات المنحرفة التى وصلتنا على الإطلاق، نظرًا لأنه تفسيرًا لا يخضع لثوابت عقدية أو شرعية، لكنه عبارة عن معان باطنية، وأهواء شخصية، ولمحات وقعت فى قلوب أصحابها فعبروا عنها من خلال كتب مؤلفة أو أزعم أن حرقها عبادة، وقربة إلى الله عز وجل وزلفى.

لقد زعم أصحاب هذا الاتجاه ومعظمهم من الصوفية أن المعرفة أعلى مقامًا من

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٥٣٠) بتحقيقى ط دار الفجر للتراث.

العلم، والعارف أوسع بطانًا وقلبًا، وأن المفسرين بالمأثور والرأى تمسكوا بظاهر الحروف دون الغوص فى المعانى، وهى قيود - زعموا - أنهم قد تخلصوا منها، فما هذه التفسيرات، إلا آراء منحرفين، أو خيالات مفسرين.

ومن هذه النماذج ما رواه الزرقانى عن التُّسْتُرى فى تفسير البسملة، فقال:

(الباء بها الله عز وجل، والسين سناء الله عز وجل، والميم مجد الله، والله هو الاسم الأعظم الذى حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرفٌ مكنى غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس الآخذ من الحلال قوامًا ضرورة الإيمان)[1].

ومنها أيضًا تفسير ابن عربى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةً﴾ (البقرة: ٦٧)، فقال: إن المقصود بالبقرة هى النفس الحيوانية، وذبحها قمع هواها الذى هو حياتها بشفرة سكين الرياضة.

ومنه أيضًا تفسير السهروردى - صاحب عوارف العارف - قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ (الليل: ٥، ٦)، قال: أعطى بالمراقبة، واتقى الوساوس والهواجس ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ لازم الباطن بتصفية موارد الشهوة من مزاحمة لوث الوجود!!

وأفظع من هذا وذاك تفسير هم لقول الله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ (النساء: ٣٦) بأنه القلب، ﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾ (النساء: ٣٦) أى النفس، ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ (النساء: ٣٦) أى الجوارح.

ويعبر ابن عربى أخيرًا عن وجهة نظرهم فيقول: (ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن، وحدٌ ومطلعٌ، ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال، ولكل طائفة من هؤلاء الطوائف قطب، وعلى ذلك القطب يدور فلك ذلك الكشف).

ثم يخبرنا أن هذا حديث منسوب إلى رسول الله ﷺ.

ثم يقول: أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحة ذلك الحديث[2]!!

وهكذا ترى سفاهة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يقول بها العقلاء، وقد تحدث ابن الصلاح فى فتاويه من تفسير عن مثل هؤلاء منسوب لأبى عبد الرحمن السلمى فقال:

---

(١) مناهل العرفان (٣/ ٩) للزرقانى.

(٢) الفتوحات المكية (١/ ٢٤٢).

(صنّف أبو عبد الرحمن السلمي ـ وهو صوفي ـ حقائق في التفسير ـ فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر).

**قلت**، وأصحاب هذه التفاسير مسئولون مسئولية كاملة وتامة عمّا كتبوا لأن الذى كتب كتب وهو حيٌّ يقظان عكس الكلام فقط الذى قد يغلب على صاحبه الهذيان في بعض الأحوال، من أجل هذا فإن كثيراً من هؤلاء ـ كابن عربي والحلاج ـ يدور حولهم اتهام بميولهم الباطنية ـ أي طائفة الإسماعيلية والباطنية من الشيعة، وكانوا أشد خطرًا على الإسلام من أعدائه وقد قالوا: إن الظاهر غير مراد أصلاً، وإنما المراد الباطن، وقصدهم نفي الشريعة[١].

وهذا ما حدث من الحلاج الذى اتخذ من الزهد، والتقشف تَكِأة لهدف أساسي هو تقويض مبادئ الإسلام، مما يظهر في كتاب (الطواسين) حين وصف إبليس بالموحد، فقال: (وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس)[٢].

ثم قال عن إبليس وفرعون: (فصاحبيّ وأستاذيَّ، إبليس وفرعون، إبليس هُدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه، ولم يقر بالواسطة البتة)[٣].

ثم كانت القاصمة حيث قال: (إذا صام الإنسان ثلاثة أيام بلياليها ولم يفطر، وأخذ في اليوم الرابع ورقات هندباء، وأفطر عليها أغناه عن صوم رمضان. . . وإذا صلى في ليلة واحدة ركعتين من أول الليل إلى الغداة أغنته عن الصلاة بعد ذلك، وإذا بنى بيتًا وصام أيام، ثم طاف حوله عريانًا أغناه عن الحج[٤].

أما ابن عربي فإنه يقول عن الأوثان التي عبدها العرب: (وإنما عبدوا الله فيها لحكم سلطان التجلي الذى عرفوه)[٥].

فأي دين يبقى بعد هذه الخرافات، والهرطقات؟، وأي عاقل يقبل مثل هذه التفاسير؟ إن التفسير الإشاري باب من أبواب جهنم فتحه على هذه الأمة الزنادقة، والباطنية.

---

(١) مناهل العرفان (٢/ ٥٦ ـ ٥٧) للزرقاني.

(٢) الطواسين ص٤٢ .

(٣) الطواسين (٥١ ـ ٥٢).

(٤) المنتظم (٦/ ١٦٣) لابن الجوزي، وابن مسكويه (١/ ٨٠) في تجارب الأمم.

(٥) فصوص الحكم (١٩٦) لابن عربي.

وقد حاول الزرقانى فى (مناهل العرفان)[1] وضع شروط يقبل بها التفسير الإشارى، وهى كالتالى:

(١) ألا يتنافى وما يظهر فى معنى النظم الكريم.

(٢) ألا يُدَّعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

(٣) ألا يكون تأويلاً بعيدًا سخيفًا.

(٤) ألا يكون له معارض شرعى أو عقلى.

(٥) أن يكون له شاهد شرعى يؤيده.

ولعل الأولى أن نقول: إن هذه الأسباب الخمسة هى أسباب رفضنا للتفسير الإشارى الذى تخطى أصحابه حاجز هذه الشروط، وخاضوا بحار الهوى حتى تلوثوا بها.

وتتمثل خطورة هذه التفاسير فى أنها تتجاوز خطر الإسرائيليات والموضوعات والتى قد تصيب بعض عناصر العقيدة بشىء من الدخن، بينما هذه التفاسير الإشارية تقوض دعائم الدين، وتذهب بعقيدة المسلم أدراج الرياح فيصير خواءً من كل ما يربطه بالله عز وجل، خلواً من كل الثوابت الشرعية، وبذلك يسهل نقله إلى غير دينه، أو استغلاله لهدم الدين ليكون أحد معاول هدمه كما حدث مع كثيرٍ مما فتنوا بهذه المذاهب الهدّامة التى خرج أصحابها بعيدًا عن إطار الشرع والعقيدة.

**(جـ) تفسيرات الشيعة وأهل الأهواء والبدع:**

وهذه التفسيرات هى الأخرى من الكوارث التى مُنى بها الإسلام والمسلمون خلال تاريخهم الفكرى والثقافى، حيث تفرغ فريق من الوضاعين للحديث النبوى، وجاء قومٌ من أصحاب النزعات السياسية، والتعصب للمذاهب والأهواء فخرجوا بتفسيرات غاية فى الفساد، ذلك أنهم سارعوا لنصر مذاهبهم بالباطل من الآراء العقلية التى أدخلوها فى عقيدتهم فروجوا لبدعٍ كثيرة، يشاركهم فى ذلك الزنادقة والدهرية والشعوبية من الفرس والرومان حتى حرفوا الكلم عن مواضعه، وفتحوا بابًا للتأويل سيظل ثلمة لا ترتق إلى يوم القيامة.

ومما لا شك فيه أن إخضاع التفسير بالرأى للميول الشخصية، والمذاهب العقدية وغير العقدية (فتح على المسلمين باب شرٍّ خطير، ولج منه أعداء الإسلام إلى ما يهدفون إليه

---

(١) انظر (٢/ ٥٦ ـ ٥٧).

من إفساد عقائد المسلمين، ودلف منه مبتدعة المسلمين إلى ترويج بدعهم، واقتحمه أشباه المثقفين بنظراتهم الكليلة، وعقولهم العليلة، ثم خرجوا على الناس بعبثهم وسخافتهم التى يبرأ منها كتاب الله عز وجل»[١].

وقد مرّ بنا تفسير الزمخشرى الذى حشا كتابه بالدفاع عن آراء المعتزلة ونصرتها فى الوقت الذى تحدث فيه عن سر الإعجاز القرآنى بيانيًّا وبلاغيًّا، فدسّ السُّم فى العسل، وكذلك فعل كثيرٌ من أصحاب الأهواء والبدع، والتعصب للمذاهب السياسية كالشيعة والخوارج، ومن هم على شاكلتهم.

**لكن ما هو السبب فى ظهور هذه التفسيرات بعد العصبية، والزندقة؟**

هذا ما أجاب عنه الدكتور الذهبى - رحمه الله - حيث قال: لا شك أن انتهاء التفسير المأثور إلى حذف أسانيده، وذكره مجردًا عنها، فتح على المسلمين باب شرٍّ عظيم، حيث مكّن من تسرب الموضوعات والإسرائيليات إلى التفسير، فكثيرًا ما وضع أصحاب المذاهب السياسية والعقدية، وغيرهم من أصحاب الميول المختلفة والنزعات المنحرفة أقوالاً فى التفسير ونسبوها إلى رسول الله ﷺ، أو إلى بعض من اشتهر بالتفسير من الصحابة ترويجًا لمذاهبهم، وتمكينًا لبدعهم وأهوائهم، ثم جاء مَنْ بعدهم فنقلوها عنهم فى تفاسيرهم - كما نقلوا غيرها من صحيح التفسير المأثور - من غير أن يتحروا صحتها، وبدون ذكر أسانيدها، فاغتر كثير من الناس بهذه التفاسير، وظنوا كل ما فيها صحيحًا كما ظنوا ما دس على التفسير من الإسرائيليات صحيحًا كذلك، ولقد كان من الممكن تلافى هذا الخطر لو ذكرت هذه الروايات بأسانيدها، ولكن حذف الأسانيد - وللأسف - عمَّى علينا كل شىء[٢].

إنه حذف الإسناد إذن الذى قام به كثير من المفسرين ظنًّا منهم، أن ذلك سيسهل على العوام، إلا أنه صعَّب عليهم، وما رأيت شيئًا فعله السلف، وتركه الخلف إلا وماتت به سنة وأحييت به بدعة، بل قُل: بدعٌ وبدعٌ.

هذا هو الكلبى (ت٣٢٩هـ) فى كتابه الكافى[٣] يطلع علينا بتفسيرات أقلّ ما توصف به أنها (تفسيرات عبثية)!!

---

(١) د. الذهبى الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن ص١٩ .

(٢) الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن ص١٨، للدكتور الذهبى.

(٣) انظر الكافى (١/ ١٩٥) وفيه مئات التأويلات الباطلة، وهو أهم كتب الحديث عند الشيعة الإمامية.

ففى قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (النور: ٣٥)، يرى أن ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ﴾ (النور: ٣٥)، يعنى فاطمة عليها السلام.

﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ﴾ (النور: ٣٥)، يعنى الحسن.

﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾ (النور: ٣٥) يعنى الحسين.

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾ (النور: ٣٥) يعنى فاطمة بين نساء العالمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾ (البقرة: ٦٧)، يعنى عائشة.

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ (الرحمن: ١٩)، على وفاطمة.

وغير ذلك مما يعف القلم عن ذكره وكتابته، إذ فيه تجريح فى صحابة النبى ﷺ، وتحريف للقرآن الذى حماه الله تعالى وحفظه من التحريف، ولذلك فإننى أقول باطمئنان: لنا قرآننا، ولهم قرآنهم. فلقد حرفوا وأضافوا إلى القرآن سورًا وآيات كسورتى (الولاية، والنورين) وكذبوا على الله تعالى، أفلا يكذبون فى التفسير!!

إن بلادنا لم تعرف هذه التفاسير، وأهلنا لا يقرون بها... هذا شعار بعضهم، ولكن اذهبوا إلى مساجد الصوفية الجهال الذين يقولون بهذه التفاسير الباطلة ويخدعون العامة بها تسترًا بحب آل البيت، وتحت المنابر تسمع إلى مصمصة الشفاه، وتأوهات العوام، ودموعهم التى يذرفونها توقًا وشوقًا ومحبة لآل البيت فاحذر من مثل هذه الأقاويل، والتفسيرات.

**(د) التفسير الفنى للقرآن!!**

وهو اتجاه يمثل قمة الانحراف فى مجال التفسير، وإن دلّ على شىء فإنما يدل على أن الحرب على القرآن لم تنته بعد، وأن الثوابت العقدية تحتاج إلى مراجعات داخل نفوس عديد من المعاصرين والمحدثين، وهذا التفسير المزعوم ابتكرته مدرسة (أمين الخولى) وزوجته، وتلميذته (عائشة عبد الرحمن) بنت الشاطئ، فيقول أمين الخولى معبرًا عن حاجة المسلمين إلى تفسير بيانى حديث: (إن الإسلام وكتابه القرآن يحدث عن الأشخاص والواقعات بما يشاء، ويستغلها فى ترويج الدعوة الإسلامية كما يشاء، دون أن يكون لذلك حقًا ملزمًا للمؤمنين، وإن المؤمنين بالعلم وبالتطور وبالسنن الفنية فرقوا بين العرض الفنى الأدبى، وبين العرض التاريخى، والأول ـ أى العرض الفنى الأدبى ـ: هو منهج القرآن فى قصصه، وعلى هذا يستطيع المثقف الراقى حين يتدين أن يعتقد فى

تسليم مطمئن بحديث القرآن الفنى فى قصصه، ومع ذلك يحقق ويحلل فى عمق ووضوحٍ تاريخ هاتيك الأحداث وأشخاص أصحابها، وينفى فى ذلك ويثبت مطمئنًا، إلى أن هذا لن يصادم بحالٍ ما ذلكم العرض الفنى الآخر)(١).

إنه إذن (التفسير العصرى للقرآن) كما أرادته بنت الشاطئ التى ادعت أن هذا النوع من التفسير سيحرر القرآن من مفهومه القديم، وسيخلصه من كل العناصر الدخيلة والشوائب المقحمة على أصالته البيانية(٢).

وتمخض الجبل فأنجب فأرًا، لكنه فأر البلاء والكوارث، فلقد أشرف الشيخ/ أمين الخولى على رسالة لمحمد خلف الله الذى كتب عن (الفن القصصى فى القرآن الكريم) فاتهم القرآن بالكذب، وادعى أن التمسك بمقياس الصدق التاريخى فى القصص القرآنى (خطر أى خطر على النبى ﷺ وعلى القرآن، بل هو جدير بأن يدفع الناس إلى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة)(٣)، ثم يقول: (إن المعانى التاريخية ليست مما بُلغ على أنه دين يتبع، وليست من مقاصد القرآن فى شئ، ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب الأحداث)(٤).

وبعد أن أثبت هذا (المشبوه) لنفسه ـ وكذلك زين له شيطانه، وسولت له نفسه أن القرآن إنما عمد إلى التخيل ولم يتحدث عن وقائع أو أحداث حقيقية، إذا به يقول: (ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل البشرى ليبحث ويدقق، وليس علينا من بأس فى أن ينتهى من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل، ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لِمَا قصده إليه القرآن، لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآنى لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض(٥).

وبعد هذه الخرافات يقول الخولى فى النهاية عن خلف الله: (إن الدكتور خلف الله: من الذين آمنوا... وآمنوا بالحق)، وهذا المؤمن يزعم فى قول الله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ (غافر:٣٦)، أن هامان ما كان موجودًا البتة فى زمان موسى وفرعون وإنما جاء

(١) مقدمة التفسير البيانى فى القرآن ـ لمحمد خلف الله، وكتبها: أمين الخولى ـ وهى ط الأنجلو المصرية (١٩٦٥م).
(٢) التفسير البيانى للقرآن ص١٠، ١١.
(٣) الفن القصصى ص٤٢.
(٤) السابق ص٤٤.
(٥) السابق ص٢٥٤.

بعدهما بزمن مديد.

ثم يزعم المؤمن أن عيسى عليه السلام لم يتكلم فى المهد طبقًا لأقوال بنى إسرائيل، وأنه لو تكلم لكان من الوقائع العجيبة التى تنقل بالتواتر.

كما زعم هذا المؤمن أيضًا أنه قد (بان للعقل الإسلامى أن هذه المحاورة التى يصورها القرآن بين المولى سبحانه وتعالى، وبين عيسى عليه السلام فى آخر سورة المائدة، لم تقع حقًّا، وإنما هى من التصوير الأدبى الذى يقصد منه إلى توبيخ النصارى المعاصرين لمحمد ﷺ)، (وبان للعقل الإسلامى أيضًا أنه لا يستطيع أن يتصور مساعدة الملائكة للمسلمين فى غزوتى بدر وأحد اللهم إلا أن يكون حديث القرآن عن ذلك حديث مَنْ يأخذ الناس بعقائدهم تقويةً للروح المعنوية، وبثًّا للأمل القوى بالانتصار السريع فى النفوس)[١].

وفى النهاية يصل المؤمن إلى أفظع نتيجة يمكن الوصول إليها فقد قال بالحرف الواحد: (لقد تقرر أن القرآن إنسانى العبارة، بشرى الأسلوب، جاء على سنن العرب فى بلاغتها وبيانها)[٢].

وهكذا نراها مؤامرة جديدة على القرآن، أو حلقة من حلقات المتآمرين على الإسلام، حيث وصف الدكتور محمد بلتاجى حسن هذه المحاولة للتآمر على القرآن بأنها (تكرار لمحاولة طه حسين لكن فى ثوب جديد)[٣] إذ قرر طه حسين من قبل أن الشعر الجاهلى منحول على أصحابه، وشك أنه موضوع بعد الإسلام مما عرف بقضية الشك والانتحال) فى الشعر العربى ليتخذها بعد ذريعة للطعن فى القرآن وصحة نسبه.

وقد قام المستشرق (مرجليوث) بإثارة هذه الدعوى، وكان أستاذًا لطه حسين لقنه هذه المبادئ حتى صار أحد صبيانه ثم جاءت مدسة أمين الخولى، وخلف الله، وبنت الشاطئ، والرفاق الحائرون ليُلْبِسُوا الدعوى ثوبًا جديدًا.

لكننا عثرنا على نص يثبت أن محاولات التشكيك فى القرآن خلال عهود الإسلام محاولات قديمة للغاية، قدمها من قدم نزول القرآن حيث قال ابن قتيبة: (اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول فحرفوا الكَلِم عن مواضعه، وعدلوا عن

---

(١) الفن القصصى ص٣٥-٣٦.

(٢) السابق ص١٣٧.

(٣) دراسات فى التفسير ص١٩٥.

سبله، ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة فى اللحن، وفساد النظم والاختلاف، وأدلوا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمر، والحدث الغِر، واعترضت بالشُّبه فى القلوب، وقدحت بالشكوك فى الصدور)[1]، وقد جاء أهل التفسير الفنى للقرآن ففعلوا ذلك محاولين ارتداء عباءة نصرة الإسلام وتخليص القرآن من الأوهام، والتأويلات الفاسدة ليكون غطاءً لسفههم وبهتانهم، وسرعان ما تزول هذه العباءة الشفافة التى تكشف عن فكر مشوهٍ يريد الطعن فى الإسلام والقرآن على حد سواء.

وما أسفه قوله: (المثقف الراقى حين يتدين) فلعل الراقى حين يتدين لا يروقه القرآن فماذا نفعل؟

فى زعمهم لا بد من تغيير القرآن لا تغيير الشخص، مع وصف القرآن بالأساطير والخرافات، مع أن الله تعالى قد قال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٨٧).

إن خلف الله ورفاقه الحائرون ما هم إلا مروجين لفكر النصارى الذين قالوا: بأن روح النص فى الإنجيل من عند الله، واللفظ بشرى صرف ليتساوى بذلك القرآن مع الإنجيل، ومع التوراة ويصبحوا جميعًا فى صف واحد، وهو: (التكذيب والتشكيك والتحريف)، وبذلك يستطيع أسفه الناس، بإصبع قدمه الصغيرة أن يقلب المائدة ويشرع من جديد.

ولإن الموطن ليس موطن رد عليهم فإننا سنحيل القارئ إلى دراسة قيمة للدكتور/ محمد بلتاجى حسن أستاذ الشريعة وعميد كلية دار العلوم الأسبق رحمه الله فى كتابه «دراسات فى التفسير» حيث ردّ على هذه الشبهات وقام بتفنيدها[2].

## (٤) التفسير فى العصر الحديث:

وقد أشرنا فيما سبق إلى عدة تفاسير طبعت فى العصر الحديث، ومنها:

### (أ) تفسير المنار:

للشيخ محمد رشيد رضا، وهو تفسير يتلون باللون الأدبى، الاجتماعى، وربما العقلى فى بعض الأحوال، وهو تفسير جيد لا شك فى ذلك، ولكن كنا قد ذكرنا

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص١٧ ابن قتيبة.

(٢) والكتاب ط مكتبة النصر ـ عام (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م). وقد توفى الدكتور رحمة الله عليه أثناء كتابة هذه الدراسة، فرحمة الله على هذا الجبل.

اجتراحه لحرمات بعض الصحابة كعبد الله بن سلام رضى الله عنه، وتشكيكه فى إيمان كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وهو خالٍ من الإسرائيليات إلا فى بعض المواضع التى كنا قد أشرنا إليها فى الفصل الأول.

**(ب) تفسير الشيخ مصطفى المراغى:**

ويحمل نفس سمات تفسير الشيخ محمد رشيد رضا السابق، فقد نال من كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وقبلهما عبد الله بن سلام.

**(جـ) تفسير (فى ظلال القرآن) لسيد قطب:**

وهو تفسير يجمع بين دفتيه صورة لرجل عاش حقبة معينة تحت ضغط تعذيب وإيلام، فاضطر للكتابة عن التكفير والجاهلية، والحاكمية، وأفكارٍ أخرى كان الأحرى به أن يتركها وذلك لقلة درايته الشرعية بها، وإلا فهو أديب من طراز ممتاز فلله دره حين يتحدث عن مواطن الجمال فى القرآن سواء كانت مواطن البلاغة والبيان، أو مواطن وصف الطبيعة التى جاء بها القرآن، ولو توقف عند هذا لكان خيراً له ولنا ومع ذلك فإنه لم يتعمد أن يكفر أحدًا أو يجهل أحدًا، وإنما التبعة على من جاء بعده وراح يفسر كلامه حسب هواه، ويتخذ منه إمامًا وقائدًا.

ومن عيوب هذا التفسير وجود أحاديث ضعيفة، بل وموضوعة فى بعض الأحوال.

إلا أنه من محاسن هذا التفسير وقوفه بالمرصاد للإسرائيليات وعدم روايتها، ولا أدرى هل كان ذلك لقلة علمه بالرواية؟ أم لأنه كره ذلك فعلاً ولم يقبله؟ والأغلب عندى أنه خاف من التطويل وجنح إلى الصحيح فقط أو لأنه كان مسجونًا أثناء كتابة هذا التفسير فلم تتوفر لديه كل المصادر على الإطلاق.

**(د) تفسير (تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان):**

للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى وهو تفسير جاء خاليًا من الحشو، والإطالة، والبعد عن الإسرائيليات والموضوعات إلا فى مواطن قليلة جدًّا، كما جاء سهل العبارة، يمكن للقارئ الإفادة منه مطلقًا وفهمه، كما كان تفسيره للأسماء والصفات تفسيراً سلفيًّا رائعًا أعاد إلى الأذهان صورة علماء السلف تارة أخرى.

وتميز الكتاب بالاستنباطات الكثيرة، والأحكام المستفادة من الآيات من غير ملل أو تطويل.

وحده العالم بمراده علمًا كاملاً يقينيًّا محيطًا، لا يتيسر مثله أو ما يقاربه ـ لمخلوق[1].

وهذه الضوابط لا تمنعنا من القول بأن عجائب القرآن لا تنقضى بل هى ممتدة مستمرة على مر العصور واختلاف المدارك. وبهذا نحمى القرآن من إقحام بعض المعانى فيه، لئلا يتقول متقول، أو يتمنى متمنٍ، لأن القرآن كتاب الله، وكلام الله لفظًا ومعنًى، لا مجال للطعن فيه، أو القول فيه بغير علمٍ.

***

(١) وانظر دراسات فى التفسير ص٢٤ ـ ٢٥، أ.د. محمد بلتاجى حسن.

# القسم الثانى

## الإسرائيليات والموضوعات
## فى
## كتب التفسير قديمًا وحديثًا



# الإسرائيليات والموضوعات فى بدء الخلق

## (أ) قصة خلق السموات والأرض:

### • الحوت ليوثا (أسطورة وأكذوبة):

روى كثير من أهل التفسير بالمأثور، يشاركهم بعض أهل التفسير بالرأى فى قصة خلق السموات والأرض عجبًا، ومنه:

(١) ما رواه الطبرى بإسناده عن ابن عباس أنه قال: «أول ما خلق الله القلم، قال: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، قال: فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة، ثم خلق النون، ورفع الماء، فتفتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإنها لتفخر على الأرض»[١].

وفسّر مجاهد النون بأنه: الحوت الذى تحت الأرض السابعة.

(٢) وقال كعب: اسم الحوت (النون): لوثوثا، وقال: بلهموثا[٢].

وهكذا روى الكلبى، ومقاتل، والسُّدى عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) ثم أورد السيوطى هذا الأثر من رواية الطبرى[٣]، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الأسماء والصفات من طريق السُّدى عن أبى مالك، وعن أبى صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ فى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ (البقرة: ٢٩)، قال: «إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئًا غير ما خلق قبل الماء، فلما أن أراد أن يخلق الخلق، أخرج من الماء دخانًا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسمّاه سماءً، ثم أيبس الماء فجعله أرضًا واحدة، ثم فتقها[٤] فجعلها سبع أرضين فى يومين: فى الأحد والاثنين فخلق الأرض على حوت، والحوت هو الذى ذكره الله

(١) رواه الطبرى (٣٤٥٢٨ـ ٣٤٥٢٩ـ ٣٤٥٣٠) فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١).

(٢) القرطبى (١٨/ ٢١٥) فى تفسيره.

(٣) رواه الطبرى (٥٩١) فى تفسيره، والقرطبى (١/ ٢٧٢، ٢٧٣) فى تفسيره، و ابن كثير (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩) بتحقيقى. وهى فى الدر المنثور (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧).

(٤) فتقها: فرق بينها بعد أن كانت قطعة واحدة.

**(هـ) أضواء البيان للعلامة الشنقيطى:**

وهو تفسير للقرآن بالقرآن، جاء سهلاً ممتعًا خاليًا من الإسرائيليات فى معظم أحواله. وقد ذاع صيته وانتشر خلال الفترة الأخيرة.

**(و) تفسير الشيخ الشعراوى - رحمه الله -:**

وهو تفسير يتميز بالسهولة واليُسْر والبساطة، كما يتميز بروعة الأسلوب البلاغى، وكثرة التعريفات اللغوية، وقد جاء متوازنًا لا شطط فيه كأنك حين تطالعه تطالع معه صورة الشيخ - رحمه الله - وقد كان مهتمًا بإظهار المعنى إلى أقصى الحدود، وأرى فيه شبهًا بالفخر الرازى فى كثرة توليده للمعانى وتفصيله للألفاظ والعبارات، غير أنه جاء فى بعض الأحوال بأحاديث موضوعة نظرًا لاهتمام الشيخ - رحمه الله - بالتفسير دون الاهتمام برواية الحديث، لكن يبقى أنه التفسير الذى تقبله فئات متعددة على اختلاف مشاربها، وأن جيلاً أو قُلْ: أجيالاً قد تخرجت على يديه، ولا زال عطاؤه جاريًا رغم وفاة الرجل - رحمه الله -.

● **التفسير العلمى للقرآن الكريم:**

ومما لا شك فيه أن كثيراً من آى القرآن تحتوى على إعجاز علمى لا يمكن صدوره عن بشر أيًّا كان، وهى آيات متنوعة فى الفلك، والجغرافيا، والطبيعة، والطب، وغيرها من العلوم التجريبية، فاندفع بعض الباحثين بدافع الحماسة الدينية لتأييد عقيدته، ونصرة دينه إلى تحميل بعض الآيات أكثر مما تطيق بغية إثبات أن القرآن الكريم قد سبق الجميع إلى نظريات العلم الحديث.

وما نقر به هو أن (القرآن كتاب عقيدة وتشريع وهداية، وليس كتاب علم تجريبى) إلا أن الله تعالى قد بثّ فيه بعض الإشارات الإعجازية تتضح للناس فى كل عصرٍ بحسب ما يكتشفون من حقائق.

فلقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٣٠).

وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ (الطارق: ١١، ١٢).

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء: ١٢).

وغير هذه الآيات الكثيرة التى تحتوى إعجازًا علميًّا تجريبيًّا كثيرًا جدًّا حتى بالنظر إلى

معارف عصرنا التى لم تبلغ الغاية فى الاكتشاف. وهذا ما لا نرى إنكاره، إلا أن ما ننكره على الذين تصدوا للتفسير العلمى للقرآن هو أن النظرية العلمية التجريبية تتسم بالنسبية، والخضوع لقانون الاحتمالية، وربما جاءت نظرية تثبت فساد أو خطأ النظرية السابقة، أو جاء اكتشاف يلغى الاكتشاف الأول، أما القرآن فإنه كتاب الله تعالى لا تخضع آياته للتغيير أو النسخ وإنما هى ثوابت لا يمكن تغييرها، ومن هنا إذا تعارض العلم مع المقررات القرآنية وجب إخضاع النص العلمى للقرآن وليس العكس.

ولكن ماذا إذا تسرع العالم ونسب النظرية إلى القرآن، ثم تبين فساد النظرية العلمية باكتشاف آخر؟ إن النتيجة بالطبع لن تكون فى صالح الإسلام أو المسلمين بل ستكون وبالاً على القرآن والإسلام والمسلمين فلماذا نحمل النص إذن أكثر مما يتحمل؟ ولماذا نزج بالقرآن فى هذه المعتركات؟

غير أننا لا ننكر أيضًا (الإعجاز العلمى فى القرآن) ولكن هذه بعض الضوابط التى نود لو التزم بها العلماء الأجلاء الذين يتصدون لتبيان الإعجاز العلمى فى القرآن:

(١) الالتزام بحدود ما تعطيه الألفاظ القرآنية فى استعمالاتها العربية، وعدم تحميل اللفظ القرآنى فوق ما يمكن أن يتحمل بحسب وضعه اللغوى، وهذا يحتاج إلى دراسة للغة فى أحوال عدة.

(٢) ألاّ يسارع القائم بالتفسير إلى تفسير بعض الآيات على حسب ما تقدمه النظريات العلمية التى لا تزال فى طور (الفرض العلمى) الذى لم تثبت صحته اليقينية بعد بصورة لا تحتمل شكًّا أو مراجعة. وإنما ينبغى على المفسر الانتظار إلى أن تثبت صحة النظرية العلمية بصورة يقينية لا مجال فيها لمراجعة، ثم يفسر ما يرى فيه مشابهة مؤكدة مع بعض آيات القرآن الكريم بصورة لا تحتمل لبسًا.

وهذا يتطلب أن يكون المفسر على علمٍ كاف بفرع العلم التجريبى الذى يعرض له على النحو السابق مع تحصيله علوم اللغة، والبيان، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم التى اشترطها علماؤنا الأقدمون فيمن يتكلم فى تفسير القرآن.

(٣) مع التزام المفسر بما سبق فإنه يجب أن يقدم ما يَعِنُ له من تفسير مستوفٍ للشروط السابقة على أنه معنى محتمل للآية، لا على أنه التفسير القطعى الذى قصده الله تعالى بها يقينًا، إنما يجب عليه أن يضع فى اعتباره - وأن يؤكد ذلك بالتصريح الواضح - أن الله

فى القرآن، ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ والحوت فى الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر مَلَك، والملك على صخرة، والصخرة فى الريح - وهى الصخرة التى ذكر لقمان[1] ليست فى السموات ولا فى الأرض[2]، فتحرك الحوت، فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت، فالجبال تفخر على الأرض فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ (الأنبياء: ٣١) وخلق الجبال فيها، وأقوات أهلها، وشجرها، وما ينبغى لها فى يومين: فى الثلاثاء والأربعاء، وذلك قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ (فصلت: ٩، ١٠)، يقول: أنبت شجرها، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ يقول لأهلها: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠)، يقول: من سأل فهكذا الأمر ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ (فصلت: ١١)، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس. ثم جعلها سماءً واحدةً، ثم فتقها فجعلها سبع سموات فى يومين: فى الخميس والجمعة.

وإنما سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ (فصلت: ١٢)، قال: خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذى فيها من البحار وجبال البَرَد، وما لا يُعلم، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب، فجعلها زينة وحفظًا من الشياطين، فلما فرغ من خَلْق ما أحبّ استوى على العرش، فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (الأعراف: ٥٤)، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠).

والعجيب فى هذه الرواية أن كتب التفسير بالمأثور قد روتها دون تخلف من أحدهم (الطبرى - ابن كثير - السيوطى)، وحتى القرطبى رواها هو الآخر بشىء من حذف الأسانيد، وهو ما يدل على استفحال خطر الإسرائيليات والموضوعات.

**ملاحظات حول هذه الأسطورة:**

(١) أن هذه الرواية تتشابه كثيراً مع ما جاء فى سفر التكوين (٢/ ١ - ٢) وهو أحد أسفار التوراة، وتقترب أيضًا من قصة أخرى ليس فيها - ذكر الحوت أو النون - استغرقت الأصحاح الأول من سفر التكوين.

---

(١) لما قال لولده: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾ (لقمان: ١٦). وهذا تكلف واضح.

(٢) قال العلامة الألبانى (٢٩٤) فى الضعيفة والموضوعة: هذا الحديث موضوع - لأن بعضهم رفعه إلى النبى ﷺ وحكم عليه بأنه من الإسرائيليات، وذكر فيه كذابين ووضاعين.

(٢) براءة ساحة ابن عباس رضى الله عنهما من هذه الرواية، فإن سلسلة الرواية عنه هنا هى سلسلة الكذب، التى تولى كبرها السدى، وأبو صالح، ومعلومٌ حالهما.

(٣) براءة ساحة ابن مسعود رضى الله عنه من هذه الرواية أيضًا، لما رواه ابن كثير من أن رجلاً - حدد اسمه ابن جرير أنه: جندب بن عبد الله البجلى، جاء إلى ابن مسعود فسأله: من أين جئت؟ قال: من الشام. قال: من لقيت؟ قال: لقيت كعبًا، قال: ما حدثك؟ قال: حدثنى أن السموات تدور على منكب ملك، قال: أفصدقته أو كذبته؟ قال: ما صدقته ولا كذبته. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، كذب كعب، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ (فاطر: ٤١)، وقال ابن كثير: وإسناده صحيح إلى ابن مسعود[١] وإلى كعب. فعبد الله بن مسعود براء هو الآخر من هذه الرواية، وهى ملفقة عليه وعلى ابن عباس أيضًا ألبس الكذاب فيها حماره ثوب خز، ولو رآه الأعمى لقال: يا لك من حمار.

(٤) وإنما هذه الرواية من نقل كعب الأحبار عن التوراة - كما سبق أن وضحنا مصدرها ومكانها -، وهى تندرج تحت الكذب الذى كان يبلوه الصحابة على كعب الأحبار فى بعض حديثه حين قال معاوية: (وإن كنا لنبلوا عليه الكذب)[٢] - أى على كعب، فهذه إحدى روايات كعب الكاذبة، لا أقول: إنه اختلقها، فقد سبق منا أن وضحنا أن الرجل لم يتعمد كذبًا ولم يختلق، وإنما روى الكذب دون عمد أو قصد.

(٥) وهذه الأسطورة كما رأينا تخالف نص الشرع فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾، فلا مجال للأخذ بها، وإنما ترد على أصحابها لأنها من النوع الذى قررنا أنه مخالف لصحيح القرآن والسنة، ويجب رده فى الحال.

(٦) أما (الحوت) ليوثا أو (لوثوثا) أو (البهموت) أو (بهموثا)، فإنه عين الخرافة لم يرد به نصٌ، ولم يقل به صحابى، ولم يثبته العلم الحديث من قديم أو بعيد، فقد أثبت العلم ما أثبته القرآن الكريم فى أن السماء بنيت بغير عمد، والأرض مستقرة وإن كانت تدور حول نفسها وحول الشمس، ولم يعثر عالم من العلماء على ما يعطى إشارة ولو

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٦٠) بتحقيقى.

(٢) صحيح: البخارى (٧٣٦١) فى الاعتصام.

بسيطة على وجود الحوت (لوثوثا) وأغلب الظن عندى أنه زيادة وضعها الزنادقة لشغل المسلمين به، وإبعادهم عن جوهر عقيدتهم، وفهم دينهم، كما فعلوا من قبل حين ترجموا كتب (كليلة ودمنة) و(ألف ليلة وليلة) لشغل المسلمين بها عن القرآن والسنة.

وإنى لأشتم هنا رائحة هؤلاء الذين اتخذوا من الحيوانات شخوصًا تنطق وتتحرك كما فعلوا فى (كليلة ودمنة)، وكما فعل الزنادقة من المتفلسفين الذين سموا أنفسهم بـ (إخوان الصفا) فتحدثوا على ألسنة الحيوانات والطيور فهى حيلة قديمة سرعان ما تنكشف وتزول، ومن هنا فإنى أرى أن نسبة قصة الحوت إلى كعب باطلة، أما بقية القصة - وبالجملة - فالقصة كاذبة من أولها إلى آخرها لم يثبت فيها نص من قرآن أو سنة، ولا يرتضيها عقل سليم صحيح، ولم يثبتها العلم أيضًا، وإنما هى موضوعة على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

**● حديث فى صحيح مسلم:**

وقد ذكرنا هذا الحديث أمانة منا فى إظهار الإسرائيليات؛ لا تشكيكًا فى صحيح مسلم فإنه من أصح كتب السُّنَّة المطهرة التى وصلت إلينا، لكن: من منا له الكمال؟

قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا حجاج، حدثنى ابن جريج، أخبرنى إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال: (خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل)[١] وما نقر به هنا هو أن آدم عليه السلام خلق يوم الجمعة كما فى الأحاديث الصحاح.

**● ملاحظات حول هذه الرواية:**

(١) سبق ابن كثير من تفسيره إلى مناقشة متن هذه الرواية فقال: (وهو من غرائب الصحيح) ثم قال: (وقد علله البخارى فى التاريخ فقال: رواه بعضهم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح)[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٧/ ٢٧٨٩) فى صفة القيامة والنار - باب (١)، ورواه أحمد (٢/ ٣٥٧) المسند، والنسائى فى الكبرى (١١٠١٠).

(٢) ابن كثير (٧/ ١٢٧) فى تفسيره.

(٢) وقال أيضًا: وقد اختلف فيه على ابن جريج، وقد تكلم فى هذا الحديث على بن المدينى، والبخارى، والبيهقى وغيرهم من الحفاظ، قال البخارى فى التاريخ: وقال بعضهم عن كعب وهو أصح، يعنى أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار فإنهما كان يصطحبان ويتجالسان للحديث، فهذا يحدثه عن صحفه، وهذا يحدثه عن صحفه بما يصدقه عن النبى ﷺ فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه. فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعًا إلى النبى ﷺ وأكد رفعه بقوله: (أخذ رسول الله ﷺ) إنها إذن لعبة قلب الأسانيد وتداخلها لتختلط على السامع أو الراوى، فقد عمد الوضاع بأى نية كانت صحيحة أم فاسدة إلى اللفظ فتلاعب به ليرفع الحديث إلى النبى ﷺ بعد أن صحت الرواية من أبى هريرة عن كعب، فجعل أبا هريرة متهمًا بالكذب وألصق به هذه التهمة والفرية.

وقد يقول قائل: إن الرواية سندها صحيح ولا مجال للقول فيها بالكذب أو الوضع؟

**فالجواب:** أن العلة هنا فى (ابن جريج) الذى خلط بين المرفوع والموقوف، وتساهل ودّلس فجاء الحديث بهذه الطريقة. فإن قيل: لماذا روى عنه أحمد ومسلم رغم علمهما بذلك؟

**فالجواب:** أن الإمام أحمد وضع قاعدة بالنسبة لابن جريج، فقال: (إذا قال ابن جريج: قال فلان، وقال فلان، وأُخبرت، جاء بمناكير، وإذا قال: أخبرنى، وسمعت فحسبك به)، وقد قال ابن جريج هنا: أخبرنى، فتلقى الإمام أحمد الرواية بالقبول.

(٣) ولو لم يصح هذا وذاك فإن القاعدة أن كل ما خالف القرآن مردود فى وجه صاحبه ما لم يكن هناك من حديث النبى ﷺ ما يؤيده أو يشهد له بالصحة، وفى الحديث نكارة وغرابة فى متنه، فإنه لم يذكر خلق السموات، وذكر فيها خلق الأرض فى سبعة أيام، وهو خلاف القرآن، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق:٣٨).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ (فصلت: ٩ - ١١).

(٤) وإذا أمعنا فى الرواية جيدًا لوجدنا أن لها أصولاً فى التوراة، نقلها عدة رجال ممن

أسلموا، كما فى الرواية التى رواها الطبرى[١] عن عبد الله بن صالح عن أبى معشر عن سعيد بن أبى سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين فى الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرواسى فى الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات فى الخميس والجمعة، وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجُمعة، فخلق فيها آدم على عجل فتلك السّاعة التى تقوم فيها السّاعة - أى يوم القيامة -. وهذه رواية فيها: أبو معشر، وهو: نجيح بن عبد الرحمن السندى مولى بنى هاشم، قال عنه الحافظ: ضعيف[٢]، وكان قد أسنّ واختلط، فالحديث ضعيف.

(٥) وقد روى الطبرى رواية أخرى عن ابن عباس وفيها: «إن الله خلق يومًا واحدًا فسماه الأحد، ثم خلق يومًا ثانيًا فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثًا فسمّاه الثلاثاء، ثم خلق رابعًا فسمّاه الأربعاء، ثم خلق خامسًا فسماه الخميس، قال: فخلق الأرض فى يومى الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء فذلك قول الناس: هو يوم ثقيل، وخلق مواضع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والهوام والسبع يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، ففرغ من خلق كل شىء يوم الجمعة)[٣]. وسند الرواية ضعيف أيضًا.

إلا أن ما لاحظته هنا هو عدم وجود خلق السموات أيضًا كما حدث فى رواية مسلم.

(٦) وفى رواية ثالثة عن المسيب بن شريك، عن أبى رَوْق عن الضحاك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (هود:٧)، قال: ما من أيام الآخرة، كل يوم مقداره ألف سنة، ابتدأ فى الخلق يوم الأحد، وختم الخلق يوم الجمعة، فسميت (الجمعة)، وسبت يوم السبت فلم يخلق شيئًا)[٤].

(٧) وإليك هذا النص من التوراة لكى تعلم ما جناه المفسرون على هذه الأمة من الوبال حين نقلوا الإسرائيليات ففى ترجمة سفر التكوين (٢/ ١ - ٢): (فأكملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع الذى عمل).

---

(١) ذكرها الطبرى برقم (٥٩٥) فى تفسيره.

(٢) انظر التقريب (٥٥٩).

(٣) الطبرى (١١/ ٨٨) والأثر برقم (٣٠٤٣٠).

(٤) الطبرى (٧/ ٥) برقم (١٧٧٩٨٥ - ١٧٧٩٨٦).

وقد رد القرآن على شبهتهم فقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق:٣٨)، أى من تعب أو نصب.

إن النصّ كما ترى يهودى الأصل وضعه أحدهم ورفعه إلى النبى ﷺ كذبًا وزورًا وبهتانًا، فلا مجال لصحته، وإنما هو من قول كعب الأحبار نقلاً عن التوراة المحرفة.

إلا أن لى هنا ملاحظة وهى أن هذه الرواية تتعرض لعالم الغيب، حيث لم يكن شاهد على هذا إلا الله تعالى ولم يذكر هؤلاء مستندهم فى هذه الرواية عن عالم الغيب.

**والسؤال:** كيف وصل خبر الغيب المروى فيها إلى بنى إسرائيل دون المسلمين؟ أم هو اجتهادٌ منهم وكذب على الله تعالى؟

**الأصح:** أنه الكذب على الله تعالى استكمالاً لنظرية شعب الله المختار فقد اختصهم الله - فى زعمهم - بما لم يخص به أحدًا من الأمم فى العلم أيضًا كما رفع منزلتهم وفضلهم على العالمين، لا لشىء إلا لإثبات الفضل على المسلمين وغيرهم، ولتبقى التوارة كعبة العلم، ثم يطعن فى القرآن بعد ذلك.

فالرواية باطلة كاذبة لا يصح التعويل عليها، وهى من غرائب الصحيح التى ألصقت بأبى هريرة كذبًا فلا مجال للطعن فى أبى هريرة رضى الله عنه، أو للتشكيك فى الصحيح.

**● أساطير أخرى تتعلق بخلق السموات والأرض:**

(١) ذكر أبو نعيم عن كعب الأحبار: أن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهره الأرض كلها، فألقى فى قلبه، فقال: هل تدرى ما على ظهرك يا لوثيا - اسم الحوت - من الأمم والشجر والدواب، والناس والجبال؟ لو نفضتهم ألقيتهم عن ظهرك أجمع. قال: فهمّ ليوثًا بفعل ذلك، فبعث الله دابة فدخلت فى منخره، فعج إلى الله منها - أى بالدعاء - فخرجت. قال كعب: والذى نفسى بيده إنه لينظر إليها بين يديه وتنظر إليه إنَّ هم بشىء من ذلك عادت حيث كانت[1].

(٢) وقال وهب بن منبه: لما خلق الله الأرض مادت على وجه الماء، فقال لجبريل: ثبتها يا جبريل، فنزل فأمسكها فغلبته الرياح. فقال: يا رب أنت أعلم لقد غلبت منها، فثبتها بالجبال وأرساها[2].

---

(١) القرطبى (١/ ٢٧٤) ومعظم هذه الأخبار الساقطة رواها مغفل فى (بدائع الزهور) اسمه ابن إياس الحنفى.

(٢) السابق (١٥/ ٣٢٨).

(٣) وذكر السيوطى فى الدر المنثور عن أبى الشيخ عن سلمان الفارسى قال: (السماء الدنيا من زمردة خضراء واسمها رُقَيْعاء، والثانية من فضة بيضاء واسمها أزقلون، والثالثة من ياقوتة حمراء واسمها قيدوم، والرابعة من درة بيضاء، واسمها ماعونا، والخامسة من ذهبة حمراء واسمها ريقا، والسادسة من ياقوتة صفراء واسمها دقناء، والسابعة من نورٍ واسمها عرابيا)[١].

(٤) وذكر الطبرى عن الربيع بن أنس، أنه قال: السماء أولها موج مكفوف، والثانية صخرة، والثالثة حديد، والرابعة نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة[٢].

(٥) وقال قتادة: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض، فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرسلنى ربى بين السماء السابعة وتركته، ثم قال الآخر: أرسلنى ربى من المشرق وتركته، ثم قال الآخر: أرسلنى ربى من المغرب وتركته ثَمّ[٣].

وهكذا نجد وصفًا لمكان وزمان السموات والأرض، لم نعثر له على أصل من كتاب أو سنة، وكما لم نجد له ما يؤكد نقله عن التراث الإسرائيلى المكتوب، الأمر الذى يجعلنا نرجح اعتمادًا على رواته ومضامينه انتماءه للفكر الإسرائيلى.

● **أما الصحيح فى تفسير هذه الآيات:**

هو قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ٩-١٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٦، ٧)، إلى أن قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (النبأ: ١٢، ١٣).

وهذا يدل كما ذكر البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن الأرض خلقها الله تعالى فى يومين ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين، ثم

---

(١) السيوطى (١/ ١٠٩) فى الدر المنثور.

(٢) الطبرى (١٢/ ١٤٤) رقم (٣٤٣٧٦).

(٣) السابق (١٢/ ١٤٥) رقم (٣٤٣٨٠).

دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال، والجمال، والآكام، وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ (النازعات: ٣٠)[١].

وخلق السموات بعد الأرض قال ابن كثير في تفسيره، وقال: (وكذلك أجاب غير واحدٍ من علماء التفسير قديمًا وحديثًا)[٢].

وقد قال بهذا الشيخ السعدى رحمه الله في تفسيره إلى أنه ذكر ما رواه كعب، وعبد الله بن سلام رضى الله عنهما، فقال: (فتم خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة)[٣]، وكان الأولى به ـ رحمه الله ـ عدم إيراد هذه الفقرة والتجاوز عنها، لأنها من عالم الغيب، ولا مستند له إلا النقل الذى قام به المسلمون عن أهل الكتاب، فلم نر البخارى رواه عن ابن عباس في حديثه السابق.

وقد أجاد الشيخ/ سيد قطب كثيرًا حينما تكلم عن الأيام التى خلق الله تعالى فيهن السموات والأرض، فقال: «إنها بلا شك من أيام الله التى يعلم هو مداها»[٤].

وهكذا يُرد العلم فيها إلى الله تعالى دون تحديد لوقتها أو اسمها، وهو الصحيح في تفسير هذه الآيات. والله أعلم.

## (ب) اللوح المحفوظ:

وقد روى ابن كثير عن إسحاق بن بشر، قال: أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس، قال: (إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسله، فمن آمن بالله وصدّق بوعده واتبع رسله، أدخله الجنة). قال: (واللوح المحفوظ لوح من دُرة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدُّر والياقوت، ودفتاه ياقوتة حمراء، وقلمه نور، وكلامه معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك)[٥]، وذلك عند قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١، ٢٢).

والأعجب أنه رفعه إلى النبى ﷺ من طريق ليث بن أبى سليم عن عبد الملك بن سعيد

---

(١) صحيح: البخارى باب (٤١) في التفسير سورة حم ـ السجدة. وصححه ابن حجر (٨/ ٥٥٩) في الفتح.

(٢) ابن كثير (١/ ١٠٩) في التفسير.

(٣) تفسير السعدى (ص٧٤٥) وذكرها ابن كثير (٧/ ١٢٦) في تفسيره (١٥١).

(٤) في ظلال القرآن (٥/ ٣١١٠) لسيد قطب.

(٥) البداية والنهاية (١/ ٢١) وفي التفسير.

ابن جبير عن أبيه[1]، وليث هذا: سيئ الحفظ[2].

وهذان الحديثان موضوعان لأن الطريق فيهما (إسحاق بن بشر الكاهلى) وهو أبو حذيفة صاحب كتاب (المبتدأ) ثم نرى فيهما مقاتل ـ قاتله الله ـ وتدليس ابن جريج الذى كان حاطب ليل ـ على حد قول العلماء ـ.

والأدهى من ذلك أن ابن جرير الطبرى قال عن اللوح المحفوظ (إنه: فى جبهة إسرافيل)، ونسب الكلام إلى أنس بن مالك رضى الله عنه، ثم عاد ليقول ابن كثير: قال مقاتل: هو عن يمين العرش[3] هكذا بلا إسناد!! فالعلة هنا.

إن ما نملك قوله هنا بعد أن أثبتنا وضع هذا الحديث أن الوحى بالغيب اقتصر على رسول الله ﷺ ولم يتعداه إلى أحد سواه، ومن منهجنا ألاّ نقبل خبرًا عن عالم الغيب إلا إذا كان طريقه الوحى، أو الحديث الصحيح وهذا غير متوافر فى هذه الروايات السابقة، ولئن صحت روايتها عن ابن عباس فلن نقول: إن العهدة عليه رضى الله عنه، بل الكل يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم ﷺ.

### (جـ) فى سائر المخلوقات: البحار، الأنهار، الشمس والقمر، وغيرها من المخلوقات:

● **البحر الغربى، والبحر الشرقى:**

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده: وجدت[4] فى كتابى عن محمد بن معاوية البغدادى حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رفعه ـ أى إلى رسول الله ﷺ ـ قال: «كلم الله هذا البحر الغربى، وكلم البحر الشرقى، فقال للغربى: إنى حامل فيك عبادًا من عبادى فكيف أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم. قال: بأسك فى نواحيك، وحرمه الحلية والصيد، وكلّم هذا البحر الشرقى فقال: إنى حامل فيك عبادًا من عبادى فما أنت صانع بهم؟ قال: أحملهم على يدى،

---

(١) ورواه الطبرانى (١٢/ ٧٢) فى الكبير.

(٢) قال الحافظ: متروك كذاب: كما فى الميزان (٧٣٩).

(٣) الطبرى (١٢/ ٥٣١)، وابن كثير (٨/ ٢٩١).

(٤) وتسمى هذه الطريقة عند المحدثين: الوجادة وهى عبارة عن أخذ العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة، وصورتها: أن يقف شخص على كتاب بخط شيخ عرف خطه سواء لقيه وسمع منه هذا الكتاب أو لم يلقه، ولا فرق فى أن يكون أباه أو جده أو غيرهما، أو كان الكتاب بخط من لم يعاصره ولكنه استوثق من صحة نسبه إليه بشهرته إلى صاحبه. القاضى عياض ـ الإلماع (١١٦ ـ ١١٧).

وأكون لهم كالوالدة لولدها فأثابه الحلية والصيد، ثم قال: لا تُعلم أحدًا)[١].

وهذا الحديث يجمع بين شيئين هما:

* أنه من الإسرائيليات.

* ثم هو موضوع.

(١) فأما وصفه فلإن فيه (عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو) وهو العمرى أبو القاسم المدنى متروك، ومتهم بالكذب، وقد روى له الذهبى هذا الحديث، ثم قال: فهذا أفظع حديث جاء به عبد الرحمن[٢].

وقال عنه الإمام أحمد: ليس بشىء، وقد سمعته منه، ثم مزقت حديثه، كان كذابًا وأحاديثه مناكير، وقد ضعفه ابن معين، وأبو زُرعة، وأبو حاتم، والجوزجانى، والبخارى، وأبو داود، والنسائى، وقال ابن عُدّى: عامة أحاديثه مناكير، وأفظعها حديث البحر[٣].

إذن فالحديث موضوع.

(٢) وأما كونه من الإسرائيليات فقد قال الذهبى عن الحديث: والأشبه أنه موقوف.

وقال ابن كثير: الموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص أشبه، فإنه قد كان وجد يوم اليرموك زاملتين مملوءتين كتبًا من علوم أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود.

**قلت:** وإذا كان ابن عمرو قد حدّث من كتب الزاملتين، فإن أبا هريرة حدّث عن كعب رضى الله عنه. والحق أن كثيراً من المفسرين المُحدثين، بل كلهم لم يأخذوا بهذه الروايات أو يذكروها من قريب أو بعيد.

**● أمم البر والبحر، والجراد:**

وقد روى أبو يعلى عن محمد بن المثنى عن عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى بن كيسان عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر، وأول شىء يهلك من

(١) الدر المنثور، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ٢٨١) وحكم بضعفه.

(٢) الميزان (٤٩٠).

(٣) البداية والنهاية (١/ ٣٥) لابن كثير - بتحقيقى. ط - دار الفجر للتراث.

هذه الأمم الجراد، فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه)[١].

وقد ضعَّف ابن الجوزى هذا الحديث وحكم عليه بالوضع، وقال: هذا حديث لا يصح[٢].

وقد حمل ابن كثير على رواة هذا الحديث وقال: عبيد بن واقد: أبو عباد البصرى ضعفه أبو حاتم وقال: ابن عدى: عامة ما يرويه لا يتابع عليه وشيخه أضعف منه، قال الفلاس والبخارى: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: لا ينبغى أن يحدث عنه والتفسير الصحيح هو قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: ٣٨).

**● حديث موضوع فى خلق الشمس:**

قال السيوطى فى (الدر المنثور)[٣] أخرج ابن أبى حاتم، وابن مردويه بسندٍ (واهٍ) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق شمسًا من نور عرشه، فأما ما كان فى سابق علمه أنه يدعها شمسًا، فإنه خلقها مثل الدنيا على قدرها، ما بين مشارقها ومغاربها، وأما ما كان فى سابق علمه أنه يطمسها ويجعلها قمرًا، فإنه خلقها من دون الشمس فى العظم، ولكن إنما يرى صغرها لشدة ارتفاع السماء وبعدها عن الأرض، فلو ترك الشمس كما كان خلقها أول مرة لم يعرف الليل من النهار، ولا النهار من الليل، ولم يدر الصائم إلى متى يصوم، ومتى يفطر، ولم يدر المسلمون متى وقت حجهم؟ وكيف عدد الأيام والشهور والسنين والحساب، فأرسل جبريل فأمرّ جناحه على وجه القمر - وهو يومئذ شمس - ثلاث مرات، فطمس عنه الضوء، وبقى فيه النور، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء: ١٢).

وما أتعجب منه هنا هو حكم السيوطى على الحديث بأنه (واهٍ) أى ضعيف لوجود

---

(١) الدر المنثور (١/ ١٣) للسيوطى، وقال ابن عدى: (٥/ ٣٥٢) فى الكامل وقال: فيه عبيد الله بن واقد ضعيف، وذكره ابن كثير (١/ ٣٩) و(٣/ ٢٤٩) فى تفسيره.

(٢) الموضوعات (٣/ ١٤) لابن الجوزى. وانظر النافلة (١/ ٣٢) لفضيلة الشيخ/ أبو إسحاق الحوينى.

(٣) الدر المنثور (٤/ ١٦٦).

جماعة من الضعفاء والمجاهيل فيه، وقد ذكر نفس الحكم فى (اللآلئ المصنوعة)(١)، إذن فلماذا ذكره فى تفسيره؟ مع أن الحديث غير مشهور كسابقيه؟ وإنها آفة النفس البشرية: الفضول والتطلع على معرفة كل شىء عن أى شىء، ثم ملئ وحشو الكتب بما ينفع وما لا ينفع ولقد فرق إسلامنا بين علم ينفع، وعلم لا ينفع.

وقد لاحظت فى هذا الحديث ما وجدت العلامة أبا شهبة قد سبقنى إليها وهى تلك الركاكة التى نجدها فى ألفاظ هذا الحديث وقد كان السيد محمود الألوسى محقًّا حينما قال: (وذكر بعض الفضلاء أنه لم يجئ فى ترتيب الأجرام العلوية، والسفلية وشرح أحوالهما كما فعل الفلاسفة عن الشارع شىء، لما أن ذلك ليس من المسائل المهمة فى نظره - عليه الصلاة والسلام - وليس المهم إلا التفكر والاستدلال بهما على وحدة الصانع، وكماله - جل شأنه - وهو حاصل بما يُحسَّن منها، فسبحان من رفع السماء بغير عمدٍ، ومدّ الأرض، وجعل فيها رواسى)(٢).

والصحيح فى هذا ما جاء فى حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «جعل الله الأهلَّة مواقيت للناس، فصوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غُمَّ عليكم فعدوا ثلاثين يومًا»(٣).

**ومن الموضوعات التى ألصقت بالصحابة أيضًا فى خلق الشمس والقمر:**

(١) ما رواه الطبرى أن ابن الكواء قال لعلى رضى الله عنه عن اللطخة التى فى القمر، فقال: ويحك أما تقرأ القرآن ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ (الإسراء: ١٢)(٤).

(٢) ما روى موقوفًا ومرفوعًا عن طريق - عفير بن معدان - وهو ضعيف جدًّا، عن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله ﷺ قال: «وكِّلَ بالشمس تسعة أملاك، يرمونها بالثلج كل يومٍ، لولا ذلك ما أتت على شىء إلا أحرقته»(٥).

والمتن هنا يعانى من نكارة شديدة، فليس فيه من جوامع كلم النبوة من شىء، بل هو من الإسرائيليات والموضوعات قطعًا.

---

(١) اللآلئ (١/ ٣١) وقد حكم ابن الجوزى على الحديث بأنه موضوع (١/ ١٣٩ - ١٤٠) فى الموضوعات، وقال السيوطى: وفيه نوح بن أبى مريم: وهو وضاع دجال، وقد حكم عليه ابن الجوزى بالوضع والاختلاق.

(٢) الألوسى (١٣/ ٩٩) فى تفسيره.

(٣) قال ابن كثير (١/ ٢٩٥) فى تفسيره: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وعزاه للحاكم فى المستدرك.

(٤) الطبرى (٨/ ٤٦) برقم (٢٢١١٨ - ٢٢١١٩) فى تفسيره.

(٥) موضوع: الطبرانى (٨/ ١٩٧ - ٧٧٠٥) فى الكبير، وكذلك قال الألبانى (٢٩٣) فى الضعيفة.

وقد أثبت العلم الحديث أن الشمس تبتعد عن الأرض بحوالى اثنين وتسعين ونصف مليون من الأميال، ولو كانت أقرب إلينا من هذا لاحترقت الأرض أو انصهرت، أو استحالت بخاراً يتصاعد فى الفضاء، ولو كانت أبعد منا لأصاب التجمد والموت ما على الأرض من حياة، والذى يصل إلينا من حرارة الشمس لا يتجاوز جزءاً من مليونى جزء من حرارتها، وهذا القدر الضئيل هو الذى يلائم حياتنا[١].

إن إثبات رمى الشمس بالثلج من قبل الملائكة فيه تضييع لقدرة الله تعالى فى خلقه، وإنقاص من إبداعه سبحانه فى خلقه، وهذا بالضبط ما يريده الزنديق، أو الحاقد من أهل الكتاب، وصدق الله تعالى إذ قال: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن: ٥).

● **المجرة وقوس قُزح:**

(١) روى الطبرانى عن أبى الزنباع روح بن الفرج حدثنا إبراهيم بن مخلد حدثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطائفى عن أبى يحيى عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ إنى مرسلك إلى قوم أهل كتاب فإذا سئلت عن المجرة فقل: هى (لُعاب حَيَّة) تحت العرش»[٢].

وفى الحديث: الفضل بن المختار يحدث بالأباطيل - كما قال أبو حاتم، وهو منكر جداً، وقال ابن عدى: لا يتابع على أحاديثه لا متنًا ولا إسنادًا، ورواه عن معاذ بن جبل وفيه: (المجرة التى فى السماء هى عرق حية تحت العرش)[٣].

ثم قال: ولا يروى عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد وفيه: عبد الأعلى بن أبى سحرة ولم أعرفه.

**قلت:** وأنا أيضا لا أعرفه، ولا يعرفه، ولم يعرفه أحدٌ من أهل الجرح والتعديل، ومن هنا يأتى البلاء.

فقد عمد الوضاع أو الكذاب إلى فعل أمرين:

* وضع اسم وهمى غير معروف مجهول الحال.

---

(١) فى ظلال القرآن (٦/ ٣٤٤٨).

(٢) مجمع الزوائد (٨/ ١٣٥) للهيثمى.

(٣) السابق نفسه، وذكره السيوطى فى اللآلئ المرفوعة (١/ ٤٤) وذكره فى الدر المنثور أيضًا.

* أو وضع عن (رجل) أو (عن شيخ) أو (عمن سمعه منه) فهو مجهول الحال والعين معًا.

ثم يتلقى المتلقى الحديث دون أن يفطن إلى أن المجهول حالاً أو عينًا أو سويًّا وهذا هو سر البلاء، وسبب الكارثة.

ولا زلت أشم رائحة الزنادقة هنا الذين نقلوا فلسفتهم على لسان (الحيوانات، والطيور، والحشرات).

وهذه لعبة قذرة لطالما تكررت على مدى تاريخهم الأسود مع المسلمين، وكان بالأحرى السكوت عن هذه المرويات التى طعنت فى قدرة الخالق سبحانه، ثم جاء العلم الحديث ليكذب هذه الخرافات والأساطير، لا بمجرد النظريات فقط، بل بمشاهدات بالأجهزة الحديثة وصور تلتقط من قريب أو من بعيد.

إن حديثًا مثل هذا عندما يذكر أمام العوام الذين لا يدركون معنى (المجرة) أو (العرش) سيجعل أحدهم يطرق مفكرًا فى حجم الحية التى من لعابها السائل يتكون هذا الكون الفسيح، ثم سيناقشها مع من حوله، ويحتدم الجدال والخلاف ما بين مصدق ومكذب لنصل فى النهاية إلى أمة لا تدرى أيهما خلق أولاً البيضة أم الكتكوت!! فتهلك كما هلكت أمة الإغريق والرومان، ومن قبلهما أمة يهود حين أغرقت فى الفكر الفلسفى وهرطقاته فضاع الإيمان وسط هذا الزخم الفكرى، والحوارات الجدلية العقيمة، وهذا ما أراده الزنادقة للإسلام والمسلمين ومن أجل هذا أكثروا من ذكر هذه الروايات الخبيثة.

(٢) **أما قوس قزح:** فعن بشار بن عبيد الله عن عطاء بن أبى ميمونة عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان القوس كذا من أول السنة فهو عام خصب، وإذا كان فى آخر السنة فهو أمان من الغرق» وقد قال ابن الجوزى: هذا حديث لا يصح، وفى إسناده مجاهيل، وضعاف. وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج بحديث عطاء بن أبى ميمونة، وقال أبو الفتح الأزدى: بشار بن عبيد متروك الحديث جدًّا، منكر الأمر(١).

وقد روى ابن كثير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب إلى معاوية، وقال: إن كان بقى فيهم شىء من النبوة فسيخبرنى عمّا أسألهم عنه. قال: فكتب إليه يسأله عن المجرة وعن القوس... فقال ابن عباس: (إن القوس أمان لأهل الأرض من

---

(١) الموضوعات (١/ ٤٣) لابن الجوزى، والفوائد المجموعة (٤٦١) واللآلئ المصنوعة (١/ ٤٥).

الغرق)[1]، ثم قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضى الله عنهما.

وعلى فرض صحة الإسناد فإن (شيوع الخطأ ليس دليلاً على صحته) ومعارف العرب قديمًا لم تصل إلى حد معرفة حقيقة قوس قزح الذى أثبت العلم الحديث أنه مجرد انعكاس للشمس فى قطرات المياه المتبقية بعد المطر كنوع من أنواع انكسار الضوء، فتظهر ألوان الشمس محللة فى هذه المياه، كما يحدث مثلاً لو انسكب زيت على الأرض فسيرى ساعتها الإنسان فى الزيت ألوان الطيف السبعة، ولا علاقة لهذا بالنبوة من قريب أو من بعيد.

وما أشك فيه حقًّا هو وجود هرقل - قيصر الروم - فى ذلك الوقت، فقد روى أنه توفى قبل هذا الزمان، وتحديداً بعد معركة اليرموك (١٣هـ) بقليل أو فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه، فما لبث بعض وزرائه وجنده فى بلاط ملكه أن قتلوه شر قتلة بعد ما ضيّع ملكهم، وهو ما يجعلنى أنسف الرواية من أصولها فلا أراها إلا قاعًا صفصفًا، فقد ظهرت لى قرينة تدل على كذبها لمخالفتها التاريخ الواضح المتفق عليه، إلا إذا كان هناك هرقلٌ آخر إلا أن هرقل لما مات لم يبعث من جديد، ولم يعرف هرقل آخر بعده كملك للروم، بل صار اسم (الإمبراطور) الشائع بدلاً من (قيصر) مصداقًا لحديث النبى ﷺ والمتفق عليه: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، ولتنفقن كنوزهما فى سبيل الله».

ولم يصح عن النبى ﷺ ذكر شىء فى قوس قزح، بل كما رأيت الأحاديث موضوعة.

ولكن كانت الجزيرة العربية تمتلئ بخرافات عديدة، فقد كانت الريح إذا هبت بشدة، أو حدث الكسوف أو الخسوف، أو ما شابه أشاعوا أنها لموت أحدٍ من الناس، أو ولادته، فيبدو أن هذه المعارف مما بقيت، لم تمحها النبوة حين لم يتحدث النبى ﷺ فيها، أو أنها ماتت وعمد إلى إحيائها الزنادقة من عبدة الكواكب والنجوم والصابئة المعروف عنهم عبادة الهياكل فى السماء كالشمس والقمر والنجوم، أو أنها حقًّا من الإسرائيليات التى أشاعها، وأطلقها بنو إسرائيل، لا شك أن الجريمة تتشابك فيها الخيوط، وتشترك فيها أطراف عدة يصعب تحديدها، لكن النتيجة واحدة: الكذب على الله ورسوله،

(١) البداية (١/ ٥٤).

والتشكيك فى العقيدة .

ولنفعل كما فعل الإسلام تجاه الخمر فأمر بجلد الشارب ولم يجلد جالب الخمر لأنه لم يشربها ، فلنتق الرواية إذا علمنا بكذبها ، خاصة إذا أعيانا البحث عن راويها ، والحمد لله قد علمنا بكذبها ، فلنلقها خلفنا ظِهْرِيًا .

**● ومن الأحاديث الموضوعة والإسرائيليات المروية فى نجوم السماء:**

(١) **ما يتعلق بـ (الزُّهرة):** فقد روى ابن عمر عن كعب الأحبار أن الزهرة كانت أحسن النساء فى زمانها إلا أنها أغوت ـ هاروت وماروت ـ كما سيأتى فمسخها الله كوكبًا أو نجمًا[١] .

واشتد خطر هذه الرواية حين رفعها الزنادقة إلى النبى ﷺ عن ابن عمر كما فى مسند أحمد ، وتفسير ابن أبى حاتم[٢] .

وفى حديث آخر نسبوه إلى على رضى الله عنه يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال : (لعن الله الزهرة فإنها هى التى فتنت الملكين هاروت وماروت) ، قال ابن كثير : وهذا لا يصح ، وهو منكر جداً[٣] .

ولقد ورد اسم كعب الأحبار فى الرواية الأولى مما دلّ على وقوع هذه الرواية ضمن الإسرائيليات ، ثم رفعها الوضاعون إلى رسول الله ﷺ ، فهى باطلة .

(٢) أما النجم المسمى بـ(سُهَيْل) فقد روى البزار فى مسنده من طريق مبشر بن عبيد عن زيد بن أسلم عن ابن عمر ـ ومن طريق إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر أيضًا يرفعه إلى النبى ﷺ أنه ذكر سهيلاً ، ثم قال : (كان عشَّاراً ظَلُومًا فمسخه الله شهابًا) . والحديث فيه : مبشر بن عبيد القرشى ، وهو أبو حفص الحمصى وأصله من الكوفة .

ضعفه الجمهور . وقال أحمد والدارقطنى : كان يضع الحديث ، ويكذب ، وأما إبراهيم بن يزيد فهو الخوزى ، وهو ضعيف باتفاقهم ، وقال أحمد والنسائى : متروك . وقال ابن معين : ليس بثقة ، وليس بشىء .

---

(١) و(٢) أحمد (٢/ ١٣٤) فى مسنده ، وقال الألبانى (١٧٠) فى الضعيفة : باطل مرفوعًا .

(٣) التفسير (١/ ١٨٠) .

وقال أبو حاتم وأبو زرعة: منكر الحديث، ضعيف الحديث، وعلى هذا فالحديث لا يثبت به شيء بالكلية[١]، وقد لاحظ القرطبى ملاحظة قوية هنا، فقال: إن السماء والأرض والنجوم وغيرها خلقت قبل خلق آدم[٢]. فكيف تكون هذه النجوم مسوخًا.

وقال ابن كثير: وإذا أحسنا الظن قلنا: هذا من أخبار بنى إسرائيل . . . أو من خرافاتهم التى لا يعول عليها، والله أعلم[٣].

وهو القول فى مثل هذه الأحاديث.

إن القضية هى أن بنى إسرائيل عاشوا وماتوا كالأنعام يؤثرون الكلأ على الذهب، أو هم كالكلاب تنبح على كل من تراه، فقد تعرض بنو إسرائيل للقهر من أمم (البابليين - الآشوريين - الفرس - الرومان) وكان هؤلاء على وثنيتهم أهل دواوين وكتابة، يسجلون ما يعلمون من خرافات، والأمة المقهورة تقلد القاهرة، فقلّد اليهود هذه الأمم ونقلوا حضارتهم السخيفة التى لا تعتمد على ثوابت عقدية أو دينية، فلا تعرف ليلاً من نهار.

فلما قهرهم الإسلام أبوا الأخذ بحضارته وثقافته، وناصبوه العداء، واستعلوا بما عندهم وجنح بهم الكبرياء إلى احتقار عقيدة الإسلام، وأرادوا بعد ذلك أن يطعنوا فى الإسلام فنشروا خرافاتهم وأساطيرهم حتى ابتدعوا دينًا آخر إلى جانب الدين، وقلّ عندنا من نظر فى رواياتهم وصدقها، وسلم من السفه أو الغفلة.

وما نود تقريره حقًا أن عالم الغيب، أو عالم ما وراء الطبيعة - كما يزعمون - من حاول أن يقتحمه - كما فعل اليهود، فإنما هى محاولة بنيت على أساس خاطئ، وكل نتائجها المتوصل إليها إنما هى تخبط وضلال وجهل لأنها محاولة جاهل - كما فعل اليهود - فما ازدادوا بفعلتهم وتحريفهم إلا ضلالاً وحيرة وجهلاً.

وجاء بعض المسلمين لينقلوا عنهم ظنًا أن هذا سيثرى الإسلام وعلومه، مع أن من البديهى: أن الانحراف فى الوسيلة يؤدى إلى الانحراف فى النتائج، والأساس المنهار لا يبنى عليه قصر مشيد.

إن ما طالعناه من انحرافات بنى إسرائيل فى (بدء الخلق) وحده كفيلٌ بإثارة البلبلة (العقدية) وحلول القلق بالنفس والقلب، ولذلك فالمعرفة الحقة تأتى من السير على

---

(١) البداية والنهاية (١/ ٢٥٣).

(٢) القرطبى (٢/ ٥٧).

(٣) السابق - نفسه.

الوجه الأسنى، والطريق المستقيم وهو القرآن، بعيداً عن تلك القصاصات المنقولة من الكعوب المحرفة فى التوراة والإنجيل، أو الأكاذيب المروية عن الزنادقة والوضاعين.

**وأخيراً:**

فإن الله تعالى أخفى عنّا أموراً عدة لا سبيل إلى تحصيلها أو إدراكها، وبيّن لنا أموراً ينبغى علينا السعى فى طلبها، وحين خلق سبحانه السموات والأرض لم يصرح بأسماء الأيام التى خلق فيها كونه الفسيح فلا سبيل إلى طلب هذا، وإنما جعل الله عز وجل الكون صفحات يقرأ المؤمن سطور إعجاز الحق عز وجلّ فى كل ما خلق وأبدع، وقد دعا سبحانه عباده إلى ذلك، فقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

لقد كانت صيحة القرآن تلك هى التى أيقظت فى قلوب المؤمنين قيمة التأمل والتفكر، فهزتهم، ووجهتهم نحو معرفة الخالق سبحانه عن طريق النظر والتدبر فى آيات الله المجلوة فى كون واسع فسيح يتعانق فيه الجلال بالجمال بالكمال ليرى نسيم الشوق إلى لقاء هذا الإله الذى أبدع، وخلق، ودبّر، وقدّر سبحانه، فإن كان هذا الكون بما فيه من جمال وروعة واحداً من إبداعاته، فكيف تكون عظمته سبحانه؟! لا شك أنها لا تحتبس داخل نواميس كونية، أو تحد بحدود، أو إطار أو نطاق معلوم لأنها قدرة من ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١).

إنها قدرة خلقت، ودبرت، واعتنت، قدرة تفتق عنها هذا الوجود بسمواته وأرضينه، وهى مشاهد أَخَّاذة بمجامع القلوب وتلابيبها، تجرها نحو استشعار وحدانية الله تعالى، والإقرار له بالإيمان، والخضوع والذلة، وساعتها ستتهاوى طواغيت: الهوى، الشيطان، والنفس، وستذهب لماذا، ولِمَ، وكيف أدراج الرياح، وهذ رسالة الإسلام فى بساطتها وسهولتها بعيداً عن الإسرائيليات والموضوعات.

***

# الإسرائيليات والموضوعات فى قصة هاروت وماروت

## ● قصة هاروت وماروت:

وقد روى الطبرى فى تفسيره، والسيوطى، فى الدر المنثور، وابن كثير، والقرطبى هذه الرواية ومفادها:

«إنَّ آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة: أى ربَّنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠)، قالوا: ربنا! نحن أطوع لك من بنى آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلمّوا ملكين من الملائكة حتَّى نهبطهما إلى الأرض فتنظروا كيف يعملان، قالوا: ربّنا! هاروت وماروت. فأُهبطا إلى الأرض ومُثِّلت لهما الزُّهَرةُ امرأة من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاها نفسها، قالت: لا والله! حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: لا والله! لا نشرك بالله شيئًا أبدًا. فذهبتْ عنهما ثم رجعت بصبىّ تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله! حتّى تقتلا هذ الصبىَّ، فقال: لا والله! لا نقتله أبدًا، فذهبت ثمّ رجعت بقدح خمر تحمله، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله! حتى تشربا هذا الخمر، فشربا حتى سكرا، فوقعا عليها وقتلا الصبى. فلما أفاقا، قالت: المراة: والله ما تركتما شيئًا مما أبيتماه إلا فعلتماه حين سكرتما، فخُيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا»[١].

وقد نسب رواة هذه القصة سندها إلى ابن عمر، وابن مسعود، وابن عباس، وعلى.

ومن التابعين: كعب الأحبار، ومجاهد، والربيع بن خُثَيْم.

ورواها السُّدى، والكلبى وغيرهما من المجروحين.

وتجاوز كثير منهم فرفعها إلى النبى ﷺ عن ابن عمر رضى الله عنهما، حيث روى الطبرى بسنده عن نافع قال: سافرت مع ابن عمر، فلما كان من آخر الليل، قال: يا نافع انظر، طلعت الحمراء[٢]؟ قلت: لا. مرتين أو ثلاثًا ـ ثم قلت: قد طلعت! قال: لا مرحبًا ولا أهلاً! قلت: سبحان الله، نجم مسخر سامع مطيع! قال: ما قلت لك إلا ما

(١) الطبرى (١/ ٥٠٠ ـ ٥٠٤) فى تفسيره من فقرة (١٦٨٤) إلى فقرة (١٦٩٢). والدر المنثور (١/ ٩٧ ـ ١٠٣).

(٢) نجم فى السماء.

سمعت من رسول الله ﷺ، وقال : قال لى رسول الله ﷺ: «إن الملائكة قالت : يا رب، كيف صبرك على بنى آدم فى الخطايا والذنوب؟ قال : إنى ابتليتهم وعافيتكم. قالوا : لو كنا مكانهم ما عصيناك! قال : فاختاروا ملكين منكم. قال : فلم يألوا[١] أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت»[٢] ثم ذكر القصة.

* وإمعانًا فى تأييد هذه الرواية ذكروا عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

قدِمَت امرأة من «دومة الجندل» تبتغى رسول الله ﷺ بعد موته، حداثة ذلك، تسأله عن شىء، دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به، قالت عائشة لعروة : يا ابن أختى! فرأيتها تبكى حتى إنى لأرحمها، تقول : جاءتنى امرأة فقالت : إنى أخاف أن أكونَ قد هلكت، كان لى زوج، فغاب عنى، فدخلتْ علىَّ عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت : إن فعلت ما آمركِ به تجعليه يأتيك، فلما أتانا الليل جاءتنى بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر، ولم يكن كشىء حتى وقفنا بـ«بابل» فإذ برجلين معلقين بأرجلهما، فقالا : ما جاء بك؟ فقلت : أتعلم السحر. فقالا : إنما نحن فتنة، فلا تكفرى وارجعى، فأبيتُ وقلتُ : لا. قال : فاذهبى إلى ذلك التنور[٣] فبولى فيه، فذهبت ففزعت فلم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا : أفعلتِ؟ فقلت : نعم، فقالا : هل رأيت شيئًا؟ قلت : لم أر شيئًا، فقالا : لم تفعلى! ارجعى إلى بلدك ولا تكفرى، فأبيت، فقالا : اذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه، ثم إنى ذهبت فاقشعر جلدى وخفت، ثم رجعت إليهما، فقلت : قد فعلت. فقالا : ما رأيت؟ فقلت : لم أر شيئًا، فقالا : كذبت، لم تفعلى؛ فارجعى إلى بلدك ولا تكفرى، فإنك على رأس أمرك فذهبت فبلت فيه، فرأيت فارسًا متقنعًا بحديد خرج منى فذهب فى السماء وغاب عنى حتى ما أراه، وجئتهما، فقلت : قد فعلت، فقالا : ما رأيت؟ قلت : رأيتُ فارسًا متقنعًا بحديد خرج منى فذهب إلى السماء حتى ما أراه، فقالا : صدقت! ذلك إيمانك خرج منك، اذهبى. فقلت للمرأة، والله ما أعلم شيئًا، وما قال لى شيئًا، فقالت : بلى! لن تريدى شيئًا إلا كان، خذى هذا القمح فابذرى، فبذرت، فقلت : اطلعى، فطلعت، فقلت : القحى،

---

(١) أى يقصروا.

(٢) الطبرى (١/ ٥٠٤) برقم (١٦٩١). والدر المنثور (١/ ٩٧).

(٣) التنور : الفُرن.

فلقحت، ثم قلت: افركى ففركت، فقلت: ايبسى، فيبست، ثم قلت: اطحنى، فطحنت، ثم قلت: اخبزى فخبزت، فلما رأيت أنى لا أرى شيئًا إلا كان، سُقِط فى يدى، وندمت، والله يا أم المؤمنين، ما فعلت شيئًا قط ولا أفعله أبدًا، فسألت أصحاب رسول الله ﷺ، حداثة وفاة رسول الله ﷺ، وهم متوافرون، فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه، إلا أنه قد قال لها ابن عباس، أو بعض من كان عنده: لو كان أبواك حيين أو أحدهما[1]!

● **آراء العلماء فى هذه القصة:**

(١) نلاحظ أولاً أن رواة هذه القصة من خلال أسانيدها هم من وقعوا تحت اسم (الضعفاء أو الوضاعين، أو المتهمين بالكذب).

فقد رفعها الضحاك، وجُويبر إلى ابن عباس وكلاهما لم يلق ابن عباس ولم يسمع منه.

وفى سندها إسحاق بن بشر الكاهلى: الكذاب المتروك: كما قال علماء الجرح والتعديل.

وفيها الكلبى: المتروك الذى كان يميل إلى الرفض واسمه كصفته.

وفيها السُّدى أيضًا ومعلوم حاله كما سبق أن ذكرناه سواء أكان الكبير أم الصغير فالبلاء منهما.

(٢) مخالفتها لما اجتمعت عليه الأمة من أن الملائكة مخلوقات لها العصمة من الخطأ إذ قال تعالى فيهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦) ووصفهم بأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦، ٢٧). وقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ١٩، ٢٠). وقال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ (فصلت: ٣٨). وقال: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ (عبس: ١٦).

إلى غير هذه الأوصاف السنية التى خلعها الحق عز وجلّ على الملائكة الذين يستحيل وقوعهم فى المعصية، بل هم مدد للمؤمنين على الكافرين، ومنهم وحى السماء، والموكل بالجبال، والموكل بالقطر، إلى غير هذه المهام التى أوكلها الحق عز وجل إليهم فهم مخلوقات نورانية، وكلامهم وفعلهم نورانى أيضًا إذ ردوا العلم إلى الله فقالوا:

---

(١) الطبرى (١/٥٠٦) برقم (١٦٩٨)، والدر المنثور (١/١٠١).

﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢)، فكيف يتصور أنهم ردوا كلام الله تعالى كما فى هذه الرواية إذ قال لهم ـ كما فى زعم هذه الرواية: (لو ابتليتكما بما ابتليت به بنى آدم لعصيتمانى. فقالا: لو فعلت بنا يا رب ما عصيناك).

إن الملائكة ليست هذه صفتهم، ولا أقوالهم، بل هى من فعل إبليس اللعين الذى تجرأ على ربه عز وجلّ، فى حين نزهت الملائكة ربها عن النقص، وردّت العلم إليه، وأثنت عليه سبحانه بما سمّى به نفسه من العلم والحكمة.

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ (الأنعام: ١٢١) نعم هذه هى القضية، وهنا يكمن الداء، شيطان الجن أوحى إلى شيطان الإنس ليجعل من الملائكة آخرين كإبليس يقفون أمام الله تعالى فى قصة مختلقة، مكذوبة، موضوعة.

ولقد قال القاضى عياض: أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء[1].

ولكأنى ببنى إسرائيل الذين علوا فى الأرض، وأفسدوا فيها يريدون تسويغ المعصية لأنفسهم، وتقديم العذر عن كثرة معاصيهم فعمدوا إلى تأليف هذه القصص الخرافية التى كذبوا فيها على الله وملائكته، ورسله.

ثم جاء المسلمون لينقلوا عنهم فى النهاية.

إن هذه القصة تخالف العقيدة السلفية فى الملائكة صراحة فلا سبيل إلى تصديقها أو الإيمان بها أو حتى قبولها.

(٣) وأما الإمام ابن الجوزى فقد حكم بوضع هذه القصة[2].

(٤) وأما القاضى عياض فى الشفا فقد قال: وما ذكر أهل الأخبار، ونقلة المفسرين، وما روى عن على وابن عباس فى خبرهما وابتلائهما ـ أى هاروت وماروت ـ فاعلم أن هذه الأخبار، لم يرو منها شىء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئًا يؤخذ بالقياس... وهذه الأخبار من كتب يهود وافترائهم[3].

(٥) وأما الإمام ابن كثير فقد جزم بأن القصة من الإسرائيليات فقال: (وحاصلها ـ أى القصة ـ راجعٌ فى تفصيلها إلى أخبار بنى إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المعصوم ﷺ الذى لا ينطق على الهوى، وظاهر سياق القرآن

(١) الشفا (٢/ ١٨٨) للقاضى عياض.

(٢) اللآلئ المصنوعة (١/ ٨٢).

(٣) الشفا (٢/ ١٨٩) للقاضى عياض.

إجمال القصة من غير بسطٍ ولا إطنابٍ فنحن نؤمن بما ورد فى القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال[١].

وقال: (وبالجملة فهو خبر إسرائيلى مرجعه إلى كعب الأحبار كما رواه عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار بالقصة)[٢].

وقد رواها الطبرى بهذا الإسناد فى تفسيره بثلاث روايات[٣].

(٦) وقال الألوسى فى روح المِعانى: ونص الشهاب العراقى على أن من اعتقد فى هاروت وماروت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما، فهو كافرٌ بالله العظيم[٤].

(٧) وكذلك ردها أهل التفسير بالرأى كما فعل الرازى، وأبو السعود، وقال القرطبى: وهذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره، فإنه قول تدفعه الأصول - أى أصول الدين (العقيدة) - فى الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى رسله. وأما العقل فلا ينكر وقوع المعصية ويوجد منهم خلاف ما كلفوه، ويخلق فيهم الشهوات، إذ فى قدرة الله تعليل كل موهوم، ومن هذا خوف الأنبياء والأولياء الفضلاء العلماء. لكن وقوع هذا الجائز لا يدرك إلا بالسمع، أى من القرآن أو صحيح السنة، ولم يصح[٥]. . . ثم إن قول الملائكة: (ما كان لك أن تفتننا . . .) كفر نعوذ بالله منه، ومن نسبته إلى الملائكة الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد نزهناهم وهم المنزهون عن كل ما ذكره ونقله المفسرون، سبحان ربك رب العزة عما يصفون[٦].

(٨) وأما صاحب الظلال فقد أقر بأن هناك قصة معروفة عنهما، لكنه لم يذكرها، ثم قال: (وكان اليهود أو الشياطين يدعون أنهما كانا يعرفان السحر ويعلمانه للناس - أى هاروت وماروت - ويزعمان أن السحر أنزل عليهما! فنفى القرآن هذه الفرية أيضًا: فرية تنزيل السحر على الملكين)[٧].

---

(١) ابن كثير (١/ ٢١٥) فى التفسير.

(٢) البداية (١/ ٦٨).

(٣) بأرقام (١٦٨٦ - ١٦٨٧ - ١٦٨٨) (١/ ٥٠٢) فى تفسيره.

(٤) روح المعانى (١/ ٣٤١).

(٥) القرطبى (١/ ٥٦) فى التفسير.

(٦) السابق (١/ ٥٧).

(٧) فى ظلال القرآن (١/ ٩٥).

**● موقف غريب للسيوطى وابن حجر رحمهما الله:**

لقد تمسك الرجلان بصحة القصة وتشددا فى ذلك، عذرهما أن بعض الأسانيد إلى الصحابة صحيحة دون رفع القصة تمسكًا منهما بأصول الرواية، وقد ردّ عليهما العلامة أبو شهبة، حيث قال: (وأنا لا أنكر أن بعض أسانيدها صحيحة أو حسنة، إلى بعض الصحابة أو التابعين ولكن مرجعها ومخرجها من إسرائيليات بنى إسرائيل وخرافاتهم، والراوى قد يغلط، وبخاصة فى رفع الموقوف)(١).

إنَّ ما أعلمه جيدًا أن قصة (هاروت وماروت) تمثل (باب رزق) أو (أكل عيش) لكثير من الخطباء أو الوعاظ والأئمة، وإنكارها ووصفها بالكذب، والإسرائيلية سوف يغلق بابًا من أبواب الرزق لهم.

ولكن... إذا فسدت الوسيلة فسد العلم، وهذا ما يحدث الآن، فليس معنى صحة السند صحة المتن، إذ المتن هنا مخالف تمامًا لأصول العقيدة، كما أنه مخالف لإجماع العلماء، وما فعله السيوطى وابن حجر لا يعدو منهما - رحمهما الله - إلا تمسكًا بظاهر الأمر، والحديث: رواية ودراية ولا ينبغى أن يرجح أحدهما على الآخر فى كثير من الأحوال خاصة إذا خالفه المتن: القرآن، وصحيح السنة، والإجماع، والأصول. وقد فعلها هنا متن قصة هاروت وماروت.

**والصحيح فى تفسير هذه القصة(٢):**

أن هاروت وماروت أنزلهما الله تعالى إلى الأرض فتنة وابتلاءً للناس لحكمة مغيبة، وأنهما كانا يقولان لكل من يأتيهما ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فيعلمان الناس السحر تعليم إنذار لا تعليم دعاء إليه، بمعنى أنهما كانا يقولان لمن يطلعانه من الناس على صفات السحر وكيفياته: من تعلمه منكم وعمل به كان كافرًا ومن تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه، ولئلا يغتر به كان مؤمنًا، كقول الشاعر:

عرفت الشر لا للشرِ ولكن لِتَوَقِّيه ... فَمَن لا يَعْرِفُ الشَّرَ مِن النَّاس يَقَعُ فِيهِ(٣)

وإنما كان تعليمهم السحر للناس بأمرٍ من الله تعالى فى وقت زعمت فيه الشياطين أن سليمان عليه السلام كان ساحرًا - وحاشاه - فسخر الريح بالسحر، وسخر الجن بالسحر،

(١) الإسرائيليات والموضوعات ص١٦٤.

(٢) كان مرجعنا هنا تفسير القرطبى (١/ ٨٥) ط دار الحديث.

(٣) والبيت لأبى نواس.

فعلَّمت الشياطينُ الناسَ السحر فنزل الملكان للتفرقة بين السحر وبين المعجزة .

ولكن فى النهاية يقرر الله تعالى لنفسه بأنه لا يقع فى ملكه إلا ما يريد ، فيقول سبحانه : ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة : ١٠٢) .

إذن هى ضرورة اقتضت نزولهما إلى الأرض بإذن من الله تعالى لإزالة لبس حدث بين النبوة والسحر ، فلا حاجة لنا بتلك الروايات المكذوبة .

* * *

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة آدم عليه السلام وما يتعلق بها

**(١) روى الطبرى هذه الرواية فى تفسيره :**

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حى من أحياء الملائكة ، يقال لهم : (الجن) ، خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، قال : وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازنًا من خُزَّان الجنة . قال : وخلقت الملائكة كلها من نور غير هذا الحى ، قال : وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار - وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا ألهبت ، قال : وخلق الإنسان من طين ، فأول من سكن الأرض الجن ، فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضًا . قال : فبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة - وهم هذا الحى الذين يقال لهم : الجن ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغتر فى نفسه ، وقال : «قد صنعت شيئًا لم يصنعه أحد» . قال : فاطَّلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه ، فقال الله للملائكة الذين معه : ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقالت الملائكة مجيبين له : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ كما أفسدت الجن وسفكت الدماء وإنما بعثنا عليهم لذلك ، فقال : ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، يقول : إنى قد اطلعت من قلب إبليس على ما لم تطلعوا عليه ، من كبره واغتراره . قال : ثم أمر بتربة آدم فرفعت ، فخلق الله آدم من طين لازب - واللازب : اللزج الصلب ، من حمأ مسنون - منتن . قال : وإنما كان حمأ مسنونًا بعد التراب ، قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فمكث

أربعين ليلة جسدًا ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل - أى فيصوت - قال : فهو قول الله : ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ (الرحمن : ١٤) ، يقول : كالشىء المنفوخ الذى ليس بمصمت ، قال : ثم يدخل فى فيه ويخرج من دبره ، ويدخل من دبره ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئًا ! - للصلصلة - ولشىءٍ ما خلقت ! لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنك ، ولئن سلطت علىَّ لأعصينك . قال : فلما نفخ الله فيه من روحه ، أتت النفخة من قبل رأسه ، فجعل لا يجرى شيئًا منها فى جسده إلا صار لحمًا ودمًا ، فلما انتهت النفخة إلى سُرته ، نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا﴾ (الإسراء : ١١) ، قال : ضجرًا لا صبر له على سراء ولا ضراء . قال : فلما تمت النفخة فى جسده عطس ، فقال : (الحمد لله رب العالمين) بإلهام من الله تعالى ، فقال الله له : يرحمك الله يا آدم . قال : ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين فى السموات اسجدوا لآدم ، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره . فقال : لا أسجد له ، وأنا خير منه وأكبر سنًا وأقوى خلقًا ، خلقتنى من نار وخلقته من طين - يقول : إن النار أقوى من الطين . قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله - أى آيسه من الخير كله ، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته ، ثم علم آدم الأسماء كلها ، وهى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها ، ثم عرض هذه الأسماء على الملائكة الذين كانوا مع إبليس ، الذين خلقوا من نار السموم - وقال لهم : ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يقول : أخبرونى بأسماء هؤلاء ، ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ ، إن كنتم تعلمون أنى لم أجعل خليفة فى الأرض ، قال : فلما علمت الملائكة مؤاخذة الله عليهم فيما تكلموا به من علم الغيب ، الذى لا يعلمه غيره ، الذى ليس لهم به علم ، قالوا : ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ - تنزيهًا لله من أن يكون أحدًا يعلم الغيب غيره ، الذى ليس لهم به علم ، - تبنا إليك - ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ - تبريًا منهم من علم الغيب - إلا ما علمتنا كما علمت آدم . فقال : ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ - يقول : أخبرهم بأسمائهم . ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ قال : ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ - أيها الملائكة خاصة - ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، ولا يعلمه غيرى ، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ - يقول : ما تظهرون - ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ - يقول : أعلم السرّ كما أعلم العلانية ، يعنى ما كتم إبليس فى نفسه من الكبر والاغترار .

قال أبو جعفر: وهذه الرواية عن ابن عباس تنبئ عن أن قول الله جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ خطاب من الله جل ثناؤه لخاص من الملائكة دون الجميع، وأن الذين قيل لهم ذلك من الملائكة كانوا قبيلة إبليس خاصة - الذين قاتلوا معه جن الأرض قبل خلق آدم - وأن الله إنما خصهم بقيل ذلك امتحانًا منه لهم وابتلاء، ليعرفهم قصور علمهم وفضل كثير ممن هو أضعف خلقًا منهم من خلقه عليهم، وأن كرامته لا تنال بقوى الأبدان وشدة الأجسام، كما ظنه إبليس عدو الله ومصرح بأن قولهم لربهم: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ كانت هفوة منهم ورجمًا بالغيب، وأن الله جل ثناؤه أطلعهم على مكروه ما نطقوا به من ذلك ووقفهم عليه حتى تابوا وأنابوا إليه مما قالوا ونطقوا من رجم الغيب بالظنون، وتبرأوا إليه أن يعلم الغيب غيره، وأظهر لهم من إبليس ما كان منطويًا عليه من الكبر الذى قد كان عنهم مستخفيًا[١].

**وفى الأثر الذى يليه، قال:**

حدثنى به موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السدى فى خبر ذكره، عن أبى مالك، وعن أبى صالح، وعن ابن عباس - وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبى ﷺ: «لما فرغ الله من خلق ما أحب، استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم: الجن - وإنما سموا الجن لأنهم خزّان الجنة، وكان إبليس مع ملكه خازنًا، فوقع فى صدره كبر، وقال: ما أعطانى الله هذا إلاّ لمزية لى - هكذا قال موسى بن هارون، وقد حدثنى به غيره، وقال: لمزية لى على الملائكة - فلما وقع ذلك الكبر فى نفسه، اطلع الله على ذلك منه، فقال الله للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. قالوا: ربنا، وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون فى الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا. قالوا: ربنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعنى من شأن إبليس. فبعث جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض: إنى أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشيننى. فرجع ولم يأخذ، وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث الله ميكائيل، فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال:

---

(١) الطبرى (١/ ٢٣٨ - ٢٤٠) فى تفسيره برقم (٦٠٦).

وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحدٍ وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به[١].

إلى آخر هذه الرواية.

**ملاحظات حول الروايتين:**

(١) أنهما يحتويان على كثير من ضروب المبالغات التى لا تخلو من غرائب وعجائب وكان من نتيجتها أن وقع الخلط والاضطراب حتى أن الطبرى نفسه لاحظ هذا فقال: فهذا الخبر ـ الرواية الثانية ـ مخالف معناه معنى الرواية التى رويت عن ابن عباس من رواية الضحاك التى قدمنا ذكرها قبل[٢].

وهذا الاختلاف أو الاضطراب لا تملك إزاءه إلا الإقرار ببطلان هذه الرواية حيث لا سند لها من قرآن أو حديث.

(٢) ومما يجعلنا على يقين ببطلان هاتين الروايتين أن رواتهما رواة الكذب، فالسدى، والضحاك معلوم حالهما إذا رووا عن ابن عباس رضى الله عنهما، مما جعل ابن كثير يقول فى تفسيره: (هذا سياق غريب وفيه أشياء فيها نظر يطول مناقشتها وهذا الإسناد إلى ابن عباس يروى به تفسير مشهور)[٣].

وقال أيضًا عن رواية السدى: (وتفسير السدى يقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مدرج ليس من كلام الصحابة أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة)[٤].

(٣) مخالفة هاتين الروايتين لصحيح ما ورد فى القرآن وفى السنة النبوية الصحيحة خاصة فى هذه الأمور.

**(أ) حقيقة إبليس والجن:**

وقد ذكرت هذه الرواية أن إبليس كان من الملائكة، ومن حى يقال له الجن.

أما الرواية الثانية فقالت: إنه كان ملكًا خازنًا للسماء الدنيا.

وزادت بعض الروايات: أنه كان يسمى عزازيل، وكان من أشراف الملائكة، وأكرمهم قبيلة، وكان خازنًا على الجنان.

---

(١) السابق (١/ ٢٤٠) برقم (٦٠٧).

(٢) الطبرى (١/ ٢٤١).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٠).

(٤) السابق (١/ ١٢١).

وفى رواية ابن مسعود: كانت الملائكة تقاتل الجن، فسبى إبليس وكان صغيرًا، فكان مع الملائكة يتعبد معها، فلما أمروا بالسجود لآدم سجدوا فأبى إبليس[١].

وهى روايات من طريق الضحاك، والسدى، ومقاتل، وابن جريج، وقد سبق حالهم فى الضعف جميعًا.

وهذه الروايات تخالف صريح القرآن تمامًا فلقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ (الكهف: ٥٠)، ولذلك قال الحسن البصرى: لم يكن من الملائكة طرفة عين، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر[٢].

وقال ابن كثير: (وقد روى عن إبليس آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التى تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها، ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذى بين أيدينا، وفى القرآن غُنْية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والأبرار النجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دوَّنوا الحديث، وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره، وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوى والمقام المحمدى - خاتم الرسل وسيد البشر - أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضى الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل)[٣].

فيبدو أن الرجل - رحمه الله - قد ملّ من كثرة تصديق الناس لهذه الروايات السابقة التى ترفع من شأن إبليس اللعين الرجيم عياذًا بالله منه.

ولك أن تتصور أن حدّ الوضع لم يكن فى حقيقته فقط بل فى تكوينه أيضًا فقد نسبوا إلى مجاهد قوله: إن إبليس أدخل فرجه فى فرج نفسه فباض خمس بيضات، فهذا أصل ذريته، وقيل: إن الله تعالى خلق له فى فخذه اليمنى ذكرًا وفى اليسرى فرجًا، فهو ينكح

---

(١) الدر المنثور (١/ ١٥٩).

(٢) ابن كثير (١/ ٨٠) فى البداية والنهاية - بتحقيقى. ط - دار الفجر للتراث.

(٣) السابق (٥/ ١٢٨).

هذا بهذا، فيخرج له عشر بيضات فيخرج من كل بيضة سبعون شيطانًا وشيطانة[1].

وهذا الهراء ما أدرى كيف تساهل معه الرواة ونقله، وترك مثله قربة وزلفى لله تعالى.

لقد أراد الشعبى يومًا أن يعلم الناس أن هناك من الأمور ما لا ينبغى أن نبحث وراءها لعدم جدواها فى زيادة الإيمان، بل ربما أثرت سلبًا فى إيمان الفرد، فسأله رجل فقال: سألنى رجلٌ فقال: هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إن ذلك عُرس لم أشهده.

قصد من ذلك أن يعلم سائله أن من الأمور ما لم نره، وما لم نبلغ عنه فى القرآن فلنمسك عنه، ولنضرب عنه الذكر صفحًا.

**أما الصحيح فى هذه الروايات:**

إن أبليس هو أبو الجن، كما كان آدم أبًّا للبشر، وعاش الثلاثة مخلوقات: الملائكة، آدم، إبليس فى ملكوت الله تعالى فى السماء، ثم عصى إبليس ربه حين رأى تفضيل آدم عليه فأخرج من رحمة الله، ثم أهبط الجميع إلى الأرض، ولم يكن للجن وجود، كما لم يكن للبشر وجود حتى نزل الجميع إلى الأرض فبدأت رحلة الحياة عليها، والتكاثر بعيدًا عن هذه الروايات الموضوعة والإسرائيلية.

وما ينبغى التفطن له أن الشيطان عدو بنى آدم، ولا عون عليه إلا بالاستعاذة بالله تعالى، وينبغى اتخاذه عدوًّا كما أمرنا الله تعالى، وهو مخلوق وصف الله تعالى كيده بالضعيف، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(النساء: ٧٦)، و ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾(النحل: ١٠٠)، فما بقى إلا الاستعاذة بالله منه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(الأعراف: ٢٠٠). ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾(المؤمنون: ٩٧، ٩٨).

وهذا ما أُمرنا به فلا تتعب نفسك فيما لا يجدى ولا يفيد.

**(ب) حقيقة حوار الملائكة مع الله تعالى:**

(١) وقع أصحاب هذه الروايات فى خطأ جسيم حين ذكروا أن للملائكة (أحياء أو قبائل) فذلك قياس للغائب على الشاهد، ومعناه: (إعطاء حكم شىء لشىء آخر لاشتراكهما فى علته). فقد رأوا أن الملائكة مخلوقات وهذه هى العلة فقاسوا حالهم على حال البشر الذين يقسمون إلى أحياء وقبائل، ودول، وهو أمرٌ خاطئ بالضرورة

(١) القرطبى (١٠/ ٤٣٠) فى تفسيره.

لأنه ثمة فارق بين عالم الغيب، وعالم الشهادة، والملائكة مخلوقات لله: نعم، ولكنهم يختلفون عن البشر فى أمور كثيرة بدءًا من مادة الخلق فهى النور بينما البشر من طين، ومرورًا بالقدرات التى تعطى الملك حرية التشكل والهبوط والصعود، وانتهاءً بطبيعة المَلَك الذى لا يعصى الله، بينما البشر أصحاب أنفس ضعيفة لطالما عصوا الله تعالى إلا الأنبياء والرسل منهم فكيف إذن يتسنى أن نقول: إن للملائكة أحياء، وقبائل؟ إنه عالم الغيب ولا مستند لنا فيه إلا بوحى قطعى من قرآن أو سنة، وهو هنا غير متوافر بالمرة.

(٢) ثم أن الرواية الثانية تذكر أن الملائكة وقعت منهم (هفوة)، و(رجم بالغيب) وهذا ما يخالف أصول عقيدتنا فى الملائكة تمامًا حيث هم معصومون من الخطأ لا هفوات لهم، ولا هُم يرجمون بالغيب بل هم من ردوا العلم إلى الله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ إنه عودة لقياس الغائب على الشاهد، وتصوير للملائكة بأنهم يتناجون فيما بينهم كما يفعل عصاة البشر، ثم إن الملائكة لا يسبقون الله تعالى بالقول، أى لا يسألونه شيئًا لم يأذن لهم فيه - كما قال العلماء - فلا ينبغى خلع الصفات البشرية على الملائكة.

(٣) هذا بالإضافة إلى الحرب المزعومة على الأرض وهى الحرب التى تذكر روايات بنى إسرائيل أنها قامت بين الملائكة والجن الذين أفسدوا فى الأرض.

**فالصحيح إذن،** أن الملائكة أخبرهم الله تعالى بأنه سيخلق فى الأرض خلقًا، وسيجعل فيها خليفة، ففهم الملائكة أن هذا الخلق سيفسد فى الأرض لأمرين:

(أ) إما لأنهم عرفوا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية حيث أنهم علموا أن الإنسان سيخلق من صلصال من حمأ مسنون، فلا بد من أن تؤثر المادة التى خلق منها فيه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦)، إذن فلقد علموا أنه سيخلق من هذه المادة قبل خلقه.

(ب) أو أن الملائكة فهمت من لفظ (الخليفة) بأنه الذى يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ويردعهم عن المحارم والمآثم[١].

(ج) ومن التفسير ما لمحه قتادة حين قال: كان الله أعلم الملائكة أنه إذا جعل فى الأرض خلقًا أفسدوا وسفكوا الدماء فسألوا حين قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) القرطبى (١/ ٢٨٩) فى تفسيره، ابن كثير (١/ ١١١) فى تفسيره.

خَلِيفَةً﴾ أهو الذى أخبرهم وأعلمهم به أم لا؟[١].

وقد قال القرطبى عنه: وهذا قول حسن. ، قلت: وقد رواه عبد الرزاق فى تفسيره بسند صحيح مقطوع عن قتادة عن معمر بسند متصل وهو ما يحل عندنا إشكالية وجود الجن قبل الإنس على الإرض، ثم يبطل الحرب المزعومة، ثم يبطل أيضًا تطاول الملائكة على ربهم عز وجل.

**(جـ) ما يتعلق بخلق آدم عليه السلام:**

* تخبر هاتان الروايتان - خاصة الرواية الثانية - أن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن ينزل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض: أنى أعوذ بالله منك أن تنقص منى شيئًا أو تشيننى، فرجع ولم يأخذ... وتكررت القصة مع ميكائيل عليه السلام، ثم مع ملك الموت الذى جاء بقبضة من تراب مختلفة فجاء بنو آدم مختلفين على قدر اختلاف هذه القبضة.

(١) وهذه الرواية مخالفة تمامًا لما صحّ عن النبى ﷺ فقد جاء فى حديث أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيب، وبين ذلك»[٢].

والحديث واضح تمامًا ولا حاجة لنا بإسناد (قبضة التراب) إلى ملك الموت أو غيره، فإن الله تعالى خلق آدم بيده دون تدخل من الملائكة، يعضد ذلك حديث محاجة موسى وآدم حيث قال موسى عليه السلام لآدم: «أنت الذى خلقك الله بيده»[٣].

وهذا يؤيد ما ذكرناه. ناهيك عن أن الرواية التى نطعن فيها مملوءة بالضعفاء كالسدى، وأبى صالح، والضحاك وما أراها إلا رواية طرحها الزنادقة كـ (بديل) لما جاء فى القرآن وصحيح السنة المطهرة، فخلطت بين هذا وذاك أى بين الصحيح والباطل، والمهم هو مخالفة القرآن فى مثل هذه القصص.

(٢) ومما يؤيد قناعتى الذاتية بوضوح هذه الرواية وردّها إلى الإسرائيليات فكرتان:

---

(١) القرطبى (١/ ٢٨٩).

(٢) صحيح: الترمذى (٢٩٥٥) فى التفسير، وقال: حسن صحيح - أبو داود (٤٦٩٣) فى السُّنَّة - وصححه الألبانى (١٧٥٩) فى صحيح الجامع.

(٣) صحيح: أحمد (٢/ ٣٩٨) فى المسند، وأصله عند البخارى (٣٤٠٩) فى الأنبياء، ومسلم (٢٦٥٢/ ١٥) فى القدر عن أبى هريرة رضى الله عنه.

**الأولى:** ذكر جبريل عليه السلام وعصيانه لأمر الله، وهى فكرة يهودية بحتة، إذ اليهود يمقتون جبريل عليه السلام، ويكرهونه كراهية عمياء، حتى قال عبد الله بن سلام فى حديث إسلامه عن جبريل عليه السلام: (ذاك عدو اليهود من الملائكة)[1]، وفى هذا نزل قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧).

وسبب كراهية اليهود لجبريل عليه السلام أنه (ينزل بالحرب، والقتال، والعذاب)[2]، كما فى زعمهم، فقد حاولوا تصوير جبريل عليه السلام فى هذه الرواية على أنه ذلك الكاره لخلق الإنسان، الذى لا ينصاع لأمر الله تعالى، ليثبت فى حقه الخطأ ومن ثم يشكك فى الوحى كله وما نزل به.

أما ميكائيل عليه السلام فقد يقول القائل: لقد وصف بنفس الوصف، فهذا إما أن يكون من باب إيجاد دور له فى القصة، أو تصوير له بالعلاقة الطيبة بالأرض، إذ اليهود يحبونه لأنه فى زعمهم يتنزل بالرحمة.

وما هو إلا حشو يزيدون به القصة، وإلا فأين دور إسرافيل؟ إنها طبيعة البشر حين يكتبون: النسيان.

وإذا أردت أن تكون كذوبًا فكن ذكوراً.

**الثانية:** أن ملك الموت هنا يصور على هيئة الشديد الفظ الغليظ، وهى صورة مطبوعة فى الأذهان حتى أن رواية أخرى زادت: أن ملك الموت لما جاء بهذه القبضة، قال الله له: أنت تصلح لقبض روح عبادى!!

كيف وهو (ملك الموت) مُذ خلقه الله تعالى؟!

ألا ترى معى أن فى هذا كله إنقاصًا من قدرة الله تعالى، وتصويره له سبحانه على أنه مجرد آمر، والملائكة هم المنفذون والفضل لهم، ولولاهم ما صلحت الأمور، نعم هذا هو مراد الزنادقة، واليهود الذين عمدوا إلى تشويه الذات الإلهية، ووصفها بالفقر، واليد المغلولة، والتشبه بالبشر، والخداع ليعقوب عليه السلام، وغيرها من أوصاف النقص، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتنزه وتقدس، سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن الله تعالى خلق آدم كما وضح فى القرآن الكريم بيده، خلقه من تراب، وصوّره

---

(١) صحيح: البخارى (٣٣٢٩) فى أحاديث الأنبياء.

(٢) حسن: أحمد (١/ ٢٧٤) فى المسند، وقال الهيثمى (٨/ ٢٤٢) فى المجمع: رجاله ثقات.

فأحسن تصويره ثم نفخ فيه من روحه، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ﴾ (ص: ٧١، ٧٢) ثم كان الصراع بعد ذلك مع الشيطان وهذا هو الصحيح فى هذا الأمر، وهو ما جاء به الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قد قال: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم قال: اذهب فسلّم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن»[1].

ومن ناحية أخرى فإن هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة كلها ترد على أصحاب نظرية التطور قولهم، فلم يسبق إليها أحد قديمًا أو حديثًا، وإنما منذ بدء الخليقة والكل يعلم أنه مخلوق من تراب أو من طين، وهذا ما أيده العلم الحديث نفسه، ولا حاجة لنا بالخوض فى مثل هذه المسائل التى قتلت بحثًا.

● أخبار عجيبة عن مهر حواء عليها السلام:

* وهذه رواية سمعتها من أحد الخطباء قبل أن أقرأها، وقد أعيتنى بحثًا حتى وجدتها، فقد ذكر الثعلبى فى كتابه (عرائس المجالس)[2] ورد فى بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مدّ يده إليها، فقالت الملائكة: مه يا آدم. فقال: وَلِمَ خلقها الله لى؟ قالوا: حتى تؤدى مهرها. قال: وما مهرها؟ قالوا: أن تصلى على محمدٍ ثلاث مرات. قال: ومن محمدٍ؟ قالوا: آخر الأنبياء، ولولا محمد ما خُلقت.

لقد سوّد الرجل صفحات كتابه بهذه الموضوعات التى لا يعلم مصدرها إلا الله تعالى، فقبّح الله الكذب والكذابين.

لقد روى الرجل الحديث بصيغة (التمريض) رُوى - ذُكر؛ وكلها من الروايات التى لا يعلم لها صاحب ولا راوٍ، قصد بها أصحابها الترويج لأكاذيبهم، والغش والتدليس، وتصديق العوام لهم، فلا زال المنبر والكتاب يتمتعان بقداسة يصعب معها تكذيب كل حديث، وما أسفه قول أحدهم: من أنت لتعدل على الثعلبى؟!

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٢٦) فى أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٤١) فى الجنة وصفة نعيمها.
(٢) ص٥٩.

**● قصة الغواية (معصية آدم عليه السلام):**

روى الطبرى فى تفسير هذه القصة:

حدثنا به الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا عمر بن عبد الرحمن ابن مهرب قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لما أسكن الله آدم وذريته ـ أو زوجته ـ الشك من أبى جعفر، وهو فى أصل كتابه، وذريته ـ ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرة غصونها متشعب بعضها فى بعض، وكان له ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهى الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل فى جوف الحية، وكانت للحية أربعة قوائم كأنها بختية[1] ـ من أحسن دابة خلقها الله ـ فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء فقال: انظرى إلى هذه الشجرة! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها! فأخذت حواء فأكلت منها ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت: انظر إلى هذه الشجرة! ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها! فأكل منها آدم، فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم فى جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هنا يا رب، قال: ألا تخرج؟ قال: أستحيى منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمرها شوكًا قال: ولم يكن فى الجنة ولا في الارض شجرة كان أفضل من الطلح والسِّدر، ثم قال: يا حواء، أنت التى غررت عبدى، فإنك لا تحملين حملاً إلا حملته كرهًا، فإذا أردت أن تضعى ما فى بطنك أشرفت على الموت مرارًا، وقال للحية: أنت التى دخل الملعون فى جوفك حتى غَرَّ عبدى، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك فى بطنك، ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحدًا منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك. قال عمر: قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء[2].

وقد رواها الطبرى أيضًا من طريق ليث بن أبى سليم وهو ضعيف عن ابن عباس.

ورواها من طريق أبى معشر وهو ضعيف أيضًا.

ورواها السدى عن أبى مالك وأبى صالح ومعلوم حال هذه السلسلة: سلسلة الكذب.

---

(١) البختية: الإبل الخَراسانية.

(٢) الطبرى (١/ ٢٧٣) فى تفسيره ـ برقم (٧٤٢).

ورواها أيضًا من طريق مرة الهمدانى عن ابن مسعود وجماعة من أصحاب النبى ﷺ.
ثم إنها تدور فى فلك وهب وإسرائيلياته التى نقلها دون تعمد للكذب.

**ملاحظات حول هذه القصة العجيبة:**

(١) تدور هذه القصة فى فلك مرويات اليهود والنصارى، ونظرتهم للمرأة التى يعتبرونها أساسًا للفساد وأُمًّا للخطيئة، فتتفق مع ما يعتقدونه من أفكار تلقى بالاتهامات على حواء عليها السلام وأنها سبب الخروج من الجنة، بل إن التوراة لتذكر هذه الرواية صراحة كما فى سفر التكوين (٣/ ١ - ١٩) فجاء فيها:

وكانت الحية أجمل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله، فقالت للمرأة: أحقًّا قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل، فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا فى الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان اختبأت. فقال: مَنْ أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذى فعلت؟ فقالت المرأة: الحية أغرتنى فأكلت. فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة تكثيرًا: أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادًا، وإلى رجل يكون اشتياقك وهو يسود عليك.. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلاً: لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكًا وحسكًا تنبت لك وتأكل عشب الحقل، بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود.

(٢) ثم ألا ترى أن الخرافات هنا تشق طريقها إلى القصة؟

فإبليس يدخل فى الحية التى كان لها أربعة قوائم كالبعير.

والحية تتكلم إلى حواء ويدور بينهما حوار ثم تستجيب المرأة العاقلة لها.

ثم اللعنة التى حلت على الأرض، ولم تكن الأرض قد أذنبت و﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ - إنها - أى هذه الرواية - وإن لم ترو عن وهب بن منبه، فإنها تتفق والاتجاه العام للقصص الإسرائيلى الذى تبدو فيه عناصر (الخطيئة - اللعنة - كراهية المرأة - الكذب والخرافات).

(٣) ثم كانت الضربة القاصمة التى يوجهها رواة هذه القصة إلى عقيدة الإسلام حينما ادعوا كذبًا وزورًا أن الملائكة كانت تأكل، وهو ما يخالف عقيدتنا تمامًا ويجعلنا مطمئنين إلى رد القصة بكاملها فى وجه أصحابها.

**آراء العلماء فى رد هذه القصة:**

(١) أما الفخر الرازى فى تفسيره فقد قال: هذا المحكى عن وهب بن منبه اليمانى وغيره يجب ألاّ يلتفت إليه، لأن إبليس لو قدر على الدخول فى فم حية، فلِمَ لم يقدر على أن يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة؟ ولأنه لما فعل ذلك بالحية فلِمَ عُوقبت مع أنها ليست بعاقلة ولا مكلفة؟![1] ثم استفاض - رحمه الله فى رد هذه القصة.

(٢) أما ابن كثير فقد قال: (وقد ذكر المفسرون من السلف كالسُّدى بأسانيده وأبى العالية، ووهب بن منبه وغيرهم ههنا أخباراً إسرائيلية عن قصة الحية وإبليس وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنة، ووسوسته)[2] والوسوسة هنا هى ما يتعرض له ابن آدم من الشيطان دون أن يراه أو يسمعه وكلنا بها مُقرٌّ.

**● روايات إسرائيلية أخرى بعد نزول آدم إلى الأرض:**

قال الطبرى: كما حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج: ٢٦) قال: وضع الله البيت مع آدم ﷺ حين أهبط آدم إلى الأرض،

(١) مفاتيح الغيب (٣/ ١٥ - ١٦) والغريب أن رجلاً فى عقل القرطبى صدق القصة، واستفاض فى الدفاع عنها حتى سود صفحة كتابه بها، وراح يتخذ من أحاديث أمر النبى ﷺ فيها بقتل الحيات دليلاً على صحة القصة، واستدل بأن هناك حيوانات أخرى تؤذى كالوزغ، والفأر، والعقرب فهى من هذا القبيل - تفسير القرطبى (١/ ٣٣).

(٢) ابن كثير (١/ ١٢٥).

وكان مهبطه بأرض الهند، وكان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض، فكانت الملائكة تهابه فنقص إلى ستين ذراعًا، وإن آدم لما فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم، شكا ذلك إلى الله، فقال الله: يا آدم إنى قد أهبطت لك بيتًا يطاف به كما يطاف حول عرشى، ويصلى عنده كما يصلى حول عرشى، فانطلق إليه فخرج إليه، ومدّ له فى خطوه، فكان بين كل خطوتين مفازة - أى صحراء - فلم تزل المفاوز على ذلك حتى أتى آدم البيت فطاف به، ومن بعده الأنبياء[1].

وهذه رواية تتحدث عن أمور تصطدم مع عقديتنا تمامًا وأهمها: خوف الملائكة من آدم عليه السلام مما يجعلنا نرد هذه القصة تمامًا، واحتوائها على مبالغة أخرى كأن يكون آدم من السماء إلى الأرض أو العكس طولاً، وهى علة تقدح فى الحديث، كما أن ما بين خطوتى آدم صحراء واسعة أمر بعيد عن العقل وهو يصح إذا أراده الله، لكن لا مستند صحيح لهذا وإلا كنا قبلناه.

(٢) ما رواه السيوطى فى الدر المنثور بسند ضعيف عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «هبط آدم وحواء عريانين جميعًا، عليهما من ورق الجنة، فأصابه الحر حتى قعد يبكى ويقول لها: يا حواء قد آذانى الحر، فجاء جبريل بقطن، وأمرها أن تغزل وعلمها وعلم آدم، وأمر آدم بالحياكة وعلّمه، وكان لم يجامع امرأته فى الجنة حتى هبط منها، وكان كل منهما ينام وحده حتى جاء جبريل فأمره أن يأتى أهله وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاها جاءه جبريل فقال: كيف وجدت امرأتك؟ قال: صالحة[2].

وهذه الرواية مخالفة لما جاء فى القرآن لأن الله تعالى قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)، ثم قال ابن كثير: (إنه حديث غريب ورفعه منكر جدًّا)، وقد يكون من كلام بعض السلف، ثم ذكر أن من رواته سعيد بن ميسرة، وهو أبو عمران البكرى البصرى، قال فيه البخارى: منكر الحديث.

وقال ابن حبان: يروى الموضوعات. وقال ابن عدى: مظلم الحديث[3].

(٣) وقال وهب بن منبه: لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض. قال إبليس للسباع: إن هذا عدو لكم فأَهْلِكُوه، فاجتمعوا وولّو أمرهم الكلب، وقالوا: أنت أشجعنا،

---

(١) الطبرى (٩/ ١٣٢ - ١٣٣) برقم (٢٥٠٣٠).

(٢) الدر المنثور (١/ ١٣٨).

(٣) البداية والنهاية (١/ ١٢١ - ١٢٢).

وجعلوه رئيسًا، فلما رأى ذلك آدم عليه السلام تحيَّر فى ذلك، فجاءه جبريل عليه السلام لما رأى إيذاء الكلب له، وكان قد أميت فؤاده - أى الكلب - فروى فى الخبر أن جبريل عليه السلام أمره أن يضع يده على رأسه، فوضعها فاطمأن إليه وألفه، فصار ممن يحرسه ويحرس ولده ويألفهم، وبموت فؤاده يفزع من الآدميين، فلو رُمى بمدرٍ - حجارة - ولّى هاربًا ثم يعود آلفًا لهم. ففيه شعبة من إبليس، وفيه شعبة من مَسْحة آدم عليه السلام، فهو بشعبة إبليس ينبح ويهر ويعدو على الآدمى، وبمسحة آدم مات فؤداه حتى ذلّ وانقاد، وألف به ولده يحرسهم، ولهثه على كل أحواله من موت فؤاده[1]!!

وكما ترى، ففى الرواية: (لا إسناد) وفيها (وروى فى الخبر) وهى منسوبة لـ (وهب ابن منبه) وفيها خرافات ومبالغات، وتصوير للكلب على أنه مكلف، فهذه سوءات تقضى بتكذيبها وردها.

**● توبة آدم عليه السلام، والكلمات التى تلقاها:**

(٤) وروى الحاكم، والبيهقى، وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى. فقال الله: كيف عرفت محمدًا ولم أخلقه بعد؟ فقال: يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلى وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك».

**قلت:** إنه سفه الصوفية أيضًا، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم سبق أن وضحنا حاله وأنه مجروح لا تعديل فيه فالحديث موضوع حكم بوضعه الذهبى، وكذا فعل الشيخ الألبانى رحمه الله[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]: ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه، فإنه نفسه قد قال فى كتاب (المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم): عبد الرحمن بن زيد بن

---

(١) القرطبى (١/ ٣٣٨) وعزاه للحكيم الترمذى.

(٢) وقد رواه الحاكم (٤٢٢٨) فى المستدرك، وعند الألبانى فى الضعيفة برقم (٢٥).

(٣) القاعدة الجليلة فى التوسل والوسيلة (ص٦٩).

أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

ثم قال: وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم، يغلط كثيرًا. اهـ.

**قلت:** ويصطدم الحديث تمامًا مع عقيدة السلف بعدم التوسل إلى الله تعالى بأحدٍ من خلقه ولو كان محمدًا ﷺ، وهذه علة قادحة في الحديث.

**أما الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام:** فقال عنها ابن كثير[1]، هي: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، وبهذا قال الحسن البصري رضي الله عنه.

قلت: وهو المروي بالطرق الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وهو ما أقره أيضًا العلامة الشنقيطي في أضواء البيان[2].

## • الطامة الكبرى!!

ومن طابع أمة يهود نسبة الأنبياء والمرسلين إلى الشرك، وقد عرف هذا عنهم على مدى تاريخهم، وقد تسرب من هذا إلى كتب التفسير هذه الرواية التي رواها الطبري عند قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٩، ١٩٠).

فقد روى الطبري عن محمد بن بشّار، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة بن جندب، عن النبي ﷺ، قال: (كانت حواء لا يعيش لها ولدٌ)، فنذرت لئن عاش لها ولدٌ لتسميه (عبد الحارث) فعاش لها ولد، فسمته (عبد الحارث) وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان)[3].

ثم عاد الطبري وغيره، فذكره عن ابن عباس من طرق ضعيفة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

---

(١) التفسير (١/ ١٢٨) لابن كثير. وبه قال ابن عطية (١/ ٢٦١) في المحرر الوجيز.

(٢) (١/ ٤٣٠) في أضواء البيان.

(٣) الطبري (٦/ ١٤٤) برقم (١٥٥٢٤) وهو عند أحمد والترمذي والحاكم. وقد سبق أنهم كانوا قد سموا الشيطان: الحارث.

وهذه هى الطامة الكبرى أن ينسب النبى ﷺ الشرك إلى آدم وحواء، فأين عصمة الأنبياء؟

والأسوأ أن الحاكم قال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وكأنه عمى عمّا فيه.

وقد جاء ابن كثير ليبرز ـ رحمه الله ـ مدافعًا ومنافحًا عن عقيدة الأمة ودينها فيقول:

والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

**أحدها:** أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصرى، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن ابن سمرة مرفوعًا، فالله أعلم.

**الثانى:** أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعًا ـ كما قال ابن جرير. . . عن سمرة: سمى آدم ابنه عبد الحارث.

**الثالث:** أن الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما عدل عنه.

وكان تفسير الحسن فى الآية قال: كان هذا فى بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.

ثم عاد فقال: (ويحتمل أنه ـ أى سمرة ـ قد تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب وغيرهما)(١).

وقد أشار أبو شهبة ـ رحمه الله ـ أن الألوسى اغتر بهذه الآية، فقال: (وهذه الآية عندى من المشكلات) وللعلماء فيها كلامٌ طويل، ونزاع عريض. . ، وقد يقال: أخرج ابن جرير عن الحبر: أن الآية نزلت فى تسمية آدم، وحواء ولديهما بعبد الحارث، ومثل ذلك لا يقال من جهة الرأى وهو ظاهر فى كون الخبر تفسيراً للآية. . وأنت قد علمت أنه إذا صحّ الحديث فهو مذهبى، وأراه قد صحَّ، ولذلك أحجم كميت قلمى عن الجرى فى ميدان التأويل، كما جرى غيره والله تعالى الموفق للصواب)(٢).

وما رأيته فور قراءتى لهذه الرواية أنها ترتبط بأولى الروايات التى ذكرناها فى خلق آدم وضعفناها، والتى تقضى بأن اسم إبليس كان (الحارث) ـ إذن فالأساس باطل، فكيف يبنى عليه؟ يبدو أن الوضّاع هنا واحد، أو أن المصدر واحد لهذه القصص العجيبة.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٢) الإسرائيليات والموضوعات (٢١٠) نقلاً عن الألوسى (٩/ ١٣٩ ـ ١٤٢).

وأصح ما روى فى تفسير هذه الآية، ما ذكره العلاّمة الشنقيطى ـ رحمه الله ـ فقال:

أنه لما أتى آدم وحواء صالحًا كفر به بعد ذلك كثيرٌ من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء، لأنهما أصلٌ لذريتهما كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: ١١) أى بتصويرنا لأبيكم آدم لأنه أصلهم بدليل قوله تعالى بعده: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (الأعراف: ١١) ويدل على هذا أنه تعالى قال بعده: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٠، ١٩١)، وهذا نص قرآنى صريح فى أن المراد: المشركون من بنى آدم، لا آدم وحواء[1].

قلت: وهذا ما سبق أن فسر به الآية: الحسن البصرى وابن كثير رحمهما الله.

**تعقيب:**

وبعد هذه الأخبار نذكر هذه الملاحظات:

(١) أن الأرض لم تكن يومًا من الأيام مسرحًا أو مكانًا للعقاب، بل هى مكان معدٌ لآدم عليه السلام وذريته من ذى قبل.

(٢) أن آدم عليه السلام رغم أنه أخطأ إلا أن هذا كان اختيارًا منه مما يثبت أن للإنسان اختيارًا فى أفعاله وإلا لما استحق الحساب فى بعض الأوقات ـ رغم أنه قدر كتبه الله عليه، وكان الخطأ مشتركًا مع حواء عليها السلام، فلم تكن هى التى أغوته، وإنما هى وسوسة ألقاها الشيطان فى قلبيهما، ولذا قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة: ٣٦)، ثم كان اعتراف آدم بمسئوليته عن خطئه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ (الأعراف: ٢٣).

(٣) أنه لا مجال للقول بالخطيئة المتوارثة التى زعمها أهل الكتاب، فلقد قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٣٧)، فلا مجال للقول بعقيدة الفداء، أو اللعنة على أهل الأرض، فإنه باطل تمحقه آىُ القرآن فى أول سورها الطوال، وهى سورة البقرة.

(٤) إن عقيدتنا فى الأنبياء ـ ومنهم آدم عليه السلام ـ أنه لا يجوز نسبة الشرك إليه أو إلى أم البشر حواء مع التوقف مع صحيح ما ورد من القرآن والسنة فى قصتهما.

* * *

(١) أضواء البيان (١/ ٤٣٥).

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة ابنى آدم ـ عليه السلام ـ

وهى التى ذكرها الله تعالى :

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ (المائدة: ٢٧ ـ ٣١).

**ومن الإسرائيليات والموضوعات المروية فى هذه القصة:**

(١) ما رواه القرطبى[١] عن جعفر الصادق بلا سند، فقال: وقد روى فى هذا الباب عن جعفر الصادق: أن آدم عليه السلام لم يكن يزوج ابنته من ابنه، ولو فعل ذلك آدم لما رغب عنه ـ أى تركه ـ النبى ﷺ، ولا كان دين آدم إلا دين النبى ﷺ، وأن الله تعالى لما أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حواء بنتًا فسماها عناقًا فبغت ـ (وأعوذ بالله من هذا) ـ وهى أول[٢] من بغى على وجه الأرض؛ فسلَّط الله عليها من قتلها ـ ثم ولدت لآدم قابيل، ثم ولدت له هابيل، فلما أدرك[٣] قابيل أظهر الله له جنية من ولد الجن، يقال لها: جمالة فى صورة إنسية، وأوحى الله إلى آدم أن زوِّجها من قابيل فزوجها منه.

فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حُورية فى صفة إنسية وخلق لها رحمًا، وكان اسمها: (بزلة)، فلما نظر إليها هابيل أحبها فأوحى الله إلى آدم أن زوج بزلة من هابيل ففعل.

فقال قابيل: يا أبت ألست أكبر من أخى؟ قال: نعم.

---

(١) القرطبى (٦/ ١٣٣).

(٢) بالله ما أسفه الوضاع وأحقره فمع من بغت أمع أبيها أم أخيها ولم يكن سواهم. أم مع الشيطان؟!.

(٣) أى وصل إلى سن الاحتلام والبلوغ.

قال: فكنت أحق بما فعلت به منه. فقال له آدم: يا بنى إن الله قد أمرنى بذلك، وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، فقال: لا والله ولكنك آثرته علىَّ.

فقال آدم: فقربا قربانًا فأيكما يُقبل قربانه فهو أحق بالفضل) اهـ.

وسأترك القرطبى يرد على نفسه إذ قال: هذه القصة عن جعفر ما أظنها تصح، وأن القول ما ذكرناه من أنه كان يزوج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن. . . وما روى عن جعفر من قوله: فولدت له بنتًا وأنها بغت فيقال: مع مَنْ بغت؟ أمع جنى تسول لها، ومثل هذا يحتاج إلى نقل صحيح يقطع العذر، وذلك معدوم[١].

**(٢) ومن الإسرائيليات:**

ما روى عن الحسن البصرى من طريق سفيان بن وكيع، قال: (كان الرجلان اللذان فى القرآن اللذان قال الله: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾ من بنى إسرائيل، ولم يكونا من بنى آدم لصلبه، وإنما كان القربان فى بنى إسرائيل، وكان آدم أول من مات)[٢].

وهذه رواية مكذوبة لعدة أسباب:

(١) وجود سفيان بن وكيع فيها والبلاء منه فى أحاديث وآثار كثيرة فهو ضعيف جدًا.

(٢) وقد ردها ابن عطية وقال: وهذا وهمٌ، وكيف يجهل صورة الدفن أحدٌ من بنى إسرائيل حتى يقتدى بالغراب[٣]؟

قلت: وهذا صحيح، لأنه إذا كان آدم أول من مات، فلا بد أن سنة الدفن عرفت من بعده، فالرواية تناقض بعضها بعضًا.

(٣) أنها مخالفة لأسلوب القرآن، فقد تعود القرآن إذا كان أهل القصة من المعروفين بنوتهم للأنبياء أو الرسل فإنه يذكر بنوتهم، فقال ﴿لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ﴾ (لقمان: ١٣). ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ (هود: ٤٢)، ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ﴾ (التحريم: ١٠) وإما إن كان من غير هؤلاء فإن القرآن لا يذكر قرابة من بعيد أو قريب، فيقول: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ (القصص: ٢٠).

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ﴾ (الكهف: ٣٢) ومثل هذا فى القرآن واضح[٤]، فلو كان الرجلان من بنى إسرائيل لما ألصق الله تعالى بنوتهما لآدم عليه السلام مباشرة، ولذكر

---

(١) السابق (٦/ ١٣٤).

(٢) الطبرى (٤/ ٥٣٠) برقم (١١٧٢٢).

(٣) تفسير ابن عطية (٤/ ٤٠٩).

(٤) ومثل هذا تراه فى سورة يوسف وقصته فيذكر الله تعالى (إخوة يوسف) أما عن السجينين فيقول سبحانه: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ (يوسف: ٣٦).

أنهما (رجلان) فقط. ونحن لا نوجب على الله تعالى، ولكن هذا ما جرت به عادة القرآن الكريم، والله بكلامه وكتابه أعلم وأحكم.

**(٣) ومن الإسرائيليات:**

ما ذكره الطبرى عن أبى إسحاق الهمدانى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: لما قتل ابن آدم أخاه بكى آدم فقال:

تَغَيَّرَت البِلادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَلَوْنُ الأرْضِ مُغْبَرٌ قَبِيحُ

تَغَيَّر كُلُّ ذِى لَوْنٍ وَطَعْمٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةُ الَوجه المَلِيحِ

فأجيب آدم عليه السلام:

أبَا هَابِيلَ قَـدْ قُتِلاَ جَمِيعًا ... وَصَار الحَىُّ كَالْمَيِّتِ الذَّبِيحِ

وَجَاءَ بِشرَّةٍ قَـدْ كَانَ مِنْهَا ... عَلَى خَوْفٍ فَجَاءَ بِهَا يَصِيحُ[١]

وقال ابن كثير: وذكرت هذه الأبيات بلفظ أكثر عند ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق، ثم قال: ولم ينبه ابن عساكر على نكارته ولا غرابته، وكان خليقًا وجديراً بذلك. ثم قال: وهذا الشعر فيه نظر، وقد يكون آدم عليه السلام قال كلامًا يتحزن به بلغته فألفه بعضهم إلى هذا، وفيه أقوال والله أعلم[٢].

قلت: وفى هذا الشعر (إقواء) وهو تغير حركة آخر البيت فتراه مرفوعًا فى نهاية البيت الأول (قبيحُ)، ثم تراه مكسوراً فى البيت الثانى، وهو دليل على قلة خبرة الوضّاع هنا بقواعد العربية، أو تكلفه فى قول الشعر لعدم درايته بعلم العروض وقواعده، وهو ما يؤيد عندى أن واضعه من غير العرب!!

وقال السيد محمود الألوسى فى تفسيره: (من قال أن آدم عليه السلام قد قال شعراً فقد كذب، إن محمد ﷺ، والأنبياء كلهم فى النهى عن الشعر سواء، ولكن لما قتل قابيل هابيل بكاه آدم بالسريانية، فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان، وكان يتكلم بالعربية والسريانية، فقدّم فيه وأخّر وجعله شعراً عربيًا، وذكر بعض علماء العربية أن فى ذلك الشعر لحنًا، وإقواءً، وارتكاب ضرورة، والأوْلى عدم نسبته إلى يعرب، لما فيه من الركاكة الظاهرة)[٣].

---

(١) الطبرى (٤/ ٥٣٠) برقم (١١٧٢٤).

(٢) البداية (١/ ١٤٢).

(٣) روح المعانى (٦/ ١١٥) للألوسى.

**( ٤ ) ومن الإسرائيليات هنا:**

ما وقع من رواية الطبرى والسيوطى حيث قالا عن سالم بن أبى الجعد: لما قَتَل ابن آدم أخاه، مكث آدم مائة سنة حزينًا لا يضحك، ثم أتى فقيل له: حيَّاك الله وبيَّاك! فقال: (بيّاك) أى (أضحكك)[1].

قال الزمخشرى: (روى أن آدم مكث بعد قتل ابنه مائة سنة لا يضحك، وأنه رواه بشعر، وهو كذب بحت، وما الشعر إلا منحولٌ ملحون، وقد صحّ أن الأنبياء معصومون من الشعر[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ (يس: ٦٩)).

**( ٥ ) ومن الإسرائيليات فى هذه القصة أيضًا:**

* ما روى من طريق السدى عن ابن عباس أن هابيل - المقتول - هرب فى رءوس الجبال من أخيه، فما قتله إلا على حين غفلة وهو نائم.

* وما روى عن ابن جريج أنه قال: أن إبليس أراد تعليم القاتل كيف يقتل أخاه، فجاء بطير أو دابة، ووضع رأسه على حجر ثم أخذ حجرًا آخر فرضخ به رأسه، والقاتل ينظر ففعل مثلما فعل الشيطان.

* وأن الأرض لعنت لما نشفت دم القتيل.

* وأن القاتل حمل أخاه فى جراب يسير به أربعين يومًا - أو ستة - علمًا بأن الجثة تتحلل فى أقل من ثلاثة أيام!!

* ومنها ما رواه الكذاب إسحاق بن بشر الكاهلى فى كتاب المبتدأ، من أن الله تعالى بعث ملكًا من الملائكة فضم رجل القاتل اليمنى إلى إليته اليسرى، ورجله اليسرى إلى إليته اليمنى، ثم علقه فى عين الشمس وتحاط سبع حظاير من حظاير النار، فإذا كان الصيف كان من أشد الناس حرًا، وإذا كان أيام الشتاء كان من أشد الناس زمهريرًا، فعذبه الله بذلك ثمانين عامًا، ثم ألقاه إلى الأرض وعليه تلك الحظاير، وأوحى الله إلى الأرض أن اخسفى به. قال: فأخذته الأرض إلى كعبيه، فقال: يا رب ارحمنى، فقال: إنما أرحم كل رحيم، خذيه، فأخذته إلى ركبتيه، ثم أخذته إلى وسطه. فقال: يا رب إن كنت عصيتك فقد عصاك من هو خير منى، أبى، وقد خلقته بيدك، وأسجدت له

---

(١) الطبرى (٤/ ٥٣٠) برقم (١١٧٢٣) والسيوطى (٣/ ٦٣) فى الدر المنثور.

(٢) الكشاف (١/ ٤٣١)

ملائكتك وأسكنته جنتك، قال: فكيف رأيتنى فعلت به؟ أخرجته من ملكوت السماء[1] إلى هوان الأرض. ثم قال: خذيه، فأخذته إلى صدره، فقال: يا رب إن آدم أخبرنى أنك خلقت مائة رحمة فقسمت منها رحمة واحدة بين خلقك، وادخرت تسعة وتسعين فى خزائن عرشك، فإذا كان يوم القيامة ضُمت هذه إلى تلك، فرحمت بها عبادك حتى أن إبليس الأبالسة ليتطاول لها رجاء أن تناله منها شىء، فلا يجتنى منها، فقال الله: كيف أرحمك ولم ترحم أخاك، وقال للأرض: خذيه فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)[2].

وهذه القصة أخلاط من عدة أحاديث، وخيال شيطانى أوحى به الشيطان لواضعه، فكيف يكلم الله قاتلاً كهذا؟ إنما هى أضغاث أحلام، وأكاذيب زوروها ولفقوها.

قلت: وقد أعرضت عن ذكر القصة لعدم اعتمادى فيها على مصدرٍ موثوق به حيث أن كل المصادر نقلتها عن بنى إسرائيل وهى من القسم الذى لا يصدق ولا يكذب.

***

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة إدريس عليه السلام

فقد ذكر الرواة، خاصة الطبرى، والسيوطى عن تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٦، ٥٧)، ذكروا قصة منقولة عن كعب الأحبار.

(١) فقد روى الطبرى، فقال: حدثنى يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنى ابن وهب، قال: أخبرنى جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال ابن يساف، قال: سأل ابن عباس كعبًا وأنا حاضر، فقال: ما قول الله تعالى لإدريس: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال كعب: أما أدريس: فإن الله أوحى إليه أنى رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم فأحبّ أن تزداد عملاً، فأتاه خليل من الملائكة، فقال: إنّ الله أوحى إلىّ كذا وكذا، فكلّم لى ملك الموت، فليؤخرنى حتى أزداد عملاً، فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء، فلما كان فى السماء الرابعة، تلقاه ملك الموت منحدرًا، فكلّم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو

(١) تذكر كلمة يحيى فى الإنجيل ـ (قد اقترب ملكوت السموات) ونظرة اليهود للأرض بأنها دار العقاب لا الاختبار.

(٢) ذكره ابن كثير (١/ ١٤٣) فى البداية وسكت عنه.

ذا على ظهرى. قال ملك الموت: فالعجب، بُعثت أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الأرض، فقبض روحه هناك(١).

(٢) وذكر القرطبى القصة عن كعب أيضًا(٢)، ولكن زاد فى أولها (أن إدريس عليه السلام سار ذات يوم فى حاجة فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب أنا مشيت يومًا فكيف بمن يحملها خمسمائة عام، فى يوم واحد! اللهم خفف عنه من ثقلها، يعنى الملك الموكل بفلك الشمس، يقول إدريس: اللهم خفف عنه من ثقلها، واحمل عنه من حرها. فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس والظل ما لا يعرف.

فقال: يا رب خلقتنى لحمل الشمس فما الذى قضيت فيه؟ فقال الله تعالى: (أما إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته، فقال: يا رب اجمع بينى وبينه، واجعل بينى وبينه خلة فأذن الله تعالى له حتى أتى إدريس، وكان إدريس عليه السلام يسأله. فقال: أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت، فاشفع لى إليه ليؤخر أجلى، فأزدد شكرًا وعبادة.

فقال الملك: لا يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها، فقال: قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى. ثم ذكر بقية الرواية السابقة، وذكرها عن السُّدى أيضًا فى تفسيره.

(٣) وذكر وهب بن منبه القصة فقال: كان يرفع لإدريس عليه السلام كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض فى زمانه، فعجب منه الملائكة، واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له، فأتاه فى صورة آدمى، وكان إدريس عليه السلام يصوم النهار، فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل، ففعل به ذلك ثلاث ليالٍ فأنكره إدريس، وقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا ملك الموت؛ استأذنت ربى أن أصحبك فأذن لى، فقال: إنَّ لى إليك حاجة. قال: وما هى؟ قال: أن تقبض روحى. فأوحى الله تعالى إليه أن أقبض روحه، فقبضه وردّه ـ إليه بعد ساعة. وقال له ملك الموت:

ـ وما الفائدة فى قبض روحك؟ قال: لأذوق كرب الموت فأكون له أشد استعدادًا.

---

(١) الطبرى (٨/ ٣٥٢) برقم (٣٧٦٨) ولا زلت أذكر آهات، ومصمصة شفاه المستمعين يوم الجمعة إذ ذكرت هذ القصة الإسرائيلية.

(٢) ذكرها فى التفسير (١١/ ١٢٤).

ثـم قال له إدريس بعـد ساعـة : إن لي إليك حاجـة أخرى . قـال : وما هـى؟ قال : أن ترفعنى إلى السماء فأنظر إلى الجنة والنار . . . فرفعه ، فرأى النار فصعق ، فلما أفاق قال : أرنى الجنة ؛ ثم قال له ملك الموت : اخرج لتعود إلى مقرك : فتعلق بشجرة ، وقال : لا أخرج منها . فبعث الله تعالى بينهما ملكًا حكمًا . فقال : ما لك لا تخرج؟

قال : لأن الله تعالى قال : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (آل عمران : ١٨٥) وأنا ذقته ، وقال : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (مريم : ٧١) وقد وردتها . وقال : ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (الحجر : ٤٨) فكيف أخرج؟ قال الله تعالى لملك الموت : بإذنى دخل الجنة ، وبأمرى يخرج .

وزاد القرطبى : قال وهب بن منبه : فإدريس تارة يرتع فى الجنة ، وتارة يعبد الله مع الملائكة فى السماء[1] .

وكما ترى فى هذه الروايات فإنها :

(١) رويت عن مجموعة من الضعفاء كالسدى ورفاقه .

(٢) نقلها كعب ، ووهب من التوراة أو التلمود ، ولا شك عندنا فى تحريف هذه الكتب .

(٣) عدم تورط أحدٍ من الصحابة فى نقلها ، بل سمعوا دون نقلٍ ، وجاء التابعون لينشروها .

(٤) أنها تصطدم مع عقيدتنا تمامًا حيث لم يوكل فيها قبض الأرواح فقط إلى ملك الموت بل إنه فى هذه الروايات هو القابض ، وهو العالم بالوقت ، وهو الذى بيده تقديم الآجال وتأخيرها ، ولقد قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة : ١١) ، وقال سبحانه : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ (الزمر : ٤٢) ، وقال عن ذاته أيضًا : ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ (البقرة : ٢٥٨) .

قال القرطبى[2] : (فملك الموت يقبض الأرواح ، والأعوان يعالجون ، والله يزهق الروح ، وهذا هو الجمع بين الآى والحديث ، ولكنه لما كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه كما أضيف الخلق للملك فى حديث : «ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح» ، وهو حديث متفق عليه عن عبد الله بن مسعود ، فإنه -

---

(١) القرطبى (١/ ١٢٥ - ١٢٦) فى تفسيره ، والنحاس (٤/ ٣٣٨) فى معانى القرآن .

(٢) القرطبى (١/ ٦٧) فى التذكرة بتحقيقى .

أى ملك الموت ـ مأمور كما أن بقية الملائكة لا يفعلون إلا ما يؤمرون به، والقصة هنا تظهره كشريك لله تعالى فى ملكه، وأنه قد اختص بأعمار العباد ـ وتنزه الله عن ذلك، وتعالى علواً كبيراً.

(٥) أن القصة كما ترى تأخذ الخرافة والأسطورة طريقها إليه، وكأنها قصة من حكايات ألف ليلة وليلة وتتوالى فيها الأحداث سريعًا بشكل يبعث على الشك فيها، لكنها تتفق تمامًا مع أعاجيب بنى إسرائيل، ونحن لا ننكر قدرة الله تعالى، ومعجزات الأنبياء، لكن لم يصح ذلك عن الله تعالى فى القرآن، أو عن المعصوم المصدوق ﷺ، فلا سبيل إلى تصديق هذه الخرافات بل تكذيبها.

(٦) ولإن الوضّاع تنضب قريحته دائمًا، فإنه لم يجد دفاعًا يدافع به إدريس عليه السلام عن نفسه سوى آى القرآن الذى لم يكن قد نزل بعد، ولم يعلم به أحدٌ، والأعجب أن النحاس فى تفسير معانى القرآن ذكر القصة وصدّق نفسه، فلم يجد عذراً فى قبول ذكر آيات القرآن فيها، فبادر ليقول: (يجوز أن يكون الله أعلم بهذه الآيات إدريس، ثم نزل القرآن به).

(٧) ونذكر قول الإمام ابن كثير وهو الناقد البصير حيث قال عن هذه الروايات: (وهذا من الإسرائيليات وفى بعضه نكارة)[1]. فلله دره ما أبصره.

**وإنما الصحيح:** أن يقال أن العلو الذى أثبته الله تعالى لإدريس علو الارتفاع أى: سمو المكانة أو أنه سبحانه أعلى قدره ورفع ذكره بين العالمين. ويؤيد هذا أن الأمم كلها تتسابق إلى نسبة إدريس عليه السلام إليها، فكأنه كان من أحب الشخصيات إلى قلوب الناس آنذاك، وهو المعروف عن كل نبى من الأنبياء، والله أعلم.

***

(١) البداية (١/ ١٥١).

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة نوحٍ عليه السلام

**(أ) السفينة الأسطورة:**

(١) قال الطبرى: حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، قال: ذُكِر لنا أن طول السفينة ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعًا، وطولها فى السماء ثلاثون ذراعًا، وبابها فى عرضها[1].

(٢) وقد تطاول بعضهم فرفع الحديث إلى سمرة بن جندب عن النبى ﷺ، فقال: (سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم، وذكر أن طول السفينة كان ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعًا، وطولها فى السماء ثلاثون ذراعًا وبابها فى عرضها).

وإليك هذا النص المنقول من التوراة - من سفر التكوين (٦/ ١٥ - ١٦) ليكون بيننا وبين الذين وضعوا هذا الحديث أمام الله تعالى، حيث قال محرفو التوراة: (ثلاثمائة ذراع يكون طول السفينة، وخمسين ذراعًا عرضه، وثلاثين ذراعًا ارتفاعه، وتصنع كوة (فتحة) للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق، وتصنع باب الفلك فى جانبه).

وبالله عليك ما أبقى الوضاعون من التوراة فلم ينسبوها إلى رسول الله ﷺ، وهو من هذا كله براء.

والملاحظ أن هذه الرواية كسابقتها من روايات الوضاعين السند فيها (ذُكر - وروى).

(٣) وقد أخرج إسحاق بن بشر الكاهلى عن ابن عباس أيضًا، قال: أن نوحًا لما أُمِرَ أن يصنع الفلك، قال: يا رب وأين الخشب؟ قال: اغرس الشجر. فغرس الساج عشرين سنة، وكف عن الدعاء، وكفوا عن الاستهزاء، فلما أدرك الشجرة أمره ربه فقطعها وجففها، فقال: يا رب كيف أتخذ هذا البيت؟ قال: اجعله على ثلاثة صور. رأسه كرأس الديك، وجؤجؤه[2] كجؤجؤ الطير وذَنبه - أى ذيله: كذنب الديك، واجعلها مطبقة، واجعل لها أبوابًا فى جنبها، وشدها بُدسُر - يعنى المسامير - وبعث الله جبريل عليه السلام يعلمه صنعة السفينة، فكانوا يمرون به، ويسخرون منه ويقولون: ألا

---

(١) الطبرى (٧/ ٧٤) فى تفسيره برقم (١٨١٤٩).

(٢) جُؤْجُؤ: صدر.

ترون إلى هذا المجنون يتخذ بيتًا ليسير به على الماء، وأين الماء؟ ويضحكون. وذلك قوله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ (هود:٨٣)، فجعل السفينة ستمائة ذراع طولها، وستين ذراعًا فى الأرض، وعرضها ثلثمائة ذراع وثلاثة وثلاثون، وأُمِر أن يطليها بالقار ولم يكن فى الأرض قارٌ ففجّر الله له عين قارٍ حيث تنحت السفينة تغلى غليانًا حتى طلاها، فلما فرغ منها جعل لها ثلاثة أبواب وأطبقها، فحمل فيها السباع والدواب، فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب، وجعل الوحش والطير فى الباب الثانى، ثم أطبق عليها، وجعل ولد آدم أربعين رجلاً وأربعين امرأة فى الباب الأعلى ثم أطبق عليهم وعلى الذرة معه فى الباب الأعلى لضعفها ألا تطأها الدواب.

قلت: وإسحاق بن بشر الكاهلى: كذّاب ـ كما سبق حاله.

(٤) وروى الطبرى[١] من طريق على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها! فانطلق بهم حتى أتى إلى كثيب من تراب، فأخذ كفًّا من ذلك التراب، بكفه، قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا كعب حام بن نوح. قال: وضرب الكثيب بعصاه وقال: قم بإذن الله، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب. فقال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت؟ قال: لا، ولكنى مت وأنا شاب، ولكنى ظننت أنها الساعة فمن ثمَّ شِبْتُ. فقال: حدثنا عن سفينة نوح. قال: كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع، وعرضها ستمائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات: فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير، فلما كثر أرواث الدواب أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذَنَب الفيل، فغمزه، فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث ولما وقع الفأر يخرز السفينة بقرضه أوحى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام، أن اضرب بين عينى الأسد، فخرج من منخره سنور وسنورة ـ قط وقطة ـ فأقبلا على الفأر. فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها فدعا عليه بالخوف، فلذلك لا يألف البيوت. ثم بعث الحمامة فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد قد غرقت، فطوّقها الخضرة فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان، فمن ثمَّ تألف البيوت. فقالوا: يا رسول الله ألا ننطلق به إلى أهلينا فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال: كيف

(١) الطبرى (٧/ ٣٦) برقم (١٨١٥١).

يتبعكم من لا رزق له؟! قال: فقال له: عُدْ بإذن الله فعاد ترابًا. وهذا أول الآثار النصرانية التى قابلناها هاهنا.

قال ابن كثير: وهذا أثر غريب جدًّا[١].

**قلت:** وفيه على بن زيد بن جدعان: وهو ضعيف يأتى بمناكير.

(٥) وزاد الطبرى فى رواية أخرى من نفس الطريق السابق أن ابن عباس قال: (كان أول ما حمل نوحٌ فى الفلك من الدواب الذرّة - النملة - وآخر ما حمل الحمار. فلما أدخل الحمار رأسه وأدخل صدره، تعلق إبليس بذنبه - يعنى بذيله - فلم تستقل رجلاه، فجعل نوح يقول: ويحك! ادخل! فينهض فلا يستطيع. حتى قال نوح: ويحك! ادخل! ولو كان الشيطان معك! قال: كلمة زلَّت على لسانه. فلما قالها نوح خلّى الشيطان سبيله، فدخل، ودخل الشيطان معه. فقال له نوح: ما أدخلك علىّ يا عدو الله؟ فقال: ألم تقل: (ادخل ولو كان الشيطان معك) قال: اخرج عنى يا عدو الله! فقال: ما لك بُدٌّ من أن تحملنى! فكان - فيما يزعمون - فى ظهر الفلك.

**قلت:** والأثر مداره على زيد بن جدعان - وقد سبق حاله فيما سبق.

وإليك هذا النص المترجم عن التوراة من سفر التكوين وغيره وستجد فيه تشابهًا كبيرًا بين الروايات خاصة رواية الغراب والحمامة التى لا يكف الناس عن الاستشهاد بها حتى صارت أحد ثوابتنا[٢].

(واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط. وكانت المياه تنقص نقصًا متواليًا إلى الشهر العاشر. وفى العاشر من أول الشهر ظهرت رءوس الجبال. وحدث من بعد أربعين يومًا أن نوحًا فتح طاقة (كوة) الفلك التى كان قد عملها، وأرسل الغراب. فخرج مترددًا حتى تشققت المياه عن الأرض ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض. فلم تجد الحمامة مقرًا لرجلها، فرجعت الحمامة إليه إلى الفلك لأن مياهًا كانت على وجه كل الأرض، فمد يده وأخذها وأدخلها عنده إلى الفلك. فلبث أيضًا سبعة أيام أُخَر وعاد فأرسل الحمامة من الفلك، فأتت إليه الحمامة عند المساء وإذا ورقة زيتون خضراء فى فمها، فعلم نوح أن المياه قد

---

(١) البداية (١/ ١٧٦) لابن كثير.

(٢) ورمز السلام المزعوم عندهم (الحمامة، وغصن الزيتون) أفرأيت إلى أى حد تغلغلت الإسرائيليات فى نفوس المسلمين؟ وكيف يروج لها عن قصدٍ وعن غير قصد؟.

قلت عن الأرض، فلبث أيضًا سبعة أيام أخر وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضًا. وكان فى السنة الواحدة والستمائة فى الشهر الأول فى أول الشهر أن المياه نشفت عن الأرض، فكشف نوح الغطاء عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد نشف، وفى الشهر الثانى فى اليوم السابع والعشرين من الشهر جفت الأرض).

إن هذا النص يكشف عن تطابق بين كثير من الروايات المنسوبة كذبًا إلى ابن عباس رضى الله عنهما، أو التى رويت لابن عباس نقلاً عن كعب الأحبار رضى الله عنه، إذ أننا وجدنا فى الروايات - (فيما يزعمون - وذكروا - ورووا) والبلاء يأتى من هنا. ولن نكتفى بنقد السند فقط، إذ أن معانى الروايات كلها متهافت شقَّت الخرافةُ إليها الطريق.

* ومن هنا فإن الفخر الرازى صرخ فى وجه هؤلاء فقال: (لا حاجة إلى معرفتها البتة، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً وكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس هاهنا ما يدل على الجانب الصحيح، والذى نعلمه أنه كان فى السعة - أى الفلك - بحيث يتسع للمؤمنين من قومه، ولما يحتاجون إليه، ولحصول زوجين من كل حيوان، لأن هذا القدر مذكور فى القرآن، فأما غير ذلك القدر فغير مذكور)[1].

* أما أبو شهبة فإنه ذكر حديثًا عن ابن عباس وفيه: أن النبى ﷺ قال: (كانت سفينة نوح - عليه السلام - لها أجنحة - وتحت الأجنحة إيوان). ثم قال: قبح اللهُ من نسب مثل هذا إلى النبى ﷺ[2]. وأنا أقول: قاتل الله من قال هذا.

* ومن قبله قال السيد محمود الألوسى: (وسفينة نوح فى الأخبار فى تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها إذ هى غير سالمة من عيب، فالحرى بحال من لا يميل إلى الفضل أن يؤمن بأنه عليه السلام صنع الفلك حسبما قص الله تعالى فى كتابه، ولا يخوض فى مقدار طولها وعرضها وارتفاعها، ومن أى خشب صنعها، وبكم مدة أتم عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبينه السنة الصحيحة).

**(٦) ومن الإسرائيليات:**

ما ذكره ابن كثير نقلاً عن التوراة، فقال: وقد ذُكر أن حامًا - ولد نوح - واقع امرأته فى السفينة فدعا عليه نوحٌ أن تشوه خلقة نطفته فولد له ولدٌ أسود، وهو كنعان بن حام جد السودان، وقيل: بل رأى أباه نائمًا وقد بدت عورته فلم يسترها، وسترها أخواه، فلهذا

---

(١) مفاتيح الغيب (١٦/ ٥٢٤).

(٢) الإسرائيليات والموضوعات (ص٢١٦).

دعا عليه أن تغير نطفته، وأن يكون أولاده عبيدًا لإخوته.

وهذه هى عنصرية شعب الله المختار من اليهود.

● **أم الصبى!! وعوج بن عناق!!**

(٧) ومن هذه الإسرائيليات الخطيرة ما ذكره الطبرى عن فائد مولى عبيد الله بن على ابن أبى رافع: أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى ربيعة أخبره: أن عائشة زوج النبى ﷺ قال: (لو رحم الله أحدًا من قوم نوح، لرحم أم الصبى)، ثم قال ﷺ: (كان نوحٌ مكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله، حتى كان آخر زمانه، غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها، ثم جعل يعمل سفينة، ويمرون فيسألونه، فيقول: أعملها سفينة! فيسخرون منه ويقولون: تعمل سفينة فى البر! فكيف تجرى؟ فيقول: سوف تعلمون فلما فرغ منها، وفار التنور، وكثر الماء فى السكك، خشيت أم الصبى عليه، وكانت تحبه حبًا شديدًا، فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه. فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثى الجبل، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل. فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بين يديها حتى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحدًا لرحم أم الصبى)(١).

وقال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روى عن كعب الأحبار. تفسير ابن كثير (٤/ ٢٢٧).

(٨) ويزداد الأمر سوءًا حينما يتعارض هذا الخبر الإسرائيلى مع خبر أشد سوءًا وهو خبر (عوج بن عنق) أو (عوج بن عناق) الذى ذكروا منه أنه كان: (كافرًا متمردًا جبارًا عنيدًا، ويقولون: كان لغير رشدة بل ولدته أمه عُنق(٢) بنت آدم، وإنه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه فى عين الشمس!! وإنه كان يقول لنوح وهو فى السفينة: ما هذه القُصيعة التى لك ويستهزئ به.

ويذكرون أن طوله كان: ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعًا وثلثًا إلى غير ذلك من الهذيانات. ويذكرون أنه ظل حيًا حتى عهد موسى عليه السلام.

---

(١) الطبرى (٧/ ٣٥) برقم (١٨١٤٨) والهيثمى (١٣٧٥٨) فى المجموع وعزاه للطبرنى فى الأوسط. وفى الحديث يعقوب بن محمد: كثير الوهم ـ كما فى التقريب (٧٨٣٤).

(٢) والتى ذكر الوضاعون فى قصة قابيل وهابيل أنها بغت!! أفرأيت يا ابن الإسلام كيف يُلبس عليك دينك.

وبعد ذلك لا يهلكه الله رغم أنه (المتمرد ـ الكافر ـ الجبار ـ العنيد ـ ابن الزنا)!! ثم يغرق الصبى الصغير وأمه، بل ويغرق ابن نوح عليه السلام الذى شفع له أبوه النبى، أول الرسل إلى أهل الأرض!!

لقد صاح ابن كثير صارخًا: (وهذه الهذيانات التى لولا أنها مسطرة فى كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها وركاكتها، ثم إنها مخالفة للمعقول والمنقول.

أما المعقول فكيف يسوغ فيه أن يهلك الله ولد نوح لكفره، وأبوه نبى الأمة وزعيم أهل الإيمان، ولا يهلك عوج بن عنق ويقال: عناق وهو أظلم وأطغى على ما ذكروا، وكيف لا يرحم الله منهم أحدًا ولا أم الصبى ويترك هذا الدعى الجبار العنيد الفاجر الشديد الكافر الشيطان المريد على ما ذكروا؟!

ثم تطرق رحمه الله إلى تفنيد القول هنا لمخالفته للقرآن وصحيح السنة المطهرة فقال:

* وأما المنقول من القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الشعراء: ٦٦)، وقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح: ٢٦).

ثم هذا الطول الذى ذكروه مخالف لما فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعًا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن». فهذا نصٌ عن الصادق المصدوق ﷺ الذى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤)، إنه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن، أى لم يزل الناس فى نقصان فى طولهم من آدم إلى يوم إخباره بذلك، وهلم جرًا إلى يوم القيامة. وهذا يقتضى أنه لم يوجد من ذرية آدم مَنْ كان أطول منه فكيف يترك هذا، ويذهل عنه ويصار إلى أقوال الكذبة الفجرة الكفرة من أهل الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرفوها وأولوها، ووضعوها على غير مواضعها، فما ظنك بما هم يستقلون بنقله أو يؤتمنون عليه وهم الخونة الكذبة عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وما أظن أن هذا الخبر عن عوج بن عناق إلا اختلاقًا عن زنادقتهم وفجارهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والله أعلم)[1].

ثم جاء ابن قيم الجوزية ليبين كذب هذه الرواية، فقال: (وليس العجب من جرأة مثل هذ الكذاب على الله، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث فى كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره.

---

(١) البداية (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤) لابن كثير.

وهو عند أهل الكتاب ليس من ذرية نوح، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ (الصافات: ٧٧) فأخبر أن كل من بقى على وجه الأرض من ذرية نوح، فلو كان لعوج ـ هذا ـ وجودٌ لم يبق من بعد نوح[١].

وأيضًا، فإن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وسمكها كذلك، وإذا كانت الشمس فى السماء الرابعة، فبيننا وبينها هذه المسافة العظيمة، فكيف يصل إليها طول ثلاثة آلاف ذراع حتى يشوى فى عينها الحوت؟ ثم قال رحمه الله: ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع الزنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا السخرية ـ والاستهزاء بالرسل وأتباعهم)[٢].

إنها خرافات، وأساطير حولت سفينة نوح عليه السلام إلى سفن الإغريق القديمة التى يستنجد فيها البطل بالآلهة فتحل له مشاكله فى طرفة عين أو انتباهتها، أو كأنها سفينة ومركبة من مراكب ألف ليلة وليلة وجاءت بشخص أضفت عليه وصف آلهة الشر الإغريقية التى تظل حية لا تموت فاللهم براءٌ منها.

**(٩) ومن الإسرائيليات:**

ما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما من طريق الكذب، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٣] أنه قال: قال ﷺ: (إن سفينة نوحٍ طافت بالبيت، وصلّت خلف المقام ركعتين) وقد تندّر العلماء بهذه القصة حتى قال مالك لراوى هذا الحديث أمامه: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه، عن نوح عليه السلام !!.

**(١٠) ومنها أيضًا:**

ما رواه الطبرى[٤] عن عبد العزيز بن عبد الغفور[٥] عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال: (فى أول يوم من رجب ركب نوح السفينة، فصام هو وجميع من معه، وجرت بهم السفينة ستة أشهر، فانتهى ذلك إلى المحرم، فأرست السفينة على الجُودِى يوم عاشوراء،

---

(١) لأنهم زعموا بقاءه حتى عهد موسى عليه السلام، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى ـ أى جبلاً ـ وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله فى عنقه مثل الطوق.

(٢) المنار المنيف ص٣٠ لابن قيم الجوزية.

(٣) التهذيب (٦/ ١٧٩).

(٤) الطبرى (٧/ ٤٩) برقم (١٨٢٠٢).

(٥) قال الذهبى (٢/ ٦٤١) فى ميزان الاعتدال: (كان ممن يضع الحديث).

فصام نوح، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله). والحديث موضوع.

ثم عادوا فذكروا الرواية عن ابن إسحاق - كما ذكرناها نحن نقلاً عن التوراة - وفيه قصة الحمامة والغراب وهو ما يدل على تطابق هذ الرواية مع مرويات بنى إسرائيل ومسلمتهم.

وقد استغرب ابن كثير ذكر نوح عليه السلام فى هذا الحديث ذلك أن الصحيح فى صوم يوم عاشوراء، ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ قدم المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: «ما هذا اليوم الذى تصومونه؟» فقالوا: هذا يومٌ ظهر فيه موسى على فرعون. فقال النبى ﷺ لأصحابه: «أنتم أحق بموسى منهم فصوموا»[١]. وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب.

**(١١) الزوجة الكافرة، والابن الهالك!!**

وهذه طامة أخرى حيث اتهم نوح عليه السلام بتهمة بشعة، درج اليهود وزنادقتهم على اجتراح عصمة الأنبياء بها، حيث ذكر بعضهم عن قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ (هود:٤٦) أن ولد نوحٍ الهالك ليس ولده، بل هو ابن زنا - معاذ الله - أدخلته امرأته عليه والتى ماتت كافرة وقال الله تعالى عنها وعن زوجة لوط عليه السلام: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ (التحريم: ١٠)، ففسرت الخيانة هنا على أنها (الزنا).

حتى إن الحسن البصرى، قال: ولد على فراشه ولم يكن ابنه.

وقال ابن جريج: ناداه وهو يحسب أنه ابنه، وكان قد ولد على فراشه، وكانت امرأته خائنة فيه[٢].

بل وقرأ بعضهم (ونادى نوحٌ ابنها)[٣]. إلا أن الطبرى قال عن هذه القراءة: ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحدٌ من قراء الأمصار إلا بعض المتأخرين واعتل فى ذلك بخبر روى عن رسول الله ﷺ إنه قرأ ذلك كذلك غير صحيح السند وذلك حديث روى عن شهر بن

(١) صحيح: البخارى (٤٦٨٠) فى التفسير، ومسلم (١١٣٠/ ١٢٧) فى الصيام.

(٢) الطبرى (١٢/ ٣١) والحسن البصرى فى تفسيره (٢/ ١٥).

(٣) ذكرها القرطبى (٩/ ٤٨).

حوشب، فمرة يقول: عن أم سلمة، ومرة يقول: عن أسماء بنت يزيد، ولا نعلم لبنت يزيد، ولا نعلم لشهر سماعًا يصح عن أم سلمة، وما عليه الجمهور: هو أنه ابن نوح عليه السلام، وقال ابن كثير: وقول ابن عباس في هذا - أي أنه ابن نوح عليه السلام ولكنه كان كافراً - لا محيد عنه، فإن الله سبحانه أغْير من أن يمكن امرأة نبى من الفاحشة، ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبى ﷺ[1].

وقال القرطبى: الخيانة هنا فى الدين لا فى الفراش[2].

وقد حسم ابن عباس القضية فقال: ما زنت امرأة نبى قط.

● **ومن الإسرائيليات التى لا يقبلها شرعٌ أو عقل أيضًا:**

(١٢) قال إسحاق (وهو الكاهلى الكذاب): أخبرنا رجل من أهل العلم (ومن هنا يأتى البلاء): أن نوحًا أهل السفينة وجعل فيها من كل زوجين اثنين، وحمل من الهدهد زوجين، فماتت الهدهدة فى السفينة قبل أن تظهر الأرض فحملها الهدهد فطاف بها الدنيا ليصيب لها مكانًا فلم يجد طينًا ولا ترابًا، فرحمه ربه فحفر له فى قفاه قبراً فدفنها فيه!! فذلك الريش الناتئ فى قفا الهدهد موضع القبر، فلذلك نتأت أقفية الهداهد!!

**والسؤال:** كيف تكاثرت الهداهد بعد موت الأنثى الوحيدة منها على وجه الأرض؟!

(١٣) ومما وضع على رسول الله ﷺ من الحديث الذى لا سند له فيروى بصيغة التمريض أنه قال: (كان حمل نوح معه فى السفينة من جميع الشجر، وكانت العجوة من الجنة مع نوح فى السفينة) والركاكة اللفظية هنا تدفعنا إلى الاطمئنان بوضع الحديث بلا شك.

(١٤) ونسب إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه بلا سند أنه قال: استصعبت على نوح الماعزة أن تدخل السفينة فدفعها بيده فى ذنبها، فمن ثم انكسر ذنبها فصار معقوفًا وبدا - ظهر - حياؤها - ومضت النعجة حتى دخلت فمسح على ذنبها فستر حياءها.

(١٥) وقيل: إن نوحًا ختم على جناح الدجاجة، وقال لها: أنت مختومة بخاتمى لا تطيرى أبدًا، أنت ينتفع بك أمتى.

---

(١) ابن كثير (٤/ ٢٥٩).

(٢) القرطبى (٩/ ٤٩).

(١٦) وقيل: إن نوحًا بعث بعد الغراب التُدرج - وهو طائر - من الطيور - ليرى هل ابتلعت الأرض الماء أم لا؟ وهكذا لا وحى بين الله تعالى ورسله عليهم السلام. وكان من جنس الدجاج، فقال: وإياك أن تعتذر فأصاب الخضرة والفرجة فلم يرجع، وأخذ أولاده عنده رهنًا إلى يوم القيامة!! إنها روايات الثعلبى وما أدرى من أى جحر جاء بها. قاتل اللهِ من وضعها وقبحه.

***

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة إبراهيم عليه السلام

**(١) قصة ميلاد إبراهيم عليه السلام كما رواها أهل الكتاب وتلقاها عنهم المسلمون:**

«حدثنى به محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثنى محمد بن إسحاق - فيما ذكر لنا، والله أعلم - أن آزر كان رجلاً من أهل كوثى، من قرية بالسواد، سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملك المشرق النمرود، فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم، عليه السلام، خليل الرحمن، حجة على قومه، ورسولاً إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبى إلا هود وصالح، فلما تقارب زمن إبراهيم الذى أراد الله ما أراد، أتى أصحاب النجوم نمرود، قال له: تَعَلَّم، أنا نجد فى علمنا أن غلامًا يولد فى قريتك هذه يقال له: (إبراهيم) يفارق دينكم، ويكسر أوثانكم، فى شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا، فلما دخلت السنة التى وصف أصحاب النجوم لنمرود، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحبلها، من ذلك أنها كانت امرأة حَدَثة، فيما يذكر، لم تعرف الحبل فى بطنها، ولما أراد الله أن يبلغ بولدها، يريد أن يقتل كل غلام ولد فى ذلك الشهر من تلك السنة، حذرًا على ملكه، فجعل لا تلد امرأة غلامًا فى ذلك الشهر من تلك السنة، إلا أمر به فذبح، فلما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريبة منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود، ثم سدت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه فى المغارة فتنتظر ما فعل، فتجده حيًّا يمص إبهامه - يزعمون، والله أعلم، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصّه، وكان آزر، فيما يزعمون، سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل، قالت: ولدت غلامًا فمات فصدقها وسكت عنها، وكان

اليوم، فيما يذكرون، على إبراهيم فى الشباب كالشهر، والشهر كالسنة، فلم يلبث إبراهيم فى المغارة إلا خمسة عشر شهرًا حتى قال لأمه: أخرجينى أنظر، فأخرجته عشاءً فنظر، وتفكر فى خلق السموات والأرض»[١].

* والرواية ستقف فيها على عيبين خطيرين وهما:

الأول: وجود محمد بن حميد وهو الرازى: قال الحافظ: حافظ ضعيف.

والثانى: أن محمد بن إسحاق لم يذكر مصدره فى الرواية إذ قال: (فيما ذُكر لنا) ومن هنا تأتى الهزيمة!!

* أما العيب الأخطر فهو أن القصة منقولة عن التوراة حيث إن زنادقة أهل الكتاب أرادوا إضافة الإثارة على قصة إبراهيم - عليه السلام - فنسجوا له قصة من خيالهم المريض على غرار قصة موسى وفرعون، وهذا هو نص التوراة:

كان تارح ابن سبعين سنة حين ولد له أبرام، وقد دعا تارح كل عبيده وسحرة بلده إلى وليمة، حيث أكلوا وشربوا معًا، وعندما أخذ كل منهم طريقه إلى بيته ليلاً، إذا بكوكب كبير جدًّا ينير السماء، واندهشوا جميعًا، ونظروا إلى هذا المشهد العظيم، وبينما هم يتطلعون إلى السماء، إذ بالكوكب يطير من الشرق بطول السماء ويبتلع أربعة كواكب اختفت آثارها تمامًا، وعندئذ قال السحرة لأنفسهم: هذا لا يعنى إلا أن ابن تارح المولود الآن سيعظم شأنه للغاية، ويقتل أناس كثيرين وعظماء، ويرث نسله كل الأرض. وفى الصباح ذهب السحرة إلى نمرود ملكهم، وأخبروه بما رأوه فى المساء وتفسيره، ففزع نمرود جدًّا.

ثم تذكر الرواية بعد ذلك: (وأخفى تارح أبرام ابنه، وخبأه فى المغارة، وجاع أبرام وبكى، فأرسل الرب جبريل الملك لإحيائه، فأخرج الملك لبنًا من إصبع يده اليمنى وأرضعه، ولما بلغ أبرام الثالثة خرج من المغارة ليلاً ورأى الكواكب)[٢].

إذن لقد حُلَّ طلسم (فيما ذُكر لنا) فالذين ذكروا هم أهل الكتاب، ولا سند عندنا لهذه الخرافات والأساطير والغريب أن أهل التفسير نقلوا هذه الرواية وسكتوا عنها دون تمحيص أو تدقيق فتورطوا فى نقلها.

---

(١) تفسير الطبرى (٥/ ٢٤٥) برقم (١٣٤٦٨).

(٢) كل أساطير إسرائيل (١/ ٥٠ - ٥٢).

**(٢) ملكوت السموات والأرض:**

ومن بدع المفسرين هنا ما ذكروه عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥).

* فقد ذكر الطبرى والسيوطى فى تفسيرهما عن سعيد بن جبير، قال: (كشف له عن أديم السموات والأرض حتى نظر إليهن على صخرة، والصخرة على حوت، والحوت عليه خاتم رب العزة. لا إله إلا الله).

وهنا ترى خرافة الصخرة والحوت تتكرر تارة أخرى مما يجعلنا نحكم بكذب الرواية.

* وقال عطاء: لما رفع الله إبراهيم فى الملكوت فى السموات أشرف فرأى عبدًا يزنى فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخرًا على فاحشة، فدعا عليه فهلك، ثم رأى آخرًا على فاحشة، فدعا عليه فهلك، فقال: أنزلوا عبدى لا يُهلك عبادى!

وزادت خطورة الأمر حينما رفعوا هذا الحديث إلى النبى ﷺ عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

وسبحان الله: هل ركبت لإبراهيم خواصٌ إلهية ليرى ذلك كله؟!!

* وقال قتادة: ذُكر لنا أن نبى الله إبراهيم ﷺ فُرَّ به من جبار مترف، فجعل فى سرب، وجعل رزقه فى أطرافه، فجعل لا يمص أصبعًا من أصابعه إلا وجد فيها رزقًا، فلما خرج من ذلك السَّرب، أراه الله ملكوت السموات والأرض، فأراه شمسًا وقمرًا ونجومًا، وسحابًا وخلقًا عظيمًا، وأراه ملكوت الأرض، فأراه جبالاً وبحورًا، وأنهارًا وشجرًا ومن كل الدواب وخلقًا عظيمًا.

* وروى ابن جريج عن إبراهيم النُخعى وكذلك روى السُّدى، قال: فرجت له السموات السبع فنظر إليهن حتى انتهى إلى العرش، وفرجت له الأرضون فنظر إليهن، ورأى مكانه فى الجنة، فذلك قوله ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ (العنكبوت: ٢٧).

* وزادت خطورة الأمر حينما رفع الحديث إلى النبى ﷺ عن على أنه قال: (ثم ذكروا الرواية السابقة). وهكذا ترى أن هذه الروايات لا سند لها، وإن وجد السند فهم مجموعة من الضعفاء والمتروكين (كالسدى، وابن جريج)، ثم نسبت هذه الروايات الكاذبة زيفًا وبهتانًا إلى سعيد بن جبير وغيره، ثم رفعت إلى النبى ﷺ، وقد قال ابن كثير فى تفسيره بعد ذكر هذه الروايات: (وقد روى ابن مردويه فى ذلك حديثين

مرفوعين، عن معاذ وعلى بن أبى طالب، ولكن لا يصح إسنادهما)[١].

**أما التفسير الصحيح للآية:** ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى نبين له وجه الدلالة فى نظره إلى خلقهما على وحدانية الله عز وجل فى ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، كقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس:١٠١)، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ (سبأ:٩)[٢].

وقال صاحب الظلال:

(نرى إبراهيم حقيقة هذا الملك.. ملك السموات والأرض، ونطلعه على الأسرار المكنونة فى صميم الكون، ونكشف له عن الآيات المبثوثة فى صحائف الوجود، ونصل بين قلبه وفطرته وموجبات الإيمان ودلائل الهدى فى هذا الكون العجيب. لينتقل من درجة الإنكار على عبادة الآلهة الزائفة إلى درجة اليقين الواعى بالإله الحق)[٣].

**قلت:** وهذا ما تدل عليه الآيات التالية حيث سيتدبر فى طلوع الشمس وأفولها، بعد أن طالع روعة الخالق فى خلق القمر ورؤية النجم الذى أفل، ليبقى فى النهاية مقرًّا بأن للكون إلهًا هو الذى قدّره وخلقه وأبدعه.

### (٣) أسطورة النمرود:

وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨).

وقد ذكر عامة المفسرين هنا ـ فى سابقة نادرة التكرار[٤] ـ روايات مقتضاها.

أن النمرود هو أول ملك جبار فى الأرض، وأنه صاحب الصرح ببابل، ثم ذكروا فى قصة محاجة إبراهيم عليه السلام له هذه الرواية: فقد ذكروا أن النمرود هذا، قعد يأمر الناس بالميرة[٥]، فكلما جاء قوم يقول: من ربكم وإلهكم؟ فيقولون: أنت. فيقول:

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢١٠).

(٢) السابق (٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠).

(٣) الظلال (٢/ ١١٣٩).

(٤) ابن كثير (١/ ٤١٠ ـ ٤١١)، والطبرى (٣/ ٢٧)، والقرطبى (٣/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) فى تفسيره.

(٥) الميرة: الطعام. اللسان (٤٣٠٦).

ميروهم. وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار ـ يجلب الميرة ـ فقال له: من ربك وإلهك؟ قال إبراهيم: ربى الذى يحيى ويميت. فلما سمعها نمرود قال: أنا أحيى وأميت. فعارضه إبراهيم بأمر الشمس فبهت الذى كفر، وقال: لا تميروه، فرجع إبراهيم إلى أهله دون شيءٍ فمر على كثيب رملٍ كالدقيق فقال فى نفسه: لو ملأت غرارتى من هذا، فإذا دخلت به فرح الصبيان حتى أنظر لهم، فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان وجعلوا يلعبون فوق الغرارتين ونام هو من الإعياء، فقالت امرأته: لو صنعت له طعامًا يجده حاضرًا إذا انتبه، ففتحت إحدى الغرارتين فوجدت أحسن ما يكون من الحُوارى ـ أى الدقيق الأبيض الخالص ـ فخبزته، فلما قام وضعته بين يديه. فقال: من أين هذا فقالت: من الدقيق الذى سُقت. فعلم إبراهيم أن الله يَسّر لهم لك.

ثم ذكروا أن جزاء النمرود وهلاكه كان بأن فتح الله تعالى عليه بابًا من البعوض فستروا عين الشمس، وأكلوا عسكره، ولم يتركوا إلا العظام، ودخلت واحدة منها فى دماغه فأكلته حتى صار مثل الفأرة، فكان أعز الناس عنده بعد ذلك من يضرب دماغه بمطرقة عتيدة لذلك، فبقى فى البلاد أربعين يومًا وقيل: أربعمائة سنة!! وذكروا أن الله بعث ملكًا إليه يأمره بالإيمان فأبى فتوجه لحرب الله! فجاءت البعوضة فسكنت رأسه.

**قلت:** إن راوى هذه القصة هو (زيد بن أسلم) الذى ذكر الرواية مباشرة، وفى إحدى رواياتها: قال ابن وهب: أخبرنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وعبد الرحمن قد شنعنا عليه من ذى قبل، ورأينا كيف ردّ العلماء كل ما أخذه عن أبيه من التفسير لأنه كان يقلبه كله، ولا أرانى إلا مكررًا لكلمة مالك بصيغة أخرى: لو شاء عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم لحدثنا عن أبيه عن النمرود، أو عن أبيه عن إبراهيم عليه السلام!!

ولكن الأعجب من هذا وذاك استسلام الرواة من المفسرين إلا قليلاً لهذه الرواية، فقد قال ابن عطية فى المحرر الوجيز: وهذا كله مردود[1].

ولكن جاء الناقد البصير ابن كثير ليذكر هذه الروايات جميعًا دون أن يعقب عليها مستسلمًا لركوب الصعب فإنه لم يجد شيئًا عن النمرود إلا هذه الروايات فدوَّنها دون تمحيص كما فعل غيره من المفسرين، فحشى كتابه بباطلٍ ما كان أغناه عنه، خاصة أن ذكر اسم (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) فى الرواية كفيلٌ وحده بإزهاقها والحكم عليها بالكذب والزور، وكان الأحرى به الإنكار والرد، لا النقل والسكوت.

---

(١) تفسير ابن عطية (٢/ ٣٩٦).

لكننا نعود فنقول: إنا نعيب فى أقوام قد يكونوا حطوا رحالهم فى الجنة، والله يغفر للجميع.

**(٤) الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لا شك فى ذلك:**

ومن الإسرائيليات: ما يذكره كثير من المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (الصافات: ٩٩ـ١١٣).

فقد روى عددٌ منهم هذه الأحاديث والروايات:

* فقد قال كعب لأبى هريرة: (ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبى؟ قال أبو هريرة: بلى. قال كعب: لما رأى إبراهيم ذبح إسحاق، قال الشيطان: والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحدًا أبدًا، فتمثل الشيطان رجلاً يعرفونه، فأقبل حتى خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه . . .).

* وعن أبى هريرة عن كعب الأحبار (أن الذى أُمر إبراهيم بذبحه من ابنيه إسحاق. .).

* ورفع الوضاعون حديثًا إلى النبى ﷺ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: (الذبيح إسحاق).

وروى هذا عن العباس بن عبد المطلب.

* ونسب إلى ابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبى هريرة، وجابر، وعمر، وابن عمر، والعباس عم النبى ﷺ[1].

وما ستراه هنا بشكل لا يقبل الشك هو كثرة الأحاديث الموضوعة المنسوبة إلى النبى

---

(١) الطبرى (١٠/ ٥١١) من آثار رقم (٢٩٤٩١) إلى (٢٩٥٠٢)، والدر المنثور (٥/ ٢٧٩ ـ ٢٨٤).

ﷺ فتراها كثرت هنا بشكل يثير الدهشة والعجب، لكنهما سرعان ما تزولان إذا فهمنا أن النظرة العنصرية الطاغية على اليهود جعلتهم يلحون فى محو اسم إسماعيل عليه السلام (ابن الجارية) - فى زعمهم - إذ لو اعترفوا بأنه الذبيح لاعترفوا لأمة العرب بالفضل وهو ما جعلهم يتوسعون فى وضع الروايات المكذوبة على الله ورسله لجعل إسحاق هو الذبيح لا إسماعيل، ومن قبل أنكروا نبوة إبراهيم عليه السلام، وجعله ملكًا صالحًا، فلو اعترفوا بنبوته للزمهم الاعتراف بنبوة إسماعيل عليه السلام، ومن ثمَّ الاعتراف بنبوة محمد ﷺ، ومن هذه الأحاديث التى نذكرها على سبيل التحذير والتوقى:

(١) حديث (عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعًا: (إن الله تبارك وتعالى خيّرنى بين أن يغفر لنصف أمتى، وبين أن يجيب شفاعتى، فاخترت شفاعتى ورجوت أن تكون أعمّ لأمتى، ولولا الذى سبقنى إليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتى، إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح، قيل له: يا إسحاق! سلْ تُعط، فقال: أما والذى نفسى بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان: اللهم من مات لا يشرك بك شيئًا، فاغفر له، وأدخله الجنة).

والحديث فيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ووجوده كفيل بالحكم على الرواية بالوضع، فقد قال الحاكم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة، لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه.

**قلت:** والزجّ هنا بقصة إسحاق فى الحديث واضحٌ، إذ أنه لا مناسبة لذكر إسحاق عليه السلام فيه أو قصة ذبحه.

(٢) حديث عبد الله بن مسعود: (أكرم الناس يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله) وقد رواه أبو عبيدة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود.

قال الهيثمى فى المجمع[١]: (وفيه بقية مدلس، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه).

فالرواية ضعيفة إذن، وهى فى صحيح البخارى (بدون إسحاق ذبيح الله) مما يدل على أن الوضّاع أدرجها كزيادة تخفى على العوام، لاغترارهم المسبق بأن الحديث فى البخارى.

---

(١) مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٢).

(٣) ورفعوا من طريق على بن زيد بن جدعان عن الحسن بن دينار البصرى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه يرفعه : (قال داود عليه السلام : أسألك بحق آبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب. فقال : أمّا إبراهيم، فألقى نفسه فى النار فصبر من أجلى، وتلك بلية لم تنلك، وأما إسحاق، فبذل نفسه ليذبح فصبر من أجلى، وتلك بلية لم تنلك، وأما يعقوب فغاب عنه يوسف، وتلك بلية لم تنلك).

قال ابن كثير فى تفسيره بعد إيراد هذا الحديث الموضوع : (لا يصح، فى إسناده ضعيفان : وهما الحسن بن دينار البصرى : متروك، وعلى بن زيد بن جدعان : منكر الحديث).

**قلت:** ثم فى الحديث قرينة تدل وضعه ألا وهى : استغاثة نبى من الأنبياء وتوسله بآبائه!! وتلك العلة القادحة فى هذا الحديث، ولذلك حكم عليه ابن تيمية بأنه من الإسرائيليات.

(٤) وقد سبق حديث (الذبيح إسحاق) وهو ضعيف كسابقيه، فيه مبارك بن فضالة عن الحسن وكلاهما مدلسان.

إن هذه الموضوعات ليس فيها ما يصلح للاستشهاد به أو الاحتجاج، وكما ترى فإن بعضها أشد ضعفًا من بعض، والحق أنها إسرائيليات نقلها كعب إلى المسلمين، رواها بعض الصحابة ترخصًا، ثم جاء الضعفاء فأخطأوا فى رفعها إلى النبى ﷺ، أو جاء الوضاعون والزنادقة فأضافوها كذبًا إلى رسول الله ﷺ.

**• ملاحظات حول هذه الروايات:**

(١) إننا فى البداية نقر بأن لكل نبى من الأنبياء ما اختصه الله به من الشرف، كما اختص موسى عليه السلام بالتكليم، وإبراهيم عليه السلام بالخلة، ولن يمنعنا من إثبات الذبح لإسحاق عليه السلام شىء، بل هو نبى كأبيه جاءت به البشارة من عند الله، ولو كان الأمر له بالذبح لسمع وأطاع كما هو شأن الأنبياء. إلا أنه لثبوت الشرف والكرامة عندنا شرط ألا وهو : أن يصح النص من قرآن أو سنة، وهذا ما صحَّ ولا وُجد، ولو صحّ لكنا أول المؤمنين به والمصدقين له.

(٢) أن هذه النصوص الموضوعة نقلها أبو هريرة وغيره من الصحابة صراحة عن كعب الأحبار، والذى نقلها بدوره عن التوراة، وهو ما يدعونا إلى النظر فى التوراة للإتيان بنصها، ومنها الآتى :

* ففى سفر التكوين (٢٢/ ٢) أنه قال: (وقال تعالى: خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق، واذهب إلى أرض المريا[1] وأصعده، هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك).

* ثم يقول فى نفس المصدر السابق (٢٢/ ٩ ـ ١٠): (فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح، ورتب الحطب، وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مد إبراهيم يده، وأخذ السكين ليذبح ابنه).

* ثم تذكر التوراة: (وقال إسحاق: فلتربطنى بقوة كَيْلاَ ينتابنى الهلع وفجأة عند رؤية السكين وأتحرك هنا وهناك، ويصعب عليك ذبحى، وفعل إبراهيم حسب كلام إسحاق).

* إن محرفى التوراة أخذوا قصة إسماعيل برمتها ثم ألبسوها ثوب إسحاق عليه السلام ليمنعوا إسماعيل الشرف ويمنحوه إسحاق عليه السلام، ذلك أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، وآمنوا ببعض الرسل وكفروا بآخرين إلا أن ما راعنى حقًّا هو قولهم: (خذا ابنك وحيدك)، ومع ذلك فإن التوراة فى نفس السفر ـ وهو سفر التكوين ـ يذكر كاتبها صراحة برقم (١٦/ ١٦): (وكان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام)، ثم جاء برقم (٢١/ ٥) ما نصه: (وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه)!!

ثم يقول المحرف (١٦/ ١٢ ـ ١٣): (فقال الله لإبراهيم: لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك[2] فى كل ما تقول سارة: اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية سأجعله أمة لأنه من نسلك)!!

ومن البديهيات فى هذه الحياة أنه (إذا اختلف اللصان ظهرت الحقيقة) وقد اختلفا فعلاً، وظهر تناقض التوراة فى وجود إسماعيل، ثم تنفى وجوده تمامًا، حتى إن ابن كثير، قال: (فإن عندهم أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه (وحيده) وفى النسخة المعربة (بكره ـ إسحاق) فلفظة إسحاق ههنا مقحمة مكذوبة مفتراة، لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر، ذاك إسماعيل)[3]. وقد قال ابن تيمية نفس الكلام.

---

(١) أرض المريا: هى (جبل المريا) المبنى عليه مدينة (أورشليم) وفى هذا تأكيد من اليهود أنها أرضهم!!

(٢) قصدوا بها هاجر عليها السلام.

(٣) البداية (١/ ٢٤١) لابن كثير.

ولكن ما الذى دفع اليهود إلى القول بأنه إسحاق؟

أنه الحسد والحقد، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ﷺ وإسحاق والد يعقوب وهو إسرائيل الذين ينتسبون إليه، فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم فحرفوا كلام الله وزادوا فيه، وهم قوم بهت، ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

**(٣) مخالفة هذه الروايات لنص القرآن، ثم لصحيح السُنة المطهرة:**

فقد قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ (هود: ٧١)، فكيف تقع البشارة بيعقوب، ثم يؤمر بذبحه قبل أن يولد له يعقوب؟!

وقد حدث الفضل - والفضل ما شهدت به الأعداء - حيث سأل عمر بن عبد العزيز المفسر والتابعى الجليل محمد بن كعب القرظى، فأرسل إلى أحد اليهود الذين أسلموا وحسن إسلامهم، فقال: الذبيح إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن اليهود لتعلم بذلك، ولكن يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم[1].

* أما صحيح السنة المطهرة: فقد روى البخارى[2] حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام حمل هاجر وولدها إلى مكان قريب من البيت الحرام، وهو نفسه ما دلّ عليه القرآن، وهو المكان الذى أسمته التوراة (جبال فاران) ولو كان الذبيح إسحاق لتمت أحداث الذبح بأرض الشام، ولكانت شعائر الذبح من بعد هناك، وهو المخالف لنص القرآن والسنة تمامًا، لكن ما الذى دعا السلف إلى القول بأنه إسحاق لا إسماعيل؟

* إنها نفس الآفة: النقل عن كعب الأحبار الذى نقل بدوره عن التوراة، مما دفع ابن كثير للحمل عليه فقال: (وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار، فإنه لمّا أسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله عنه عن كتبه فربما استمع له عمر رضى الله عنه، فترخص الناس فى استماع ما عنده، ونقلوا ما عنده غثها وسمينها، وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحدٍ مما عنده. . . ولو ثبت - أى أن الذبيح

---

(١) السابق (١/ ٢٤٣).

(٢) صحيح: البخارى (٣٣٦٤/ ٣٣٦٥) فى أحاديث الأنبياء.

هو إسحاق ـ لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده)[١] . وهو ما نقول به أيضًا .

وأئمة التفسير والحديث على أنه إسماعيل ، فقد قاله البخارى ، وأحمد بن حنبل ، وأبو حاتم ، ومحمد بن كعب القُرظى ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والحسن والشعبى .

أما الصحابة ، فقد اضطربت عنهم الروايات ، ومما يدل على صحيح الحديث أن أكثرهم على القول بأنه إسماعيل عليه السلام .

ومما يدعو إلى العجب أن المفسرين لم ينقلوا عن بنى إسرائيل أن إسحاق هو الذبيح فقط ، بل نقلوا بعض الإسرائيليات الأخرى التى وقع فيها وصف الكبش ، فقد روى الطبرى[٢] وغيره أن الكبش الذى ذبحه إبراهيم (رعى فى الجنة أربعين سنة ، وكان كبشًا أملح ، صوفه مثل العهن الأحمر) ـ أى الصوف ـ .

ونص التوراة حرفيًّا ـ كما فى الترجمة ـ (هو الكبش الذى خلق فى اليوم السادس مساءً ، ورعى فى الجنة تحت شجرة الحياة ، وشرب من مياه الجنة ، وكانت ريحه تملأ العالم)[٣] .

***

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة يوسف عليه السلام

لم تمتلئ قصة بالأكاذيب والأساطير كما امتلأت قصة يوسف عليه السلام ، والتى جاءت فى كثير من كتب التفاسير من طرق الإسرائيليات ، أو الوضاعين والكذابين ، أو جهلة القُصاص .

فأما بنو إسرائيل فملأوها بالخرافات ، واجترحوا عصمة الأنبياء واتهموا يوسف عليه السلام بالوقوع فى الخطيئة ، أما الكذابون والوضاعون فرأوا فيها مجالاً واضحًا لنشر أكاذيبهم وإلصاقها بالنبى ﷺ .

وأما جهلة القُصاص فقد راحوا يضعون مثيرات ، ومشوقات لتجلب لهم العوام فيزداد المجلس حضورًا ، ويزداد التأثير ، وقد وجد الجميع فى هذه القصة بغيته فراح يقول

---

(١) ابن كثير (٧/ ٢٥) فى تفسيره .

(٢) تفسير الطبرى (١٠/ ١٥١) برقم (٢٩٥٣٨) .

(٣) كل أساطير إسرائيل (١/ ١٠٠) وفى الأجاداة نفس النص .

فيها، ويضع، ويكذب، حتى إن أحدهم من كثرة غفلته ليقول: (كان اسم الذئب الذى أكل يوسف كذا وكذا)، حتى قالوا له: (إن يوسف لم يأكله الذئب). فقال: فهو اسم الذئب الذى لم يأكل يوسف[1].

وسنحاول فى هذه الصفحات جمع أشهر هذه الأكاذيب التى وضعت وألصقت بهذه القصة:

**(١) الأحد عشر كوكبًا فى رؤيا يوسف عليه السلام:**

ففى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤)، فروى الطبرى[2]، والسيوطى، والقرطبى[3] عن الحكم ابن ظهير عن السُّدى عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله قال: أتى النبى ﷺ رجلٌ من يهود، يقال له: (بستانة اليهودى). فقال له: يا محمد أخبرنى عن الكواكب التى رآها يوسف ساجدة له، ما أسماؤها؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه بشىء، ونزل عليه جبريل وأخبره بأسمائها. قال: فبعث رسول الله ﷺ فقال: (هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟) قال: نعم. فقال: (جريان، والطارق، والذيّال، وذو الكنفان، وقابس، ووثاب، وعمودان، والفليق، والمصبح، والضّروح، وذو الفرع، والضياء، والنور). فقال اليهودى: والله إنها لأسماؤها.

**قلت:** وفى الحديث: (الحكم بن ظهير). قال الذهبى (١/ ٢٦٨) الميزان (١/ ٢٦٨)، عنه: قال ابن معين: ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشىء، وقال البخارى: منكر الحديث، وقال مرة: تركوه.

وهو راوى حديث: (إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه). وفيه السدى، وما أدراك ما السدى. وقد ذكر ابن كثير (١/ ٣٠٢) فى البداية هذا الحديث، وقال: (من حديث الحكم بن ظهير وقد ضعفه الأئمة)، ولم يعقب، وقال فى تفسيره: تفرد به الحكم بن ظهير الفزارى، وقد ضعفه الأئمة وتركه الأكثرون. وقال الجوزجانى: ساقط.

وهو صاحب حديث حُسْن يوسف[4]. فالحديث إذن موضوع لا حاجة لنا به.

---

(١) القصاص والذكر لابن الجوزى ص٣٤ تحقيق د. محمد لطفى الصباغ.

(٢) الطبرى (٧/ ١٤٨) برقم (١٨٧٩٢)، والدر المنثور (٤/ ٤).

(٣) القرطبى (٩/ ١٢٦) فى تفسيره.

(٤) ابن كثير (٤/ ٢٥٧) فى تفسيره.

**(٢) فى غيابة الجب[١] :**

وروى الطبرى ، والقرطبى ، والسيوطى[٢] ، من طريق سفيان بن وكيع عن عمرو بن محمد عن السدى ، فى قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف:١٥) ، قال : إن يعقوب عليه السلام لما أرسله معهم أخذ عليهم ميثاقًا غليظًا ليحفظُنّه ، وسلَّمه إلى روبيل[٣] . وقال : يا روبيل إنه صغير ، وتعلم يا بنى شفقتى عليه ، فإن جاع فأطعمه ، وإن عطش فاسقه ، وإن أعيا - أى تعب - فعجل برده إلىّ . فأخذوا يحملونه على أكتافهم لا يضعه واحدٌ إلا حمله ورفعه الآخر ، ويعقوب يشيعهم ميلاً ثم رجع ، فلما انقطع بصر أبيهم عنه رماه الذى كان يحمله إلى الأرض حتى كاد ينكسر ، فالتجأ إلى آخر فوجد عند كل واحدٍ منهم أشد مما عند الآخر من الغيظ والعسف ، فاستغاث بروبيل ، وقال : أنت أكبر إخوتى ، والخليفة من بعد والدى عَلَىَّ ، وأقرب الإخوة إلىَّ ، فارحمنى وارحم ضعفى . . .

فاستغاث بأخيه يهوذا ، وعبثًا حاول أن ينقذه منهم كما تقول الرواية إلا أنهم صمموا على إلقائه فى البئر ، فجعلوا يدلونه فى البئر ، تعلق بشفير البئر ، فربطوا يديه ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخوتاه ! ردّوا على قميصى أتوارى به فى هذا الجب ، فإن مت كان كفنى ، وإن عشت أوارى به عورتى ، فقالوا : ادْع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا فلتؤنسك وتكسك . فقال : إنى لم أر شيئًا ! ! فدلوه فى البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يسقط فيموت ، فكان فى البئر ماء فسقط فيه ، ثم آوى إلى صخرة فقام عليها . وقيل : إن شمعون هو الذى قطع الحبل إرادة أن يتفتت على الصخرة ، وكان جبريل تحت ساق العرش ، فأوحى الله إليه أن أدرك عبدى ، قال جبريل : فأسرعت وهبطت حتى عارضته بين الرمى والوقوع فأقعدته على الصخرة سالمًا . وكان ذلك الجب مأوى الهوام ، فقام على الصخرة وجعل يبكى ، فنادوه ، فظن أنها رحمة عليه أدركتهم فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بالصخرة فمنعهم يهوذا ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام ، فلما وقع عريانًا نزل جبريل إليه ، وكان إبراهيم حين ألقى فى النار عريانًا أتاه جبريل بقيمص من حرير

---

(١) أى فى ظلمات البئر.

(٢) الطبرى (٧/ ١٥٧) برقم (١٨٨٤٢).

(٣) ذكر القرطبى أسماء الأسباط نقلاً عن أهل الكتاب وهو (روبيل - شمعون - لاوى - يهوذا - زيالون - يشجر - دان - نفتالى - جاد - أشر - بنيامين) ودعك منه فإنه من نقل يهود ولا يثبت فيه قول من كتاب أو سنة.

الجنة فألبسه إياه، فكان ذلك عند إبراهيم، ثم ورثه إسحاق، ثم ورثه يعقوب، فلمّا شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى تعويذة وجعله فى عنقه!! فكان لا يفارقه فلمّا ألقى فى الجُبّ عريانًا أخرج جبريل ذلك القميص فألبسه إياه. قال وهب: فلما قام على الصخرة، قال: يا إخوتاه! إن لكل ميت وصيّة، فاسمعوا وصيتى، قالوا: وما هى؟

قال: إذا اجتمعتم كلّكم فآنس بعضكم بعضًا فاذكروا وحشتى، وإذا أكلتم فاذكروا جوعى، وإذا شربتم فاذكروا عطشى، وإذا رأيتم غريبًا فاذكروا غربتى، وإذا رأيتم شابًا فاذكروا شبابى، فقال له جبريل: يا يوسف كفّ عن هذا واشتغل بالدعاء، فإن الدعاء عند الله بمكان، ثم علمه فقال: قال: اللهم يا مؤنس كلّ غريب، ويا صاحب كل وحيد، ويا ملجأ كل خائف، ويا كاشف كل كربة، ويا عالم كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، ويا حاضر كل ملأ، يا حيّ يا قيوم! أسألك أن تقذف رجاءك فى قلبى، حتى لا يكون لى همّ ولا شغل غيرك، وأن تجعل لى من أمرى فرجًا، ومخرجًا، إنك على كل شىء قدير، فقالت الملائكة: إلهنا نسمع صوتًا ودعاء، الصوت صوت صبّى، والدعاء دعاء نبىّ.

وقال الضحاك: نزل جبريل عليه السلام على يوسف وهو فى الجب، فقال له: ألا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن عجّل الله لك خروجك من هذا الجب؟ فقال: نعم! فقال له: (يا صانع كل مصنوع، وجابر كل كسير، ويا شاهد كل نجوى، ويا حاضر كل ملأ، ويا مفرّج كل كربة، ويا صاحب كل غريب، ويا مؤنس كل وحيد، آتنى بالفرج والرجاء، اقذف رجاءك فى قلبى حتى لا أرجو أحدًا سواك)، فردّدها يوسف فى ليلته مرارًا، فأخرجه الله فى صبيحة يومه ذلك من الجب.

إن الأوراق تختلط فى هذه الرواية العجيبة لتدل على كذبها وفسادها.

(١) فوجود السُّدى ينسف هذه الرواية نسفًا فيذرها قاعًا صفصفًا.

(٢) ثم هذا الحوار العجيب الذى لم نعهده فى أحاديث النبى ﷺ من قريب أو من بعيد، وهو الذى كان يتخول الناس بالموعظة، يتكلم كلامًا لو أراد العاد إحصاءه لفعل، فليس هذا من شأن أحاديث النبى ﷺ.

(٣) ثم أسماء الأسباط التى ما وردت فى قرآن ولا سنة، بل هى من النقل عن أهل الكتاب.

(٤) ثم التعويذة التى يربطها نبى من الأنبياء فى عنق نبى آخر.

(٥) ثم الدعاء المؤثر، وهذه كلها من علامات القصاصين الذين أرادوا جمع الناس حولهم والتعالم عليهم.

فخلطوا الأوراق صحيحها وسقيمها، فجاءت الرواية مشوهة كما وصلت إلينا، وما نراها إلا من وضع قاص محرف كما هو الحال فى مثل هذه الروايات. وقد قال الألوسى فى روح المعانى معقبًا على هذه الروايات: (والروايات فى كيفية إلقائه وما قال وما قيل له كثيرة، وقد تضمنت ما يلين له الصخر، لكن ليس فيها ما له سند يعول عليه والله تعالى أعلم)[1].

**(٣) الذئب الناطق:**

ولما عاد - إخوة يوسف - بعد إلقائه فى البئر إلى أبيهم لم يجد القُصاص فى القرآن الكريم ما يتوافق مع منهجهم الذى يجمعون به قلوب الناس، ويتعالمون على العامة، فراحوا يحيكون قصصًا طوال، وخرافات وأساطير ما أنزل الله بها من سلطان، من ذلك ما رواه الثعلبى، والقرطبى والسيوطى[2]، بلفظ: (وقيل:) و(روى) أن يعقوب لما قالوا له: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ (يوسف:١٧)، قال لهم: ألم يترك الذئب له عضوًا فتأتونى به أستأنس به؟! ألم يترك لى ثوبًا أشم فيه رائحته؟ قالوا: بلى. هذا قميصه ملطوخ بدمه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف:١٨)، فبكى يعقوب عند ذلك. وقال لبنيه: أرونى قميصه، فأروه فشمّه وقبّله، ثم جعل يقلبه فلا يرى فيه شقًّا ولا تمزيقًا، فقال: والله الذى لا إله إلا هو ما رأيت ذئبًا أحكم منه، أكل ابنى واختلسه من قميصه، ولم يمزقه عليه وعلم أن الأمر ليس كما قالوا، وأن الذئب لم يأكله، فأعرض عنهم كالمغضب باكيًا حزينًا، وقال: يا معشر ولدى دلونى على ولدى، إن كان حيًّا رددته إلىّ، وإن كان ميتًا كفنته ودفنته.

فقيل: قالوا حينئذٍ: ألم تروا إلى أبينا كيف يكذِّبنا فى مقالتنا، فتعالوا نصطد ذئبًا، قال: فاصطادوا ذئبًا ولطّخوه بالدم وأوثقوه بالحبال، ثم جاءوا به يعقوب، وقالوا: يا أبانا، إن هذا الذئب يحل بأغنامنا ويفترسها، ولعله الذى فجعنا بأخينا لا نشك فيه،

---

(١) روح المعانى (١٢/ ٢٩٧).

(٢) القرطبى (٩/ ١٥٤ - ١٥٥) الثعلبى (٤/ ٢١) فى تفسيره، الدر المنثور (٤/ ٢٠).

وهـذا دمه عليه ، فقال يعقوب : أطلقوه ، فأطلقوه ، فبصبص له الذئب ، وأقبل يدنو منه ، ويقول له يعقـوب : ادْن ادْن ، حتى ألصق فخذه بفخذه ، فقـال له يعقوب : أيها الذئب لِمَ فجعتني فى ولدى وأورثتنى بعده حزنًا طويلاً ؟

ثم قال : اللهم أنطقه ، فأنطقه ، فقال : والذى اصطفاك نبيًّا ما أكلتُ لحمه ، ولا مزّقتُ جلـده ، ولا نتفتُ شعرة من شعـره ، ووالله ما لـى بولـدك عهد ، وإنما أنا ذئـب غريب ، أقبلتُ من نـواحى مصر فى طلب أخٍ لـى فقدته ، فلا أدرى أحىّ هو أم ميت ، فاصطادنى ولدك وأوثقونى ، إن لحوم الأنبياء حُرِّمت علينا ، وعلى جميع الوحوش ، وبالله لا قمتُ فى بلاد يكذب فيها أولاد الأنبياء على الوحوش ! ! ! فأطلقه يعقوب وقال لبنيه : والله لقد أتيتم بـالحجة علـى أنفسكـم ، هذا ذئـب بهيمـة ، خرج يتبع زمام أخيه ، وأنتم ضيّعتم أخاكـم ، وعلمتُ أن الذئب برىء ممـا جئتم به : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف : ١٨) .

وأعجب منه أن بعضهم قال : إن الذئب قال ليعقوب عليه السلام : (من زار حميمًا أو قـريبًا ، كتب الله له بكـل خطوة ألف حسـنة وحطّ عنه ألف سيئة ، ورفع له ألف درجة) . فقال يعقوب لبنيه : اكتبوا هذا الحديث ! !

إن مـا تعجبت منه حقًّـا لم يكن براعـة القصاص فـى نسجه لهذا الـباطل الذى (زوّره) ولـيس العجب من تصديق العوام له بل فـى نقل السيوطى والقرطبى للخبر ، فاضحين به نفسيهما ، عفا الله عنهما .

**(٤) الثمن البخس ! ! والرحلة إلى مصر :**

وقد نقـل المفسرون فى قـول الله تعالى : ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ (يوسف : ٢٠) أقوالاً عن بنى إسرائيل :

منها : ما أورده الطبرى عن نوف البكالى ، وما رووه أيضًا عن ابن وكيع ، عن عبد الله ابن مسعود أنه أى الثمن البخس : عشرون درهمًا .

وعلى قدر ما شنع الشيخ رشيد رضا رحمه الله فى المنـار على كعب وشكك فى إيمانه نقل صـراحة عن سفر التكـوين فقال فـى تفسـير المنار (١٢/ ٢٧١) : (أمـا الثمـن البخس الـذى بيع بـه ، ففى (سفـر التكوين) أنه كان عـشرين شـاقلاً[١] من فضـة ! ! وقال علـماء

(١) الشاقل : هو (التشيكل) الآن .

التاريخ القديم: الشاقل بخمسة عشر جرامًا من الوزن العشرى اللاتينى المعروف فى عصرنا، فيكون ثمنه ٣٠٠ جرام من الفضة، وهى تقرب من ٩٤ درهمًا من دراهمنا اليوم.

وعن ابن مسعود رضى الله عنه: إنه عشرون دِرْهمًا، ولعله سمعه من اليهود فظن أن العشرين عندهم هى الدراهم عند العرب!!![1].

والعجب من رجل يزعم حرمة النقل عن أهل الكتاب حتى من أسلم منهم، ثم يذهب إلى كتبهم مباشرة ليفسر بها القرآن، وقد شنّع عليه من قبل الشيخ الذهبى رحمه الله فى هذه المواضع.

**(٥) ومن أسوأ الإسرائيليات التى نقلت هنا:**

ما رواه القرطبى فى تفسيره (٩/ ١٦٣):

إن إخوة يوسف ذهبوا إلى البئر فوجدوه حيًّا مع السّيارة، فقالوا: إنه لص آبق، فقيده ووكل به عبدًا أسود، فلما جاء وقت ارتحالهم بكى عليه السلام، فقال له التاجر: ما لك تبكى؟ فقال: أريد أن أصل إلى الذين باعونى لأودعهم وأسلم عليهم سلام من لا يرجع إليهم، فقال التاجر للعبد: خذه واذهب به إلى مواليه ليودعهم ثم ألحقه بالقافلة، فما رأيتُ غلامًا أبر من هذا بمواليه ولا قومًا أجفى منهم، فتقدم العبد به إلى إخوته، وكان واحد منهم مستيقظًا يحرس الأغنام فلما وصل يوسف وهو يعثر فى قيده انكب عليه وبكى، فقال له: لماذا جئت؟ فقال: جئت لأودعكم وأسلم عليكم، فصاح عليهم أخوهم: قوموا إلى من أتاكم يسلم عليكم سلام من لا يرجو أن يراكم أبدًا، فويل لكم من هذا الوداع، فقاموا فجعل يوسف ينكب على كل واحد منهم ويقبله ويعانقه، ويقول: حفظكم الله تعالى وإن ضيعتمونى، آواكم الله تعالى وإن طردتمونى، رحمكم الله تعالى وإن لم ترحمونى. قيل: إن الأغنام ألقت ما فى بطونها من هول هذا التوديع، ثم أخذه العبد وطلب القافلة، فبينما هو على الراحلة إذ مر بقبر أمّه (راحيل) فى مقابر (كنعان)، فلما أبصر القبر لم يتمالك أن رمى بنفسه عليه فاعتنقه وجعل يبكى ويقول:

يا أماه ارفعى رأسك من التراب حتى ترى ولدك مقيّدًا، يا أمّاه إخوتى فى الجب

---

(١) وقد روى القرطبى عن وهب بن منبه - وتنبه - أن يوسف اشتراه عزيز مصر بأضعاف وزنه مسكًا وعنبرًا وحريرًا، وورقًا - فضة - وذهبًا - ولآلئ وجواهر لا يعلم قيمتها إلا الله. (التفسير ٧/ ١٦٣).

طرحونى، ومن أبى فرّقونى، وبأبخس الأثمان باعونى، ولم يرقّوا لصغر سنى، ولم يرحمونى، فأنا أسأل الله تعالى أن يجمع بينى وبين والدى فى مستقر رحمته إنه أرحم الراحمين.

فالتفت العبد فلم يره فرجع فرآه على القبر فقال: والله لقد صدق مواليك إنك عبد آبق، ثم لطمه لطمة شديدة فغشى عليه ثم أفاق فقال له: لا تؤاخذنى هذا قبر أمى نزلتُ أسلِّم عليها ولا أعود بعد لما تكرهه أبدًا، ثم رفع عينيه إلى السماء وهى تمرغ بالتراب والدموع فى وجهه، فقال: اللهم إن كانت لى خطيئة أخلفت وجهى عندك فبحرمة آبائى الكرام إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن تعفو عنى وترحمنى يا أرحم الراحمين، فضجت الملائكة إلى الله تعالى عند ذلك. فقال الله: يا ملائكتى هذا نبى وابن أنبيائى، وقد استغاث بى وأنا مغيثه ومغيث المستغيثين، يا جبريل أدركه، فنزل جبريل - عليه السلام - فقال: يا صدّيق الله ربك يقرئك السلام، ويقول لك: مهلاً عليك فقد أبكيت ملائكة السموات السبع أتريد أن أطبق السماء على الأرض؟ فقال: لا يا جبريل أرفق بخلق ربى فإنه حليم لا يعجّل، فضرب الأرض بجناحه فهبت ريح حمراء وكسفت الشمس، وأظلمت الغبراء فلم ير أهل القافلة بعضهم بعضًا، فقال التاجر: انزلوا قبل أن تهلكوا إن لى سنين عديدة أمرّ بهذا الطريق، فما رأيت كاليوم فمن أصاب منكم ذنبًا فليتب منه فما أصابنا هذا إلا بذنب اقترفناه، فأخبره العبد بما فعل مع يوسف، وقال: يا سيدى: إنى لما ضربته رفع عينيه إلى السماء وحرّك شفتيه، فقال له التاجر: ويحك أهلكتنا وأهلكت نفسك، فتقدم إليه التاجر، وقال: يا غلام إنا ظلمناك حين ضربناك، فإن شئت أن تقتص منا فها نحن بين يديك؟

فقال يوسف: ما أنا من قوم إذا ظلموا يقتصون، ولكنى من أهل البيت إذا ظلموا عفوا وغفروا، ولقد عفوتُ عنكم رجاء أن يعفو الله تعالى عنى فانجلت الظلمة، وسكنت الريح، وأسفرت الشمس، وأضاءت مشارق الأرض ومغاربها، فساروا حتى دخلوا مصر آمنين، وكان هذا التاجر فيما قيل: «مالك بن دُعر» الذى أخرجه من الجُب.

إنه وضع الزنادقة، تلمح فيه حماقة القصاص الذين تراهم كالبهائم تؤثر التبن على التبر، فقد عجزوا عن فهم معانى القرآن والتعامل معه، فزادوا ووضعوا، وأخطأوا.

فأى عقيدة سلفية تلك التى تقبل أن يتوسل نبى كريم على الله وهو يوسف عليه السلام بحرمة آبائه وأجداده.

ثم الركاكة العجيبة فى هذه القصة التى جعلت من علامات الوضع فيها ظهوراً كأنها بقعة سوداء فى جلدٍ أبيض ولكن كان الأغرب أن السيد/ محمود الألوسى قد نقل هذه الرواية فى تفسيره (١٢/ ٣٠٩ - ٣١٠) دون تعقيب!!

**(٦) اجتراح عصمة الأنبياء فى قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ (يوسف: ٢٤).

على مدى تاريخهم الطويل عُرف اليهود بكراهيتهم الشديدة للأنبياء فقتلوا منهم وذبحوا، أو كذبوا، واجترحوا عصمة الأنبياء بالسب والقذف، والرمى بأبشع التهم والافتراءات التى تقشعر منها جلود المؤمنين.

وقد كان ليوسف عليه السلام من هذه الافتراءات نصيبًا كبيراً حيث رُمى عليه السلام كما رمى غيره من أنبياء بنى إسرائيل بالفاحشة، ذلك أن أمة يهود حرفت كتابها، وكفرت بالله ورسله، أما أمة الإسلام التى تؤمن بعصمة الأنبياء والرسل فإنها بدلاً من أن ترد هذه الفرية وتبرئ منها نبيًّا وصفه نبى هذه الأمة بأنه «الكريم» إذا بمفسرى هذه الأمة يجرون حسب أهواء بنى إسرائيل وينقلون عنهم اجتراح عصمة نبى من أنبياء الله، وهذا ما حدث عندما أساء كثيرٌ من المفسرين تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ (يوسف: ٢٤)، فنقلوا هذه الافتراءات عن اليهود، ومنها:

* ما نقله الطبرى وغيره من المفسرين من رواية ابن جريج، وغيره عن ابن عباس أنه سُئل عن هم يوسف عليه السلام، ما بلغ؟ فقال: (حلّ الهميان - تكة السراويل - وجلس منها مجلس الخاتن).

ورويت: استلقت هى له، وحلّ ثيابه، ورويت: استلقت له، وجلس بين رجليها وحل ثيابه وثيابها، وقال مجاهد: حلّ سراويله حتى وقع على إليتيه[1].

وقال القرطبى[2]: (وفى الخبر: أنها قالت له: يا يوسف ما أحسن صورة وجهك! قال: فى الرحم صوّرنى ربى، قالت: يا يوسف ما أحسن شعْرك؟ قال: هو أول شىء يَبْلى منى فى قبرى؛ قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك؟ قال: بهما أنظر إلى ربى، قالت: يا يوسف ارْفع بصرك فانظر فى وجهى، قال: إنى أخاف العمى فى آخرتى.

(١) الطبرى (٧/ ١٨١ - ١٨٢) فى تفسيره، والقرطبى (٩/ ١٧١ - ١٧٢).

(٢) القرطبى (٩/ ١٧١) فى تفسيره.

قالت: يا يوسف أدْنو منك وتتباعد منى؟! قال: أريد بذلك القرب من ربى، قالت: يا يوسف القيطون[1] فرشته لك فادخل معى، قال: القيطون لا يسترنى من ربى. قالت يا يوسف فراش الحرير قد فرشته لك؛ قم فاقض حاجتى. قال: إذًا يذهب من الجنة نصيبى، إلى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها إلى أن همَّ بها!!». اهـ.

* وقالوا عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ (يوسف: ٥٢)، وهو ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن: حاشى لله. ما علمنا عليه من سوء! قالت امرأة العزيز: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ (يوسف: ٥١)، قال يوسف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ (يوسف: ٥٣) فقال له جبريل: ولا يوم هممت بما هممت؟ فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[2].

* وروى الطبرى، والسيوطى، وابن أبى حاتم، عن ابن عباس، قال: (لما همت به، تزينت، ثم استلقت على فراشها، وهم بها وجلس بين رجليها يحل تبانه، نودى من السماء: يا ابن يعقوب، لا تكن كطائر ينتف ريشه، فبقى لا ريش له، فلم يتعظ على النداء شيئًا حتى رأى برهان ربه جبريل عليه السلام فى صورة يعقوب عاضًا على أصبعيه، ففزع فخرجت شهوته من أنامله، فوثب إلى الباب فوجده مُغْلقًا، فرفع يوسف رجله فضرب بها الباب الأدنى فانفرج له، واتبعته فأدركته، فوضعت يديها فى قميصه فشقته حتى بلغت عضلة ساقه، فألفيا سيدها لدى الباب»[3].

ومنها ما رواه القرطبى والسيوطى[4] عن على بن أبى طالب فى قوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ﴾ قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان من الطمع أن همّ بحل التكة، فقامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت فى ناحية البيت، فسترته بثوب أبيض بينها وبينه، فقال: أى شىء تصنعين؟! فقالت: أستحيى من إلهى أن يرانى على هذه الصورة، فقال يوسف عليه السلام: تستحيين من صنم لا يأكل ولا يشرب، ولا أستحيى أنا من إلهى الذى هو قائم على كل نفس بما كسبت؟!... ثم قال: لا تنالينها منى أبدًا.

---

(١) القيطون: المخدع.

(٢) الطبرى (٧/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨) فى تفسيره.

(٣) الدر المنثور (٤/ ٥١)، والطبرى (٧/ ١٨٣).

(٤) الدر المنثور (٤/ ٥٢)، والقرطبى (٩/ ١٧٤).

* ومنها ما رواه القرطبى بصيغة التمريض فقال: وقيل: رأى مكتوبًا فى سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٢).

* ومنها ما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظى، قال: البرهان الذى رأى يوسف عليه السلام، ثلاث آيات من كتاب الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: ١٠ - ١٢).

وقول الله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (يونس: ٦١).

وقول الله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣).

* ومنها ما رواه الطبرى وغيره عن قتادة أنه سمع مناديًا يقول: أنت مكتوب فى ديوان الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء.

* وقال السيوطى والقرطبى أيضًا: مثل له يعقوب، فضرب صدره، فخرجت شهوته من أنامله، فولد لكل واحد من أبناء يعقوب اثنا عشر ذكرًا إلا يوسف لم يولد له إلا غلامان!!

● **تبرير واهٍ:**

وقد لاحظ الناقلون لهذه الروايات اصطدامها مع العقيدة التى يعتقدها المسلمون فى أنبياء الله، فلجأوا إلى تبرير ساذج سرعان ما يكتشف تهافته، فقالوا نقلاً عن الحسن: إن الله عز وجل لم يذكر معاصى الأنبياء فى القرآن ليعيرهم بها، ولكنه ذكرها لكيلا تيأسوا من التوبة[1]!!

وقال الطبرى: ابتلاهم الله - أى الأنبياء - بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب فى رجاء رحمة الله، وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا[2].

لقد حاولوا دفع التهمة فأكدوها - والله يغفر لهم - وما ضرهم لو تركوا هذا الفساد الذى ابتدعه زنادقة اليهود ولم يسودوا به صحائفهم، وكم من مغترٍ بهذه الروايات ناقل لها، معتقد فى صحتها، والسبب أنه وجدها فى كتب كبار المفسرين: الطبرى، القرطبى، السيوطى!!

---

(١) الدر المنثور (٤/ ١٣).

(٢) الطبرى (٧/ ١٨٣).

● **نقد الروايات:**

(١) الرواية منقولة عن التوراة حرفيًّا: أقصد رواية اتهام يوسف عليه السلام بالوقوع فى الفاحشة، فالنص المترجم عن التوراة يقول: (وأمسكت بملابسه، وصعد معها على السرير، إلا أنه لم يجد فى نفسه شهوة، إذ رأى صورة وجه أبيه، فأسقط نفسه على الأرض وغرس أصابعه العشرة فى الأرض).

فأى شىء أبقى مفسرونا لم ينقلوه عن التوراة؟!

(٢) اصطدام هذه الروايات مع العقيدة الإسلامية فى اجتراح عصمة الأنبياء ونسبة الفاحشة إليهم.

(٣) تعارض هذه الروايات مع نص القرآن الكريم صراحة:

وأمّا بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب: فهو قوله عليه السلام: ﴿هِىَ رَاوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ (يوسف:٢٦)، وقوله عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ (يوسف: ٣٣).

* وأمّا بيان أن المرأة اعترفت بذلك، فلأنها قالت للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ (يوسف: ٣٢).

وأيضًا قالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ (يوسف: ٥١).

* وأما بيان أن زوج المرأة أقرّ بذلك، فهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ (يوسف:٢٨، ٢٩). وأما الشهود: فقوله تعالى: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ (يوسف: ٢٦).

* وأما شهادة الله تعالى بذلك، فقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

* وأما بيان أن إبليس أقرّ بطهارته: فلأنه قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢، ٨٣) فأقر أبليس بعدم قدرته، وانعدام سلطانه على عباد الله المخلصين ومنهم يوسف عليه السلام، وبمثل هذه الدلائل يدفع الاتهام الموجه إلى يوسف عليه السلام[1].

(١) هذا ما أقره الفخر الرازى (٩/ ٢٩) وما بعدها فى تفسيره، وعاد القرطبى ليقرره (٩/ ١٧٣) فى تفسيره أيضًا.

(٤) وقد أفاض الأئمة فى دفع هذه التهمة عن النبى يوسف عليه السلام، فقد قال ابن كثير: (وأكثر أقوال المفسرين هاهنا متلقى من أهل الكتاب فالإعراض عنه أولى بنا، والذى يجب أن يعتقد أن الله تعالى عصمه، وبرأه ونزهه عن الفاحشة، وحماه عنها، وصانه منها)[١].

* وقال الألوسى: (وأما أقوال السلف، فالذى نعتقده أنه لم يصح منها شىء عنهم، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضًا، مع كونها قادحة فى بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة) قاله فى روح المعانى[٢].

* وقال ابن عطية: الذى أقول به فى هذه الآية: إن كون يوسف نبيًّا فى وقت هذه النازلة لم يصح، ولا تظاهرت به رواية، وإذا كان كذلك فهو مؤمن قد أوتى حكمًا وعلمًا، ويجوز عليه الهم الذى هو إرادة الشىء دون مواقعته، وأن يستصحب الخاطر الردىء على ما فى ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبيًّا فى ذلك الوقت فلا يجوز عليه عندى إلا الهم الذى هو خاطر، ولا يصح عندى شىء مما ذكر من حل تكته ونحوه، لأن العصمة مع النبوة[٣].

* وقال الرازى[٤] فى تفسيره: إن هذه المعصية التى نسبوها إلى يوسف عليه السلام لو نسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول ﷺ المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة!... ) ثم أردف قائلاً: (إن الأنبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة أو هفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف عليه السلام أقدم هاهنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما فى سائر المواضع وحيث لم يوجد شىء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه فى هذه الواقعة ذنب ولا معصية).

---

(١) البداية (١/ ٣٠٧) لابن كثير.

(٢) (١٢/ ٣٢٢).

(٣) المحرر الوجيز (٧/ ٤٧٧).

(٤) مفاتيح الغيب (٩/ ٢٦).

**(٥) محاولات لتفسير الهمّ، والتفسير الصحيح للبرهان الذى رآه يوسف عليه السلام:**

وقد حاول كثير من المفسرين إيجاد تفسير صحيح (للهم) المذكور فى الآية:

* فبعض المفسرين على أن الهم هنا هو مجرد الخاطر ـ كما ذكر ابن عطية، وقال أبو نصر القشيرى: (جرى من يوسف همٌّ، وكان ذلك الهم حركة وطبع من غير تصميم للعقد على الفعل، وما كان من هذا القبيل لا يؤخذ به العبد، وقد يخطر بقلب المرء وهو صائم شرب الماء البارد، وتناول الطعام اللذيذ، فإذا لم يأكل ولم يشرب ولم يصمم عزمه على الأكل والشرب لا يؤاخذ بما هجس فى نفسه، والبرهان صرفه عن هذا الهم حتى لم يصر عزمًا مصممًا)[١]. وعندى أن هذا التفسير هو أفضل التفسيرات، وقد ارتضاه القرطبى فى تفسيره، وقال به وأيده بحديث مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «قالت الملائكة رب ذاك عبدٌ يريد أن يعمل سيئةً ـ وهو أبصر به ـ فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها، فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جراى».

وفى حديث ابن عباس عنه ﷺ: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده عشر حسناتٍ إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[٢].

* وقد حاول الشيخ رشيد رضا فى تفسيره أن يرفض التفسير السابق فقال: (إنها إنما همت بضربه نتيجة إبائه وإهانته لها، وهى السيدة الآمرة، وهمّ هو برد الاعتداء، ولكنه آثر الهرب فلحقت به وقدّت قميصه من دبر)[٣]. وهذا تأويل بعيد جدًّا عن مضمون الحادثة والقصة، ولا دليل فى العبارة، وهو ما قال به صاحب الظلال والشنقيطى فى أضواء البيان أيضًا (٢/ ٤٠).

* أما البرهان الذى رآه يوسف عليه السلام، فإنه ـ كما قال القرطبى ـ آية من آيات الله أراها الله يوسف حتى قوى إيمانه، وامتنع عن المعصية[٤].

---

(١) القرطبى (٩/ ١٧٢).

(٢) صحيح: البخارى (٦٤٩١) فى الرقاق، ومسلم (١٣١) فى الإيمان.

(٣) المنار (١٣/ ٢، ٣).

(٤) وبه قال الشيخ السعدى ص٣٩٦ فى تفسيره.

● **والخلاصة:** أن يوسف عليه السلام كما ذكر الله تعالى قصته (عمل بما علمه الله من تحريم الزنا ومقدماته، وخيانة السيد، والجار الأجنبى فى أهله، فما تعرض لامرأة العزيز، ولا أجاب إلى المراودة، بل أدبر عنها وفرّ منها، حكمة خُص بها، وعملاً بمقتضى ما علمه الله)[١].

❊❊❊

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة نبى الله موسى عليه السلام

**(١) فى ولادة موسى عليه السلام:**

ذكر القرطبى والماوردى كلٌّ فى تفسيره[٢]، وكذا فعل الثعلبى: أن وهب بن منبه قال: بلغنى أن فرعون ذبح فى طلب موسى سبعين ألف وليدًا، ويقال: تسعون ألفًا. ويروى أنها حين اقتربت وضربها الطلق - أى أم موسى -، وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بنى إسرائيل مصافية لها، فقالت: فلينفعنى حبك اليوم؛ فعالجتها[٣] فلما وقع إلى الأرض هالها نورٌ بين عينيه وارتعش كل مفصلٍ فيها، ودخل حبه قلبها. ثم قالت: ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون، ولكنى وجدت لابنك حبًّا ما وجدت مثله قط فاحفظيه. فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة ووضعته فى تنور مسجورٍ[٤] نارًا لم تعلم ما تصنع لما طاش عقلها، فطلبوا فلم يلفوا[٥] شيئًا، فخرجوا وهى لا تدرى مكانه، فسمعت بكاءه من التنور، وقد جعل الله عليه النار بردًا وسلامًا. . . وجعلته فى تابوت طوله خمسة أشبارٍ وعرضه خمسة أشبار، وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته فى اليم بعد أن أرضعته ثلاثة أشهر - وقال الكلبى: وحكى أنه لما فرغ النجار من صنعة التابوت نمَّ - أى نقل - إلى فرعون يخبره، فبعث معه من يأخذه، فطمس الله عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق، فأيقن أنه المولود الذى يخاف منه فرعون فآمن من ذلك الوقت، وهو مؤمن آل فرعون!!

---

(١) القرطبى (٩/ ١٧٣).

(٢) القرطبى (١٣/ ٢٦٠ - ٢٦١) الماوردى (٣/ ٢١٦ - ٢١٧).

(٣) عالجتها: ساعدتها حتى وضعت.

(٤) أى فرن مشتعل.

(٥) أى لم يجدوا.

**قلت:** والرواية يبدو عليها علامات الوضع، والنقل من التوراة، ويكفى ذكر اسم الكلبى فيها، وتالله ما رأيت قلبه ينقطع من كثرة الكذب، ثم هذا خلط للأوراق والقصص، وإدخال لمؤمن آل فرعون بدون مناسبة ومن مثل ذلك فليحذر العاقلون، وقد حدد سفر التكوين (٢/ ٢) أن أم موسى ألقت موسى فى اليم بعد ثلاثة أشهر!!

**(٢) موسى الرضيع فى قصر فرعون:**

وقال الطبرى فى تفسيره برقم (١١/ ٢٤): حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدى، قال: لما تحرك الغلام، يعنى موسى أورثه أمه آسية صبيًّا، فبينما هى ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها، فقال فرعون: عَلَىَّ بالذباحين، قالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ (القصص: ٩) إنما هو صبى لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس فى أهل مصر أحلى منى، أنا أضع حليًّا من الياقوت، وأضع له جمرًا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبى فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستًا من جمر فجاء جبرائيل عليه السلام، فطرح فى يده جمرة، فطرحها موسى فى فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذى يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ۝ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ (طه: ٢٧، ٢٨) فزالت عن موسى من أجل ذلك.

**قلت:** وهذا النص يتفق مع ما جاء فى التوراة:

وحدث فى هذا اليوم أن كان فرعون جالسًا يأكل، وإلى يمينه الفرعونة الملكة، وإلى يساره تجلس ابنته وفى أحضانها موسى، وبلعام بن باعور وكل أبنائه ووزراء المملكة، يجلسون إلى المنضدة أمام الملك، فأرسل موسى يده وخلع تاج فرعون من على رأسه ليضعها على رأسه هو، ورأى وزراء الملك ذاك وعجبوا، وقال فرعون لسحرته: ألا تخبرونى ما تفسير ذلك الأمر الذى فعله هذا الطفل الصغير؟ وأجاب بلعام بن باعور الملك قائلاً: هل يذكر سيدى الملك الحلم الذى حلمه والتأويل الذى أخبر به، ليعلم سيدى الملك أن هذا الوليد سينزع منه الملك نزعًا، ويملك محله، ويهلك كل البلاد، والآن فليأمر سيدى الملك بموت الطفل ولا يكون عقبة أمامه بعد، وقال يثرو: لا يسفك دم الطفل قبل أن يختبره ويعرف ما إذا كان قد فعل ذلك عن عمد، والآن، إذا كنت قد وجدت استحسانًا لدى الملك، وإذا أخذ الملك بنصحيتى، فليحضروا قصعة مملوءة

بجمرات من النار والأحجار الكريمة، ولنضعها أمام الطفل ولنقل له خذ ما يروق لك، فإذا مد يده وأخذ الأحجار الكريمة علمنا أنه قد فعل ما فعل لحكمة، وليفعل الملك به كما قال بلعام، وأما إذا أخذ الجمرات فليبرأ، لأنه ابن ثلاث سنوات وقد أخطأ فى حضرة الملك دون وعى.

وحسنت فكرة يثرو لدى الملك، وأمر بذلك، ولما وضعوا القصعة أمام موسى قائلين له: تخير ما تريد؛ أسرع ومد يده إلى الأحجار الكريمة، وجاء فى نفس اللحظة الملك جبريل وأخذ بيد موسى ومدها إلى جمرات، وأخذها موسى وقربها من شفتيه، وكان منذ ذلك اليوم غير طليق اللسان[1].

إننى الآن أشك فى السُّدى وأرى أنه كان ضعيف العقيدة، ضعيف العقل، ولعلنا إن بحثنا فى نسبه وجدنا ما يدل على شعوبيته!!

**(٣) إسرائيليات فى ذكر عصا موسى عليه السلام:**

(أ) ذكر الطبرى برقم (١١٧٠١) عن نوف البكالى أن عصا موسى عليه السلام كان طولها عشرة أذرع.

(ب) وفى تفسير القرطبى عن القشيرى أنه قال: (إن شعيبًا لما استأجر موسى عليه السلام، قال له: ادخل بيت كذا وخذ عصا من العصى التى فى البيت فأخرج موسى عصا، وكان أخرجها آدم من الجنة، وتوارثها الأنبياء حتى صارت إلى شعيب - ولا أدرى كيف مع تباعد أماكن الأنبياء ومعاصرة بعضهم لبعض؟!- فأمره شعيب أن يلقيها فى البيت ويأخذ عصا أخرى، فدخل وأخرج تلك العصا كذلك سبع مرات - كل ذلك لا تقع بيده غير تلك، فعلم شعيب أن له شأنًا، فلما أصبح قال له: سُق الأغنام إلى مفرق الطريق، فخذ عن يمينك وليس بها عشبًا كثيرًا ولا تأخذ عن يسارك فإن بها عشبًا كثيرًا وتنينًا كبيرًا لا يقبل المواشى، فساق المواشى إلى مفرق الطريق فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ضبطها، فنام موسى، وخرج التنين، فقامت العصا وصارت شعبتاها حديدًا، وحاربت التنين حتى قتلته، وعادت إلى موسى عليه السلام، فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم، والتنين مقتولاً...)[2]!!

(١) كل أساطير إسرائيل (٢/ ٦-٧).

(٢) القرطبى (١/ ٢٨٧).

وهكذا ترى الخرافة تشق طريقها إلى قصص الأنبياء، فالحيوان الخرافى (التنين) يظهر هنا!!

اللهم إلا أن يكون قصدهم الثعبان، وأى ثعبان ذلك الذى يقوى على قطيع كامل من الغنم، ولو اجتمع عليه سرب نمل لقتله.

فكيف بقطيع غنم يقوده الشجاع موسى عليه السلام.

إن السند منعدم هنا مما يقطع عندنا بوضعها، وكذبها.

وإن ظاهر القصة يبدو مختلقًا خاصة فى ناحتى العشب اليمنى واليسرى، والتنين، والعصا المتحركة وحدها النازلة من الجنة التى يتوارثها الأنبياء، ولو حدث لوصلت إلى المعصوم ﷺ، فالخبر غير صحيح بالمرة.

(جـ) قال وهب بن منبه: (فألقاها على وجه الأرض، ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغى شيئًا يريد أخذه، يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها، ويطعن بالناب من أنيابه فى أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، عيناه تتقدان نارًا، وقد عاد المحجن منها عرفًا، قيل: شعر مثل النيازك، وعاد الشعبتان منها مثل القليب[1] الواسع فيه أضراس وأنياب لها صريف[2]، فلما عاين ذلك موسى ولّى مدبرًا ولم يعقب، فذهب حتى أمعن ورأى أنه قد أعجز الحية، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نودى يا موسى أن ارجع حيث كنت، فرجع موسى هو شديد الخوف، فقال: ﴿خُذْهَا﴾ بيمينك ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ (طه: ٢١)، وعلى موسى حينئذٍ مدرعة من صوف فدخلها بخلال من عيدان، فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على يده، فقال له ملك: أرأيت يا موسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغنى عنك شيئًا؟ قال: لا ولكنى ضعيف، ومن ضعف خُلقْتُ، فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حسّ الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هى عصاه التى عهدها، وإذا يده فى موضعها الذى كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين، ولهذا قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾، أى إلى حالها الذى تعرف قبل ذلك[3].

لقد ذكر ابن كثير الأثر وما عقّب عليه، وهو أثر بعيد كلُ البعد عن الصحة والحقيقة،

---

(١) القليب: البئر.

(٢) صريف: صوت الأقلام، أو الأضراس.

(٣) ابن كثير (٥/ ٢٠٧).

وأسوأ منه قاله آخرون: فقد ذكر أبو حيان فى البحر المحيط (٦/ ٢٣٥) والطبرى (١٦/ ١٨)، أن موسى كانت تضىء له عصاه بالليل كالشمع، وإذا أراد الاستسقاء ـ الشرب ـ انقلبت كالدلو، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فى الأرض فأثمرت تلك الثمرة!! ونسبوا لابن عباس قوله: انقلبت ثعبانًا أكل كل شىء، يبتلع الصخر والشجر، فلما رآه ـ أى الثعبان ـ يأكل كل شىء خافه ونفر منه، وقيل: خاف من الثعبان لأنه تذكر ما لقى آدم منه فى الجنة ـ يعنى سبب خروجه منها ـ فى زعمهم.

يا قوم إنها عصا أكرم الله بها نبيه، ولا حاجة لنا بهذه الخرافات والأساطير.

إنها سلسلة الكذب: تفاحة آدم، عصا موسى، خاتم سليمان!!

وما كان أغنانا عن هذه الخرافات التى تضر أكثر مما تنفع، وتقدح فى عقيدة المسلم، وتجنح به إلى عالم الخيالات والأوهام، فينسى قدرة الله تعالى، ويعمى عن مراد الله تعالى من ذكر قصص الأنبياء فى القرآن.

**(٤) حديث موضوع فى غنم صالح مدين:**

ومما ذكره المفسرون عند قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ (القصص: ٢٧)، حديث البزار وابن أبى حاتم عن عبد الله بن لهيعة، عن الحارث بن زيدى الحضرمى، عن على بن رباح عن عتبة بن النُّدَّر أن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى آجر نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه، فلما وفّى الأجل قيل: يا رسول الله: أى الأجلين؟ قال: «أبرهما وأوفاهما، فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيه من غنمه ما يعيشون به فأعطاها ما ولدت غنمه من قالب لون[1] من ولد ذلك العام، وكانت غنمه سودًا حسانًا، فانطلق موسى عليه السلام إلى عصا قسمها من طرفها، ثم وضعها فى أدنى الحوض ثم أوردها فسقاها ووقف موسى عليه السلام بإزاء الحوض فلم تصدر منها شاة إلا ضرب جنبها شاة شاة، قال فأتأمت، وأثلثت ووضعت كلها قوالب ألوان إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا ثعول. ولا كمشية تفوت الكف، قال النبى ﷺ: (لو افتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهى السامرية). قال ابن لهيعة: الفشوش واسعة السخب، والضبوب: طويلة الضرع تجره،

(١) قصد ما جاء للون أمه من الغنم فتكون النعجة بيضاء الفروة مثلا، وولدها أحمر أو أسود.

والعزوز: ضيقة الشخب، والثعول: الصغيرة الضرع كالحلمتين، والكمشة: التي لا يحكم الكف على ضرعها لصغره.

وقد قال ابن كثير عقب ذكره لهذا الحديث: وفي صحة رفع هذا الحديث نظر وقد يكون موقوفًا[١].

قلت: وفيه ابن لهيعة المصري: شيخ احترقت كتبه فنسي، وأدخل في الحديث ما ليس فيه لما اختلط.

وهو معارض للقرآن أيضًا، فموسى عليه السلام الذي استحيا من ربه عز وجل أن يسأله الطعام والشراب بعد رحلة مضنية من مصر إلى مدين مطاردًا، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص: ٢٤)، أكرم على الله من أن يسأل من البشر أحدًا أن يطعمه.

ثم من قال بأن صالح مدين هو شعيب عليه السلام؟ فقد اختلف العلماء في تحديد شخصيته، ولم يقطع أحدٌ بكونه هو شعيب النبي عليه السلام، وإنما الحديث تلقفه الضعفاء موقوفًا ثم نسبوه إلى النبي ﷺ، وتلك شنشنة أعرفها من الضعفاء.

وقد روي موقوفًا على أنس بن مالك رضي الله عنه، والأصح عندي أنه منقول عن أهل الكتاب الذين حاكوا مثل هذه القصة نفسها عن يعقوب عليه السلام فزعموا أنه عمل عند خاله (لابان) راعيًا للغنم، وتزوج ابنته، ثم طلب منه غنمًا، ففعل معه مثلما فعل صالح مدين مع موسى عليه السلام ـ كما تزعم الرواية المكذوبة فهذه تخليطات أهل الكتاب فكن منها على حذرٍ.

**(٥) رؤية لم تتحقق، وخرافات وأساطير:**

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، فروى الطبري برقم (١٥٠٣٥) في تفسيره:

قال ابن إسحاق عن بعض أهل العلم الأول بأحاديث أهل الكتاب: إنهم في تفسير ما

(١) البداية (١/ ٣٦٣) لابن كثير.

عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك إلى ربه، أنه كان من كلامه إياه حين طمع فى رؤيته، وطلب منه، ورد عليه ربه منه ما رد، أن موسى كان تطهر وطهر ثيابه، وصام للقاء ربه، فلما أتى طور سيناء، ودنا الله له فى الغمام فكلمه، سبحه وحمده وكبره وقدسه، مع تضرع وبكاء حزين، ثم أخذ فى مدحته، فقال:

ربِّ ما أعظمك وأعظم شأنك كله، ومن عظمتك أنه لم يكن شىء من قبلك فأنت الواحد القهار، كأن عرشك تحت عظمتك نارًا توقد لك، وجعلت سرادقًا من نور من دونه سرادق من نور، فما أعظمك رب وأعظم ملكك! جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة، فما أعظمك رب وأعظم ملكك فى سلطانك! وإذا أردت شيئًا تقضيه فى جنودك الذين فى السماء أو الذين فى الأرض، وجنودك الذين فى البحر، بعثت الروح من عندك لا يراها شىء من خلقك إلا أنت إن شئت، فدخلت فى جوف من شئت من أنبيائك، فبلغوا من أردت من عبادك، وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيئًا من عظمتك ولا من عرشك ولا يسمع صوتك. فقد أنعمت علىَّ وأعظمت علىَّ فى الفضل، وأحسنت إلىَّ كل الإحسان، عظمتنى فى أمم الأرض وعظمتنى عند ملائكتك، وأسمعتنى صوتك، وبذلت لى كلامك، وآتيتنى حكمتك فإن أعد نعماك لا أحصيها، وإن أرد شكرك لا أستطيعه، دعوتك رب على فرعون بالآيات العظام والعقوبة الشديدة، فضربت بعصاى التى فى يدى البحر فانفلق لى ولمن معى، ودعوتك حين أجزت البحر، فأغرقت عدوك وعدوى، وسألتك الماء لى ولأمتى فضربت بعصاى التى فى يدى الحجر، فمنه أرويتنى وأمتى، وسألتك لأمتى طعامًا لم يأكله أحد كان قبلهم، فأمرتنى أن أدعوك من قبل المشرق ومن قبل المغرب، فناديتك من شرقى أمتى فأعطيتهم المن من مشرق لنفسى، وآتيتهم السلوى من غربيهم من قبل البحر، واشتكيت الحر فناديتك، فظللت عليهم بالغمام، فما أطيق نعماك على أن أعدها ولا أحصيها، وإن أردت شكرها لا أستطيعه، فجئتك اليوم راغبًا طالبًا سائلاً متضرعًا، لتعطينى ما منعت غيرى، أطلب إليك وأسألك يا ذا العظمة والعزة والسلطان، أن ترينى أنظر إليك، فإنى قد أحببت أن أرى وجهك الذى لم يره شىء من خلقك.

قال له رب العزة: ألا ترى يا ابن عمران ما تقول؟ تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق (لا يرانى أحد فيحيا، ليس فى السموات معمرى، فإنهن قد ضعفن أن يحملن

عظمتى وليس فى الأرض معمرى فإنها قد ضعفت أن تسع بجندى) فلست فى مكان واحد، فأتجلى لعين تنظر إلىَّ.

قال موسى: يا رب إن أراك وأموت، أحب إلىَّ من أن لا أراك وأحيا، قال رب العزة: يا ابن عمران، تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق، لا يرانى أحد فيحيا قال: رب تمم علىَّ نعماك وتمم علىَّ فضلك، وتمم علىَّ إحسانك، بهذا الذى سألتك، ليس لى أن أراك فأقبض، ولكن أحب أن أراك فيطمئن قلبى، قال له: يا ابن عمران، لن يرانى أحد فيحيا، قال موسى: رب تمم علىّ نعماك وتمم علىَّ فضلك وتمم علىّ إحسانك، بهذا الذى سألتك، فأموت على إثر ذلك، أحب إلى من الحياة، فقال الرحمن المترحم على خلقه: قد طلبت يا موسى (وحبب)، لأعطينك سؤلك[1]، إن استطعت أن تنظر إلى، فاذهب فاتخذ لوحين، ثم انظر إلى الحجر الأكبر فى رأس الجبل فإن ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع إلا مجلسك يا ابن عمران، ثم انظر فإنى أهبط إليك وجنودى من قليل وكثير، ففعل موسى كما أمره ربه، نحت لوحين ثم صعد بهما إلى الجبل، فجلس على الحجر، فلما استوى عليه أمر الله جنوده الذين فى السماء الدنيا فقال: ضعى أكتافها حول الجبل، فسمعت ما قال الرب، ففعلت أمره، ثم أرسل الله الصواعق والظلمة والضباب على ما كان يلى الجبل الذى يلى موسى، أربعة فراسخ من كل ناحية، ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمروا بموسى فاعترضوا عليه، فمروا به طيران النغر، تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، فقال موسى بن عمران عليه السلام: رب، إنى كنت عن هذا غنيًا، ما ترى عيناى شيئًا، قد ذهب بصرهما، شعاع النور المتصفف على ملائكة ربى، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية: أن اهبطوا على موسى، فاعترضوا عليه، فهبطوا أمثال الأُسْد لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى، ومما سمع، فاقشعرت كل شعرة فى رأسه وجلده، ثم قال: ندمت على مسألتى إياك، فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شىء؟ فقال له كبير الملائكة ورأسهم: يا موسى، اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة: أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فأقبلوا

(١) هى جمل قال عنها محقق تفسير الطبرى: قال العلامة شاكر (١٣/ ٩٤) فى ط دار المعارف من تفسير الطبرى: هذه الكلمة بين القوسين هى هكذا فى المخطوطة ولا أدرى ما قراءتها، وأما فى المطبوعة فقد حذفتها وغير ما بعدها وكتب (وأعطيتك) مكان (لأعطينك).

أمثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد، وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس، كلجب الجيش العظيم، كلهب النار ففزع موسى وأسيت نفسه، وساء ظنه، وأيس من الحياة، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: مكانك يا ابن عمران، حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة، أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج الأبيض، أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس، لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم، فاصطكت ركبتاه، وأرعب قلبه، واشتد بكاؤه، فقال كبير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران، اصبر لما سألت، فقليل من كثير ما رأيت، ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فهبطوا عليه سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه، ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم، وامتلأ جوفه خوفًا، واشتد حزنه وكثر بكاؤه، فقال له كبير الملائكة ورأسهم: يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه، ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة، أن اهبطوا على عبدي الذي طلب أن يراني موسى بن عمران، وعرضوا عليه فهبطوا عليه، في يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نارًا أشد ضوءًا من الشمس، ولباسهم كلهب النار، إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم: «سبوح قدوس، رب العزة أبدًا لا يموت» في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي، ويقول: «رب اذكرني ولا تنس عبدك، ولا أدري أأنفلت مما أنا فيه أم لا، إن خرجت أحرقت، وإن مكثت مت».

فقال له كبير الملائكة ورئيسهم: قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلئ جوفك، وينخلع قلبك، ويشتد بكاؤك، فاصبر للذي جلست تنظر إليه يا ابن عمران! وكان جبل موسى جبلاً عظيمًا، فأمر الله أن يحمل عرشه، ثم قال: مروا بي على عبدي ليراني، فقليل من كثير ما رأى! فانفرج الجبل من عظمة الرب، وغشي ضوء عرش الرحمن جبل موسى، ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعًا، فارتج الجبل فاندك وكل شجرة كانت فيه، وخر العبد الضعيف موسى بن عمران صعقًا على وجهه، ليس معه روحه، فأرسل الله الحياة برحمته، فتغشاه الروح برحمته، وقلب الحجر الذي كان عليه وجعله كالمعدة كهيئة القبة، لئلا يحترق موسى، فأقامه الروح، مثل الأم أقامت جنينها حين يصرع، قال: فقام موسى يسبح الله ويقول: آمنت أنك ربي، وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا،

ومن نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه، فما أعظمك رب، وأعظم ملائكتك، أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك، تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك وتأمر السماء وما فيها فتطيعك، لا تستنكف من ذلك، ولا يعدلك شيء، ولا يقوم لك شيء، رب تبت إليك، الحمد لله الذى لا شريك له، ما أعظمك وأجلك رب العالمين!!

وهذه الرواية ذكرها السيوطى، والبغوى، والثعلبى، ولها طرق عن وهب بن منبه.

وإنما ذكرها الزمخشرى هنا لنصرة مذهبه الفاسد ـ مذهب المعتزلة والاعتزال ـ حيث ينكرون رؤية الحق تبارك وتعالى فى الدنيا والآخرة، وقد قال (صاحب الانتصاف): (وهذه حكاية، إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عونًا وظهرًا على المعتقد الفاسد، والوجه التورك بالغلط على ناقلها، وتنزيه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى عليه السلام ـ (الكليم) بالوكز بالرجل، والغمص فى الخطاب).

**ولنا بعض الملاحظات أيضًا على هذه الرواية:**

(١) فالمناجاة الأولى المذكورة فيها هى نسخة ثانية من مناجاة داود عليه السلام التى نقلتها أسفار التوراة.

(٢) أما وصف الملائكة بأوصاف خرافية: كوصفهم بالحيوانات، وبأربعة وجوه، وأنهم كلهب النار، أوصاف توراتية بحتة، أو هى من أوصاف الزنادقة، وهذا عالم الغيب الذى لا ندرى عنه شيئًا، ولا نملك أن نصف منه أحدًا خاصة ملائكة الرحمن، فكيف يساء الأدب معهم إلى هذا الحد؟

(٣) وفى بعض طرق هذه الرواية أنهم كانوا يقولون لموسى: (يا خاطئ يا ابن الخاطئ) وتلك صفة يهود والله بها أعلم. ورحم الله الألوسى حيث قال: (ونقل بعض القصاصين أن الملائكة كانت تمر عليه حينئذٍ فيلكزونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحُيّض، أطمعت فى رؤية ربك؟) وهو كلام لا يعول عليه بوجهٍ، فإن الملائكة عليهم السلام مما يجب تبرئتهم من إهانة الكليم بالوكز بالرجل، والغمص فى الخطاب)[١].

(٤) أما ابن كثير رحمه الله، فقد قال عن هذا الحديث مشيرًا إليه دون ذكره: (وقد ذكر محمد بن جرير ـ الطبرى ـ فى تفسيره هاهنا أثرًا طويلاً فيه غرائب وعجائب عن محمد بن إسحاق بن يسار، وكأنه تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم)[٢].

---

(١) روح المعانى (٩/ ٤٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٠).

* وقد ذكر ابن كثير هنا حديثًا تجرأوا على رسول الله ﷺ فرفعوه إليه عن أنس بن مالك رضى الله عنه، وفيه: (لما تجلَّى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة، وثلاثة بمكة، بالمدينة: أُحد، وورقان، ورضوى، وبمكة: حراء، وثبير، وثور). ثم قال: وهذا حديث غريبٌ بل منكر.

* ثم ذكر حديثًا آخر قد ذكره القاضى عياض فى الشفا[1]، وفيه: عن الحسن بن أبى جعفر الجفرى[2] . . . عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (لما تجلى الله لموسى عليه السلام، كان يبصر النملة على الصفا[3] فى الليلة الظلماء عشرة فراسخ).

وقال ابن كثير: وفى صحته نظر، ولا يخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون، ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله، حتى ينتهى إلى منتهاه، والله أعلم[4].

**(٦) كبوة لصاحب المنار:**

ولقد قال الله تعالى: ﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

وقال الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله تعالى ـ عند تفسيره لهذه الآية: (إنهم تجاوزوه بعنايته سبحانه وتأييده إياهم بفلق البحر وتيسير الأمر حتى كأنه معهم بذاته فجاوزوه مصاحبًا لهم. أو المعنى: أننا أيدناهم ببعض ملائكتنا فجاوز بهم البحر بأمرنا، فمن المعهود فى اللغة أن يُنسب إلى الملوك ورؤساء القوّاد ما ينفذه بعض أتباعهم بأمرهم، وما يقع بجاههم وقوة سلطانهم، ويجوز الجمع بين المعنيين»). ثم استشهد ـ رحمه الله ـ على صحة ما ذكر بما جاء فى (سفر الخروج) فقال مستدلاً على إرادة المعنى الأول: (وفى آخر الفصل الثالث عشر من سفر الخروج) ذكر خبر ارتحال بنى إسرائيل، وقال: (وكان الرب يسير أمامهم نهارًا فى عمود من الغمام ليهديهم الطريق، وليلاً فى عمود من نار ليضىء لهم ليسيروا نهارًا وليلاً، ولم يبرح عمود الغمام نهارًا، وعمود النار ليلاً من أمام الشعب).

(١) الشفا (١/ ٨٩).
(٢) وهو ضعيف جدًا.
(٣) الحجر الأملس الناعم.
(٤) التفسير (٣/ ٣٤١) لابن كثير.

ثم قال مستدلاً على إرادة المعنى الثانى : (ثم جاء فى الفصل الرابع عشر منه - يقصد من سفر الخروج - بعد ذكر أتباع فرعون ومن معه من بنى إسرائيل : فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر بنى إسرائيل فصار وراءهم ، وانتقل عمود الغمام من أمامهم فوقف وراءهم ودخل بين عسكر المصريين وعكسر إسرائيل ، فكان من هنا غمامًا مظلمًا ، وكان من هناك ينير الليل ، فلم يقترب أحد من الفريقين طول الليل) .

ثم بعد ما ساق هذين النقلين عن (سفر الخروج) قال : (وهذا بعض ما جاء فى التوراة مما صح أن يكون تفسيراً لقوله تعالى فى القرآن : ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ )[1] .

ولا أظن أن الشيخ قد أحسن هنا ، فبعد تكفير كعب ، والتشكيك فى إيمانه ، ونسف ما قاله ، يعود الشيخ - غفر الله له - لينسف بقواعده التى وضعها لنفسه الأرض فينقل عن التوراة مباشرة مع علمه أن سفر الخروج تحديداً من أكثر الأسفار المليئة بالمغالطات ، وهذه الفقرة منقولة من سفر الخروج (١٤/ ٣٠) و(١٤/ ٢٤) كما رأيتها .

## (٧) إسرائيليات فى قصة موسى والخضر عليهما السلام:

### (أ) آراء العلماء فى الخضر عليه السلام:

مثلت شخصية الخضر عليه السلام فى القرآن الكريم نموذجًا للعلم الربانى الذى يعطيه الله تعالى لعباده الذين اصطفاهم لوظائف معينة ، وهو ما يعرف بـ (العلم اللدنى) ، ولم يذكر القرآن اسم (الخضر) صراحة ولا أعلمنا عن أمره شيئًا ، وإنما ذكر القرآن أنه ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥) . إنه عبد من عباد الله أراد الله تعالى إعلامنا به وبأنه يوجد من (عباده) بهذا التنكير من علمه علمًا لم يعلمه لبعض أنبيائه ، وذلك أن أسرار الله فى خلقه أكبر من أن يحيط بها علم مخلوق كائنًا من كان .

وإنما أخبرنا النبى ﷺ أن (العبد) هو : الخضر - كما فى حديث ابن عباس المتفق عليه . ثم جاء الحديث الآخر عن ابن عباس أيضًا ، وفيه : «إنما سمى الخضر خضراً لأنه صلى على فروة بيضاء فاهتزت خضراء»[2] .

وهنا - ولعدم وجود نص قطعى فى طبيعة الخضر عليه السلام - جاءت آراء العلماء

---

(١) تفسير المنار (٩/ ١٠٧) .

(٢) صحيح : البخارى (٣٤٠٢) فى أحاديث الأنبياء .

مختلفة فيه :

* فقال بعضهم : هو ملك من الملائكة : وهو ما حكاه السهيلى ، وقال النووى : وهذا غريب باطل[١] .

* وقال بعضهم : هو ولى من الأولياء ، وهو ما قاله الصوفية .

* وقال بعضهم : هو نبى من الأنبياء ، وبه قال جمهور من المفسرين والمحدثين ، منهم الرازى ، والقرطبى ، وأبو حيان ، والنووى .

وقال القرطبى : (لأن علمه ببواطن الأمور على هذا النحو لا يكون إلا بوحيٍ[٢] ، ولا يجوز أن يكون فوق النبى من ليس بنبى) .

**قلت:** وهذا استدلال صحيح . وهو أقرب الأقوال إلى الصحة وبه نقول .

● **لكن ما خطورة القول بأن الخضر ولى؟**

تكمن الخطورة فى أن الصوفية قالوا بقاعدة (الولى أفضل من النبى) لأن النبوة ختمت بينما الولاية لم تختم ، ولأن الولى تلقى عن الله بلا واسطة ، بينما النبى يتلقى بواسطة الوحى[٣] !! وهى فكرة قال بها الإسماعيلية الباطنية ليثبتوا لإمامهم الفضل على النبى ، وتلقفها الصوفية عنهم لتكون لهم دليلاً على أفضلية مشايخهم وأقطابهم ، أو لتكون عونًا لهم على تحللهم من الشريعة وأمورها ، والخروج عن أمر الله ونبيه ﷺ.

ومن هنا كانت الافتراءات التى صاغها الصوفية ، فصاغوا عبارة (العلم اللدنى) الذى يبعثه الله ويلقيه فى القلوب بعيدًا عن كتب الحديث ، أو (علم الورق) كما فُعل مع الخضر عليه السلام ، ومن هنا صارت شخصية الخضر مستندًا لهم فى هذا المجال بل زعموا أنه يلاقيهم ويبث لهم من العلوم كثيراً ، فقد زعم ابن عربى أنه (لقى الخضر وتكلم معه ، وأخبره الخضر ببعض الحقائق)[٤] وبذلك قال الشعرانى فى طبقاته ، وأعلن أنه التقى بالخضر على سطح منزله .

وبهذا كثرت العلوم اللدنية عند الصوفية ، فقالوا بما لا يعلمون حتى قال ابن قيم الجوزية : العلم اللدنى نوعان : لدنى رحمانى ، ولدنى شيطانى بطناوى ، وعلم الصوفية

---

(١) قاله عقب حديث (٢٣٨٠) وهو فى شرح صحيح مسلم (٨/ ١٣٩) .

(٢) القرطبى (١١/ ٢٠) والفخر الرازى (٢١/ ١٥٠) .

(٣) ابن عربى (٢/ ٣٤١) فى الفتوحات المكية ، وابن تيمية (ص٢٠) بغية المرتاد ، والفرقان ص١٠٤ .

(٤) الفتوحات المكية (١/ ٤٦ ، ١٣٩ ، ١٤٤) وغيرها ، والقشيرية ص١٣ .

ليس من لدن الله لأنه غير صحيح، وهو مخالف لما جاء من عند الله على لسان رسله، فلم يبق إلا أن يكون لدنيًّا من لدن الشيطان والهوى[1]، ثم قال ـ رحمه الله ـ (وقد انبثق سد العلم اللدنى ورخص سعره حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدنى، وصار من تكلم فى حقائق الإيمان وباب الأسماء والصفات بما يستبيح له ويلقيه الشيطان فى قلبه يزعم أن علمه لدنى. . . وصدقوا وكذبوا فإن اللدنى منسوب إلى لدن بمعنى: عند. فكأنهم قالوا: العلم العندى ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧٨).

إن الخضر عليه السلام قد مات ـ وهو ما قطع به أهل السنة ـ وذلك لعدة أدلة منها:

* قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ (الأنبياء: ٣٤)، فلا خلد لأحد قبله، وبالضرورة لا خلد لأحدٍ بعده.

* وفى حديث مسلم أنه ﷺ قال: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض». وكان ذلك يوم بدرٍ.

* وفى حديث مسلم عن جابر أنه ﷺ قال قبل موته بشهر: «ما من نفس منفوسة ـ أو ما منكم ـ من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى حية».

* وفى حديث صحيح: «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعى». وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

* ثم إن النبى ﷺ مبعوث إلى الثقلين وبه تمت الرسالة وكملت شريعة الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، فماذا سيفعل الخضر مع بقية الأمة؟! وماذا سيقدم من جديد؟!، والدلائل كثيرة لكنها تقطع بموت الخضر عليه السلام، أما القائلون بحياته ومخاطبته لهم فليبحثوا من يخاطبهم؟ أخيال ووهم؟ أم شيطان لعين يزين لهم ما يخالفون به شريعة الله تعالى.

إن الخضر علّم موسى وخالفه فى علمه عندما أوحى الله إليه بشىء لم يوح به إلى موسى عليه السلام، فقال له: «يا موسى إنى على علم من الله علمنيه لا تعلمه أنت،

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٦).

وأنت على علمٍ من علم الله علمكه الله لا أعلمه». رواه البخارى.

أما محمد ﷺ فمبعوث إلى الثقلين، فلا يجوز لأحد أن يخالف شريعته بدعوى كشف أو إلهام[١].

**(ب) ومن الإسرائيليات والموضوعات التى نقلت إلينا فى قصة موسى والخضر:**

* ما روى بغير إسنادٍ حتى قال البخارى، وابن كثير: وزعموا، ويزعم الرواة أن اسم الملك الذى كان يأخذ كل سفينة غصبًا (هُدُد بن بُدد). وأن الغلام المقتول كان اسمه: (حيسور).

قلت: وسند الرواية: ابنُ جريج، وما أدراك بابن جريج فى هذه الأمور التى لا سند فيها.

* وذكر الطبرى وابن كثير أن كنز الغلامين اليتيمين كان يتكون من كتابة سطرين ونصف لم يتم الثالث!! وتقول الكتابة: بسم الله الرحمن الرحيم: عجبت لمن أيقن بالموت ثم آمن، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

* وذكرو أن الغلامين كان بينهما وبين الأب الذى حفظا به سبعة آباء، وكان نسَّاجًا.

وأن الغلام المقتول كانت أمه حاملاً فى ذلك الوقت بغلام أو جارية.

* ومن التفاسير المرفوضة شكلاً ومضمونًا ما فسره بعضهم، فقال عن (مجمع البحرين) مقصود بها: (موسى) و(الخضر) فقد كانا بحرين فى العلم، وقد قال الزمخشرى فى تفسيره (هذه من بدع التفاسير)[٢]، ووافقه ابن المنير هنا لبعده عن مبادئ المعتزلة فى هذه القضية.

* وهكذا نرى أنه لا تكاد تسلم صحف التفسير من الإسرائيليات إلا قليلاً.

* * *

---

(١) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية (٢/ ٢٧٣).

(٢) الكشاف (٢/ ٣٩٥).

# خرافات وأساطير فى بنى إسرائيل
## الأمة المفقودة. التابوت والسكينة. بختنصر وخرافات أخرى

### (١) الأمة المفقودة:

قال الله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٩).

* وهنا ذكر المفسرون خبرًا عجيبًا، وهو ما ذكره القُرطبى مفصلاً، فقال: (وفى التفسير: إن هؤلاء قومٌ من وراء الصين، ومن وراء نهر الرّمل، يعبدون الله بالحق والعدل، آمنوا بمحمد وتركوا السبت، ليستقبلوا قبلتنا، لا يصل إلينا منهم أحد، (فرُوى) أنه لما وقع الاختلاف بعد موسى كانت منهم أمة يهدون بالحق ولم يقدروا أن يكونوا بين ظهرانى بنى إسرائيل حتى أخرجهم الله إلى ناحية من أرضه فى عزلة من الخلق، فصار لهم سرب فى الأرض، فمشوا فيه سنة ونصف حتى خرجوا وراء الصين، فهم على الحق إلى الآن، وبين الناس وبينهم بحرٌ لا يوصل إليهم بسببه ـ ذهب جبريل بالنبى ﷺ إليهم ليلة المعراج فآمنوا به، وعلمهم سورًا من القرآن، وقال لهم: «هل لكم مكيال وميزان؟» قالوا: لا. قال: «فمن أين معاشكم؟». قالوا: نخرج إلى البرية فنزرع، فإذا حصدنا وضعناه هناك، فإذا احتاج أحدنا إليه يأخذ حاجته. قال: «فأين نساؤكم؟» قالوا: فى ناحية منا، فإن احتاج أحدنا إلى زوجته صار إليها فى وقت الحاجة. قال: «فيكذب أحدكم فى حديثه؟» قالوا: لو فعل ذلك أحدنا أخذته لظى، إن النار تنزل فتحرقه. قال: «فما بال بيوتكم مستوية؟». قالوا: لئلا يعلو بعضنا على بعضٍ.

قال: «فما بال قبوركم على أبوابكم؟» قالوا: لئلا نغفل عن ذكر الموت.

ثم لما رجع النبى ﷺ إلى الدنيا أنزل عليه: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨١)، يعنى أمة محمد عليه السلام، يعلمه أن الذى أعطيت موسى فى قومه أعطيتك فى أمتك[١].

* وقد ذكر الطبرى هذا الأثر مختصرًا ـ أى بدون لقاء النبى ﷺ معهم فى ليلة المعراج ـ

(١) القرطبى (٧/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) فى تفسيره.

ورواه من طريق ابن جريج عن ابن عباس. وزاد في آخره: فذلك قوله: ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء: ١٠٤)، ووعد الآخرة: عيسى ابن مريم، ذكره برقم (١٥٢٦٢).

* أما البغوى فقد وجد سندًا أوهى من طريق الكلبى، والضحاك، فقال: هم قوم خلف الصين بأقصى الشرق، على نهر مجرى الرمل، يسمى: نهر أرداف، ليس لأحدٍ منهم مال دون صاحبه. . . وزعم لقاء النبى ﷺ بهم فى ليلة المعراج، ثم قال: . . ، فقالوا: يا رسول الله إنَّ موسى أوصانا أن من أدرك منكم أحمد، فليقرأ عليه منى السلام، فرد النبى ﷺ على موسى وعليهم، ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة، وأمرهم بالصلاة والزكاة، وأمرهم أن يقيموا مكانهم، وكانوا يسبتون - أى يعظمون السبت - فأمرهم أن يُجمعوا، ويتركوا السبت.

قلت: وقد وضع ابن كثير وصفًا لهذا الخبر فقال: (خبرًا عجيبًا)[1].

أما الألوسى فقد قال: (وضعف هذه الحكاية ابن الخازن، وأنا لا أراها شيئًا، وأظنك لا تجد لها سندًا يعول عليه، ولو ابتغيت نفقًا فى الأرض، أو سُلمًا فى السماء)[2].

أما التفسير الصحيح للآية، فإنّ القرطبى كان قريبًا منه للغاية إلا أنه لم يتمسك به، واكتفى بذكره فى معرض الحديث فقال: هم الذين آمنوا بنبينا محمد ﷺ من أهل الكتاب[3].

وقال ابن كثير: أخبر تعالى عن بنى إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به كما قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٣)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: ١٩٩).

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (القصص: ٥٢ - ٥٤).

إنهم إذن الذين أسلموا من أهل الكتاب بالنبى محمد ﷺ، وكانوا من قبل يؤمنون

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٥٤).

(٢) روح المعانى (٩/ ٩٢ - ٩٣).

(٣) القرطبى (٧/ ٢٨٨).

ببعثته ورسالته وقد قال النبي ﷺ - كما في حديث أبي موسى الأشعري: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين . . ورجل آمن بالكتاب الأول، ثم جاء الكتاب الآخر فآمن به فذلك يؤتى أجره مرتين»(١).

## (٢) التابوت والسكينة:

وفي قصة (داود وطالوت وجالوت) ذكر الله تبارك وتعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٢٤٨).

* فقال الثعلبي: (وكانت قصة التابوت وصفته على ما ذكره أهل التفسير وأصحاب الأخبار، أن الله تعالى أنزل تابوتًا على آدم - عليه السلام - فيه صورة الأنبياء من أولاده، فيه بيوت بعدد الأنبياء كلهم عليهم السلام، وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من ياقوتة حمراء، وإذا قام يصلي عن يمينه الكهل المطيع: مكتوب على جبينه: هذا أول من يتبعه من أمته: أبو بكر رضي الله عنه، وعن يساره الفاروق مكتوب على جبينه: قرن من حديد، لا تأخذه في الله لومة لائم، ومن ورائه ذو النورين بحجرته، مكتوب على جبينه: بارٌ من البررة، ومن بين يديه علي بن أبي طالب شاهر سيفه على عاتقه، مكتوب على جبينه: هذا أخوه، وابن عمه، المؤيد بالنصر من عند الله)(٢).

وإضافة إلى السفه السابق يروى المفسرون أن (التابوت) - كما في زعم الكلبي من عود شمسار الذي يتخذ منه الأمشاط.

* وقال وهب بن منبه: كان قدر التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين.

* وزعموا أن العمالقة قد أخذوه فجعلوه - أي التابوت - في مخرأة قومٍ فكان يصيبهم الباسور.

**ولكن ما هو التابوت؟** إن أقرب الأقوال هنا - كما فسره الألوسي - أنه صندوق التوراة، وهو أقرب الأقوال إلى الصحة وبه قال صاحب الظلال، فقال: كان التابوت الذي يحفظون فيه مخلفات أنبيائهم، من آل موسى وآل هارون(٣)، ولإننا لا نملك نصًّا

---

(١) صحيح: الترمذي (١١١٦) في النكاح باب (٢٤).

(٢) الثعلبي (١/ ٢١٥) في تفسيره.

(٣) الظلال (١/ ٢٦٨).

صريحًا من القرآن، أو صحيحًا من السُّنة، فإننا لا نجد إلا قبول هذا التفسير.

**أما السكينة** المذكورة فى الآية: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فإليك بيان عن خرافات المفسرين:

* فروى الطبرى عن على بن أبى طالب: السكينة ريح هفّافة لها وجه كوجه الإنسان.

* ومن طريق عبد الرزاق عن على أيضًا روى نفس الأثر.

* ومن طريق هنّادٍ عن على، قال: السكينة ريح خجُوج - شديدة الممر تتلوى فى هبوبها.

* وقال وهب بن منبه: السكينة رأس هرة ميتة كانت إذا صرخت فى التابوت بصراخ هرٍ أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح.

* وقال مجاهد: لها جناحان وذَنب مثل الهرة.

* وقال السدّى عن ابن عباس: طست من ذهب من الجنة، كان يغسل فيه قلوب الأنبياء[1]!

● **رأى جليل، وفكر سديد:**

وقد لاحظ الشوكانى - رحمه الله - كثرة هذه المرويات الفاسدة، فقال[2]: وهذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى أولئك الأعلام من جهة اليهود - أقمأهم الله - فجاءوا بهذه الامور لقصد التلاعب بالمسلمين رضى الله عنهم، والتشكيك عليهم، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانًا، وتارة حماراً، وتارة شيئًا لا يعقل. . . وهكذا كل منقول عن بنى إسرائيل يتناقض، ويشتمل على ما لا يعقل فى الغالب، ولا يصح أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويًّا عن النبى ﷺ، ولا رأيًا رآه قائله، فَهُمْ أجلُّ قدراً من التفسير بالرأى، وبما لا مجال للاجتهاد فيه، إذا تقرر لك هذا عرفت أن الواجب: الرجوع فى مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب مثل هذه الأمور (المتناقضة).

لقد رأى الرجل أن التفسير اللغوى للكلمة يحل هذه الطلاسم، ويفك هذه الرموز الغيبية، فقد قال قتادة: السكينة، أى: الوقار، ذكره الطبرى (٥٨٦)، وهو التفسير

---

(١) السابق (٢٠/ ٦٢٣ - ٦٢٦)، وابن كثير (١/ ٣٩٤ - ٣٩٥).

(٢) فتح القدير (١/ ٣٩٧).

الصحيح الذى جرى عليه أئمة التفسير فى عصرنا أيضًا، وهو ما نميل إليه، فالتوراة فى ذلك الوقت هى الكتاب الذى تسكن إليه النفوس وتطمئن به، فتهدأ وتسكن، وهو الصحيح.

**أما البقية من آل موسى وآل هارون:** فقال المفسرون: هى رضاض الألواح - يعنى بقيتها، لأنها انكسرت حين ألقاها موسى عليه السلام - وقيل: عصا موسى وثياب هارون ولوحان من التوراة.

وقد أجاد ابن عطية كثيرًا فى هذه النقطة فكان فارسًا للميدان فقال: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى[1]. ولله دره ما أحكمه وما أعلمه!!

## (٣) بختنصر وإفساد بنى إسرائيل فى الأرض:

وقال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٤ - ٨).

وقد بسط المفسرون الأقوال هنا فى هذه القصة التى يبدو عليها علامات الوضع والاختلاق:

● **الإفساد الأول:**

* فقد روى الطبرى فى تفسيره برقم (٢٢٠٥٨)، قال: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنى ابن إسحاق، قال: كان مما أنزل الله على موسى فى خبره عن بنى إسرائيل فى حديثهم ما هم فاعلون بعده، فقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٤ - ٨) فكانت بنو إسرائيل، وفيهم الأحداث والذنوب، وكان الله فى

(١) ابن عطية (٢/ ٣٦١) فى المحرر الوجيز.

ذلك متجاوزًا عنهم، متعطفًا عليهم، محسنًا إليهم، فكان مما أنزل فى ذنوبهم ما كان قدم إليهم فى الخبر على لسان موسى مما أنزل فى ذنوبهم فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع، أن ملكًا منهم كان يدعى: (صديقة)، وكان الله إذا ملك الملك عليهم، بعث نبيًّا يسدده ويرشده، ويكون بينه وبين الله، ويحدث إليه فى أمرهم، لا ينزل عليهم الكتب، إنما يؤمرون باتباع التوراة والأحكام التى فيها، وينهونهم عن المعصية، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة، فلما ملك ذلك الملك، بعث الله معه شعياء بن أمصيا، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى، وشعياء الذى بشر بعيسى ومحمد، فملك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانًا، فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الأحداث، وشعياء معه، بعث الله علهيم سنحاريب ملك بابل، ومعه ستمائة ألف راية، فأقبل سائرًا حتى نزل نحو بيت المقدس، والملك مريض فى ساقه قرحة، فجاء النبى شعياء، قال له: يا ملك بنى إسرائيل إن سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده ستمائة ألف راية، وقد هابهم الناس وفرقوا منهم، فكبر ذلك على الملك، فقال: يا نبى الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث، فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده، فقال له النبى عليه السلام: لم يأتنى وحى أحدث إلى فى شأنك فبينما هم على ذلك، أوحى الله إلى شعياء النبى: أن ائت ملك بنى إسرائيل، فمره أن يوصى وصيته، ويستخلف على ملكه من شاء من أهل بيته، فأتى النبى شعياء ملك بنى إسرائيل (صديقة)، فقال له: إن ربك قد أوحى إلى أن آمرك أن توصى وصيتك، وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك، فإنك ميت، فلما قال ذلك شعياء لصديقة، أقبل على القبلة، فصلى وسبح ودعا وبكى، فقال وهو يبكى ويتضرع إلى الله بقلب مخلص، وتوكل وصبر وصدق وظن صادق: اللهم رب الأرباب، وإله الآلهة قدوس المتقدسين، يا رحمن يا رحيم، المترحم الرءوف الذى لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك، فأنت أعلم به من نفسى، سرى وعلانيتى لك، وأن الرحمن استجاب له، وكان عبدًا صالحًا فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه استجاب له وقبل منه ورحمه، وقد رأى بكاءه، قد أخر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوه سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأتى شعياء النبى إلى ذلك الملك فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع، وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدًا، وقال: يا إلهى وإله آبائى، لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت، أنت

الذى تعطى الملك من تشاء، وتنزعه ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأول والآخر، والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين، أنت الذى أجبت دعوتى ورحمت تضرعى! فلما رفع رأسه، أوحى الله إلى شعياء أن قل للملك صديقة فيأمر عبدًا من عبيده بالتينة، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، ويصبح وقد برأ، ففعل ذلك فشفى، وقال الملك لشعياء النبى: سل ربك أن يجعل لنا علمًا بما هو صانع بعدونا هذا، قال: فقال الله لشعياء النبى: قل له: إنى قد كفيتك عدوك، وأنجيتك منه، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه، فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم، فصرخ على باب المدينة، يا ملك بنى إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا، فلما خرج الملك التمس سنحاريب، فلم يوجد فى الموتى، فبعث الملك فى طلبه، فأدركه الطلب فى مغارة وخمسة من كتابه، أحدهم بختنصر، فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى إسرائيل.

وللرواية بقية طويلة، ولكن من سابق الروايات التى نقلناها عن ابن إسحاق أكاد أجزم أنه قد اطلع على ترجمة عربية للتوراة، وهذا غير مستبعد، أو على الأقل أن نسخة عربية للتوراة كانت مكتوبة عند اليهود العرب الذين عاشوا وماتوا داخل جزيرة العرب، أو من حولها من المناطق العربية واطلع عليها بعض هؤلاء، أو نرجح ما رجحه المفسرون بأنه سمع هذه الأساطير من مسلمة أهل الكتاب أو منهم أنفسهم.

والقرينة التى تؤكد عندى كذب هذه الرواية قولهم: (ستمائة ألف راية)!! وهذه مبالغة غير معقولة بالمرة، كما يظهر من الركاكة اللفظية فيها ترجمتها عن التوراة، أو سماعها من أحد اليهود.

**● الإفساد الثانى:**

ثم ذكر الطبرى برقم (٢٢٠٨٨) أن وهب بن منبه قال: قال الله تبارك وتعالى لأرميا حين بعثه نبيًا إلى بنى إسرائيل: يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصورك فى بطن أمك قدستك، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك، ولأمرٍ عظيم اجتبأتك، فبعث الله ارميا إلى ذلك الملك من بنى إسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله، قال: ثم عظمت الأحداث فى بنى إسرائيل وركبوا المعاصى، واستحلوا المحارم ونسوا ما كان الله تعالى صنع بهم، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب

وجنوده فأوحى الله تعالى إلى أرميا: أن ائت قومك بنى إسرائيل، واقصص عليهم ما آمرك به، وذكرهم نعمتى عليهم، وعرفهم أحداثهم.... ثم ذكر قصة نبوخذنصر (بختنصر) وأنه أصاب (سبعة آلاف من بيت داود، وأحد عشر ألفًا من سبط يوسف بن يعقوب، وثمانية آلاف من سبط أشر، وأربعة عشر ألفًا من سبط زبالون، وأربعة آلاف من سبط يهوذا.. وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمه بابل..).

إن الرواية تقع فى ثلاث صفحات من القطع الكبير (٢٠×١٥) وتحديدًا من (٨/ ٣٥) إلى (٨/ ٣٧) فقد استرسل فيها طويلاً وذكر فيها أمورًا من فعل بختنصر ببنى إسرائيل تشيب لها الولدان.

**● رفع الأكذوبة إلى النبى ﷺ:**

وهو ما ذكره الطبرى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه برقم (٢٢٠٥٧)، يرفعه إلى النبى ﷺ وفيه: أنه قال: «إن بنى إسرائيل لما اعتدوا وعتوا وقتلوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملك فارس (بختنصر) وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرهم وفتحها، وقتل على دم زكريا سبعين ألفًا، ومائة ألف حلة من حُلى بيت المقدس حتى أورده بابل). قال حذيفة: قلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيمًا عند الله؟ قال: (أجل، بناه سليمان بن داود من ذهبٍ ودُرٍّ وياقوت وزبرجد، وكان بلاطه بلاطة من ذهب، وبلاطة من فضة، وعُمُده ذهبًا، أعطاه الله ذلك، وسخّر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء فى طرفة عين، فسار بختنصر بهذه الأشياء حتى نزل بها بابل، فأقام بنو إسرائيل فى يديه مائة سنة تعذبهم المجوس وأبناء المجوس، فيهم الأنبياء وأبناء الأنبياء، ثم إن الله رحمهم، فأوحى إلى ملكٍ من ملوك فارس يقال له: (كورس)[1] وكان مؤمنًا: أن سِرْ إلى بقايا بنى إسرائيل حتى تستنقذهم، فسار كورس بنى إسرائيل وحُلى بيت المقدس حتى ردّه إليه فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مائة سنة، ثم إنهم عادوا فى المعاصى، فسلّط الله عليهم (أبطيانُحُوس) فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر، فغزا بنى إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهلها وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بنى إسرائيل إن عدتم فى المعاصى عدنا عليكم بالسِّباء ـ أى بالأسر ـ فعادوا فى المعاصى، فسيّر الله عليهم السِّباء الثالث ملك رومية يقال له: (قاقس بن إسبايوس)

(١) وهو المعروف فى المصادر التاريخية بـ (قورش مخلص اليهود).

فغزاهم فى البر والبحر، فسباهم وسبى حُلِى بيت المقدس، ويرده المهدى إلى بيت المقدس، وهو ألف سفينة وسبعمائة سفينة يرسى بها على يافا حتى تنقل إلى بيت المقدس، وبها يجمع الله الأولين والآخرين) اهـ. وقد ذكر الحافظ ابن كثير هذه الرواية ثم قال: (وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب ـ من ابن جرير ـ كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته، وقد صرح شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزّى ـ رحمه الله ـ بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب)(١).

**ولنا بعض الملاحظات على هذه الروايات المكذوبة:**

(١) يبدو أن تعرض اليهود وممتلكاتهم للحرق ثابت من ثوابتهم التاريخية حيث ادعوا حديثًا أنهم تعرضوا للحرق فى محرقة النازى (الهولوكست)، وكذلك زعموا فى هذه الرواية العجيبة أنهم كلما جاءهم ملك أحرقهم وأحرق ما يمتلكون، ونحن نرى أنها كذبة إسرائيلية استطالت وتوائبتها الأجيال تتواصى بها.

(٢) ثم هذه الأعداد الهائلة والتى ذكرها وهب فى روايته إنما هى أعداد خرافية خيالية، والطبيعة لا تستحيل أبدًا، ولا يمكن تبديلها عند كل ذى عقل، وهو ما يعطينا مزية وهى قياس الماضى على الحاضر، فهل تسمح تلك المساحة الضيقة، لا أقول لبيت المقدس فقط بل لفلسطين كلها بتحمل ذلك العدد الهائل وأقله سبعة آلاف فى عشرة آلاف فى أربعة عشر ألفًا إلى غير هذا من هرطقات وخزعبلات يهود، إننا لو قمنا بحصر المساحة مع وجود هذا العدد لتبين لنا عدم معقولية الخبر بالمرة.

(٣) أما أوانى الذهب والفضة، والمبالغة فى بناء بيت المقدس فهى منقولة حرفيًّا عن سفر الملوك الثانى (٢٤/ ١٠ ـ ١٦)، حيث قال كاتب التوراة:

فى ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذنصر ملك بابل إلى أورشليم فدخلت المدينة تحت الحصار، وجاء نبوخذنصر ملك بابل على المدينة وكان عبيده يحاصرونها، فخرج يهوياكين ملك بابل هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه وأخذه ملك بابل فى السنة الثامنة من ملكه، وأخرج من هناك جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب التى عملها سليمان ملك إسرائيل فى هيكل الرب كما تكلم الرب وسبى كل أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف مسبى وجميع الصناع

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٧).

والأقيان، لم يبق أحد إلا مساكين شعب الأرض.

وسبى يهوياكين إلى بابل وأم الملك ونساء الملك وخصيانه وأقوياء الأرض سباهم من أورشيلم إلى بابل، وجميع أصحاب البأس سبعة آلاف والصناع والأقيان ألف وجميع الأبطال أهل الحرب سباهم ملك بابل إلى بابل).

ثم عاد كاتب هذا السفر فى (٢٥/ ١٣ ـ ١٧) ليقول:

(وأعمدة النحاس التى فى بيت الرب كسرها الكلدانيون وحملوا نحاسها إلى بابل، والقدور والرفوش والمقاص والصحون وجميع آنية النحاس التى كانوا يخدمون بها أخذوها، والمجامر والمناضج، وما كان من ذهب فالذهب، وما كان من فضة فالفضة، أخذها رئيس الشرط، والعمودان والبحر الواحد والقواعد التى عملها سليمان لبيت الرب لم يكن وزن لنحاس كل هذه الأدوات، ثمانى عشرة ذراعًا ارتفاع العمود الواحد وعليه تاج من نحاس وارتفاع التاج ثلاث أذرع والشبكة والرمانات التى على التاج مستديرة جميعًا من نحاس وكان للعمود الثانى مثل هذه على الشبكة).

إننا لا نمانع فى أن يعذب بنو إسرائيل أو أن يسبوا، لكننا نرفض تلك الروايات التى ألصقوها بالنبى الأمى الذى ما اطلع على التوراة ولا كان يعرف عنها إلا ما أطلعه الله عَزَّ وَجَلَّ عليه منها فى القرآن ﷺ، فهذه أساطير إياك وإياها.

### (٤) خرافة أخرى: بقية خرافة عوج بن عنق:

* وقد تحدثنا عنه أثناء حديثنا عن قصة نوح عليه السلام.

وذكر الطبرى (١١٧٠١) عن نوف بالبكالى ـ وهو ابن زوجة كعب الأحبار ـ أى ربيبه ـ قال: كان سرير عوج ثمانمائة ذراع، وكان طول موسى عشرة أذرع، وعصاه عشرة أذرع، ووثب فى السماء عشرة أذرع، فضرب عوجًا فأصاب كعبه فسقط ميتًا فكان جسرًا للناس يمرون عليه.

* ثم روى عن ابن عباس برقم (١١٧٠٢) كانت عصا موسى عشرة أذرع ووثبته فى السماء عشرة أذرع، وطوله عشر أذرع فأصاب كعب عوج فقتله فكان جسرًا لأهل النيل سنة!!

**(قلت)**: وقد ذكر كاتب سفر التثنية (٣/ ١١): (إن عوج ملك باشان وحده بقى من بقية الرفائيين هو ذا سريره من حديد أليس هو فى ربة بنى عمون، طوله تسع أذرع

وعرضه بذراع رجل).

إن هذه الروايات مدحوضة بعدم وجود عوج أساسًا وقد ذكرنا ذلك فى قصة نوح عليه السلام.

ثم أنه إذا كان سرير عوج ٩× ٤ ، فمعنى ذلك أن عوج أصغر من حجم السرير.

وطول موسى هذا مبالغ فيه للغاية، ولماذا يقفز فى السماء ليضرب كعب (عوج) والكعب ملاصق للأرض؟ وهل من المعقول أن تمكث جثة سنة كاملة دون تحلل بل ويسير عليها الناس؟ مع أن الجثة تتحلل فى أقل من ثلاثة أيام، إنها تهويلات أهل الكتاب وخرافاتهم، وفضول بعض المسلمين وغفلتهم.

***

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة داود عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: ٢١ ـ ٢٥).

وهنا نقل المفسرون: آثارًا تروج لفرية بنى إسرائيل على داود عليه السلام، وهى القائلة بتدبير داود عليه السلام ـ مكيدة لأحد قادة جيشه كى يهلك، ويحظى داود بزوجته الجميلة، التى رآها، وأعجب بها، فسولت له نفسه التخلص منه حتى يتزوجها، لقد كانت الروايات كلها تذكر أن داود حدّث نفسه إن ابتلى أن يعتصم، فقيل له: إنك ستبتلى وستعلم اليوم الذى تبتلى فيه، فخذ حذرك، فقيل له: هذا اليوم الذى تبتلى فيه فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق باب المحراب، وأدخل الزبور فى حجره، وأقعد منصفًا ـ بوابًا ـ على الباب أو حاجبًا، وقال له: لا تأذن لأحدٍ علىَّ اليوم.

---

(١) الدر المنثور (٧/ ١٥٥ ـ ١٥٧)، الطبرى (٢٩٨٥٤ ـ ٢٩٨٥٥) وغيرهما.

فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائرٌ مذهب كأحسن ما يكون للطير، فيه من كل لون، فجعل يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فتناوله بيده ليأخذه، فإذا هو بأمرأة عند بركتها تغتسل من الحيض فلما رأت ظله حركت رأسها، فغطت جسدها أجمع بشعرها، وكان زوجها غازيًا في سبيل الله، فكتب داود عليه السلام إلى رأس الغزاة[1]: انظر فاجعله في حملة التابوت، إما أن يفتح عليهم، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت فقتل! ثم تمضي الرواية في ذكر قصة زواج داود بامرأته وإنجاب سليمان منها.

* وأما الخبر الأسود والفاحشة التي قال بها المفسرون ولو كانوا أحياء لأمرنا بتعزيرهم بها هو ذلك الخبر الذي رواه الترمذي الحكيم في (نوادر الأصول) عن ابن لهيعة عن يزيد الرقاشي - وهو قاص مغفل - وسيأتي حاله، عن أنس رضي الله عنه أنه سمع أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ داود نبي الله ﷺ حين نظر إلى المرأة فأهمَّ[2] قطع على بني إسرائيل فأوصى صاحب البعث، فقال: إذا حضر العدو فقرِّب فلانًا[3] بين يدي التابوت - وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به - من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يُقْتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجدًا حتى نبت الزّرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: ربّ زلّ داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب، إن لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه، جعلت ذنبه حديثًا في الخُلُوف من بعده، فجاء جبرائيل عليه السلام من بعد الأربعين ليلةً، فقال: يا داود إن الله قد غفر لك ذلك الهم الذي هممت به، فقال داود علمت أن الرب قادرٌ على أن يغفر لي الهمّ الذي هممت به، وقد عرفت أن الله عدلٌ لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة؟ فقال: يا رب دمي الذي عند داود؟ فقال جبرائيل: ما سألت ربك عن ذلك، ولئن شئت لأفعلن، فقال: نعم، فعرج جبرائيل وسجد داود، فمكث ما شاء الله، ثم نزل، فقال: قد سألت ربك عز وجلّ يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود: إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول: هب لي من دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضًا!!).

---

(١) قائد الجيش أو الغزوة.

(٢) قصد (أهم بالمعصية).

(٣) وهو (أوريا الحثي) كما عند أهل التوراة.

وقد جاءت ردود الفعل عنيفة حول هذه الرواية المكذوبة الموضوعة، المنقولة عن بنى إسرائيل:

(١) فقال القرطبى: ولا يصح. القرطبى (١٥/ ١٦٠).

(٢) وقال القاضى عياض فى الشفا (٢/ ١٥٨): لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله تعالى على شىء من ذلك فى كتابه، ولا ورد فى حديث صحيح، والذى نصّ عليه فى قصة داود ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾، وليس فى قصة داود خبر ثابت. اهـ.

(٣) أما ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقد قال (٧/ ٥١) فى تفسيره: وقد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم ﷺ حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبى حاتم هنا حديثًا ـ قصد به حديث أنس بن مالك ـ لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه، وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة. اهـ.

(٤) وأما يزيد الرقاشى[1] ـ بتخفيف القاف ـ هو أبو عمر البصرى القاصّ، زاهد ضعيف، قال الذهبى فيه: قال النسائى وغيره: متروك.

وقال ابن حبان: كان من خيار عباد الله من البكائين بالليل غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن (البصرى) يجعله عن أنس عن النبى ﷺ.

فلا تحل الرواية عنه إلا على جهة التعجب!!

أضف إلى ذلك وجود ابن لهيعة المصرى الشيخ المحترقة كتبه، الناسى، المختلط.

**وإليك الآن هذه النصوص من التوراة** والتى نقل عنها الأفاكون عن أهل الكتاب قصة الخطيئة المزعومة، وقد جاءت هذه الرواية فى سفر صموئيل الثانى (١١/ ٢/ ٢٦) وهذا هو النص:

(وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدًّا، فأرسل داود، وسأل عن المرأة، فقال واحد: أليست هذه بثشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثى فأرسل داود رسلاً، وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها، وهى مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة وأخبرت داود وقالت: إنى حُبْلى فأرسل داود إلى يوآب يقول: أرسل إلى

(١) انظر التهذيب (١١/ ٣٠٩)، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٦١).

أوريا الحثى، فأرسل يوآب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه فسأله عن سلامة يوآب وسلامة الشعب ونجاح الحرب، وقال داود لأوريا: انزل إلى بيتك واغسل رجليك، فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته، فأخبروا داود قائلين: لم ينزل أوريا إلى بيته. فقال داود لأوريا: أما جئت من سفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك. فقال أوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء وأنا آت لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر، فقال داود لأوريا: أقم هنا اليوم أيضًا وغدًا أطلقك فأقام أوريا فى أورشليم ذلك اليوم وغده، ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره. وخرج عند المساء ليضطجع فى مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم ينزل.

وفى الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيده لأوريا وكتب فى المكتوب يقول اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه، فخرج رجال المدينة وحاربوا يوآب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثى أيضًا، فأرسل يوآب وأخبر داود بجميع أمور الحرب. وأوصى الرسول قائلاً عندما تفرغ من الكلام مع الملك عن جميع أمور الحرب، فإن اشتعل غضب الملك، وقال لك: لماذا دنوتم من المدينة للقتال؟ أما علمتم أنهم يرمون من على السور من قتل أبيمالك بن بربوشث؟ ألم ترمه امرأة بقطعة رحى من على السور فمات فى تاباص؟ لماذا دنوتم من السور؟ فقل: قد مات عبدك أوريا الحثى أيضًا.

فذهب الرسول ودخل وأخبر داود بكل ما أرسله فيه يوآب، وقال الرسول لداود: قد تجبر علينا القوم وخرجوا إلينا إلى الحقل فكنا عليهم إلى مدخل الباب فرمى الرماة عبيدك من على السور فمات البعض من عبيد الملك ومات عبدك أوريا الحثى أيضًا، فقال داود للرسول: هكذا تقول ليوآب. لا يسوء فى عينيك هذا الأمر لأن السيف يأكل هذا وذاك شدد قتالك على المدينة وأخرجها وشدده.

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندبت بعلها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنًا وأما الأمر الذى فعله داود فقبح فى عينى الرب.

وتستطيع أن تكمل الباقى من رواية العرب التوراتيين !!

ومن الأسوأ إلى ما هو أقل منه سوءًا، فقد رووا أن (نعجة) هنا هى المرأة وهو ما رواه الشيخ السعدى فى كتابه، وكنا قد أشرنا إليه من قبل (تفسير السعدى ٢٧١١)، ولكن ما هو التفسير الصحيح للآيات؟

* أولاً أن نعتقد أن النعجة هنا على الحقيقة لا أنها زوجة، وأن المتخاصمين بشرين لا ملائكة.

* قال القاضى عياض فى الشفا (٢/ ١٧٨): قال ابن عباس، وابن مسعود: ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لى عن امرأتك وأكفلْنيها، فعاتبه الله على ذلك، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، وهذا الذى ينبغى أن يعول عليه (ورأى ابن عباس صحيح: رواه عبد الرزاق (٢٥٩٠) فى تفسيره) (وأما ابن مسعود فرجاله ثقات روى عبد الرزاق (٢٥٨٩) فى تفسيره).

وقال أيضًا: وقد قيل: خطبها على خطبته.

وقيل: بل أحب بقلبه أن يستشهد.

**قلت،** ولكن هذا لمن أثبت قصة (أوريا الحثى) فلم يثبت فيها خبرٌ يصح.

ونحن نميل إلى قول القاضى عياض والسمرقندى: بأن قول داود عليه السلام استغفر من قوله لأحد الخصمين: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ (ص: ٢٤) فظلمه بقول خصمه.

***

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة سليمان عليه السلام

### (١) خاتم سليمان، والمارد صخر!!

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (ص: ٣٠-٣٥).

وإليك ما سطره السفهاء من أهل الكتاب، والزنادقة، ونقله عنهم المسلمون فى كتب التفاسير فسودوا بها صفحاتهم، وكانوا فى أشدّ الغِنَى عنها:

(١) ذكر الطبرى برقم (٢٩٨٧٥) عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الخيل ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ أخرجها الشيطان لسليمان، من مَرْج من مروج البحر. وقال: الخيل والبغال والحمير تصفن. والصفن: أن تقوم على ثلاثٍ وترفع رجلاً واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض.

وزاد مجاهد (٢٩٨٧٧) أنها كانت عشرين فرسًا ذوات أجنحة.

ولا أدرى كيف استطاعوا تحديد عدد الخيول، وصفتها؟ وكيف استطاع الشيطان أن يخرجها لسليمان من البحر؟ وهل من السهل هكذا أن يلبس الشيطان على نبى من الأنبياء هذه الأضغاث والكوابيس، وليس له عليه سلطان؟! ويكفينا أن الرواية تولى كبرها رأس الوضاعين: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) وفى تفسير الجلالين على هامش المصحف الشريف، قال: ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ﴾ امتحناه وعاقبناه ـ و(جسدًا) أى لا روح فيه ولا قوة، وقيل: شيطان[1]، قضى الله وقدر أن يجلس على كرسى ملكه، ويتصرف فى الملك فى مدة فتنة سليمان.

(٣) أما المارد صخر، وخاتم سليمان وفتنة سليمان، فتسوقها هذه الرواية التى بلغ بها الفُحش مبلغًا عظيمًا حتى نالت من نبى الله سليمان عليه السلام، فقد ذكر الطبرى (٢٩٩٠) عن السُّدى، وذكر السيوطى فى الدر المنثور (٧/ ١٧٩ ـ ١٨٠) بنفس السند عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال:

(أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء، فأعطى (الجرادة) خاتمه ـ وهى آثر نسائه عنده، وكانت أحبهن إليه، فجاء الشيطان فى صورة سليمان، فقال لها: هاتى خاتمى فأعطته، فلما لبسه دانت له الجن، والإنس، والشياطين، فلما خرج سليمان عليه السلام، قال: هاتى خاتمى. فقالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان، قالت: كذبت لست سليمان، فجعل لا يأتى أحدًا يقول له: أنا سليمان إلا كذّبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عرف أنه من أمر الله عز وجلّ، وقام الشيطان يحكم بين الناس.

فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان عليه السلام سلطانه، ألقى فى قلوب الناس

(١) وقد قالوا إن هذا المارد اسمه: صخر.

إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان عليه السلام فقالوا لهن: أيكون من سليمان شيء؟. قلن: نعم. إنه يأتينا ونحن حُيَّض، وما كان يأتينا قبل ذلك!!!.

فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له، ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبًا فيها سحر ومكر، فدفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أثاروها وقرأوها على الناس، قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم، فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه فى البحر، فتلقته سمكة فأخذته، وكان سليمان عليه السلام يعمل على شط البحر بالأجر!! فجاء رجل فاشترى سمكًا فيه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم، فدعا سليمان عليه السلام، فقال: تحمل لى هذا السمك؟ ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره، أعطاه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم، فأخذها سليمان عليه السلام، فشق بطنها فإذا الخاتم فى جوفها، فأخذه فلبسه، فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين، وعاد على حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان عليه السلام فى طلبه، وكان شيطانًا مريدًا يطلبونه ولا يقدرون عليه، حتى وجدوه يومًا نائمًا، فجاءوا فنقبوا عليه بنيانًا من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثب فى مكان من البيت إلا دار معه الرصاص، فأخذوه وأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه السلام، فأمر به فنقر له فى رخام، ثم أدخل فى جوفه، ثم سدّ بالنحاس، ثم أمر به فطرح فى البحر. فذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾، يعنى الشيطان الذى كان تسلط عليه!!).

* ثم خرج الزمخشرى بأسوأ مما سبق، فقد قال: إن سليمان لما أصاب ابنة ملك صيدون، واسمها جرادة، أعجب بها، فعرض عليها الإسلام فأبت، فخوفها، فقالت: اقتلنى ولا أسلم. فتزوجها وهى مشركة، فكانت تعبد صنمًا من ياقوت أربعين يومًا فى خفية من سليمان إلى أن أسلمت، فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يومًا (الكشاف: ٣/ ٣٢٨).

* وذكر كعب الأحبار أن سليمان لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه. ذكره القرطبى (١٥/ ١٩٠).

* وذكر الحسن البصرى - كما هو فى تفسيره (٢/ ٢٥٣) إنه - أى سليمان - قارب بعض نسائه فى شيء من حيض أو غيره، وهذا أبعد ما يكون. وقد وقع الشيخ السعدى رحمه الله فى هذه الرواية الإسرائيلية.

● **ردود العلماء على هذه الافتراءات:**

(١) قال الزمخشرى: (٣/ ٣٢٩) فى تفسيره بعد ذكر قصة الخاتم: ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله، وقالوا: هذا من أباطيل اليهود، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل، وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا فى تغيير الأحكام، وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح!!

(٢) وقال القاضى عياض (٢/ ١٨٩) فى الشفا: ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه، وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله.

(٣) وقال ابن كثير (٧/ ٦٠) فى تفسيره: وهذه كلها من الإسرائيليات... ثم ذكر رواية ابن عباس وقال: إسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قوى، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما ـ إن صح عنه ـ من أهل الكتاب وفيه طائفة لا تعتقد بنبوة سليمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها: ذكر النساء.

**قلت:** وقد ذكرنا أن صحة السند لا تعنى صحة المتن، خاصة إن كان المتن فاسدًا، والسند هنا مهلهل النسج من السهل أن يبصره الأعمى قبل البصير.

(٤) أما الفخر الرازى ـ رحمه الله فى (مفاتيح الغيب) فقد أجاد فى ذكر هذه الوجوه الباطلة والرد عليها، فبعد ذكر هذه الروايات، قال بردها على أربعة أوجه، وهى:

**الأول:** أن فتنة سليمان أنه ولد له ابن، فقالت الشياطين: إن عاش صار مسلطًا علينا مثل أبيه، فسبيلنا أن نقتله، فعلم سليمان عليه السلام ذلك، فكان يربيه فى السحاب، فبينما هو مشتغل بمهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتًا على كرسيه فتنبه على خطيئته فى أنه لم يتوكل فيه على الله تعالى فاستغفر ربه وأناب.

**الثانى:** روى أنه عليه السلام قال: قال سليمان: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فطاف تلك الليلة على مائة امرأة، فلم تلد منهن امراة إلا امرأة ولدت نصف إنسان، فقال رسول الله ﷺ: «لو قال: إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلامًا يضرب بالسيف فى سبيل الله عز وجل»[١].

(١) صحيح: رواه أحمد (٢/ ٢٢٩) فى المسند وأصله فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه.

**قلت:** فذلك قوله : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ﴾ وهذا ما نميل إليه ونرجحه .

**الثالثة:** (ولقد فتنا سليمان) أى بسبب مرض شديد ألقاه الله تعالى عليه حتى صار لشدة المرض كأنه جسمٌ بلا روح . وقوله : ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ ، أى رجع إلى حال الصحة .

**الرابعة:** إن الله عز وجل ابتلاه بتسليط خوفٍ أو توقع بلاءٍ عن بعض الجهات عليه ، وصار بسبب قوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الملقى على ذلك الكرسى ، ثم أزال الله عنه ذلك الخوف ، وأعاده إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب .

وهذا ما قاله العلماء المحققون ، وهو الصواب فى نظرنا ـ والكلام للرازى ـ لقيام الأدلة على حفظ رسل الله من ذلك الهراء الذى نصبه الأعداء للنيل منهم .

**قلت:** والوجه الثانى هو الوجه الذى قال به العلماء المحققون كالألوسى ، والشنقيطى وهو ما يتفق وما نعتقده من عصمة الأنبياء .

## (٢) إسرائيليات فى قصة سليمان، وبلقيس ملكة سبأ:

وفى قوله تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ (النمل : ٢٠) .

* ذكر الطبرى برقم (٢٦٩٠٦)، والسيوطى (٦/ ٣٤٩)، فى الدر المنثور هذا الأثر عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال :

(كان سليمان بن داود يوضع له ستمائة كرسى ، ثم يجىء أشراف الإنس . قال : ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال : فيسير فى الغداة الواحدة مسيرة شهر ، قال : فبينما هو فى مسيره إذا احتاج إلى الماء وهو فى فلاة ـ صحراء من الأرض ـ قال : فدعا الهدهد ، فجاءه فنقر الأرض ، فأصاب موضع الماء ، قال : ثم تجىء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الإهاب ـ جلد الكبش ـ ثم يستخرجون الماء ، فقال له نافع بن الأزرق ـ رأس الأزارقة من الخوارج ـ: قف يا وقاف ، أرأيت قولك : الهدهد يجىء فينقر الأرض فيصيب الماء كيف يبصر هذا؟ ولا يبصر الفخ يجىء حتى يقع فى عنقه؟ قال : فقال ابن عباس : ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر .

* أما الرواية الأخرى : (٩/ ٥٠٦) فيقول وهب : إنما تفقده لإخلاله بالنَّوبة التى كان ينوبها .

وهى أقوال مردودة على أصحابها ، إذ يبدو عليها النقل من أهل الكتاب ، ولم يثبت فيها خبرٌ صحيح أو نصٌ قرآنى وقد صحح الحاكم هذا الخبر ، ولا يغرنك من تصحيحه

فإنه كثيرًا ما يحكم على الموضوع بالصحة وتساهل كثيرًا.

وقد قال الألوسى (١٩/ ٢٧٢) فى (روح المعانى): (إن رؤيته - أى الهدهد - الماء تحت الأرض، وإن جاز على ما تقتضيه أصول الأشاعرة أمر يستبعده العقل جدًّا، ولا جزم لى بصحة الخبر، وتصحيح الحاكم محكوم عليه عند المحدثين بما تعلم).

**وأما التفسير الصحيح:**

فإن سليمان عليه السلام تفقد الطير ولم يكل تفقدها إلى أحد وزرائه، فلما لم يجد الهدهد غضب، وهو ما يدل على حزمه وقيامه بأمر مملكته دون الاستعانة بآخرين، بمثل هذا قال السعدى (٦٠٣ - ٦٠٤) فى تفسيره.

**• بلقيس وخرافة بنوتها للجن:**

وفى قوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل: ٢٣).

* ذكر ابن جرير برقم (٢٧٠٣٣) من طريقه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: (كان أحد أبوى صاحبة سبأ جنيًّا). وقد رواه ابن عدى فى الكامل فى الضعفاء (١/ ١٧٧) عن سعيد بن بشير عن قتادة بن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة - وهو سند ابن جرير، ثم قال: لا أعلم رواه عن قتادة غير سعيد بن بشير، ولا أرى بما يروى عنه سعيد بن بشر بأسًا، ولعله يهم فى الشىء بعد الشىء، ويغلط.

ولكن قال الذهبى فى (الضعفاء والمتروكين): ضعيف، وقال ابن حبان: فاحش الخطأ.

وقد ساق له فى (الميزان) أحاديث أنكرت عليه، وكذا استنكر المناوى الحديث فى (فيض القدير)[1].

* ثم عاد المفسرون كما هى عادة الذين ينقلون عن بنى إسرائيل ليسطروا خرافات أخرى، ففى قوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، فقالو: كان طول عرشها ثمانين ذارعًا، وعرضه أربعين ذراعًا، وارتفاعه فى السماء ثلاثين ذراعًا، مكلل بالدر والياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، وقوائمه لؤلؤ وجوهر، مسترًا بالديباج والحرير عليه سبعة مغاليق - أقفال.

(١) انظر الضعيفة والموضوعة للعلامة الألبانى برقم (١٨١٨).

وقال مقاتل ـ قاتله الله ـ: كان ثمانين ذراعًا فى ثمانين ذراعًا، وارتفاعه من الأرض ثمانون ذراعًا، وهو مكلل بالجواهر، وكان يخدمها النساء، وكان معها لخدمتها ستمائة امرأة!![1].

ورغم أن الطبرى والقرطبى نقلا هذه الأخبار إلا أن الطبرى عاد فقال: هو عظيم فى قدره لا عظمه فى الكبر والسعة.

أما القرطبى فقال مثلما قال الزمخشرى: إنه عرش عظيم بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك[2]. وهو الصحيح.

* ومن طريق الكذب حيث السُّدى ورفاقه، ووهب بن منبه فى إسرائيلياته خاض المفسرون فى قول الله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ (النمل: ٣٥)، فراحوا يصفون هذه الهدية بالآتى إجمالاً كما يفهم من الروايات جميعًا:

فقالوا: أرسلت إليه رجلاً من أشراف قومها اسمه: (المنذر بن عمرو) . . وأعطته مائة وصيف، ومائة وصيفة، وقد خولف بينهم فى اللباس. وقالت للغلمان: كلموا سليمان بكلام النساء. وقالت للجوارى: كلمنه بكلام غليظ يشبه كلام الرجال، وأعطتهم أطباق مسك وعنبر، ولبنات ذهب، وخرزتين إحداهما غير مثقوبة، والأخرى مثقوبة ثقبًا معوجًا، وبقدح لا شىء فيه. وبعصا كان يتوارثها ملوك حِمْيَر فيقال: أن الهدهد أخبر سليمان بذلك. فأمر سليمان أن يبسط من موضعه إلى تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة. وأمر بإخراج أجمل دواب البحر التى لها أجنحة، ونواصى، وأعراف فشدت على اليمين واليسار، وعلى لبنات الذهب والفضة، ثم أمر رعيته من الجن والإنس والطير أن يصطفوا. فجاء رسل بلقيس، فرأوا الدواب تروث على لبنات الذهب والفضة، فرموا ما معهم من هذه اللبنات. وسأل المنذر بن عمرو سليمان أن يفرق بين الوصيفات والوصفاء وأن يثقب الدرة ثقبًا مستويًا، ويدخل خيط الخرزة، ويملأ القدح الفارغ من ماء ليس من ماء الأرض ولا السماء!! فأمر سليمان الوصيفات والوصفاء بالوضوء، فجعل الرجل يحدر الماء على اليد والرجل حدرًا، والجوارى يصببن من اليد اليسرى على اليد اليمنى ففرق بينهم، وأمر الخيل أن تجرى فعرقت فملأ القدح من عرقها، وأمر الأرضة أن تأخذ خيطًا وتدخل فى الخرزة ففعلت ثم ردّ الهدية!!

---

(١) الطبرى (٩/ ٥٠٨ ـ ٥٠٩)، والقرطبى (١٣/ ١٩٣).

(٢) الزمخشرى (٣/ ١٤٠) فى الكشاف، والقرطبى فى السابق.

ولقد حكم الصغار قبل الكبار على هذا الخبر بالوضع الذى لا يحتاج إلى جهد كبيرٍ إلى رده والحكم عليه بالوضع والكذب واللامعقولية.

* وروى الطبرى برقم (٢٦٩٥٥) عن مجاهد، وعن ابن عباس أن بلقيس جاءت ومعها اثنا عشر ألف قيول - (والقيل الملك الصغير وكان ملوك حمير يسمون بالقيل، كالفرعون، والقيصر).

* وفى رواية برقم (٢٦٩٥٧) أن مجاهدًا قال: (كان تحديد ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيول، والقيول بلسانهم: الملك. تحت يد كل ملك مائة مقاتل).

قلت: وبعملية حسابية بسيطة للغاية تدرك الخرافة والوهم فى هذه الروايات فجند بلقيس:

إما كانوا: ١٢,٠٠٠×١٠٠= أى ١٢٠٠,٠٠٠ .

أو كانوا: ١٠٠,٠٠٠×١٠٠,٠٠٠= أى ١٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ .

وهذا وهم ولا شك عندنا فى ذلك.

* وروى مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ (النمل: ٤٤) فقال: إذا هما شعراوان. فقال: ألا شىء يذهب هذا؟ قالوا: الموسى. قال: لا، الموسى له أثر، فأمر بالنورة فصنعت.

وما الذى يجعل نبى الله ينظر إلى ساق بلقيس، ثم إن زواجه منها أمرٌ ما عرفناه من قرآن ولا سنة.

أما النورة فهى حجر الكلس المضاف إليه أخلاط تستخدم فى إزالة الشعر.

إنها خرافات وأساطير، وأضغاث أحلام، وبدعٌ يجب أن تمحى من كتب التفاسير جميعًا.

* * *

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة المائدة

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ

تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (المائدة: ١١٢ ـ ١١٥).

وهنا نقل المفسرون الغث والسمين فقالوا هذه الروايات:

(١) روى الطبرى برقم (١٢٩٩٩) عن ليث بن أبى سليم عن عقيل عن ابن عباس أنه كان يحدث عن عيسى ﷺ أنه قال لبنى إسرائيل: هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يومًا؟ ثم تسألوه فيعطيكم ما سألتم، فإن أجر العامل على من عمل له، ففعلوا ثم قالوا: يا معلم الخير قلت لنا: إن أجر العامل على من عمل له، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يومًا، ففعلنا، ولم نكن نعمل لأحدٍ ثلاثين يومًا إلا أطعمنا حين نفرغ طعامًا، فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال عيسى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قال: فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة، حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أولهم.

**قلت،** وفى الحديث (ليث بن أبى سليم) ضعيف وله مناكير.

(٢) وبرقم (١٣٠٠٠) قال السدى: أنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام إلا اللحم فأكلوا منها. وطريق السُّدى لا يسلكه إلا جاهل.

(٣) وروى برقم (١٣٠١٥) عن سماك بن حرب عن (رجل من بنى عجل) قال: صليت إلى جنب عمار بن ياسر، فلما فرغ قال: هل تدرى كيف كان شأن مائدة بنى إسرائيل؟ قال: فقلت: لا. قال: إنهم سألوا عيسى ابن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لا ينفد. قال: فقيل لهم: فإنها مقيمة لكم ما لم تخبأوا، أو تخونوا، أو ترفعوا، فإن فعلتم فإنى أعذبكم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين.

قال: فما تم يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا، فعذبوا عذابًا لم يعذبه أحدٌ من العالمين.

وفى الرواية مجهول، ولا شر أكثر من شرهم ـ أى المجاهيل ـ.

(٤) وروى الطبرى برقم (١٣٠١٦) والترمذى (٣٠٦١)، فى التفسير عن عمّار بن ياسر أن النبى ﷺ قال: «أنزلت المائدة من السماء خبزًا ولحمًا، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغدٍ، فخانوا وادخروا، ورفعوا لغدٍ، فمُسخوا قِرَدَةً وخَنَازِير». قال الترمذى:

حديث غريب ولا نعرفه مرفوعًا، ثم ذكره (٣٠٦١م) عن أبى هريرة موقوفًا. والحديث ضعيف.

(٥) وقال عمار ـ كما عند الطبرى ـ: كانت من ثمار الجنة.

(٦) وعن وهب بن منبه عن سلمان، قال: (لما سأل الحواريون عيسى ابن مريم المائدة كره ذلك جدًّا، فقال: اقنعوا بما رزقكم الله فى الأرض، ولا تسألوا المائدة من السماء، فإنها إن نزلت عليكم كانت آية من ربكم، وإنما هلكت ثمود حين سألوا نبيهم آية فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها، فأبوا إلا أن يدعو لهم بها، فألقى عنه الصوف، ولبس الشعر الأسود، وجُبَّة من شعر، وعباءة من شعر، ثم توضأ واغتسل، ودخل مصلاه فصلى ما شاء الله فلما قضى صلاته، قام قائمًا مستقبل القبلة، وصفّ قدميه حتى استويا، فألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى، فوق صدره، وغضّ بصره، وطأطأ رأسه خشوعًا، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه، فلما رأى ذلك دعا الله فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها، وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها فى الهواء منقضة من فلك السماء تهوى إليهم، وعيسى يبكى خوفًا من أجل الشروط التى أخذها الله تعالى عليهم فيها أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذابًا لم يعذبه أحدًا من العالمين، وهو يدعو الله فى مكانه، ويقول: اللهم اجعلها رحمة لهم، ولا تجعلها عذابًا.

إلهى كم من عجيبة سألتك فأعطيتنى. . إلهى اجعلنا لك شاكرين، اللهم إنى أعوذ بك من أن تكون أنزلتها غضبًا وزجرًا.

إلهى اجعلها سلامة وعافية، ولا تجعلها فتنة ومُثْلة.

فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدى عيسى، والحواريون وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قطّ، وخرّ عيسى والحواريون لله سجدًا شكرًا لما رزقهم من حيث لم يحتسبوا، وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة، وأقبلت اليهود ينظرون فرأوا أمرًا عجيبًا أورثهم كمدًا وغمًّا، ثم انصرفوا بغيظ شديد، وأقبل عيسى والحواريون وأصحابه حتى جلسوا حول السفرة، فإذا عليها منديل مغطى، فقال عيسى: من أجرؤنا على كشف المنديل عن هذه السفرة، وأوثقنا بنفسه وأحسننا بلاء عند ربه، فليكشف عن هذه الآية حتى نراها، ونحمد ربنا، ونذكر باسمه، ونأكل

من رزقه الذى رزقنا؟ فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته، أنت أولانا بذلك، وأحقنا بالكشف عنها.

فقام عيسى عليه السلام واستأنف وضوءًا جديدًا، ثم دخل مصلاه، فصلى كذلك ركعات، ثم بكى بكاءً طويلاً، ودعا الله أن يأذن له فى الكشف عنها، ويجعل له ولقومه فيها بركة ورزقًا، ثم انصرف وجلس إلى السفرة وتناول المنديل، وقال: باسم الله خير الرازقين، وكشف عن السفرة، فإذا هو عليها بسمكة ضخمة مشوية، ليس عليها بواسير، وليس فى جوفها شوك، يسيل السَّمن منها سيلاً، قد تحدق بها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خلّ، وعند ذنبها ملح، وحول البقول خمسة أرغفة، على واحد منها زيتون، وعلى الآخر تمرات، وعلى الآخر خمس رمانات، فقال شمعون رأس الحواريين لعيسى: يا روح الله وكلمته، أمن طعام الدنيا هذا، أمن من طعام الجنة؟

فقال عيسى: أما آن لكن أن تعتبروا بما ترون من الآيات وتنتهوا عن تنقير المسائل؟ ما أخوفنى علكيم أن تعاقبوا فى سبب نزول هذه الآية، فقال له شمعون:

لا وإله إسرائيل ما أردت بها سؤالاً يا ابن الصديقة!!

فقال عيسى عليه السلام: ليس شىء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة، وإنما هو شىء ابتدعه الله من الهواء بالقدرة الغالبة القاهرة، فقال له: كُنْ؛ فكان أسرع من طرفة عين، فكلوا مما سألتم باسم الله واحمدوا عليه ربكم، يمدكم منه ويزدكم، فإنه بديعٌ شاكر، فقالوا: يا روح الله وكلمته إنا نحب أن يرينا الله آية فى هذه الآية. فقال عيسى: سبحان الله، أما اكتفيتم بما رأيتم من هذه الآية، حتى تسألوا فيها آية أخرى؟ ثم أقبل عيسى عليه السلام على السمكة فقال: يا سمكة عودى بإذن الله حية كما كنت، فأحياها الله بقدرته فاضطربت وعادت بإذن الله حية طرية، تلمظ كما يتلمظ الأسد، تدور عيناها، لها بصيص، وعادت عليها بواسيرها ففزع القوم منها، وانحاسوا، فلما رأى عيسى منهم ذلك، قال: ما لكم تسألون الآية، فإذا أراكموها ربكم كرهتموها؟ ما أخوفنى عليكم أن تعاقبوا بما تصنعون، يا سمكة عودى بإذن الله كما كنت، فعادت بإذن الله مشوية كما كانت فى خلقها الأول، فقالوا: يا عيسى كن أنت يا روح الله الذى تبدأ بالأكل منها ثم نحن بعد.

فقال عيسى: معاذ الله من ذلك، يبدأ بالأكل من طلبها، فلما رأى الحواريون

وأصحابه امتناع عيسى منها، خافوا أن يكون نزولها سخطة وفى أكلها مثلة، فتحاموها، فلما رأى ذلك عيسى منهم دعا لها الفقراء والزمنى وقال: كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم، واحمدوا الله الذى أنزلها لكم فيكون مهنؤها لكم وعقوبتها على غيركم وافتتحوا أكلكم باسم الله، واختموا بحمد الله، ففعلوا فأكل منها ألف وثلاثمائة إنسان بين رجل وامرأة يصدرون عنها كل واحد منهم شبعان يتجشأ!! ونظر عيسى والحواريون فإذا ما عليها كهيئته إذ نزلت من السماء، لم ينقص منها شيء، ثم إنها رفعت إلى السماء وهم ينظرون، فاستغنى كل فقير أكل منها، وبرئ كل زَمِن أكل منها، فلم يزالوا أغنياء أصحاء حتى خرجوا من الدنيا، وندم الحواريون وأصحابهم الذين أبوا أن يأكلوا منها، ندامة سالت منها أشفارهم، وبقيت حسرتهم فى قلوبهم إلى يوم الممات. قال:

وكانت المائدة إذا نزلت بعد ذلك أقبل بنو إسرائيل إليها يسعون من كل مكان يزاحم بعضُهم بعضًا، الأغنياء والفقراء، والصغار والكبار، والأصحاء والمرضى، يركب بعضهم بعضًا، فلما رأى ذلك جعلها نوبًا بينهم تنزل يومًا ولا تنزل يومًا، فلبثوا على ذلك أربعين يومًا تنزل عليهم غبًا عند ارتفاع النهار، فلا تزال موضوعة يؤكل منها حتى إذا قالوا ارتفعت عنهم إلى جو السما بإذن الله، وهم ينظرون إلى ظلها فى الأرض حتى توارى عنهم. قال: فأوحى الله إلى نبيه عيسى عليه السلام: أن اجعل رزقى فى المائدة للفقراء واليتامى والزمنى، دون الأغنياء من الناس، فلما فعل ذلك ارتاب بها الأغنياء من الناس، وغمطوا ذلك حتى شكُّوا فيها أنفسهم، وشككوا فيه الناس وأذاعوا فى أمرها القبيح والمنكر، وأدرك الشيطان منهم حاجته وقذف وساوسه فى قلوب الربانيين حتى قالوا لعيسى: أخبرنا عن المائدة ونزولها من السماء أحَقٌّ، فإنه قد ارتاب بها منا بشرٌ كثير؟

فقال عيسى عليه السلام: هلكتم وإله المسيح، طلبتم المائدة إلى نبيكم أن يطلبها لكم إلى ربكم، فلما أن فعل وأنزلها عليكم رحمة لكم ورزقًا، وأراكم فيها الآيات والعبر، كذبتم بها، وشككتم فيها، فأبشروا بالعذاب فإنه نازل بكم إلا أن يرحمكم الله، فأوحى الله إلى عيسى: إنى آخذ المكذّبين بشرطى فإنى معذّب منهم من كفر بالمائدة بعد نزولها عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين.

قال: فلما أمسى المرتابون بها وأخذوا مضاجعهم فى أحسن صورة مع نسائهم آمنين، فلما كان آخر الليل، مسخهم اللهُ خنازير، فأصبحوا يتبعون الأقذار فى الكناسات!!).

**ملاحظات حول هذه الروايات:**

(١) اضطراب الروايات فى تحديد نوعية الطعام الموجود داخل المائدة فهو (سمك، وأرغفة).

وتارة أخرى: (من ثمر الجنة).

وثالثة: (من خلق الله لا من الأرض ولا من الجنة).

ورابعة: (من كل شىء إلا اللحم).

(٢) والرواية التى رويت عن عمار فيها مجهول، والروايات الأخرى فيها ضعفاء ومجاهيل، وكذابون.

(٣) الاختلاق يبدو واضحًا فى الرواية الأخيرة والتى حدثت فيها عملية (المطّ) وهو ما يدل على الاختلاق، وهذه سمة القصاص يكون الحديث ذراعًا فيجعله باعًا من أجل أنه لا يجد فى الصحاح بغيته ومراده.

إن الكارثة دائمة تأتى من (نصف المتعلم) ولذلك قالوا: الجاهل خيرٌ من نصف متعلم. وهو وصف ينطبق على القاصِّ والواعظ حيث يكتمل عنده فن القصة والتشويق والإثارة ويختفى عنده الجانب الشرعى تمامًا حيث لا رواية ولا دراية ولا خشية لله عز وجل، فإذا بالطامة تطم، والثوابت العقدية تنخرم، ويمتلأ عقل العوام قذرًا ووسخًا.

لقد استحلوا لأنفسهم إجراء الكلام على لسان الأنبياء كذبًا وزورًا.

واستحلوا لأنفسهم اختلاق معجزات ما جاء بها الخبر الصحيح.

واستحلوا لأنفسهم اختلاق الأخبار المكذوبة عن الأمم، والتخيل، والوهم حتى ملأوا الصحائف بالفوضى والكذب.

إنهم استحلوا الكذب وكفى به جريمة يسألون عنها أمام الله تعالى فى يوم يُعلم فيه مَنْ بكى ممن تباكى، وصدق قول القائل: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

(٤) كما يبدو على هذه الرواية الاختلاق لركاكتها فمثلاً: (يا سمكة عودى بإذن الله؟!)، (عادت حية طرية). (نزولها سخطة، وأكلها مثلة)، (شبعان يتجشأ!!).

(٥) وقد ذكر ابن كثير هذه الأخبار، خاصة الرواية الأخيرة (٣/ ١٦٨)، فى تفسيره، ثم قال: (وهذا أثر غريب جدًّا قطعه ابن أبى حاتم فى مواضع من هذه القصة).

(٦) وقال القرطبى (٦/ ٣٤٨) فى تفسيره عن الرواية الأخيرة: فى هذا الحديث مقال لا يصح من قبل إسناده.

(٧) لكن المفاجأة لم تكن في ذلك كله، بل كانت في اختلاف العلماء هل نزلت المائدة أم لا؟

فقد ذكر ابن كثير (١/ ٥٩٩) في البداية: إن الجمهور، قال: نزلت، كما دلت عليه هذه الآثار كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ولا سيما قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

روى ابن جرير بسند صحيح عن الحسن، ومجاهد أنها لم تنزل لأنهم أبوا نزولها حين قال: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فكيف تأكد عند القاص أنها نزلت؟! أو كيف تأكد عنده أصناف الطعام الممدود عليها؟!

(٨) والأغرب من هذا وذاك أن النصارى لا يعرفون هذه القصة - قصة المائدة - وبالأحرى لن يعرفها اليهود، فكيف توافر لكعب الأحبار معرفة بها؟! ولغيره من اليهود؟ مع كون القصة مجهولة هل تمت في حيز الحواريين مع عيسى عليه السلام ولم ينتشر خبرها بعد ذلك بينهم، والأغلب في ظني أن كعبًا لم يدل بدلوه فيها وإنما هو افتراءٌ عليه وإلا كان تعالمًا منه - وهو ما ننزهه عنه بكلمات الصحابة وأهل الجرح والتعديل.

(٩) ولقد قال الله تعالى: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾.

هذا ولله المثل الأعلى، كقول: (سأعطيها لك فإذا استخدمتها في غير منفعة عاقبتك)، إنه مجرد شرط فقط، ولا نعلم أقبلوه أم لا؟

فهل أخبر الله عن إنزالها؟ أو أخبر عن أنهم كذبوا ومسخوا قردة وخنازير كما ادعى القصاص الذي لم يجد نهاية مثيرة لقصته إلا هذه السخافات، ونسي أن الحواريين قال الله عنهم في القرآن: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٥٢).

ولم يذكر القرآن صراحة ما يدينهم ولا ما يخدش إيمانهم أو يجرح إسلامهم وصدقهم.

ولكن أين الصحيح في هذه القصة؟

وأفضل ما وجدته في تفسير هذه القصة - قصة المائدة، ما ذكره الشيخ السعدي رحمه الله (٢٤٨ - ٢٤٩) في تفسيره، فقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في

قدرة الله تعالى، واستطاعته على ذلك، وإنما من باب العرض والأدب منهم، ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافيًا للانقياد للحق، وكان هذا الكلام صادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسى عليه السلام فقال: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدرى ما يكون بعدها شيئًا.

فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك فـ﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ بالإيمان حين نرى الآيات العيانية، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. كما سأل الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾، أي: نعلم صدق ما جئت به، أنه حق وصدق، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ فتكون مصلحة لمن بعدنا، ونشهدها لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك.

فلما سمع عيسى عليه السلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾، أي يكون وقت نزولها عيدًا وموسمًا، يتذكّر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرار السنين.

كما جعل الله تعالى أعياد المسلمين، ومناسكهم مذكرًا لآياته، ومنبهًا على سنن المرسلين وطرقهم القويمة، وفضله وإحسانه عليهم ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، أي: اجعلها لنا رزقًا، فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقًا.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عنادًا وظلمًا، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد.

وبمثل هذا قال العلامة أبو شهبة ـ رحمه الله ـ.

* * *

# إسرائيليات وموضوعات فى قصص بعض الأنبياء[1]
# أيوب ـ إلياس والخضر ـ حزقيال النبى

## (١) إسرائيلية طويلة فى قصة أيوب عليه السلام:

وقد وردت قصة أيوب فى القرآن مرتين:

**الأولى**، فى سورة الأنبياء فقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣، ٨٤).

وقال جلّ وعزّ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۝ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص: ٤١ ـ ٤٤).

وكالعادة امتلأت صحف التفسير ببعض الأخبار الكاذبة.

* فقد روى الطبرى أثرًا برقم (٢٤٧١٨) عن وهب بن منبه استغرق هذا الأثر ثمانى صفحات (٨ صفحات) من القطع الكبير أى بما يوازى سفرًا كاملاً من أسفار التوارة ولعله هو (سفر أيوب).

* ثم عاد ليروى نفس الأثر باختصار عن (محمد بن إسحاق عمن لا يُتهم عن وهب ابن منبه) فافطن وتنبه.

* ثم رواه (٢٤٧٢٧) عن الحسن البصرى، ونذكره لأنه سيفى بما نريد، وليس فيه الطول المتواجد عند وهب، وإن كنا نرى بدءًا أن الأثر إنما نقله الحسن عن هؤلاء من مسلمة أهل الكتاب، فيقول:

(إن أيوب آتاه الله مالاً وولداً وأوسع عليه، فله من الشياه، والبقر والغنم، والإبل، وإن عدو الله إبليس قيل له: هل تقدر أن تفتن أيوب؟

قال: ربّ إنّ أيوب أصبح فى دنيا من مالٍ وولدٍ فلا يستطيع إلا شكرك فسلطنى على

(١) سيلاحظ القارئ الكريم أننا هنا لم نتوسع فى ذكر الإسرائيليات، وإنما ذكرنا ما وجدناه مشتهرًا بين عوام الناس، وتركنا ما لم يكن مشتهرًا بغية نسيانه، ودفنه فلعل فى كتمانه خيرًا كثيرًا.

ماء فاغتسل منها فلم يبق من دائه شيء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله عنه كل ألم وكل سقم وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان، ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى، فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج. فقام صحيحًا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئًا مما كان له أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له، حتى ذكر لنا أن الماء الذى اغتسل به تطاير على صدره جراد من ذهب، فجعل يضمه فأوحى الله إليه: (يا أيوب ألم أغنك عن هذا) قال: بلى، ولكنها بركتك فمن يشبع منها؟ فخرج حتى جلس على مكان مشرف، ثم إن امرأته قالت: أرأيت إن كان طردنى إلى من أكِلُه؟ أدعه يموت جوعًا، أو يضيع فتأكله السباع؟ لأرجعن إليه، فرجعت فلا كناسة تُرى، ولا تلك الحال التى كانت، وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى، وذلك بعين أيوب، وهابت صاحب الحُلة أن تأتيه فتسأل عنه فأرسل إليها أيوب فدعاها فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت. وقالت: أريد ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة، لا أدرى أضاع أم ما فعل؟ قال لها أيوب: ما كان منك؟ فبكت، وقالت: بعلى، فهل رَأَيْتَهُ، فقال: وهل تعرفينه إذا رَأَيْتِهِ؟ قالت: وهل يخفى على أحدٍ رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وبعرفها به. ثم قالت: أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحًا، قال: فإنى أيوب الذى أمرتنى أن أذبح للشيطان، وإنى أطعت الله وعصيت الشيطان، ودعوت الله فردّ علىّ ما ترين.

ثم إن الله رحمها لصبرها على البلاء فأمره تخفيفًا عنها أن يأخذ جماعةً من الشجر فيضربها ضربةً واحدة تخفيفًا عنها بصبرها معه. اهـ.

**تعقيب على هذه الرواية:**

(١) نسبت هذه الرواية إلى الحسن البصرى - رحمه الله - والحسن لم يكن قاصًا ولا واعظًا، نعم كان الرجل يرسل أحاديث كثيرة، وعرف ذلك عنه، ولكن ما عرفنا عنه تلك الملكة القصصية، أو ذلك الانحرف العقدى الذى يجعل من الشيطان لا موسوسًا فقط؛ بل مسلط على نبى من أنبياء الله عز وجل الذين لا سلطان للشيطان عليهم وإلا شكك المشككون فيما جاءوا به من شرائع، وأوامر يتنزل بها الوحى عليهم، وهذا ما يريده الزنديق.

ولم نعلم عن الحسن البصرى أنه كان زنديقًا بمعنى أنه يقول (بالثنوية) وهى ديانة (مانى) أو المانوية التى تقول بإله للخير وإله للشر، وإله للنور وإله للظلمة، وهى ما تنجلى واضحة فى هذه القصة، فالمواهب الشيطانية بالإحراق، والإمراض، والنفع

والضر قدرات لا تنسب إلا لله تعالى لا يصح نسبتها لأحدٍ من خلقه، وما أضعف الشيطان عن ذلك كله، إنها رائحة الزندقة التى تفوح من هذه القصة المكذوبة.

ولم نعرف عن الحسن البصرى أيضًا انحرافًا عقديًّا يجعله يصور نبيًّا من أنبياء الله يلقى على الكناسة، نعم (الكناسة ـ المزبلة)، هكذا كما ورد فى هذه القصة الغريبة.

إنه مجرد اسم جرى على لسان الكذّاب لينوع فى أكاذيبه فألصقها بالحسن البصرى رحمه الله.

**● رأى سديد للقرطبى رحمه الله:**

(٢) أما القرطبى فإنه قال معقبًا على هذا السفه: (إن الله لا يكلم الكفار الذين هم من جند إبليس الملعون؛ فكيف يكلم من تولى إضلالهم؟

وأما قولهم: إنه نفخ فى جسده حين سلطه عليه فهو أبعد، والبارى سبحانه قادرٌ على أن يخلق ذلك كله من غير أن يكون للشيطان فيه كسبٌ حتى تقر له ـ عليه لعنة الله ـ عين بالتمكن من الأنبياء فى أموالهم وأهليهم وأنفسهم... وقال ابن العربى القاضى أبو بكر رضى الله عنه: ولم يصح عن أيوب فى أمره إلا ما أخبرنا الله عنه فى كتابه فى آيتين: الأولى قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ (الأنبياء: ٨٣)، والثانية فى (ص) ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١)، وأما النبى ﷺ فلم يصح عنه أنه ذكره بحرفٍ واحدٍ، إلا قوله: «بينما أيوب يغتسل إذ خرّ عليه رجل من جراد من ذهب..» الحديث، وسيأتى بتمامه.

وإذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة إلا ما ذكرناه، فمن الذى يوصل السامع إلى أيوب خبره، أم على أى لسان سمعه؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فأنها لا تعطى فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً)[١].

(٣) وحكم فضيلة الدكتور الذهبى على القصة بالوضع والكذب، فقال: (إنها بلا شك رواية موضوعة مكذوبة، بل ومدسوسة على القرآن، ويمكن دفعها عقلاً ونقلاً فالعقل لا يقبل بحالٍ من الأحوال، أن يكون أى داعية إلى مبدأ أو عقيدة فيه كل هذه المنفرات، التى تصد الناس عنه، وتباعد بينهم وبينه)[٢].

---

(١) القرطبى (١٥/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).

(٢) د. الذهبى ـ الإتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن ص٣٦.

ماله وولده فسترى كيف يطيعنى ويعصيك[1]، فسُلِّط على ماله وولده فكان يأتى الماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران[2]، ثم يأتى أيوب وهو يصلى متشبهًا براعى الغنم فيقول: يا أيوب تصلى لربك؟ ما ترك الله لك من ماشيتك شيئًا من الغنم إلا أحرقها بالنيران، وكنت ناحية هناك فجئت لأخبرك. فيقول أيوب: اللهم أنت أعطيت وأنت أخذت مهما يبق شىء أحمدك على حُسْن بلائك. فلا يقدر منه على شىء مما يريد، ثم يأتى ماشيته من البقر، فيحرقها بالنيران، ثم يأتى أيوب فيقول له ذلك، ويرد عليه أيوب مثل ذلك، وكذلك فعل بالإبل حتى ما ترك له ماشية حتى هدم البيت على ولده فقال:

يا أيوب، أرسل الله على ولدك من هَدَم عليهم البيوت، حتى يهلكوا فيقول أيوب مثل ذلك. وقال: رب هذا حين أحسنت إلىّ الإحسان كله قد كنتُ قبل اليوم يشغلنى حب المال بالنهار ويشغلنى حب الولد بالليل شفقة عليهم، فالآن أفرغ سمعى لك وبصرى وليلى ونهارى بالذكر والحمد والتقديس والتهليل. فينصرف عدو الله من عنده ولم يصب منه شيئًا مما يريد، ثم إن الله تعالى قال:

كيف رأيت أيوب؟ قال: إبليس: إن أيوب قد علم أنك سترد عليه ماله وولده، ولكن سلطنى على جسده فإن أصابه الضرّ فيه أطاعنى وعصاك. فسُلط على جسده، فأتاه فنفخ فيه نفخة أقرح من لدن قرْنه إلى قدمه!!، فأصابه البلاء بعد البلاء حتى حمل فوضع على مزبلة كناسة لبنى إسرائيل، فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير (رحمة) صبرت عليه، تصدق عليه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه إذا حمده، وأيوب على ذلك لا يفر من ذكر الله والتحميد والثناء على الله والصبر على ابتلاء الله، فصرخ إبليس صرخة جمع فيه جنوده من أقطار الأرض جزعًا من صبر أيوب، فاجتمعوا إليه وقالوا له:

اجتمعنا إليك، ما أحزنك؟! ما أعياك؟ قال: أعيانى هذا العبد الذى سألت ربى أن يسلطنى على ماله وولده، فلم أدع له مالاً ولا ولدًا فلم يزدد بذلك إلا صبرًا وثناء على الله تعالى وتحميدًا له، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة بنى إسرائيل لا تقربه إلا امرأته، قد افتضحتُ بربى، فاستعنت بكم لتعينونى عليه، فقالوا له: أين

(١) هذه تحديدًا هى صورة (إله اليهود) من السهل خداعه، والاحتيال عليه بمعسول الكلام، أو قبوله التحدى!! تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

(٢) سبحان الله، والله لا يحب الفساد.

مكرك؟ أين علمك الذى أهكلت به من مضى؟

قال: بطل ذلك كله فى أيوب، فأشيروا على. قالوا: نشير عليك، أرأيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ من أين أتيته؟

قال: من قِبَل امرأته. قالوا: فشأنك بأيوب من قبل امرأته، فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها. قال: أصبتم، فانطلق حتى أتى امرأته وهى تصدق، فتمثّل لها فى صورة رجل، فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قلت: ها هو ذاك يحك قروحه ويتردّد الدود فى جسده، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوضع فى صدرها فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدواب، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضرر، وإن ذلك لا ينقطع عنهم أبدًا فصرخت، فلما صرخت علم أن قد جزعت فأتاها بسخلة فقال:

ليذبح هذا أيوب ويبرأ، فجاءت تصرخ: يا أيوب، يا أيوب... حتى متى يعذّبك ربك؟ ألا يرحمك؟ أين المال؟ أين الشباب؟ أين الولد؟ أين الصديق؟ أين لونك الحسن الذى بلى وتلدد فيه الدواب؟ اذبح هذه السخلة واسترح. قال أيوب:

أتاك عدوّ الله فنفخ فيك، فوجد فيك رِفقًا فأجْبته، ويلكِ أرأيتِ ما تبكين عليه مما تذكرين مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب من أعطانيه؟ قالت: الله.. قال: فكم متعنا؟ قالت: ثمانين سنة. قال: فمذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء الذى ابتلانا به؟ قالت: سبع سنين وأشهرًا. قال: وَيلَكِ... والله ما عدلتِ ولا أنصفتِ ربك، إلا صبرت حتى نكون فى هذا البلاء الذى ابتلانا ربنا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة، والله لئن شفانى الله لأجلدنّك مائة جلدة حيث أمرتنى أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الذى أتيتنى به علىّ حرام أن أذوق شيئًا مما تأتى به بعد ذلك إذ قلت لى هذا، فاغربى عنى فلا أراكِ. فطردها فذهبت، فقال الشيطان: هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذى هو فيه، فباء بالغلبة ورفضه، وانظر إلى أيوب قد طرد امرأته وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق، ومرّ به رجلان وهو على تلك الحال ولا والله، ما على ظهر الأرض يومئذٍ أكرم على الله من أيوب فقال أحد الرجلين لصاحبه:

لو كان لله فى هذا حاجة ما بلغ به هذا. فلم يسمع أيوب شيئًا كان أشد عليه من هذه الكلمة، فقال: رب ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ثم رد ذلك إلى الله، فقال: ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فقيل له: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ (ص:٤٢)، فركض برجله فنبعت عين

(٤) وقال العلامة أبو شهبة: (الحق: أن نسج القصة مهلهل، لا يثبت أمام النقد، ولا يؤيده عقل سليم، ولا نقل صحيح، وأن ما أصيب به أيوب من المرض، إنما كان من النوع غير المنفر، والمقزز وأنه من الأمراض التى لا يظهر أثرها على البشرة، كالروماتيزم، وأمراض المفاصل، والعظام ونحوها، ويؤيد ذلك أن الله لما أمره بضرب الأرض بقدمه، فنبعت عين فاغتسل منها وشرب، فبرأ بإذن الله، وقيل: إنه ضرب الأرض برجله فنبعت عين حارة، فاغتسل منها وضربها مرة أخرى، فنبعت عين باردة فشرب منها، والله أعلم بالصواب، وظاهر القرآن عدم التعدد فى الضرب ولا فى نبع الماء[1].

**(٥) ولكن أين الحق؟ وما هو التفسير الصحيح لهذه الآيات؟**

(أ) نقر أولاً بأن الإشكالية كان مردها قوله تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١) لكنها إشكالية خفيت على من لا يعرف الأدب مع الله تعالى.

(ب) فإن من عادة الأنبياء التحرز من نسبة الشر إلى الله تعالى كما وضحها النبى ﷺ «والشر ليس إليك». رواه مسلم.

(جـ) ومن هذه النماذج: قول نبى الله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠). وقول نبى الله يوشع بن نون لموسى عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ (الكهف: ٦٣). وقول الخضر عليه السلام عن السفينة رغم أنه مأمور بخرقها: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ (الكهف: ٧٩).

فنسب العيب إلى نفسه رغم أنه القائل: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ (الكهف: ٨٢).

وهكذا فعل أيوب عليه السلام فتارة ينسب المرض للشيطان، وأخرى يقول: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ولو جرينا على منهج هؤلاء لتصورنا الضرُّ مخلوقًا يؤذى ولرسمنا له شكلاً ووهمًا، لقد فهم القَصَّاص الأمر خطأ فملأ الدنيا كذبًا لأنه فهم فهمًا غير صحيح ثم حكم بمقتضاه. وممن قالوا بهذا القرطبى (١٥/ ٢٠١).

وقد روى البخارى فى قصة أيوب عليه السلام حديثًا عن أبى هريرة رضى الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أيوب يغتسل عريانًا خرّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيوب يحثى فى ثوبه، فناداه ربه عَزَّ وَجَلَّ: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عمّا ترى؟ قال: بلى يا رب ولكن لا غنى لى عن بركتك»[2].

(١) الإسرائيليات والموضوعات ص٢٨١ .

(٢) صحيح البخارى (٣٣٩١) فى أحاديث الأنبياء.

**(٢) خرافة إلياس والخضر عليهما السلام:**

* روى ابن عساكر بسند فيه الحسن بن رزين عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعًا، قال: (يلتقى الخضر وإلياس كل عام فى الموسم (الحج) فيحلق كل واحدٍ منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله ما يصرف الشر إلا الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله) قال ابن عباس: من قالهن حين يصبح ويمسى ثلاث مرات أمنّه الله من الغرق والحرق والسرق. قال: وأحسبه قال: ومن الشيطان والحية والعقرب.

**قلت:** وقال ابن كثير: فيه ابن جريج، وفيه الحسن بن رزين وحديثه غير محفوظ.

وقال ابن عدى: ليس بالمعروف عندى.

وقال أبو الحسين بن المنادى: هو حديث واهٍ بالحسن بن رزين.

* وروى ابن عساكر أيضًا عن على بن الحسن الجهضمى - وهو كذاب[1] - عن ضمرة ابن حبيب المقدسى عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيرى عن عبد الله بن الحسن عن أبيه عن جده على بن أبى طالب مرفوعًا، قال: (يجتمع كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر) وذكر حديثًا طويلاً موضوعًا قال عنه ابن كثير فى البداية (١/ ٤٨٠) تركنا إيراده قصداً ولله الحمد.

ثم قال ابن كثير (١/ ٤٨١) فى البداية: (وكل الأحاديث المرفوعة - أى هنا - ضعيفة جدًّا لا يقوم بمثلها حجة فى الدين والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف فى الإسناد، وقصارها أنها صحيحة إلى من ليس بمعصومٍ من صحابى أو غيره لأنه يجوز عليه الخطأ والله أعلم.

وما ذكرناه من أدلة وفاة الخضر عليه السلام يصلح هنا لدفع هذه الأحاديث وردها.

**(٣) النبى حزقيال** و﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

* وهو قول الحق عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣).

---

(١) فالحديث موضوع.

وقد نقل الرواة كابن جرير (٥٦٠١ ـ ٥٦٠٥) في تفسيره، والسيوطي (١/ ٧٤٢ ـ ٧٤٣) في الدر المنثور هذه القصة عن وهب بن منبه، ونسبوها إلى ابن عباس من طريق السُّدي، ومن طريق العوفي وهو ضعيف وملخص الرواية من مجموع ما وجدناه كالآتي:

هم قوم من بني إسرائيل، كانوا إذا وقع فيهم الطاعون خرج أغنياؤهم وأشرافهم، وأقام فقراؤهم وسفلتهم فاستحرّ القتل على المقيمين ولم يصب الآخرين شيء، فلما كان عام من تلك الأعوام، قالوا: لو صنعنا كما صنعوا نجونا، فطُعنوا جميعًا فأرسل عليهم الموت فصاروا عظامًا تبرق، فجاءهم أهل القرى فجمعوهم في مكان واحد، فمرّ بهم نبيّ فقال:

يا رب لو شئت أحييت هؤلاء فعمروا بلادك وعبدوك، فقال: قل كذا وكذا، فتكلم به، فنظر إلى العظام تركب، ثم تكلم فإذا العظام تكسى لحمًا، ثم تكلم فإذا هم قعود يسبحون ويكبرون، ثم قيل لهم ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٤٤).

وروى وهب أن حزقيل كان ينادي فيقول: أيتها العظام أن الله يأمرك أن تجتمعي، فتجتمع، ويقول: أيتها العظام، إن الله يأمرك أن ينبت العصب والعقب فتلازمت واشتدت إلى غير هذا الهراء المروي نقلاً عن سفر حزقيال (٣٧/ ١ ـ ١٠)، بل وتزيد عليه في الخرافات.

وأعجب ما وقعت عليه عيني هو قول نسبه الشيخ الغُماري ـ رحمه الله ـ في بدع التفاسير ص ٢٨ للشيخ محمد عبده رحمه الله، قال: (إن الموت هو الاحتلال، والحياة هي الاستقلال) ورحم الله الشيخ وغفر له.

وقد ذكر الشوكاني (١/ ٢٦٢) في فتح القدير هذه الروايات وقال: (ولا يتأتى الاستكثار من طرقها بفائدة).

**والتفسير الصحيح لهذه الآية:**

يأتي بربطها بقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء: ٧٧).

إن كلا الفريقين: فريق المسلمين المذكورين هنا، وفريق أهل الكتاب خاف من القتال فإذا بالقرآن يستخدم نفس التعبير ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لأنها صفة - أى الخوف من الموت - لا تليق بمسلم أو مؤمن بالله تعالى، فأما فريق أهل الكتاب فأماتهم الله وأحياهم وأعلمهم بأن الموت إن لم يكن فى ساحة الميدان، فهو بغيرها واقع.

وأما أهل الإسلام فأعلمهم أنهم مهما اتخذوا من إجراءات وقائية ولو كانت بروجًا مشيدة لنالهم الموت وتسلط عليهم، وفى كلا الحالتين متاع الدنيا قليل، والآخرة خيرٌ للجميع إن آمن وجاهد.

وهذا ما قال به الشنقيطى، والأستاذ سيد قطب فى الظلال.

* وقال ابن عطية (٢/ ٣٤٥) فى المحرر الوجيز عن القصة المروية عن أهل الكتاب والصحيح فيها، وهذا القصص كله لين الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمدً ﷺ إخبارًا فى عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، ليروا هم وكلٌّ خلف من بعدهم أن الإماتة هى بيد الله تعالى لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف، ولا اغترار مغترٍ، وجعل الله هذه الآية بين يدى أمر المؤمنين من أمة محمد ﷺ بالجهاد.

**قلت:** وهذا ما تستريح إليه النفوس.

*** 

# إسرائيليات فى قصة فتية الكهف

وهذه القصة ذكرها الله تعالى فى القرآن فى سورة الكهف من الآيات من قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ٩-١١) إلى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٢٢).

**قلت:** وأنا أزعم هنا أن التشديد جاء على أمة الإسلامة فى عدم استفتاء أهل الكتاب

فى هـذه القصة أكثر من غيرها ، والنهى هـنا على سبيل الوجوب ، والله أعلم ، وإنها ـ أى الآية ـ رغم نزولهـا بمكة إلا أن الله تـعالى شـدد على هـذه الأمة ألا تنقل عـن أهل الكتاب شيئًا فى وقت لم تكـتمل فيه الشريعة أن يتنـزل كل القصص القرآنى ، لكنهـا قاعدة أقرها القرآن مبكرًا حتى تكـون أساسًا يسير على هداه المسلمون ، فلا حاجة لهم بأهل الكتاب ، وإنما الاكتفاء بما جاء من عند الله تعالى ، وهكذا فليكن الأمر فى بقية القصص القرآنى .

**وأما الإسرائيليات الواردة فيهم فقد جاءت فى هذه النقاط:**

(١) **اسم أصحـاب الكهف:** فقـال الطـبرى (٢٢٩٠٨) : إن أسمـائهم ـ فـى رواية ابن عبـاس ـ (مكسملينا ، ومحسملينـا ، ويمليخـا ، ومرطـوس ، وكشـوطوش ، وبـيرونس ، ودينموس ، ويطونس قالوس) . وبذلك جعلهم ثمانية .

(٢) وفى نفس النص جعلوا اسم الملك (دقيانوس) وهو ملك من ملوك الروم . واسم مدينتهم (أُفسوس) .

(٣) ولأن النص يستغرق خمس صفحات كاملة من القطع الكبير فمن الصعب رصده ولكن نـذكر أعلام مـا جاء فيه من الإسـرائيليات ، فقد ذكـر أن اسم الجبل الـذى عليه الكهف (بناجلوس) .

واسم الكهف حيزم ، وقيل : قطمير .

واسم الكلب خمران ، وأن لونه أحمر .

(٤) وأن أصحاب الكهـف لما ناموا فى كهفهم وفقدهم دقـيانوس قام اثنان من المؤمنين يكتـمان إيمـانهمـا بكتـابة أسـمائهـم على لـوح (ولوحـين من رصـاص ، والمؤمـنان هـما : بيدروس ، وروناس) .

(٥) وزعموا أن الرقيم هو المكتوب عليهم أسماءهم ، وقيل : هو من (كتاب مرقوم) .

وقال القرطبى (١٠/ ٣٦٥) الرقيم : كلبهم ، وهو قول الشعبى وأنس بن مالك .

وقال عكرمة : الرقيم : الرواة .

وقيل : الرقيم : اللوح من الذهب تحت الجدار الذى أقامه الخضر ! !

وقيل : رقمة الوادى ، أى : مجرى الماء .

(٦) وذكـروا من طـريق سفـيان قـال رجل بـالكـوفـة يقـال له : عـبيد وكـان لا يتهم بـالكذب ، وقال : رأيت كلب أصحاب الكهف أحمر كأنه كساء إنبجانى (بلد اسمها إنبج تصنع الأكسيات) ! !

(٧) وقد روى الثعلبى فى عرائس المجالس (٤٢١ ـ ٤٢٨) قصة مكذوبة كرواتها ذكروا فيها أمورًا كذب لا يصح نسبتها إلى فسّاق الأمة فكيف بصحابة النبى ﷺ.

**أقوال المحققين والمفسرين:**

(١) قال ابن عطية (١٠/ ٣٦٧) فى المحرر الوجيز: يظهر من هذه الروايات أنهم كانوا قومًا مؤرخين للحوادث، وذلك من نبل المملكة، وهو أمر مفيد، وهو بذلك قد حلّ إشكالية الرقيم.

(٢) وبسند صحيح، قال ابن عباس: كل القرآن أعلمه إلا حنانًا، والأواه، والرقيم، وجاء أكثر من طريق يؤيد هذه الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) وقال القرطبى (١٠/ ٣٦٨) فى تفسيره: وأما أسماء أهل الكهف فأعجمية والسند فى معرفتها واهٍ.

(٤) وقال ابن كثير فى تفسيره (٥/ ١٠٨): وقد أخبر الله تعالى بهذه القصة، وأراد منا فهمها وتدبرها، ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف فى أى البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه، ولا قصد شرعى.

ثم قال: (٥/ ١٠٩): واختلفوا فى الكلب ـ فى لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها، ولا دليل عليها ولا حاجة إليها، بل هى مما ينهى عنه، فإن مستندها رجم بالغيب.

* ثم أجمل هذا كله (٥/ ١١٢)، فقال: (وفى تسميتهم بهذه الأسماء، واسم كلبهم نظر فى صحته، والله أعلم).

فإن غالب هذا متلقى من أهل الكتاب، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا﴾ أى سهلاً لينًا، فإن الأمر فى معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ أى فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجمًا بالغيب، أى من غير استناد إلى كلام معصوم، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذى لا شك فيه ولا مرية فيه، فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال.

* وقال الألوسى (١٥/ ٣١٤) فى روح المعانى: (لم يأت فى الحديث الصحيح كيفية اجتماعهم وخروجهم ولا معول إلا على ما قصّ الله تعالى من نبئهم).

إذن فلنتوقف مع ما جاء به القرآن ولا حاجة لنا لعلم من يرجم بالغيب!!

* * *

# الإسرائيليات والموضوعات فى قصة ذى القرنين

وهو المذكور فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٣ - ٨٥) وذكر المفسرون هنا إسرائيليات وموضوعات منها:

**(١) الإسكندر المقدونى ليس ذا القرنين:**

ما رفعوه كذبًا إلى النبى ﷺ من طريق ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن شيخين من تجيب أحدهما قال لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث، قالا: فأتياه فقالا: جئنا لتحدثنا، فقال: (كنت يومًا أخدم رسول الله ﷺ فخرجت من عنده فلقينى قومٌ من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ، فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه، فأخبرته فقال: (ما لى وما لهم، ما لى علمٌ إلا ما علمنى الله)، ثم قال: (اسكب لى ماءً) فتوضأ ثم ﷺ. قال: فما فرغ حتى عرفت السرور فى وجهه، ثم قال: (أدخلهم علىّ، ومَنْ رأيت من أصحابى) فدخلوا فقاموا بين يديه. فقال: (إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه فى كتابكم مكتوبًا، وإن شئتم أخبرتكم) قالوا: بلى أخبرنا. قال: (جئتم تسألون عن ذى القرنين، وما تجدونه فى كتابكم: كان شابًا من الروم، فجاء فبنى مدينة مصر الأسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلا به فى السماء. فقال له: ما ترى؟ قال: أرى مدينتى ومدائن. ثم علا به. فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتى. ثم علا به. فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض. قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن الله بعثنى إليك تعلم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السَّد. وهو: جبلان لينان يزلق عنهما كل شىء، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى حتى قطع به هؤلا إلى أمة أخرى قد سمّاهم)[1]. اهـ.

وفى الحديث سوآت، وعلل تقدح فيه:

(١) فيه ابن لهيعة المصرى شيخ احترقت كتبه فنسى.

---

(١) ذكر الحديث الطبرى (٢٣٢٧٥) فى تفسيره (٨/ ٢٧٠ - ٢٧١).

(٢) وفيه عبد الرحمن بن زياد أنعم الأفريقى، وهو قاضى أفريقية ضعيف من السابعة.

(٣) وفيه جهالة رجلين من تجيب، ومن هنا تأتى المصائب.

* وقال ابن كثير (٥/ ١٤٣) فى تفسيره: (وقد أورد ابن جرير حديثًا أسنده وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر أن نفرًا من اليهود جاءوا يسألون النبى ﷺ عن ذى القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداءً، فكان فيما أخبرهم. . وذكر الحديث ـ ثم قال: وفيه طول ونكارة، ورفعه لا يصح، وأكثر ما فيه أنه من أخبار بنى إسرائيل.

ووضح ـ رحمه الله ـ أن ذا القرنين مؤمن، أما الأسكندر المقدونى فهو ابن فيليبس المقدونى الذى تؤرخ به الروم، وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور. وقال فى البداية (٢/ ٤٨٤): (والإسكندر هو ابن فيليبس المقدونى بانى الأسكندرية، وكان متأخرًا عن الأول بدهر، وكان قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطاطاليس وزيره، فمن قال إنه هو وقع فى خطأ كبير وفساد عريض طويل، فإن ذا القرنين عبد مؤمن صالح، وملك عادل، وأما الثانى فكان مشركًا وكان وزيره فيلسوفًا).

**(٢) خيالات وأوهام فى سر تسميته بـ (ذى القرنين):**

* قال الطبرى (٢٣٢٧٩) عن وهب بن منبه: كان ذو القرنين ملكًا. فقيل له: فلِمَ سُمى ذا القرنين؟ قال: اختلف فيه أهل الكتاب. فقال بعضهم: مَلَك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان فى رأسه شبه القرنين، وقال آخرون: إنما سمى ذلك لأن صفحتى رأسه كانتا من نحاس.

* وروى الطبرى عن على بن أبى طالب (٢٣٢٧٦ ـ ٢٣٢٧٧ ـ ٢٣٢٧٨) أنه قال: كان ذو القرنين عبدًا صالحًا ناصح الله فناصحه، فدعا قومه إلى الله، فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين!

وهذه أباطيل لم يثبت عن المعصوم ﷺ فيها من حديث صحيح، ولذا نقول بردها، ولا نعلم تسميته بذلك.

**(٣) يربط خيله فى الثريا:**

والثريا نجم بعيد فى السماء، ولكن ما علاقته بذى القرنين؟

* روى ابن لهيعة أن معاوية بن أبى سفيان قال لكعب الأحبار: أنت تقول أن ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ قال كعب: إن كنت قلت ذلك فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا

مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىۡءٍ سَبَبًا﴾ .

* وأقول بدءًا : أن ابن لهيعة ضعيف فى الحديث .

* ولكن ابن كثير التقط الخيط هنا ، وربط بين الحادث وبين ما صح عن معاوية - كما فى صحيح البخارى - أنه قال عن كعب : (وإن كنا لنبلو عليه الكذب) . فقال ابن كثير (٥/ ١٤٤) : وهذا الذى أنكره معاوية على كعب الأحبار هو الصواب ، والحق مع معاوية فى ذلك الإنكار ، فإن معاوية يقول عن كعب : (وإن كنا لنبلو عليه الكذب) يعنى فيما ينقله لا أنه كان يتعمد نقل ما ليس فى صحيفته ، ولكن الشأن فى صحيفته أنها من الإسرائيليات التى غالبها مبدلٌ ومحرف ومختلق ، ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى شىء منها بالكلية ، فإنه دخل على الناس منها شر كثيرٌ وفساد عريض . . . وتأويل كعب غير صحيح ولا مطابق ، فإنه لا سبيل للبشر إلى شىء من ذلك ، ولا إلى الترقى فى أسباب السموات .

وقد قال الله تعالى فى حق بلقيس : ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَىۡءٍ﴾ (النمل : ٢٣) ، أنه مما يؤتى مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسّر الله له الأسباب والوسائل لفتح البلاد ، وكسر الأعداء ، وإذلال أهل الشرك .

* ثم ذكر رواية أخرى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رجلاً سأله كيف بلغ ذو القرنين المشارق والمغارب؟ فقال : سبحان الله سخر له السحاب ، وقدر له الأسباب ، وبسط له اليد .

● **ذو القرنين والخضر، وعين الحياة:**

* وقد ذكر القُصّاص والمفسرون أن وزير ذى القرنين كان هو الخضر - وتمسك بذلك ابن كثير - .

* وذكروا عن ابن وكيع وهو ضعيف جدًّا ، أن ذا القرنين كان له صاحب من الملائكة ، يقال له : زنافيل . فسأله ذو القرنين : هل تعلم فى الأرض عينًا يقال لها عين الحياة؟ فذكر له صفة مكانها ، فذهب ذو القرنين فى طلبها ، وجعل الخضر على مقدمته ، فانتهى الخضر إليها فى وادٍ هنالك فى أرض الظلمات فشرب منها ولم يهتد إليها ذو القرنين .

* ثم عادوا فذكروا أن ذا القرنين التقى بملائكة فى قصر بأرض الظلمات ، فأعطاه ملك حجرًا فلما رجع إلى جيشه وزن الحجر ، وجعلوا فى مقابلته ألف حجر مثله ، فوزنها حتى سأل الخضر ، فوضع قباله حجرًا ، وجعل عليه حفنة من تراب ، فرجح به ،

وقال: هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب فسجد له العلماء تكريمًا له وتعظيمًا والله أعلم.

* وذكر إسحاق بن بشر الكاهلى (الكذاب) عن بعض أهل الكتاب أن ذا القرنين توفى وعمره ثلاثة آلاف سنة[1].

* وذكر السيوطى (٥/ ٣٨٢) خبرًا مطولاً عن وهب بن منبه لم أشأ أن أسود صفحة هذا الكتاب به، فقد ذكر فيه أممًا من الإنس كالبهائم تفترس الوحوش والدواب، وتأكل حشرات الأرض والعقارب والوزغ - البرص - وذكر أوصافًا للإنس تستحيل مع طبيعتهم التى خلقها الله تعالى.

والذى نفسى بيده إنها لأخبار الكذابين والزنادقة.

وما ينبغى أن يعتقد فى ذى القرنين أنه ملك صالح مكن الله تعالى له فى الأرض فأخذ بالأسباب وتوكل على ربه، فقهر الأعداء والمشركين ونشر الإسلام ليكون درسًا لهذه الأمة ومثلاً وقدوة بعد انقطاع النبوة، والله أعلم.

* * *

## الإسرائيليات والموضوعات فى قصة يأجوج ومأجوج

* وقد قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف: ٩٤).

* وقد وردت الأعاجيب فى وصف يأجوج ومأجوج، أعاجيب تشيب له الولدان، فكأنك تطالع قصة من قصص ألف ليلة وليلة حين تطالع أساطيرًا، وخيالات، وأوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

* فقد رفعوا إلى النبى ﷺ حديثًا عن حذيفة فقال: سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: (يأجوج ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلٌ حمل السلاح) قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: (هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز). قلت: وما الأَرْزُ؟ قال: (شجر بالشام طول الشجرة مائة ذراع فى السماء. ثم قال: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا

(١) ومثل هذه الأخبار ستجدها فى تفسير الثعلبى، والسيوطى (٤/ ٢٤١) فى الدر المنثور.

حديد، صنف منهم يفترش إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيلٍ ولا وحشٍ ولا جملٍ، ولا خنزيرٍ إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم يشربون أنهار المشرق، وبحيرة طبْرية).

* ثم عاد السيوطى فروى هذا الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه وزاد فيه: (وساقتهم بخراسان).

* وذكروا عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال: (لا يموت رجلٌ منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل).

* وروى السيوطى أيضًا حديث ابن عمر عن النبى ﷺ: (إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم، ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا، وإن وراءهم ثلاث أمم: تاويل، وتاريس، ومنسك)!!

* وذكر القرطبى أن عليًّا رضى الله عنه قال: صنف منهم فى طول شبر، لهم مخالب وأنياب السباع، وتداعى الحمام، وتسافد البهائم، وعواء الذئاب، وشعور تقيهم الحر والبرد، وآذان عظام إحداها وبرة يُشتون فيها، والأخرى جلدة يصيفون فيها!!

* وقال كعب الأحبار: احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك الماء فهم متصلون بنا من جهة الأب لا من جهة الأم.

● **تعقيب:**

(١) أما الأحاديث التى ذكرها السيوطى فقد حكم هو عليها بالوضع مرتين:

* مرة فى تفسيره حيث قال: روى بإسنادٍ واهٍ.

* والأخرى فى كتاب اللآلئ المصنوعة (١/ ١٩٠).

إذن فلماذا عاد واستشهد بها، وسوَّد صفحة كتابه بمثلها؟ إن هذا ما يجعلنا متحيرين أمام شخصية فذة مشهود لها بالعلم والكفاءة كالسيوطى رحمه الله، وهو الوضع نفسه بالنسبة لبقية الذين نقلوا عن أهل الكتاب من أهل التفسير، فما الحاجة أو الداعى إلى هذا الحشو الذى يعلم كاتب التفسير نفسه قبل تدوينه أنه كذب وافتراء؟!

(٢) أما ما ذكره كعب من أن أصل يأجوج ومأجوج من منى آدم لما احتلم فهذا مردود عليه، فقد قال القرطبى (١١/ ٦٠) فى تفسيره: وهذا مردود عليه وفيه نظر لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يحتلمون. وهذا هو الصحيح فى هذا المجال.

(٣) أن امتلاء الروايات السابقة بالخرافات يجعلنا نشك فيها تمامًا.

* فشجر الأرز المذكور فى الحديث وهو بالشام فعلاً ليس فيه هذه المبالغات الغريبة، ولا أحد يشهد إلا بأنه شجرة عادية للغاية.

* وأما التحاف أحدهم بأذنه، وافتراشه الأخرى، فإنه أمرٌ ما يتفق والبشر وخلقهم وطبيعتهم.

* والأسوأ فى رواية على رضى الله عنه ـ ولا أشك فى أنها مكذوبة عليه ـ قوله بأنهم شبر ثم إذا بهذا الشبر يستحيل مخلب، وأنياب، وشعور طويلة، وآذان عريضة، أذن للصيف وأخرى للشتاء.

* إن هذا لا ننكره من قدرة الله عز وجل؛ لأنه عز وجلّ على كل شىء قدير، ولكن لم يصح بهذا الخبر عن النبى ﷺ، فلتذهب هذه الروايات إلى حيث ألقت. وقد قال ابن كثير ـ رحمه الله فى تفسيره (٥/ ١٤٧): (هذا قول غريب جداً لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم.. وهى أحاديث غريبة لا تصح أسانيدها والله أعلم).

● **الصحيح فى قصة يأجوج ومأجوج:**

(١) **كثرتهم:** فقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى يقول: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: ابعث بعث النار. فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحدٌ إلى الجنة، فحينئذٍ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها. فقال: إن فيكم أمتين ما كانتا فى شىء إلا كثرة يأجوج ومأجوج»[1].

(٢) وأنهم من نسل يافث بن نوح عليه السلام، وبأنهم من خلق الله تعالى، لكن نجهل صورتهم وهيئتهم.

(٣) وأن خروجهم من علامات الساعة كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦). وفى حديث متفق عليه أن النبى ﷺ قال: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه» ـ وحلّق بإصبعه الإبهام والتى تليها ـ. فقالت زينب بنت جحش: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[2].

(١) صحيح: البخارى (٣٣٤٨) فى أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٢٢) فى الإيمان.

(٢) صحيح: البخارى (٣٣٤٦) فى أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٨٠/ ١) فى الفتن.

وفى حديث النواس بن سمعان رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «. . . فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: أنى قد أخرجت عبادًا لى، لا يدان لأحدٍ بقتالهم فحرّز عبادى إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدبٍ ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها. ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماءٌ، ويُحْصَر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خير من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبىُ الله عيسى وأصحابه. فيرسل الله عليهم النَّغف فى رقابهم. فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة. ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسلُ الأرض حتى يتركها كالزّلَقة، ثم يقال للأرض: أنبتى ثمرك. . . »[1]. الحديث.

وزاد فى رواية أخرى[2]: «. . . لقد كان بهذه مرة ماءً ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر - وهو جبل ببيت المقدس - فيقولون: لقد قتلنا من فى الأرض هَلُمَّ فلنقتل مَنْ فى السماء، فيرمون بنشابهم إلى السّماء فيرد الله عليهم نُشَّابهم مخضوبة دمًا. . . ».

● **حديث اختلف فيه العلماء:**

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يَرَون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فسنحفر غدًا، فيعيده الله أشدّ ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذ كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا فستحفره غدًا، إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه، وهو كهيئته يوم تركوه، فيحفرونه، ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم فى حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها الدم الذى اجفظَّ[3] فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفًا فى أقفائهم، فيقتلون بها»، قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده إن دواب الأرض لتسمن، وتشكر شكرًا من لحمهم»[4].

---

(١) صحيح: مسلم (٢٩٣٧/ ١١٠) فى الفتن. باب (٢٠).

(٢) السابق (٢٩٣٧/ ١١١).

(٣) اجفظ: ملأها الدم. والنغف: دود من أنوف الإبل والواحدة. نغفة.

(٤) صحيح: ابن ماجه (٤٠٨٠) وفى الزوائد إسناده صحيح.

وقد قال الحافظ ابن كثير (٥/ ١٤٩) في تفسيره: (وإسناده جيدٌ قوى، ولكن فى متنه ورفعه نكارة شديدة؛ لأن ظاهر الآية يقتضى أنهم قبل خروجهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته. (ثم روى رواية مشابهة لكعب الأحبار) ووافقه على ذلك أبو شهبة ص ٢٤٢، فى «الإسرائيليات والموضوعات».

ولكن ابن كثير عاد فى البداية (٢/ ٤٩١) ليراجع نفسه ـ والظاهر هو الأقوى ـ والله أعلم ـ أنه كتب التاريخ بعد التفسير، فقال رحمه الله ـ: (فإن كان مأخوذًا عن كعب الأحبار، كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤونة، وإن كان محفوظًا فيكون محمولاً على أن صنيعهم هذا يكون فى آخر الزمان عند اقتراب خروجهم)، فجمع بين القولين ـ رحمه الله.

ثم جاء الشيخ الألبانى (٤/ ٣١٤ برقم (١٧٣٥) فى الصحيحة، وقال: (والآية لا تدل من قريب ولا من بعيد على أنهم لن يستطيعوا نقب السد أبدًا، فالآية تتحدث عن الماضى، والحديث عن المستقبل الآتى، فلا تنافى ولا نكارة، بل الحديث يتمشى مع القرآن فى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾.

**قلت:** إن ما لم يتنبه له ابن كثير رحمه الله أن كل المعادن والأبنية إذا تقادمت أكل الزمان عليها وشرب مما تتعرض له من عوامل التعرية، والهواء، والصدأ وغيرها من العوامل التى تساعد على تآكل أى بناء إذا طال عهده، وبين ذى القرنين والساعة أمدٌ طويل أفلا يصح أن السد سيتآكل ويصبح مثل الهدم بالنسبة لهؤلاء؛ أو أنه بفعل محاولاتهم للخروج سيتعرض لذهاب صلابته وقوته وشدته، والله أعلم.

- **رأى وجيه للعلاّمة الشنقيطى رحمه الله فى مكان السد:**

وقد يقول الناس: أين السدّ؟ وهل للوصول إليه من سبيل؟

وقد يطعن الطاعنون فى حقيقة وجود السدّ.

**والجواب:** قال الشيخ الشنقيطى ـ رحمه الله تعالى ـ: (قولكم: لو كانوا موجودين وراء السد إلى الآن لاطلع عليهم الناس!! غير صحيح، لإمكان أن يكونوا موجودين والله تعالى يخفى مكانهم على عامة الناس حتى يأتى الوقت المحدد لإخراجهم على الناس، ومما يؤيد إمكان هذا، ما ذكره الله تعالى فى سورة (المائدة) من أنه جعل بني إسرائيل يتيهون فى الأرض أربعين سنة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (المائدة: ٢٦). الآية، وهم فى فراسخ قليلة من الأرض،

يمشون ليلهم ونهارهم ولم يطلع عليهم الناس حتى انتهى أمد التيه، لأنهم لو اجتمعوا بأناس لبينوا لهم الطريق، وعلى كل حال، فربك فعّال لما يريد وأخبار رسوله ﷺ الثابتة عنه صادقة، وما يوجد بين أهل الكتاب مما يخالف ما ذكرنا ونحوه من القصص الواردة فى القرآن والسنة الصحيحة، زاعمين أنه منزل فى التوراة أو غيره من الكتاب السماوية ـ باطل يقينًا لا يعول علينا. لأن الله جل وعلا صرح فى هذا القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بأنهم بدّلوا وحرّفوا وغيرّوا فى كتبهم)[١]. وهو رأى رائع.

❊❊❊

## الملكوت المزعوم!!
## إسرائيليات فى إرم ذات العماد ـ جبل (ق)

روى أبو طالب المكى (٢/ ٦٩) فى قوت القلوب أن رجلاً قال لأبى يزيد: بلغت جبل قاف؟

فقال: جبل قاف قريب الشأن من جبل كاف، وجبل عين، وجبل صاد.

فقيل له: وما هذا؟ قال: جبال محيطة بالأرضين السُفْلى حول كل أرضٍ جبل بمنزلة جبل قاف.

وكان أبو محمد يخبر أنه صعد لجبل قاف، ورأى سفينة نوحٍ مطروحة فوقه وكان يصفه ويصفها.

وقيل: كان عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف!!

وقيل لأبى يزيد: هل دخلت مدينة إرم ذات العماد؟ فقال: دخلت ألف مدينة لله فى ملكه أدناها ذات العماد!!

هذا هو الملكوت المزعوم الذى ابتدعه زنادقة أهل الكتاب، وسار على هداه المغفلون من المسلمين من طائفة الحمقى ـ وهى طائفة الصوفية ـ وصدق الشافعى إذ قال: (ما لزم أحدٌ هؤلاء وعاد إليه عقله أبدًا).

وهذه هى الحقيقة المرة التى يجب أن يعترف بها الصوفية الحمقى الذين أسسوا بنيانهم

---

(١) أضواء البيان (٢/ ٤٣٢).

على شفا جرفٍ هارٍ، فلقد صحّ فساد الوسيلة والهدف، فما بقى لهؤلاء.

لقد جاء الصوفية ليرثوا عن زنادقة أهل الكتاب أن لله ملكوتًا فى الأرض فيه (إرم ذات العماد) وفيه (جبل قاف) لا يبلغه إلا الأولياء وأصحاب الكرامات ولو صدقوا لقالوا: لا يدخله إلا الحمقى.

ورسموا علامات وأمارات لهذا الملكوت كان أشهرها مدينة (إرم) و(قٓ) والحق أنهم ما كانوا ليبتدعوا هذا الملكوت لولا أن وجْدوا له أصلاً فى كتب التفسير، وهو ما سنحاول أن نفرد له هذه الصفحات القادمة، للوقوف على الإسرائيليات والموضوعات فى مدينة إرم ذات العماد، وجبل (قٓ).

● **إرم ذات العماد:**

وهى مرتبطة بعاد التى ذكرها الله تعالى فى القرآن فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾(الفجر: ٦ ـ ٨) وقد تفنن زنادقة أهل الكتاب ومن سار على هديهم من المسلمين فى صياغة الأباطيل فى قصة عاد، وإرم، فذكروا ما يلى:

* ففى سكان إرم وضعوا حديثًا عن المقدام بن معديكرب عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد فقال: (كان الرجل منهم يأتى إلى الصخرة، فيحملها على كاهله، فيلقيها على أى حىٍّ أراد فيهلكهم). وذكره السيوطى (٨/ ٥٠٦) فى الدر المنثور، وعلامات الاختلاق والوضع ظاهرة عليه.

* وذكر الطبرى (٣٧١٣٤) فى تفسيره عن مجاهد، قال: كان لهم جسم فى السماء.

* وذكر أبو حيان فى البحر المحيط (٤/ ٣٢٥) عن ابن عباس، قال: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعًا. وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم.

وقال وهب بن منبه: كان رأس أحدهم مثل قبة عظيمة، وكان عين الرجل يفرخ فيها السباع والضباع، وكذلك مناخرهم. (فما أحمق الوضاع والكذاب والزنديق).

وورى شهر بن حوشب ـ وهو ضعيف ـ عن أبى هريرة كما عند القرطبى (٧/ ٢٢٨): إن كان الرجل من قوم عادٍ يتخذ المصراعين من حجارة لو اجتمع عليه خمسمائة رجل من هذه الأمة لم يطيقوه، وإن كان أحدهم ليغمز برجله الأرض فتدخل فيها!!

ولعمرى لهذا هو الهراء بعينه وتلك هى الأساطير لمن أرادها، فاقت فى الكذب والتخريف قصص ألف ليلة وليلة، ولو أن أحدنا ليل نهار راح يكذب ما جاء بربعها ولا نصفها، فأين هم من حديث: «إن الله خلق آدم من طوله ستون ذراعًا فى السماء، فلم يزل الخلق ينقص إلى الآن»؟. وهو صحيح متفق عليه.

**● إرم المدينة الأسطورة!!**

وفى (عرائس المجالس) وما أراه إلا (خرافات المجالس) (١٤٤ـ١٤٧) روى الثعلبى (أن رجلاً يقال له: عبد الله بن قلابة ـ والمفروض أنه ابن أبى قلابة ـ كما روى كعب الأحبار كذبًا ـ قد ضلّت له إبل، فبينما هو فى صحارى (عدن) فى تلك الفلوات إذا وقع على مدينة عليها حصن، حول ذلك الحصن قصور عظيمة، وأعلام طوال، فلما دنا منها ظن[١] أنه سيجد فيها من يسأله عن إبله فلم ير فيها أحدًا داخلاً ولا خارجًا فنزل عن ناقته وعقلها، وسلّ سيفه، ودخل من باب الحصن، فإذا هو ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا أعظم منهما ولا أطول، وإذا خشبهما من أطول وأطيب عودٍ، وعليها نجوم من ياقوت أصفر، وياقوت أحمر، ضوؤها قد ملأ المكان.

فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين، فإذا هو لم ير الراءون مثلها قط، وإذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد، على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدًا أخذه الفزع، ثم إنه نظر إلى الأزقة فإذا فى كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجرى فى قنوات من فضة أشدّ بياضًا من الثلج، فقال: هذه الجنة التى وصفها الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلنى الجنة، ثم أنه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيئًا ولا من يواقيتها لأنها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها، وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل فى تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقة فركبها، ثم إنه سار يقفو أثر ناقته حتى

(١) هذا يشبه البطل التائه فى ألف ليلة وليلة يدخل ضالاً الطريق يبحث وينادى ولا مجيب، يتردد صدى صوته من كل مكان حتى يقع على المفاجأة فى النهاية ـ فاحذر يا ابن الإسلام، ويا فتى القرآن.

رجع إلى «اليمن» فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصْفَرّ وتغيّر لونه من طول الزمان الذى مرّ عليه، ففشا خبره حتى بلغ «معاوية بن أبى سفيان» فأرسل رسولاً إلى صاحب (صنعاء) وكتب إليه بإشخاصه، فأشخص حتى قدم معاوية فخلا به، ثم سأله عمّا عاين فقصّ عليه أمر المدينة وما رأى فيها، فاستعظم ذلك «معاوية» وأنكر ما حدّثه به، وقال له: ما أظن ما تقوله حقًّا. فقال له: يا أمير المؤمنين إن معى من متاعها الذى هو مفروش فى قصورها وغرفها، فقال له: وما هو؟

قال: اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران.

فقال له: أرنى إياه، فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك، فشم البنادق فلم يجد لها ريحًا، فأمر ببندقة منها فدُقت، فسطع ريحها مسكًا وزعفرانًا، فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية: كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة، ولمن هى؟ ومَنْ بناها؟ والله ما أُعْطى أحدٌ مثل ما أعطى سليمان بن داود عليهما السلام، وما أظن أنه كان له مثل هذه المدينة. فقال بعض جلسائه: ما كان لسليمان مدينة مثل هذه، وما يوجد خبر هذه المدينة فى زماننا هذا إلا عند كعب الأحبار، فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إليه ويأمر بإشخاصه، ويغيب هذا الرجل فى موضعٍ هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثال[1] هذه الصفة فإن كعبًا سيخبر أمير المؤمنين بخبرها.. فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما حضر قال له:

- يا أبا إسحاق إنى دعوتك لأمرٍ رجوت أن يكون علمه عندك.

فقال له: يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت. سلْ عما بدا لك.

فقال له: يا أبا إسحاق هل بلغك أن فى الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة، وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى، وقصورها وغرفها اللؤلؤ، وأنهارها[2] فى الأزقة تجرى تحت الأشجار.

فقال كعب: والذى نفس كعب بيده لقد ظننت أنى سَأُسْأَل قبل أن يسألنى أحدٌ عن تلك المدينة وما فيها، ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هى؟ ومَنْ بناها؟

أما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين، وعلى ما وصفت له، وأما الذى بناها فشداد بن عاد، وأما المدينة فهى ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ فقال

---

(١) محاولة لتبييض وجه كعب، وإزالة الكذب عنه، وانتصاره على معاوية الذى اتهمه بالكذب من ذى قبل!!

(٢) أى أنهار فى صحراء العرب!!

له معاوية : يا أبا إسحاق حدثنا بحديثها يرحمك الله .

فقال كعب : يا أمير المؤمنين إن عادًا كان له ابنان سمّى أحدهما : شديدًا ، والآخر شدادًا ، فهلك عادٌ ، وبقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد ، وأخذاها عنوة وقهرًا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحدٌ فى زمانهما إلا دخل فى طاعتهما لا فى شرق الأرض ولا فى غربها ! ! وأنهما لما صفا لهما ذلك وقرّ قرارهما مات «شديد بن عاد» ، وبقى «شداد» فملك وحده ولم ينازعه أحد ، وكانت له الدنيا كلها ، وكان مولعًا بقراءة الكتب القديمة ، وكان كلما مرّ فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه فى الدنيا عتوّا على الله تعالى وكفرًا ، فلمّا وقر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هى : (إرم ذات العماد) وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان ، ثم قال لهم : انطلقوا إلى أطيب بقعة فى الأرض ، وأوسعها واعملوا لى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت ، وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف ، واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها ، وأجروا فيها الأنهار تحت الأشجار ، فإنى أرى فى الكتب صفة الجنة ، وإنى أحب أن أتخذ مثلها فى الدنيا وأتعجّل سكناها ، فقالت له قهارمته : كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما وصفت لنا؟ فقال لهم شداد : ألستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدى؟

قالوا : بلى .

قال : فانطلقوا إلى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة ، وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالاً تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الأرض ، ثم انطلقوا إلى ما فى أيدى الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فإن معادن الدنيا فيها كثير من ذلك ، وفيها ما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة .

قال : فخرجوا من عنده وكتب معهم إلى كل ملك فى الدنيا كتابًا يأمره أن يجمع لهم ما فى بلاده من الجواهر وأن يحفر معادنها ، فانطلق هؤلاء القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابًا بأخذ ما يوجد فى مملكته ، فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجونه إلى إرم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة ، وأخذوا موضعًا كما أراد ووصف لهم .

فقال معاوية: يا أبا إسحاق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد؟

قال: كانوا مائتين وستين ملكًا.

قال: فخرج عند ذلك الفَعَلَة والقهارمة، فتفرجوا فى الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك إلا فى أرض (أبْيَن) من بلاد عدن، فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال، وإذا هم بعيون (ماء) مطردة، فقالوا: هذه صفة الأرض التى أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض، والطول ثم جعلوا لها حدودًا محدودة ثم عمدوا إلى مواضع الأزقة التى فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الأنهار، ثم وضعوا الأساس من صخور الجزع اليمانى، وعجنوا طين ذلك الأساس من دهن البان والمحلب، فلما فرغوا من وضع الأساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك إليهم الجواهر والذهب والفضة، فمنهم من بعث بالعمد مضروبة، ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفروغًا منها، فدفعوا كل ذلك إلى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد.

فقال له معاوية: يا أبا إسحاق إنى لأحسبهم أقاموا فى بنائها زمانًا من الدهر.

قال: نعم... ثلاثمائة سنة كما أجدها فى التوراة.

قال: كم كان عمر (شداد) صاحبها؟

قال كعب: كان عمره سبعمائة سنة.

فقال له معاوية: يا أبا إسحاق لقد أخبرتنا خبرًا عجيبًا فحدثنا؟ قال: يا أمير المؤمنين إنما سماها الله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت، وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها، فلذلك قال: ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ . قال كعب: إنهم لما أتوه وأخبروه بفراغهم منها، قال: انطلقوا فاجعلوا عليها حصنًا، واجعلوا الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم، ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى، ويكون عليهم علم من أعلامى عليه ناطور، فرجعوا وقد عملوا تلك القصور والأعلام والحصن، ثم إنهم أتوه فأخبروه بالفراغ مما أمرهم به، قال: فأمر ألف وزير من خاصته أن يهيئوا أسبابهم ويعملوا على النقلة إلى إرم ذات العماد، وأمر رجالاً أن يسكنوا تلك الأعلام وأن يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والأرزاق، وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه أن يتجهزوا إلى إرم ذات العماد فأقاموا فى جهازهم عشرين سنة، ثم سار الملك بمن أراد إلى أرض

(أبين) وخلف من قومه أكثر مما سار به، فلما استقل وسار إليها ليسكنها، وبلغ منها موضعًا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة، بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعًا ولم يبق أحدٌ منهم، ولم يدخل شداد ولا من كان معه إرم ذات العماد، ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة، فهذه صفة (إرم ذات العماد) وإنه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا ويرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يُصدّق!!!.

قال له معاوية: يا أبا إسحاق هل تصفه لنا؟

قال: نعم. هو رجل أحمر أشقر قصير، على حاجبه خال، وعلى عنقه خال يخرج فى طلب إبل له فى تلك الصحارى فيقع على (إرم ذات العماد) فيدخلها ويحمل مما فيها، وكان الرجل جالسًا عند معاوية، فالتفت كعب فرأى الرجل، فقال له:

هو ذاك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فسأله عما حدثتُ به فقال معاوية: يا أبا إسحاق إن الرجل من خدمى ولم يفارقنى.

قال: قد دخلها وإلاّ سوف يدخلها، وسيدخلها أهل هذا الدين فى آخر الزمان.

فقال معاوية: يا أبا إسحاق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء، ولقد أعطيت علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد!!!

فقال: يا أمير المؤمنين والذى نفسى كعب بيده ما خلق الله فى الأرض شيئًا إلا وقد فسّره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيراً، وإن هذا القرآن أشدّ وعيدًا، وكفى بالله شهيدًا ووكيلاً).

● **قصة باطلة ومستحيلة عقلاً ونقلاً:**

وقد ذكر ابن كثير (٨/ ٣٠٨) فى تفسيره قصة تشبهها ثم قال:

قال رحمه الله: «وذكر الثعلبى وغيره أن رجلاً من الأعراب وهو «عبد الله بن قلابة» فى زمان معاوية ذهب فى طلب أباعر له شردت، فبينما هو يتيه فى ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب، فدخلها فوجد فيها قريبًا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التى ذكرها، وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذى قال فلم يروا شيئًا. وقد ذكر ابن أبى حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جدًّا فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها، ولو صح إلى ذلك الأعرابى فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال، فاعتقد أن ذلك له حقيقة فى الخارج وليس كذلك، وهذا مما يقطع بعدم

صحته، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مصاطب تحت الأرض، فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلئ والإكسير الكبير، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها، فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل فى صرفها فى بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم، والذى يُجزم به أن فى الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزًا كثيرة من ظفر بشىء منها أمكنه تحويله، فأمّا على الصفة التى زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح فى ذلك شىء مما يقولون إلا عن نقلتهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادى للصواب».

وخلاصة القول أن المراد بـ (إرم) أنها قبيلة عادٌ لا غير ذلك، ولا زالت قصصهم باقية حتى عهد قريب بنزول القرآن، فعرف العرب قصتهم ونزل القرآن مؤكدًا على ذلك مخوفًا لهم من مصير أسلافهم إن لم يرتدعوا.

● **(أسطورة جبل قٓ):**

وقد ذكر الطبرى (١١/ ٤٠٤) فى تفسيره أن قاف جبلٌ محيط بالأرض.

وذكر السيوطى فى الدر المنثور فى رواية عن ابن عباس: (خلق الله من وراء هذه الأرض بحرًا محيطًا بها، ثم خلق الله من وراء ذلك البحر جبلاً يقال له: (قاف) سماء الدنيا مرفوعة عليه، ثم خلق الله تعالى من وراء هذا الجبل أيضًا مثل تلك الأرض سبع مرات، واستمر على هذا حتى عدّ سبع أرضين، وسبعة أبحر، وسبعة أجبل، وسبع سموات).

وفى هذا الأثر انقطاع، ولو صحّ فإنه من الإسرائيليات. وقال ابن كثير: لا يصح سنده، وإنما رواه الضحاك عن ابن عباس.

* وذكر القرطبى[1] أن وهب بن منبه قال: أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالاً صغارًا.

فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف.

قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هى عروقى وما من مدينة إلا وفيها عرق من

---

(١) القرطبى (١٧/ ٦).

عروقى، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرنى فحركت عرقى ذلك، فتزلزلت تلك الأرض.

فقال له: يا قاف أخبرنى بشىءٍ من عظمة الله.

قال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن ورائى أرضًا مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة عام من جبل من ثلج يحطم بعضها بعضًا، لولا هى لاحترقت من حر جهنم.

قال: زدنى. قال: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله ترعد فرائصه، يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك فأولئك الملائكة وقوف بين يدى الله تعالى منكسو رءوسهم، فإذا أذن الله لهم فى الكلام، قالوا: لا إله إلا الله.

**● التعقيب على هذا الهراء:**

وتالله إنه كلام لا يستحق ثمن المداد الذى كتب به، ولولا أن ذكره المفسرون ما أجهدنا العين بالنظر إليه، وكأنى بالورقة تشتكى إلى الله أن صارت مسرحًا لمثل هذه السخافات، وقد كان ابن كثير رحمه الله مُجيدًا حين ردّ هذه الخرافات فقال فى تفسيره (٧/ ٣٠٣):

وقال بعض السلف (قٓ) جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، وكان هذا والله أعلم من خرافات بنى إسرائيل التى أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يصدق ولا يكذب.

وعندى أن هذا وأمثاله له وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يُلبِسُون به على الناس أمر دينهم، كما افترى على هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبى ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور، وتحريفهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتاب الله وآياته، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم فى قوله: «وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج». فيما قد يُجَوِزُه العقل، فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم.

**وأما الصحيح:** فإن (قٓ) حرف من حروف القرآن كـ ﴿الٓمٓ﴾ ﴿طسٓمٓ﴾ وغيرها لا يعلم مرادها إلا الحق عز وجلّ. فالله الله فى القرآن فإنما هو كتاب الله!!

# الرّجم بالغيب فى آى القرآن
# شجرة طوبى - مكر تزول منه الجبال - جلود غليظة!!

## (١) شجرة طوبى:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ﴾ (الرعد: ٢٩).
ذكر بعض المفسرين - هنا - روايات غريبة تصف شجرة طوبى، بأوصاف لم يرد بها دليل صحيح، من هذه الروايات:

* ما أخرجه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ، عن جعفر - رجل من أهل الشام - قال: (إن ربّك أخذ لؤلؤة فوضعها، ثم دملجها، ثم فرشها وسط الجنة، فقال لها: امتدى حتى تبلغى مرضاتى. ففعلت، ثم أخذ شجرة فغرسها وسط اللؤلؤة، ثم قال لها: امتدى. ففعلت، فلما استوت تفجّرت من أصولها أنهار الجنة، وهى «طوبى»)[١]!!

* وأخرج ابن أبى الدنيا فى «العزاء»، وابن أبى حاتم عن خالد بن معدان - رحمه الله - قال: (إن فى الجنة شجرة يقال لها: (طوبى)، ضروع كلها، ترضع صبيان أهل الجنة، فمن مات من الصبيان الذين يرضعون، رضع من طوبى، وإنّ سقط المرأة يكون فى نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة، فيبعث ابن أربعين سنة!!)[٢].

* وأخرج ابن جرير[٣] وأبو الشيخ، عن (وهب بن منبّه)، قال: (إن فى الجنة شجرة يقال لها: (طوبى)، يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها، زهرها رياط، وورقها برود، وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهى مجلس من مجالس أهل الجنة، ومتحدث بينهم. فبينما هم فى مجلسهم، إذ أتتهم ملائكة من ربهم يقودون خيمًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حُسْنها، ووبرها كخد المرعزى من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون:

---

(١) الدر المنثور (٥/ ١٩٠).
(٢) وفى الحديث الصحيح أن أهل الجنة (مردًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين).
(٣) والأثر عند السيوطى (٥/ ١٩٨).

ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه، فيركبونها، فهى أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش، نجباء من غير مهنة، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا يصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها، ولا تزل راحلة بزلل صاحبتها، حتى أن الشجرة لتنحّى عن طرقهم لئلا يفرق بين الرجل وأخيه، فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا:

اللهم أنت السلام ومنك السلام وحق لك الجلال والإكرام، ويقول عزّ وجلّ عند ذلك: أنا السلام، ومنى السلام، وعليكم حقت رحمتى ومحبتى، مرحبًا بعبادى الذين خشونى بالغيب وأطاعوا أمرى).

فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قدرك، فأْذَنَ لنا فى السجود قدّامك.

فيقول الله عز وجل: إنها ليست بدار نصب ولا عبادة، ولكنها دار نعيم، وإنى قد رفعتُ عنكم نصب العبادة فسلونى ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته، فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: ربّ، تنافس أهل الدنيا فى دنياهم فتضايقوا فيها. ربّ، فائتنى كل شىء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا. فيقول الله عز وجل: لقد قصرت بك أمنيتك، ولقد سألتَ دون منزلتك، هذا لك منى وسأتحفك بمنزلتى؛ لأنه ليس فى عطائى نكد ولا تطريد، ثم يقول:

اعرضوا على عبادى ما لم تبلغ أمانيهم ولم يخطر على بال فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيهم التى فى أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم: براذين[1] مقرنة، على كل أربعة منهم سرير من ياقوتة واحدة، على كل منها قبة من ذهب مفرغة، فى كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، وليس فى الجنة ألوان إلا وهو فيهما، ولا ريح طيبة إلا وقد عبقتا به، ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبّة، حتى يظن من يراهما أنهما من دون القبة، يرى محهما من فوق أسرتهما كالسلك الأبيض من ياقوته حمراء، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل، ويرى هو لهما مثل ذلك، ثم يدخل إليهما فيحيآنه ويعانقانه. ويقولون له: والله ما ظننا أن الله يخلق مثل ذلك ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًا فى الجنة كل رجل منهم إلى منزله الذى أعد.

---

(١) البراذين: ج (برذون) وهو الحصان غير العربى.

وقد قال ابن كثير (٤/ ١٧٥): وهذا سياق غريب وأثر عجيب.

والصحيح: ما جاء في حديث النبي ﷺ عن أبي سعيد الخدري - وهو حديث حسن[١] أنه ﷺ قال: «طوبى شجرة في الجنة، مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها».

وقال البخاري: طوبى: تطلق على الحسنى، وعلى الخير، وعلى شجرة في الجنة، وهي فُعْلى من كل شيء طيب. (البخاري ٢٨٨٧) في باب الجهاد.

**(٢) أكاذيب في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ (إبراهيم: ٤٦).

* روى الطبري برقم (٢٠٩٢٣) عن حجاج عن ابن جرير عن مجاهد: (وقد مكروا مكرهم وإن كاد مكرهم) كذلك قرأها مجاهد: (كاد مكرهم لتزول منه الجبال)، وقال: إن بعض من مضى جوّع نسوراً، ثم جعل عليها تابوتًا فدخله، ثم جعل رماحًا في أطرافها لحمٌ، فجعلت ترى اللحم فتذهب حتى انتهى بصره فنودي: أيها الطاغية أين تريد؟ فصوّب الرماح فتصوبت النسور، ففزعت الجبال وظنت أن الساعة قد قامت، فكادت أن تزول فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

قال ابن جريج: أخبرني عمرو بن دينار عن عكرمة عن عمر بن الخطاب أنه كان يقرأ: (وإن كاد من مكرهم لتزول منه الجبال)!! والقراءتان شاذتان[٢]، وابن جريج أنت الآن أعلم بحاله مِنّا وقد ذكرها ابن كثير (٤/ ٣٦١) وسكت عنها في واحدة من سكتاته غير اللطيفة.

وذكر ابن جرير برقم (٢٠٩٢٦):

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن ابن دانيل، قال: سمعت عليًّا، يقول: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾. قال: ثم أنشأ عليّ يحدث، فقال: نزلت في جبار من الجبابرة، قال: لا أنتهي حتى أعلم ما في السماء، ثم اتخذ نسوراً فجعل يطعمها اللحم حتى غلظت واستعجلت واشتدت، وذكر مثل حديث شعبة.

(١) حسن: الألباني (١٩٨٥) في الصحيحة.

(٢) انظر المحتسب (١/ ٣٦٥) لابن جني.

وذكر برقم (٢٠٩٢٧):

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو داود الحضرمى، عن يعقوب، عن حفص بن حميد أو جعفر، عن سعيد بن جبير: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾. قال: نمرود صاحب النسور، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلاً، ثم أمر بالنسور فاحتمل، فلما صعد قال لصاحبه: أى شىء ترى؟ قال: أرى الماء وجزيرة، يعنى الدنيا، ثم صعد فقال لصاحبه، أى شىء ترى؟ قال: ما تزداد من السماء إلا بعدًا، قال: اهبط، وقال غيره: نودى أيها الطاغية أين تريد؟ قال: فسمعت الجبال حفيف النسور. فكانت ترى أنها أمر من السماء، فكادت تزول، فهو قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾.

إن هذا لهو التكلف بعينه جبارٌ يخدع الجبال، ويمكر مكرًا ما أراه إلا مختلقًا، والأسوأ منه رواية المسلمين لهذه الروايات التى مدارها على سفيان بن وكيع الرؤاسى الذى افترى كذبًا فى رواياته، وإن صحّ السند، فكيف يليق بجلال الله تعالى أن يكلم ظالمًا أو يناديه؟ وكيف تنخدع الجبال المسبحات بحمد الله، المسخرات بأمره وليس لها من أمر نفسها شيئًا، وكيف تصعد النسور هذا العلو كله؟

* وقال ابن عطية (٨/ ٢٦٥) فى المحرر الوجيز: (وفى هذه القصة ضعف من طريق المعنى، وذلك أنه غير ممكن أن تصعد الأنسر كما وصف، وبعيد جدًّا، أن يغرر أحدٌ بنفسه فى مثل هذا).

* وقال أبو حيان (٥/ ٤٣٨) فى البحر المحيط: (وبعيد جدًّا قصة الأنسر).

**والصحيح:** أن القرآن وصف مكرهم بأنه مكر عظيم تزول منه الجبال - والجبال لا تزول، ولكن العبارة عن تعظيم الشىء هكذا تكون. (القرطبى (٩/ ٣٩٦). والله أعلم.

**قلت:** والآيات ليست بحاجة إلى هذه الأخبار الخيالية، ومجيئها لم يزد شيئًا إلى معارفنا وعدم إيرادها لم يكن ليقلل من معرفتنا شيئًا.

## (٣) جلودٌ غليظة:

وروى المفسرون هذه الآثار العجيبة عند قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ (النساء: ٥٦).

* فروى الطبرى (٩٨٤٠) عن الربيع قال: (سمعنا أنه مكتوب فى الكتاب الأول جِلْد أحدهم أربعون ذراعًا، وسنه سبعون ذراعًا، وبطنه لو وضع فيه جبل وَسِعَهُ، فإذا أكلت

النار جلودهم بدلوا جلودًا غيرها).

* وروى برقم (٩٨١) عن ابن المبارك، قال: (بلغنى عن الحسن فى قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ قال: ننضجهم فى اليوم سبعين ألف مرة).

* وبرقم (٥٨٤٢) عن الحسن قال: (تنضج النار كل يوم سبعين ألف جلدٍ. قال: وغلظ الكافر أربعون ذراعًا، والله أعلم بأى ذراع).

وهذه أخبار يختلط فيها الصدق بالكذب، والرجم بالغيب.

**قلت:** وهذه أخبار لم نعثر على أصل لهذا التقرير الفظيع، كما لم نعثر على أصل فى التوراة، ولكن رواتها هم أنفسهم رواة الإسرائيليات مما يرجح أنهم نقلوها عنهم إلا ما كان له سند صحيح من السنة.

**الحديث الصحيح فى ذلك:**

(١) ما رواه الترمذى[1] بسند صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال: «إن غلظ جلد الكافر اثنتان وأربعون ذراعًا، وأن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة».

(٢) وروى بسند حسن عنه أيضًا: «ضرس الكافر يوم القيامة مثلُ أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الرَّبذة».

* * *

## الإسرائيليات والموضوعات والتلفيق والبهتان فى قصة زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش رضى الله عنها

وما سنعرض له الآن أسوأ جنى جناه المسلمون من ممارستهم للنقل عن أهل الكتاب، بل هو تخاريف من تخاريف المفسرين ما كان لهم أن ينقلوها أو يسطروها، فإن فيها تهاونًا بالإسلام ونبيه ﷺ، وهو ما يعطى انطباعًا قويًا ودلالة واضحة على تهاون أصحاب الإسرائيليات ومبالغتهم، فقد وصل الأمر إلى اجتراح عصمة النبى محمد ﷺ، ففى قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ

(١) صححه الألبانى (١١٠٥) فى الصحيحة.

وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٧، ٣٨).

وأود هنا أولاً أن أسجل اعتراضى على تهاون هؤلاء الذين تساهلوا فى نقل الطعن على رسول الله ﷺ، وإليك رواية الكذب، والبهتان، والزور، والتلفيق على أشرف خلق الله ﷺ، وكل المصائب تهون إلا القدح فيك يا حبيبى.

روى الطبرى برقم (٢٨٥١٩): حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال ابن زيد: كان النبى ﷺ قد زوَّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمه، فخرج رسول الله ﷺ يومًا يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر، فانكشف وهى فى حجرتها حاسرة فوقع إعجابها فى قلب النبى ﷺ فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إنى أريد أن أفارق صاحبتى، قال: «ما لك، أرابك منها شىء؟» قال: لا والله ما رابنى منها شىء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرًا، فقال له الرسول ﷺ: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، تخفى فى نفسك إن فارقها تزوجتها.

**قلت:** ولو كان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حى لذهبت إليه أرد هذا الحديث فى وجهه وأشبعه ضربًا على مقاله هذا فى رسول الله ﷺ، وإنه لمثل قول يهود فى داود عليه السلام بنفس الصورة، وبنفس الكيفية مع تغيير أسماء الشخصيات فقط، فهو من تلبيس الشيطان على ابن زيد، وابن وهب، ويونس؛ بل والطبرى الذى تهاون - وهو الناقد البصير - فى حق نبيه ﷺ وسكت عن مثل هذا الافتراء الواضح تهافته؛ ولا أدرى كيف سوّلت له نفسه أن يسطر هذا فى كتابه إن ابن زيد: كذاب أو أحمق وقد عرفناه، فما بالك يا طبرى؟ والله لقد زلّ الطبرى زلة أسأل الله له فيها المغفرة والرحمة.

* وروى السيوطى (٦/ ٦١٢ - ٦١٣) فى (الدر المنثور)، فقال:

* أخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حيان رضى الله عنه قال: (جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه، وكان زيد إنما يقال له: زيد بن محمد، فربما

فقده رسول الله ﷺ، فيجيء لبيت زيد بن حارثة يطلبه فلم يجده، وتقوم إليه زينب بنت جحش زوجته، فأعرض رسول الله ﷺ عنها، فقالت: ليس هو هاهنا يا رسول الله فادخل، فأبى أن يدخل، فأعجبت رسول الله ﷺ!!، فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن، سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد رضى الله عنه إلى منزله، فأخبرته امرأته أن رسول الله ﷺ أتى منزله، فقال زيد رضى الله عنه: ألا قلت له أن يدخل. قالت: قد عرضتُ ذلك عليه فأبى. قال: فسمعت شيئًا؟ قالت: سمعته حين ولى يتكلم بكلام ولا أفهمه، وسمعتُه يقول: سبحان الله، سبحان مصرف القلوب، فجاء زيد حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله بلغنى أنك جئت منزلى فهلا دخلت يا رسول الله ﷺ، لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟ فيقول رسول الله ﷺ: «أمسك عليك زوجك» فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم، فيأتى لرسول الله ﷺ فيخبره فيقول: «أمسك عليك زوجك» ففارقها زيد واعتزلها، وانقضت عدتها، فبينا رسول الله ﷺ جالس يتحدث مع عائشة ـ رضى الله عنها ـ إذ أخذته غشية، فسرى عنه وهو يبتسم، ويقول: من يذهب إلى زينب، فيبشّرها أن الله زوجنيها من السماء، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ القصة كلها. قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: فأخذنى ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمالها. وأُخرى: هى أعظم الأمور وأشرفها زوجها الله من السماء. وقلت: وهى تفخر علينا بهذا).

● **الرد على هذه الافتراءات:**

* لقد حكم علماء التفسير من المحققين الأفذاذ ببطلان هذه الافتراءات الخبيثة التى تطعن فى عصمة أخلاق النبى ﷺ، وراحوا يردون على رواتها، ومتنها موضحين الصحيح فيها:

* فقال ابن كثير (٦/ ٢٥٨): وذكر ابن أبى حاتم وابن جرير آثارًا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها.

* أما القرطبى فقد أجاد كثيرًا فى رد هذه القصة بعد ذكر الآراء الصحيحة فيها، فقال رحمه الله ذاكرًا الآراء أولاً:

(واختلف الناس فى تأويل هذه الآية، فذهب قتادة، وابن زيد، وجماعة من المفسرين منهم: الطبرى، وغيره إلى أن النبىَّ ﷺ وقع منه استحسان لزينب وهى فى

عصمة زيد، وكان حريصًا على أن يطلقها زيد، فيتزوّجها هو إلى أن قال: وهذا الذى يخفى فى نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف يعنى قوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ . اهـ. ولاشك أن هذا القول غير صحيح، وأنه غير لائق بهﷺ . .

وقد روى عن على بن الحسين قال: إن النبىﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدًا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله تعالى إياها، فلما تشكى زيد للنبىﷺ خُلق زينب، وأنها لا تطيعه وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول اللهﷺ على جهة الأدب والوصية: (اتق الله فى قولك وأمسك عليك زوجك). وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وخشى رسول اللهﷺ أن يلحقه قولٌ من الناس فى أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر أن خشى الناس فى شىء قد أباحه الله له.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل فى تأويل هذه الآية، وهو الذى عليه أهل التحقيق من المفسرين، والعلماء الراسخين كالزهرى، والقاضى بكر بن العلاء القشيرى، والقاضى أبى بكر بن العربى، وغيرهم، إلى أن قال: فأما ما روى أن النبىﷺ هوى زينب امرأة زيد، وربما أطلق بعض المجان لفظ عشق، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبىﷺ عن مثل هذا أو مستخف بحرمته» اهـ (ذكره فى التفسير (١٤/ ١٨٤ - ١٨٦).

* أما ابن حجر العسقلانى (٨/ ٥٢٤) فى فتح البارى قال: وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، قال: جاء زيد بن حارثة، فقال يا رسول الله إن زينب اشتد علىّ لسانها، وأنا أريد أن أطلقها، فقال: «اتق الله وأمسك عليك زوجك». وكان يخشى قالة الناس - أو أن يعيبوا عليه، ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدًا. . . ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبى حاتم والطبرى ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغى التشاغل بها. . . والحاصل:

* أن الذى كان يخفيه النبىﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته.

* والذى كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس: تزوج امرأة ابنه.

* وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبنى بأمر لا أبلغ فى الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذى يدعى ابنًا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين أوقع ليكون أدعى لقبولهم). اهـ.

ووالله لقد أجاد الرجل فى فهم سياق الآيات وتفسيرها، ونزّه نفسه عن تسويد صفحات كتابه بما سوّد به الآخرون كتبهم، لقد فهم ابن حجر أن (العقدة) تكمن فى (التبنى) تلك الشريعة التى كانت تقتضى فى الجاهلية بنوة تساوى البنوة الحقيقية فيلحق بالمُتَبَنى اسم متبنيه، ويرثه، ويكون له بمقام الابن الحقيقى، وهو ما أبطله الإسلام فقال: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ (الأحزاب: ٥) ولم يكن أحدٌ من المسلمين ليقول فى رسول الله ﷺ شيئًا، وإنما المدينة تعج بالمنافقين، واليهود من أهل الكتاب، ولم يكن الإسلام قد عرف الطريق إلى الأعراب حول المدينة جميعًا فقد بقيت منهم بقية على الشرك، فخشى النبى ﷺ على دين الله وشريعته، لكن الله لا يستحيى من الحق، فأطلقها قوية: ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ هكذا بلا شهود من أهل الأرض الذين ربما دخل فى أنفسهم بعض قواعد أهل الأرض والجاهلية ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾، وكفى بالله شهيدًا، أمرًا من عند الله واجب النفاذ، وذلك الفضل من الله يؤتيه الله من يشاء، ولذا فاخرت زينب فكانت تقول: (أنا الذى نزل تزويجى من السماء)[1].

وكان زيد صاحب المنقبة العظيمة، لقد صار قرآنًا يتلى فى محاريب الصلاة ويتقرب به إلى الله، أما زينب ورسول الله ﷺ فقد كان زواجهما مباركًا كما ترى فى هذا الحديث، فأخرج مسلم وأحمد والنسائى، قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علَىَّ، فانطلق فأخبرها، فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربى. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ، فدخل عليها بغير إذن ـ ولقد رأيتنا ـ حين دخلت على رسول الله ـ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ، واتبعته، فجعل يتبع حُجَر نسائه. ثم أخبر أن القوم قد خرجوا، فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بينى وبينه، ونزل الحجاب، ووعظ القوم بما وعظوا به: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ (الأحزاب: ٥٣) (الآية)[2].

لقد أزالت هذه الآية كل ما يتعلق بالجاهلية فى أمر التبنى ونسفته حتى سوته بالأرض، وكان الأمر أوقع فى نفوس المسلمين جميعًا من أمر الله، وأطاع رسول الله ﷺ، ولا حرج فى دين الله.

---

(١) صحيح: البخارى (٧٤٢٠) فى التوحيد.

(٢) صحيح: مسلم (١٤٢٨) فى النكاح.

لكن . . . ما الذى جعل النبى ﷺ يقول : «أمسك عليك زوجك» . وقد أخبره الله أنها زوجه؟

قال ابن العربى المالكى (٤/ ١٥٤٤) فى أحكام القرآن :

أراد أن يختبر منه ما لم يُعْلِمْهُ الله من رغبته فيها ، أو رغبته عنها ، فأبدى له زيد النفرة عنها والكراهة لها ما لم يكن علمه منه فى أمرها ، فأمره بالتمسك بها للمقاصد الصحيحة :

* لإقامة الحجة ومعرفة العاقبة .

* ألا ترى أن الله تعالى يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن ! فليس فى مخالفة متعلق الأمر متعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكمًا .

وهذا من نفيس العلم فتيقنوه وتقبلوه . اهـ .

وقد كان تفسير (فى ظلال القرآن) و(أضواء البيان) و(تفسير الشعراوى) و(السعدى) من هذه التفاسير التى برأت النبى ﷺ فى هذه الشبهة والجريمة .

* * *

## غرائب وخرافات وموضوعات فى رحلة الإسراء والمعراج

قال الله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١)، وهنا جاءت بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ومنها :

**●حديث القُصَّاص:**

(١) رواية البيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، ورواها ابن جرير أيضًا ، وذكرها ابن كثير (٥/ ١٧) فى تفسيره .

وعن أبى سعيد قال : أن النبى ﷺ قال له أصحابه : يا رسول الله حدثنا عن ليلة أسرى بك فيها . قال : قال الله عز وجل : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قال : فأخبرهم ، فقال : (فبينما أنا نائم عشاءً فى المسجد الحرام إذ أتانى آت فأيقظنى ، فاستيقظت فلم أر شيئًا فإذا أنا بكهيئة خيال فأتبعته بصرى حتى خرجت من المسجد الحرام فإذا أنا بدابة

أدنى شبهًا بدوابكم هذه، بغالكم هذه، غير أنه مضطرب الأذنين، يقال له: البراق. وكانت الأنبياء تركبه قبلى، يقع حافره عند مد بصره، فركبته، فبينما أنا أسير إذ دعانى داعٍ عن يمينى: يا محمد انظرنى أسألك (ثلاثًا) فلم أجبه ولم أقم عليه، فبينما أنا أسير إذا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى، فقالت: يا محمد انظرنى أسألك. فلم التفت إليها، ولم أقم عليها حتى أتيت بيت المقدس، فأوثقت دابتى بالحلقة، التى كانت الأنبياء توثقها بها.

ثم أتانى جبريل عليه السلام بإنائين: أحدهما خمر، والآخر لبن، فشربت اللبن، وأبيت الخمر.

فقال جبريل: أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر لغوت أمتك. فقلت: الله أكبر الله أكبر، فقال جبريل: ما رأيت فى وجهك هذا؟ قال: فقلت: بينما أنا أسير إذ دعانى داعٍ عن يمينى: يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال: ذاك داعى اليهود، أما إنك لو أجبته، أو وقفت عليه لتهودت أمّتك - قال - فبينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يسارى قال: يا محمد انظرنى أسألك فلم ألتفت ولم أقم عليه، قال: ذاك داعى النصارى، أما إنك لو أجبته لتنصّرت أمّتك - قال: فبينما أنا أسير إذ أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول: يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبها ولم أقم عليها، قال: تلك الدنيا، أما إنك لو أجبتها أو قمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة.

قال: ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فصلى كل واحد منا ركعتين، ثم أُتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء فلم ير الخلائق أحسن من المعراج، أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحًا إلى السماء، فإنما يشق بصره طامحًا إلى السماء عجبه بالمعراج!!، قال: فصعدت أنا وجبريل، فإذا أنا بملك يقال له: (إسماعيل)! وهو صاحب السماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك، قال: قال الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (المدثر: ٣١). قال: فاستفتح جبريل باب السماء، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟. قال: نعم، فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته، فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين، فيقول: روح طيبة اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار، فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجّين،

فمضيت هنيهة فإذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد، وإذا أنا بأخونة أخرى عليهم لحم قد أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال، قال: ثم مضيت هنيهة، فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل، قال: فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر، ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء من أمتك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(النساء: ١٠)، قال: ثم مضيت هُنَيَّةً، فإذا أنا بنساء يعلقن بثديهن، فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل، قلت: يا جبريل من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك. قال: ثم مضيت هُنَيَّةً، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه، فيقال له: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون.

قال: ثم صعدنا إلى السماء الثانية، فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل، قد فضل الناس فى الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم عليّ.

ثم صعدت إلى السماء الثالثة، فإذا أنا بيحيى وعيسى عليهما السلام، ومعهما نفر من قومهما، فسلمت عليهما وسلما عليّ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكانًا عليًّا، فسلمت عليه وسلم عليّ.

قال: ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من طولها، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا المحبب فى قومه، هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم عليّ.

ثم صعدت إلى السماء السادسة، فإذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم، كثير الشعر، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص، فإذا هو يقول: يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا، بل هذا أكرم على الله تعالى منى. قال: قلت يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام، ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم عليّ.

ثم صعدت إلى السماء السابعة، فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن، ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم

خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه فسلم عليّ. وإذا أنا بأمتى شطرين: شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب رمد، قال: فدخلت البيت المعمور، ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض، وحجب الآخرون الذين عليهم ثياب رمد وهم على خير، فصليت أنا ومن معى فى البيت المعمور، ثم خرجت أنا ومن معى.

قال: والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. قال: ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا كل ورقة منها تكاد تغطى هذه الأمة!!، وإذا فيها عين تجرى يقال لها: سلسبيل، فينشق منها نهران: أحدهما الكوثر، والآخر يقال له: نهر الرحمة، فاغتسلت فيه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر.

ثم إنى رفعت إلى الجنة فاستقبلتنى جارية، فقلت: لمن أنت يا جارية؟ قالت: لزيد بن حارثة، وإذا بأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفّى، وإذا رمانها كالدلاء عظمًا، وإذا أنا بطيرها كأنها بختكم هذه، فقال عندهاﷺ إن الله تعالى قد أعدّ لعباده الصالحين، ما لا عين رأيت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - قال - ثم عرضت عليّ النار، فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته، ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دونى.

ثم إنى رُفعت إلى (سدرة المنتهى) فتغشّى لى فكان بينى وبينه قاب قوسين أو أدْنى. قال: وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة، قال: وفرضت عليّ خمسون صلاة، وقال: لك بكل حسنة عشر، فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت حسنة، فإذا عملتها كتبت لك عشرًا، وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء، فإن عملتها كتبت عليك سيئة واحدة.

ثم رجعت إلى موسى، فقال: بما أمرك ربك؟ فقلت: بخمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمّتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، ومتى لا تطيقه تكفر، فرجعتُ إلى ربى، فقلت: يا رب خفّف عن أمّتى، فإنها أضعف الأمم، فوضع عنى عشرًا وجعلها أربعين، فما زلت أختلف بين موسى وربّى، كلما أتيت عليه، قال لى مثل مقالته، حتى رجعت إليه، فقال لى: بِمَ أمرت؟ فقلت: أُمرت بعشر صلوات. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت إلى ربى فقلت: أى رب خفف عن أمتى فإنها أضعف الأمم، فوضع عنى خمسًا وجعلها خمسًا، فنادانى ملك عندها: تمت

فريضتى وخففتُ عن عبادى وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها.

ثم رجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ فقلت: بخمس صلوات قال: ارجع إلى ربك فإنه لا يؤوده شيء، فاسأله التخفيف لأمتك، فقلت: رجعت إلى ربى حتى استحييت. ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب: إنى أتيت البارحة بيت المقدس، وعرج بى إلى السماء، ورأيت كذا وكذا، فقال أبو جهل يعنى ابن هشام: ألا تعجبون مما قال محمد؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس، ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرًا ومقفلة شهرًا، فهذه مسيرة شهرين فى ليلة واحدة، قال: فأخبرتهم بعير لقريش لما كنتُ فى مصعدى رأيتها فى مكان كذا وكذا، وأنها نفرت، فلما رجعت وجدتها عند العقبة، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا، ومتاعه كذا وكذا، فقال أبو جهل: يخبرنا بأشياء، فقال رجل منهم: أنا أعلم الناس ببيت المقدس، وكيف بناؤه وهيئته، وكيف قربه من الجبل، فإن يك محمد صادقًا فسأخبركم وإن يك كاذبًا فسأخبركم، فجاء ذلك المشرك فقال: يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرنى: كيف بناؤه، وكيف هيئته، وكيف قربه من الجبل؟ قال: فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده، فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته، قال: بناؤه كذا وكذا، وهيئته كذا وكذا، فقال الآخر: صدقت، فرجع إليهم، فقال: صدق محمد فيما قال أو نحوًا من هذا الكلام.

وقال ابن كثير بعد إيراده لهذا الحديث الغريب الطويل:

وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلى، عن محمد بن ثور عن معمر عن أبى هارون العبدى، وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر، عن أبى هارون العبدى به، ورواه أيضًا من حديث محمد بن إسحاق حدثنى روح بن القاسم عن أبى هارون به نحو سياقه المتقدم، ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة، عن أبى عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد، عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى، فذكره بسياق طويل حسن أنيق، أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة. ثم ذكره البيهقى أيضًا من رواية نوح بن قيس الحدانى وهشيم ومعمر عن أبى هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين وهو مضعف عند الأئمة، وإنما سقنا حديثه هاهنا لما فى حديثه من الشواهد لغيره، ولما رواه البيهقى: أخبرنا الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار، حدثنا أبو حامد بن بلال، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا يزيد بن أبى حكيم، قال: رأيت فى النوم

رسول الله ﷺ، قلت: يا سول الله، رجل من أمتك، يقال له سفيان الثورى لا بأس به. فقال رسول الله ﷺ «لا بأس به» حدثنا عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى عنك يا رسول الله ليلة أسرى بك. قلت: رأيت فى السماء، فحدثته بالحديث، فقال لى: «نعم». فقلت له: يا رسول الله إن ناسًا من أمتك يحدثون عنك فى السرى بعجائب؟ قال لى: «ذلك حديث القصاص».

(٢) وأسوأ منه حديث رواه ابن عباس فى كتاب سموه (الإسراء والمعراج) لابن عباس وليس لابن عباس فيه أى قول، وإنما هو منحولٌ عليه، وحديث آخر رواه أبو هريرة ذكره ابن جرير فى خمس صفحات كله كذب وادعاء، قال عنه ابن كثير: فيه غرابة ونكارة شديدة.

**(٣) رواية منكرة:**

قال سعيد بن منصور: حدثنا مسكين بن ميمون بن مؤذن مسجد الرملة، حدثنى عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى من بين زمزم والمقام، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فطارا به حتى بلغ السموات العُلى، فلما رجع قال: سمعت تسبيحًا فى السموات العلى مع تسبيح كثير، سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات من ذى العلو بما علا سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى. ويذكر هذا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ﴾ (الإسراء: ٤٤) الآية.

قال الهيثمى فى المجمع (٢٤٣) فى الإيمان: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه مسكين بن ميمون ذكر له الذهبى هذا الحديث، وقال: إنه منكر.

(٤) وروى البزار عن بريدة أنه ﷺ قال: «لما كان ليلة أسرى بى قال: فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق».

**وهذه هى الروايات الصحيحة فى ليلة الإسراء والمعراج:**

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن النبى ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان إذ أقبل أحدُ الثلاثةِ بين الرجلين فأتيت بطستٍ من ذهبٍ ملآنَ حكمةً وإيمانًا فشق من النحر إلى مراقِّ البطن، فغسل القلب بماء زمزم، ثم مُلئَ حكمةً وإيمانًا، ثم أُتِيتَ بدابَّةٍ دُونَ البغل وفوق الحمار، ثم انطلقت مع جبريل عليه السلام فأتينا السماءَ

الدنيا، فقيلَ: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبًا به، ونعم المجيء جاء، فأتيت على آدم عليه السلام فسلمت عليه، قال: مرحبًا بك من ابن ونبيٍّ، ثم أتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، فمثل ذلك فأتيت على يحيى وعيسى فسلمتُ عليهما، فقالا: مرحبًا بك من أخٍ ونبى، ثم أتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، فمثل ذلك، فأتيت على يوسفَ عليه السلام فسلمت عليه قال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، ثم أتينا السماء الرابعة فمثل ذلك، فأتيت على إدريس عليه السلام فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، ثم أتينا السماء الخامسة فمثل ذلك، فأتيت على هارونَ عليه السلام فسلمت عليه، قال: مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، ثم أتينا السماء السادسة فمثل ذلك، ثم أتيت على موسى عليه السلام فسلمتُ عليه فقال مرحبًا بك من أخٍ ونبيٍّ، فلما جاوزته بكى، قيل: ما يبكيكَ؟ قال: يا ربِّ هذا الغلام الذى بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر وأفضل مما يدخل من أمتى. ثم أتيت السماء السابعة فمثل ذلك، فأتيت على إبراهيم عليه السلام، فسلمت عليه، فقال: مرحبًا بك من ابنٍ ونبيٍّ، ثم رفع لى البيتُ المعمور فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، فإذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم، ثم رفعت لى سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قِلاَل هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، وإذا فى أصلها أربعة أنهارٍ: نهرانِ باطنان ونهران ظاهران فسألتُ جبريل فقال: أما الباطنانِ فى الجنة، وأما الظَّاهِران فالبُطاءُ والنيل[1]، ثم فرضت علىَّ خمسون صلاةً فأتيتُ على موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت فرضت على خمسون صلاةً، قال: إنى أعلمُ بالناس منك، إنى عالجتُ بنى إسرائيل أشدّ المعالجة، وإن أُمتك لن يُطيقوا ذلك، فارجعْ إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت إلى ربى فسألته أن يخفف عنى فجعلها أربعين، ثم رجعت إلى موسى عليه السلام، فقال ما صنعت؟ قلت: جعلها أربعين، فقال لى مثل مقالته الأولى، فرجعت إلى ربى عَزَّ وَجَلَّ فجعلها ثلاثين، فأتيت على موسى عليه السلام فأخبرته، فقال لى مثل مقالته الأولى، فرجعتُ إلى ربى فجعلها عشرين، ثم عشرةً، ثم خمسةً، فأتيتُ على موسى عليه السلام فقال لى مثل مقالته الأولى، فقلت: إنى أستحيى من ربى عَزَّ وَجَلَّ أن أرْجعَ إليه فَنُودِىَ، أن قد أمضيتُ

---

(١) وفى رواية: الفرات والنيل.

فريضتى وخففتُ عن عبادى وأجزى بالحسنة عشر أمثالها»[١].

* رواية البخارى (٣٤٩) فى الصلاة عن أبى ذر رضى الله عنه:

عن أنس بن مالكٍ قال: كان أبو ذرٍّ يُحدثُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «فُرِجَ عن سقف بيتى وأنا بمكةَ فنزل جبريلُ ﷺ ففرج صدرى ثم غسلهُ بماءِ زمزمَ، ثم جاء بطستٍ من ذهبٍ مُمْتَلِئٍ حكمةً وإيمانًا فأفرغهُ فى صدرى، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماءِ الدنيا، فلمّا جئت إلى السماءِ الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحدٌ؟ قال: نعم معى محمد ﷺ، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماءَ الدنيا فإذا رجلٌ قاعدٌ على يمينه أسودةٌ، وعلى يساره أسودةٌ إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح، قلتُ لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدمُ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نَسَمُ بينه فأهلُ اليمين منهم أهلُ الجنةِ، والأسودة التى عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحكَ، وإذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بى إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قاله الأول، ففتح، قال أنس: فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة. قال أنس: فلما مر جبريلُ بالنبى ﷺ بإدريس، قال: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح، فقلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى، فقال: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم فقال: مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم ﷺ».

قال ابن شهاب: فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حَبَّة الأنصارى كانا يقولان: قال النبى ﷺ: «ثم عرج بى حتى ظهرتُ لمستوى أسمعُ فيه صريفَ الأقلام».

قال ابن حزمٍ وأنس بن مالك: قال النبى ﷺ: «ففرض الله عَزَّ وَجَلَّ على أمتى خمسين صلاةً فرجعت بذلك حتى مررتُ على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاةً، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك،

(١) صحيح النسائى (٤٤٨) فى الصلاة. وأصله فى الصحيحين.

فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته، فقال: هى خمسٌ وهى خمسونَ لا يبدل القول لدى فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربى، ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

* وروى مسلم فى صحيحه (١٦٤/ ٢٣٧٥) فى الفضائل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: «مررت - أو أتيت على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلى فى قبره».

* وروى البخارى (٣٢٣٩)، ومسلم (٢٦٦/ ١٦٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ذكر رسول الله ﷺ حين أسرى به، فقال: «مررت ليلة أسرى بى على موسى بن عمران عليه السلام، رجلٌ آدم، طُوال، جَعْدٌ، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى ابن مريم مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس»، وأرى مالكًا خازن النار، والدّجال، فى آيات أراهن اللهُ إياه. ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ (السجدة: ٢٣).

وهناك روايات أخرى صحاح، والمراد هنا إبطال الموضوع والضعيف أكثر من ذكر الصحيح.

* * *

## الدس والتلفيق فى قصة الغرانيق

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: ٥٢).

قال السيوطى فى الدر المنثور، وفى أسباب النزول:

أخرج ابن أبى حاتم وابن جرير وابن المنذر من طريق بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: قرأ النبى ﷺ بمكة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾، فلما بلغ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ (النجم: ١ - ٢٠).

ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، فنزلت ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ (الحج: ٥٢) الآية.

وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه، قال: لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد، وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.

وتجرأ ابن حجر، فخرج برأى غريب (٨/ ٤٣٩) فى الفتح فقال:

لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين صحيحين مرسلين أخرجهما ابن جرير: أحدهما من طريق الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، والآخر من طريق داود بن هند عن أبى العالية، ولا عبرة بقول ابن العربى وعياض أن هذه الروايات باطلة لا أصل لها.

● **ردود العلماء على هذا التلفيق الواضح:**

* جاء فى تفسير القرطبى: الأحاديث المروية فى نزول هذه الآية ليس منها شىء يصح (ج ٧ ص ٤٤٧٢ ط دار الشعب).

وقال ابن عقبة: هذا الحديث الذى فيه الغرانيق وقع فى كتب التفسير ونحوها، ولم يدخله البخارى، ولا مسلم، ولا ذكره فى علمى مصنف مشهور. . . . ثم قال: وهذا لا يجوز على النبى ﷺ . . وهو المعصوم فى التبليغ.

وقال القاضى عياض فى «الشفا»: هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة.

**والأولى فى تفسير الآية:** ألا يكون معنى تمنى هو ما فسروه بأنه قرأ. بل المعنى القريب الواضح هو الرجاء، ومعنى الآية على ذلك: كل نبى يرجو أن تهتدى أمته ولكن الشيطان بالمرصاد لهذه الأمة فيحول بينها وبين تحقيق أمنية النبى فى هدايتها.

* أما ابن كثير ـ رحمه الله ـ فقال فى تفسيره: (٥/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦) نقلاً عن البغوى: وقد ساقها ـ أى الروايات ـ فى تفسيره . . . . . ثم سأل هاهنا سؤالاً: كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ﷺ؟ ثم حكى أجوبة عن الناس كان من ألطفها: أن الشيطان أوقع فى مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ وليس كذلك فى نفس الأمر، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الله ﷺ ـ والله أعلم.

قلت: وهذا التفسير وجيه إن أثبتنا صحة القصة، ولكنها موضوعة، نجزم بذلك، ولا يغرنك زعم السيوطي فإنه متهاون لا محالة في ذلك، بعدما وجدنا أنه ينقل ما يجرح في عصمة الأنبياء، أما تصحيح ابن حجر لها فإنه من باب تمسكه بظاهر السند وتعصبه له وهكذا كان رحمه الله يفعل، لكنها العقيدة، ولكنه الوحي لا يعتمدان إلا على اليقين، أما الآثار التي يدور الشك في بعض أسانيدها أو متونها، ويعارضها صريح المنقول وصحيح المعقول فلا يؤخذ بها ولذلك فنحن نقول:

(١) إن القرآن في هذه السورة - سورة النجم، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤) فكيف إذن يترك الله تعالى الشيطان يمارس سيطرته على نبي من الأنبياء الذين قال للشيطان فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ (الإسراء: ٦٥)، فتعهد الغوي اللعين فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (الحجر: ٤٠).

فآية النجم تنفي أمرين:

الأول: أن ينطق النبي ﷺ عن الهوى.

والثاني: أن ينطق عن الشيطان.

وتثبت أمرًا واحدًا: وهو أن مصدره هو الوحي لا سواه، والوحي من عند الله، وإلا كان النبي ﷺ معرضًا للتشكيك في كل ما يراه، وكل ما يقوله إذا تسلط عليه الشيطان، وسيرد الوحي والقرآن والتشريع كله لأننا لن نفرق بين ما هو إلهي وما هو شيطاني.

(٢) ولقد قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) فعصمه من شياطين الإنس، فكيف لا يعصمه من شياطين الجن، ووجود الملك يعني فرار الشيطان كما حدث يوم بدر، ورسول الله ﷺ معصوم بعصمة الله فكيف يتواجد الشيطان في قلب النبي ﷺ الذي أعانه الله على شيطانه فأسلم، وأيده فأمسك به حتى سال لعابه على يديه في الصلاة؟ إنها أباطيل تحاك في الظلمات لهدم قواعد الشريعة وتقويض الدين، والتشكيك في عصمة الأنبياء، وهنا لا نَشْتَمُّ إلا رائحة اليهود، والزنادقة.

(٣) وقال الشيخ عبد ربه القليوبي: من العجيب أن الشيطان ما ترك رسولاً ولا نبيًا إلا وقد عارضه بإغواء أتباعه كما قضى تبارك وتعالى - علينا في تسلية النبي ﷺ لما تمنى ورجا - أن لا يفلت أحد من الناس إلا ويؤمن به، فسلاه الحق بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ...﴾ (الحج: ٥٢) إلخ. فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب (٢/ ٨١١٦) مكتبة القاهرة ١٩٦٢، وهو من التفاسير الجيدة.

(٤) وقد أشار الشنقيطى[١] (٣/ ٥٢٨ - ٥٣٢) فى أضواء البيان إلى استحالة هذه القصة عقلاً ونقلاً وجاء بهذه الدلائل القرآنية: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ٩٩، ١٠٠).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ (الحجر: ٤٢)، وعلى القول المزعوم أن الشيطان ألقى على لسانه ﷺ ذلك الكفر البواح، فأى سلطان له أكبر من ذلك.

ومن الآيات الدالة على بطلان ذلك القوم المزعوم قوله تعالى فى النبى ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣، ٤).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١، ٤٢).

فهذه الآيات القرآنية تدل على بطلان القول المزعوم.

ثم أضاف - رحمه الله تعالى -:

والحاصل أن القرآن دل على بطلانها ولم تثبت من جهة النقل مع استحالة الإلقاء على لسانه ﷺ لما ذكر شرعًا، ومن أثبتها نسب التلفظ بذلك الكفر للشيطان، فتبين أن نطق النبى ﷺ بذلك الكفر، ولو سهوًا مستحيلٌ شرعًا، وقد دل القرآن على بطلانه، وهو باطل قطعًا على كل حال، والغرانيق: الطير البيض المعروفة واحدها: غرنوق. وفيها لغات غير ذلك، يزعمون أن الأصنام ترتفع إلى الله كالطير البيض فتشفع عنده لعابديها قبحهم الله، ما أكفرهم، ونحن وإن ذكرنا أن قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ (الحج: ٥٢) يستأنس به لقول من قال: إن مفعول الإلقاء محذوف تقديره: ألقى الشيطان فى قراءته ما ليس منها، لأن النسخ هنا هو النسخ اللغوى، ومعناه الإبطال والإزالة من قولهم: نسخت الشمس الظل، ونسخت الريح الأثر، وهذا كأنه يدل على أن الله ينسخ شيئًا ألقاه الشيطان، ليس مما يقرؤه الرسول أو النبى، فالذى يظهر لنا أنه الصواب، وأن القرن يدل عليه دلالة واضحة، وإن لم ينتبه له من تكلم على الآية من المفسرين: هو أن ما يلقيه الشيطان فى قراءة النبى: الشكوك والوساوس المانعة من

---

(١) نقلناه بتصرف شديد.

تصديقها وقبولها، كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده والدليل على هذا المعنى: أن الله بيّن الحكمة فى الإلقاء المذكور امتحان الخلق، لأنه قال: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (الحج: ٥٣). ثم قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحج: ٥٤).

فقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ الآية: يدل على أن الشيطان يلقى عليهم، أن الذى يقرأه النبى ﷺ ليس بحق فيصدّقه الأشقياء، ويكون ذلك فتنة لهم، ويكذبه المؤمنون الذين أوتوا العلم، ويعلمون أنه الحق لا كذب فيه كما يزعم لهم الشيطان فى إلقائه: فهذا الامتحان لا يناسب شيئًا زاده الشيطان من نفسه فى القراءة، والعلم عند الله تعالى). اهـ. وهذا رأى وجيه آخر.

(٥) وكان الشوكانى من ذى قبل قد أبطل هذه القصة وحكم عليها بأنها (لم يصح فيها شىء، ولا يثبت وجه من الوجوه)، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٤-٤٦)، وذكر نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن مجرد الركون إلى المشركين: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٤).

(٦) إن قصة (الغرانيق) إذا صحّ سندها وروايتها فإن القرآن كله مهدد بالخطر، نعم هذه هى النقطة الهامة التى كان على (ابن حجر، والسيوطى) رحمهما الله التنبه إليها، فإن قول الشيطان فى القرآن قد اكتشف هذه المرة - على قولهما - فأين الباقى؟ وأى سورة أخرى وسوس الشيطان بها للنبى ولم ينتبه إليها الرواة بعد؟ وأى هوى فى الشريعة كان لرسول الله فوضعه من عنده؟ سنصل إلى مجموعة متشابكة من الشكوك الهدامة التى ستجعل من القرآن كتابًا مهلهلاً - وحاشاه - خاضعًا للنقد والدراسة والرد، وهو غير ذلك تمامًا، فإنه كتاب الله وكلام الله، ويستحيل أن يتغير أو يبدل، فقد تعهد الله تعالى بحفظه، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، ونزهه عن أن يكون قول شيطان رجيم: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ (التكوير: ٢٥)، وهو كلامه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّي﴾ (الكهف: ١٠٩)، إنه كتاب ﴿عَزِيزٌ﴾ ﴿مَّجِيدٌ﴾ ﴿كَرِيمٌ﴾ أحكمت آياته وفصلت من لدن حكيم خبير، وليس للشيطان على رسول الله ولا على كلام الله سلطان، والقائل بهذا ما بين مخطئ أو كذاب. وإليك ما حدث بالضبط:

فقد روى البخارى (٤٨٦٣) فى التفسير، ومسلم (٥٧٦/ ١٠٥) فى المساجد، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: (أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَالنَّجْمِ﴾، قال: فسجد رسول الله ﷺ، وسجد مَنْ خلفه، إلا رجلاً رأيته أخذ كفًّا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا، وهو أمية بن خلف).

وهنا قال بعض المفسرين: إن سجود النبى والمسلمون إنما هو لله تعالى. بينما سجد المشركون لآلهتهم من الأصنام حتى يعارضوا المسلمين.

إلا أن السجود هنا كان لأمر آخر إنه سجود الإعجاب بهذا النص القرآنى الفريد الذى قال عنه صاحب الظلال فى ظلاله (٦/ ٣٤٢١): (فيه الكائن البشرى ينشأ من الأرض، ومنه الأجنة فى بطون الأمهات، وعلم الله يتابعها ويحيط بها) إلى غير الإعجاز القرآنى فى سورة النجم.

لقد كان المشركون قد تواصوا بألا يستمعوا للقرآن ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ (فصلت:٢٦)، وكانوا يعلمون تمام العلم أن من سمع القرآن آمن به، ولذلك وصَّوا (الطفيل بن عمرو الدوسى) رضى الله عنه بعدم سماع القرآن من محمد ﷺ، لعلمهم بأنه شاعر يستطيع التفرقة بين كلام من عند الله، وآخر من وحى الشياطين، فلما نزع الكرسف (القطن) من أذنيه واستمع إلى القرآن آمن، وهكذا حدث مع المشركين، خرج عليهم رسول الله ﷺ فقرأ سورة النجم فاستمعوا، وسمعوا، وتسمعوا، وأنصتوا، فأصاب القرآن مرماه وهو الذى لا يعرف الخطأ أبدًا فغزا قلوبهم حتى وجدوا رءوسهم وظهورهم قد انحنت ساجدة لعظمة الله تعالى فى كلماته وآياته، إلا ذلك المشرك الذى تكبر عن السجود، وكأنه من حجرٍ قَدْ قُد قلبه أو من الصخر بل هو أشد، ولكن سرعان ما عاد الشيطان يتلاعب بهؤلاء بعدما كانوا قاب قوسين أو أدنى من الخضوع والإسلام، كما فعلها قوم إبراهيم من قبل، رجعوا إلى أنفسهم ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنبياء:٦٤)، ولكن سرعان ما انقلبوا على أعقابهم: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء:٦٥) إنها قصة تتكرر مع كل نبيٍّ يوشك قومه على الإسلام فيعود الشيطان ليتلاعب بقلوبهم تارة أخرى فيرتدون على أعقابهم، وينكصون، وهو ما حدث فى هذه القصة، إنها خالية من (الغرانيق) ولا وجود لها، وما هى إلا زعمٌ باطلٌ، أو قول لأحد الذين حاولوا معارضة القرآن كما فعل (مسيلمة الكذاب) من قبل، فجاء الوضّاع وأخذ المعارضة وصاغها فى هذه الصورة التى سببت

بلبالاً فى الخواطر، وليس العيب منه، بل ممن نقل وصدّق، وكأنه لا يدرك خطورة الأمر وفداحة الخطب.

❊❊❊

# جنوداً لم تروها

وقد تحدث القرآن عن واحدٍ من مشاهد ليلة الهجرة، فقال تبارك وتعالى:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠).

وتكلف بعض المفسرين وأهل السير والتواريخ، فحاولوا تفسير تلك الجنود التى أيّد الله بها رسوله ﷺ، وكما حاولوا تصوير (السكينة) فى قصة تابوت بنى إسرائيل، حاولوا هنا أن يصوروا هذه السكينة إلا أنهم لم يستطيعوا المبالغة فيها كما بالغوا فى روايات بنى إسرائيل لقرب العهد، ولأنهم لم ينقلوا هذه المرة عن كعب ولا وهب، فجاء نقلهم أقلّ مبالغة من سابقه، وإن كانت القاعدة واحدة: الكذب على رسول الله ﷺ، ومحاولات وضع مشوقات، ومثيرات قصصية تنتفى معها قدرة الله تعالى، وهذا خطأ مهما حسنت النية، وإليك ما قالوه بعد دخول رسول الله ﷺ الغار هو وأبو بكر رضى الله عنه.

(١) فقد ذكروا أن أبا بكر لما قال للنبى ﷺ: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال رسول الله ﷺ: (لو جاءوا من هاهنا لذهبنا من هنا) فنظر الصديق إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر، وإذا البحر قد اتصل به، وسفينة مشدودة إلى جانبه.

قال ابن كثير (٣/ ١٨٠) فى البداية: وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة، ولكن لم يرد ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف، ولسنا نثبت شيئًا من تلقاء أنفسنا، ولكن ما صحّ سنده قلنا به والله أعلم.

(٢) وروى البزار عن موسى بن مطير عن أبى هريرة، أنه قال لابنه: يا بنى إن حدث فى الناس حدث فأت الغار الذى رأيتنى اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ فكُن فيه، فإنه سيأتيك رزقك غدوة وعشية.

**قلت:** وفى الحديث (موسى بن مُطَيْر) وهو كذاب متروك .

وقال يحيى بن معين : كذاب . فلا يُقْبل حديثه .

(٣) وروى ابن عساكر ، وأبو نعيم أن أبا مصعب المكى ، قال : أدركت زيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ، وأنس بن مالك يذكرون أن النبى ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرةً فخرجت فى وجه النبى ﷺ تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما ، فسترت وجه النبى ﷺ ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا يدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن منهم رجلٌ ، معهم عصيهم وقسيهم وهراواتهم ، حتى إذا كانوا من رسول الله ﷺ قَدْر مائتى ذراع . قال الدليل - وهو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى -: هذا الحجر ، لا أدى أين وضع رجله . فقال الفتيان : أنت لم تخطئ منذ الليلة .

حتى إذا أصبحوا قال : انظروا فى الغار ، فاستبقه القوم حتى إذا كانوا من النبى ﷺ خمسين ذراعًا فإذا الحمامتان فرجع ، فقالوا : ما ردك أن تنظر فى الغار؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فعرفت أن ليس فيه أحدٌ ، فسمعها النبى ﷺ فعرف الله قد درأ عنهما بهما فسَمَّت عليهما - أى برّك عليهما - وأحدرهما اللهُ إلى الحرم فأفرخا - كما ترى . وفى رواية : أن حمام مكة جميعه من نسل تيك الحمامتين ! !

قلت : وفى الحديث اختلاط الصحيح بالسقيم ، ولم يكن سراقة هو الدليل كما فى الأحاديث الصحيحة ، وقد ذكر ابن كثير الحديث (٣/ ١٨٠) فى البداية ، وقال : غريب جدًّا ، قلت : بل هو لا يصح ، ولا يثبت ، وهو حديث أشبه بحديث القُصاص .

(٤) وروى الحديث مرسلاً عن الحسن البصرى ، أنه قال : انطلق النبى ﷺ وأبو بكر إلى الغار ، وجاءت قريش يطلبون النبى ﷺ وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا : لم يدخل أحدٌ . وكان النبى ﷺ قائمًا يصلى ، وأبو بكر يرتقب ، فقال أبو بكر للنبى ﷺ : هؤلاء قومك يطلبونك ، أما والله ما على نفسى أئِلُ ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبى ﷺ : «يا أبا بكر لا تخف إن الله معنا» .

(٥) وذكر البيهقى فى الدلائل (٢/ ٤٧٦) عن محمد بن سيرين قال : ذكر رِجالٌ على عهد عمر فكأنهم فضلوا عمر على أبى بكر ، فبلغ ذلك عمر ، فقال : والله لليلة من أبى بكر خيرٌ من آل عمر ، وليوم من أبى بكر خيرٌ من آل عمر ، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشى ساعة بين يديه ، وساعة خلفه ، حتى فطن

رسول الله ﷺ فقال: (يا أبا بكر ما لك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى؟) فقال: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك، فقال: (يا أبا بكر لو كان شىء لأحببت أن يكون بك دونى) قال: نعم والذى بعثك بالحق، فلما انتهيا إلى الغار، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك من الغار فدخل فاستبرأ ثم قال: انزل رسول الله ﷺ فنزل. . . وزاد فى رواية أخرى (٢/ ٤٧٧) أن أبا بكر جعل يمشى بين يدى رسول الله ﷺ تارة، وخلفه تارة أخرى، وعن يمينه وعن شماله، وفيه: أنه لما حفيت رجلا رسول الله حمله الصديق على كاهله، وأنه لما دخل الغار سد تلك الأحجرة كلها وبقى منها حجرٌ واحد، فألقمه كعبه، فجعلت الأفعى تنهشه ودموعه تسيل. فقال له رسول الله ﷺ: (لا تحزن إن الله معنا). وقال ابن كثير (٣/ ١٧٨): وفيه غرابة ونكارة.

وقد سمعت أحد السفهاء يقول فى خطبته: إن الثعبان إنما نهش أبا بكر رضى الله عنه لأنه حجب عنه نور النبى ﷺ!! وفى القصة السابقة عبد الرحمن الراسبى - وهو متروك ووضاع، قال عنه الذهبى: (عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبى أتى بخبر طويل وهو المتهم به، وأتى عن فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ضبة بن محصن عن أبى موسى بقصة الغار وهو يشبه وضع الطرقية). ذكره (٢/ ٥٤٥) فى ميزان الاعتدال. ثم قال عن (فرات بن السائب) قال عنه النسائى: متروك الحديث.

(٦) وقد روى الإمام أحمد (١/ ٣٤٨) فى مسنده الحديث عن ابن عباس وذكر فيه العنكبوت، ومكث النبى ﷺ فى الغار ثلاث ليالٍ، وفى الحديث (عثمان بن عمرو الجزرى) قال عنه الحافظ (٢/ ١٣) فى التقريب: ضعيف.

وقال أبو حاتم فى (الجرح والتعديل) (٣/ ١/ ١٦٢): لا يحتج به، وأورده الذهبى فى الضعفاء.

ومن كلام الألبانى (٣/ ٢٦١ - ٢٦٣) فى الضعيفة والموضوعة:

وقال الهيثمى فى «المجمع» (٧/ ٢٧): (رواه أحمد والطبرانى، وفيه عثمان بن عمرو الجزرى، وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح).

ولذلك قال المحقق أحمد شاكر - رحمه الله - فى تعليقه على المسند: «وفى إسناده نظر».

ثم إن الآية المتقدمة ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: ٤٠). فيها ما يؤكد ضعف الحديث، لأنها صريحة بأن النصر والتأييد إنما كان بجنود لا تُرى، والحديث يثبت أن نصره ﷺ كان بالعنكبوت، وهو مما يُرى، فتأمّل.

والأشبه بالآية أن الجنود فيها إنما هم الملائكة، وليس العنكبوت ولا الحمامتين، ولذلك قال البغوى فى «تفسيره» (٤/ ١٧٤) للآية: (وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته). وقد جاء فى بعض الحديث ما يشهد لهذا المعنى، وهو ما أخرجه أبو نعيم عن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما -: أن أبا بكر رضى الله عنه رأى رجلاً مواجه الغار، فقال: يا رسول الله إنه لرائينا، قال: كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها، فلم ينشب الرجل أن قعد يبول مستقبلهما، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لو كان يراك ما فعل هذا».

وأخرجه الطبرانى مطولاً فى قصة الهجرة، وقال الهيثمى (٦/ ٥٤): (رواه الطبرانى وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وغيره، وضعّفه أبو حاتم وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح).

قلت: المتقرر فى يعقوب هذا أنه حسن الحديث، وقال الحافظ فيه: (صدوق، ربما وهم).

فإذا لم يكن فى الإسناد علّة أخرى فهو حسن ولكنى لا أستطيع الجزم بذلك.

إن قصة الثعبان، والحمامتين، والعنكبوت ما هى إلا نموذج لانتشار الخطأ بين المسلمين، وأنا أعلم تمامًا أن اجتراح هذه الثوابت سوف يصيب البعض بالدهشة، إلا أنه (لا يصح إلا الصحيح) وهذا دين الله، وهذا رسول الله ﷺ، والأمر متعلق به وبهجرته، فلا يصح التعامل معه ومع سيرته إلا بما صحّ فيها، لا بما تسول به نفس الوضّاع، والله قادر على أن يعطى لرسوله أكثر من هذا، وقد كان قادراً على نقله من مكة إلى المدينة فى طرفة عين، أو أن يسخر له الريح لتحمله إلى المدينة تكرمة له، إلا أن الله تعالى قضى له أن يهاجر بتلك الطريقة التى هاجر بها - وهو أكرم خلق الله عليه - لا لشىء إلا لأن النبوة ستنقطع وستزول المعجزات بها، فيكون نبراسًا لمن وراءه من أمته، أو لأمر آخر وحكمة قد تخفى علينا والله أعلم بها إن نص الآية واضح ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، وقد كان ﷺ مؤيدًا بالملائكة، ففى حديث البخارى (٤٩٥٨) عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله

عنهما أنه قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا».

وفى رواية مسلم (٢٧٩٧/ ٣٨) فى صفات المنافقين: أن أبا جهل أراد قتل رسول الله ﷺ وهو ساجد، فما فاجأهم - أى المشركين - إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه، ويقول: إن بينى وبينه خندقًا من نارٍ، وهَوْلاً، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضواً عضواً».

وروى ابن هشام (١/ ٣٣٥ - ٣٣٦) أن أم جميل امرأة أبى لهب جاءت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس فى الكعبة مع أبى بكر فسبت رسول الله ﷺ وفى يدها ملء كف من حجر، فأخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، حتى قال رسول الله: «ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى»، فتلك حادثة أخرى تثبت عدم رؤية المشرك لرسول الله ﷺ وهو أمامه، لا يبعد عنه - إلا خطوات معدودة.

وقد روى البخارى (٤٧١٠) فى التفسير، مسلم (١٧١/ ٢٧٦) فى الإيمان: أن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «لما كذبتنى قريش قمت فى الحِجر، فجلّى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه». وفى رواية: «أن جبريل أتاه به» ولم يره المشركون أيضًا.

فعدم رؤية المشرك لجنود الله ثابتة شرعًا، وثابتة عقلاً، وهو ما حدث فى هذه القصة.

وقد روى البخارى عن عائشة (٣٩٠٥) فى مناقب الأنصار أن النبى ﷺ استأجر وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيل وهو من بنى عبد بن عدى هاديًا خريتًا - الخرِّيت الماهر بالهداية - قد غمس حِلفًا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش، فأمناه، فدفعا إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما صُبْح ثلاثٍ، وانطلق معهما عامر بن فُهَيْرة والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل.

وفى الغار يروى البخارى (٣٦٥٣) فى فضائل الصحابة، ومسلم (٢٣٨١/ ١) فى فضائل الصحابة أن أبا بكر قال: قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما».

وما ظننا نحن؟!

***

# أبرهة الحبشى وجيشه، والحصبة والجدرى

قال الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (الفيل: ١ ـ ٥).

وقد جاءت بعض أقوال المفسرين قديمًا وحديثًا تخالف ما نقل من صحيح السنة منها:

(١) ما رواه الكلبى وغيره: أن كل حجر مكتوب عليه: من أطاع الله نجا ومن عصاه غوى.

(٢) ما روى عن أبى سعيد الخدرى من طريق عطية العوفى وهو ضعيف ـ أنه قال: حمام مكة من هذه ـ أى من الطير الأبابيل.

والأثران السابقان رواهما الكلبى، والعوفى وكلاهما متهم بالكذب، كما أن فيهما تكلف شديد، وقد حاروا من أى نسلٍ كان حمام الحرم أمن حمامتى الغار المزعومتين؟ أمن الطير الأبابيل؟ والحمام موجودٌ مذ خلق الله السموات والأرض.

(٣) وخاض المفسرون فى أمورٍ عجيبة، فقال الألوسى (٦/ ٤٥٨) نقلاً عن كتاب الحيوان للدميرى: إن هذه الطير هى طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ!!!

(٤) وقال ابن عباس: كانت لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب.

(٥) وقال عكرمة: كانت طيرًا خضرًا، خرجت من البحر لها رءوس كرءوس السباع.

(٦) وقيل: وهى عنقا مغرب التى تضرب بها الأمثال.

والعجيب أن أحدًا من العرب الجاهليين لم يتحدث عن هذه الطير ولا عن شكلها، ولم نعثر على نصٍ فى هذا صريح أو صحيح، ويبدو أنها جاءت وذهبت خاطفة لم يستطع أحدٌ أن يراها أو يصفها، وما الفائدة فى تحديد أصلها وألوانها، إنه علم لا ينفع، وقد قال الشيخ ابن العثيمين (٣٠٧) فى تعليقه على هذه الروايات: (القول فى صفة الطير التى منها جاءت وعددها، وكتابة اسم كل معذب على حجره، إلى غير ذلك يحتاج إلى توقيف عن المعصوم ﷺ).

(٧) ولكن العجب كان فى هذا التفسير المنسوب إلى علمين من أعلام التفسير.

**الأول:** ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كان الحجر إذا وقع على أحدهم نفط جلده، فكان ذلك أول الجدرى.

**الثانى:** عكرمة، قال: كانت ترميهم بحجارة معها - أى الطير - فإذا أصاب أحدهم حجر خرج به الجدرى لم يُر قبل ذلك اليوم. ذكرهما القرطبى (٢٠/ ١٩٧).

وهذا أشبه بالتلوث الجرثومى المعروف الآن أو ما يعرف بـ (الحرب الجرثومية) وهو أمرٌ غير مستحيل عقلاً ولا شرعًا، إلا أن القرآن صرّح أن الحجارة جعلتهم كعصف مأكول - أى كورق التين، دون أن يذكر تفاصيل.

وقال ابن كثير (٨/ ٣٨١) فى تفسيره: وقال ابن إسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤى به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام. ثم قال: (وهكذا روى عن عكرمة بطريق جيدٍ).

(٨) وقد تبنى هذا الرأى الشيخ (محمد عبده) - رحمه الله وغفر له - بل وزعم أن: (هذا ما اتفقت عليه الروايات، ويصح الاعتقاد به، وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله مع الريح.

فيجوز أن نعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل الجراثيم لبعض الأمراض، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه - وأن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالمكروب - قصد الميكروب - لا يخرج عنها).

ثم قال - غفر الله له -:

(وليست فى الكون قوة إلا وهى خاضعة لقوته، فهذا الطاغية الذى أراد أن يهدم البيت، أرسل الله عليه من الطير ما يوصل إليه مادة الجدرى أو الحصبة، فأهلكته وأهلكت قومه، قبل أن يدخل مكة، وهى نعمة غمر الله بها أهل حرمه - على وثنيتهم - حفظًا لبيته، حتى يرسل من يحميه بقوّة دينه ﷺ وإن كانت نعمة من الله حلّت بأعدائه أصحاب الفيل الذين أرادوا الاعتداء على البيت دون جرم اجترمه، ولا ذنب اقترفه).

(هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل، إن صحّت روايته، ومما تعظم به القدرة أن يؤخذ من استعز بالفيل - وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسمًا - ويهلك، بحيوان صغير لا يظهر للنظر، ولا يدرك بالبصر، حيث ساقه القدر، لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر!!) اهـ.

ولا شك عندنا أنه رحمه الله قد أبعد النجعة في إحدى محاولاته المتكررة (لتحديث الإسلام) وتقريبه إلى النخبة الثقافية المتأثرة آنذاك بالثقافات الغربية التي كان همها الأكبر محاولات تشويه القرآن واتهامه بالباطل، وهو اتجاه ساد كثيرًا في تلك الفترة، فحاول رحمه الله إثبات سبق للقرآن من طريق علمي، ما كان أغناه عنه.

**• تعليق على هذه الرواية:**

(١) ذكرنا أن أحدًا من الجاهليين لم يكن ليصف هذه الطير، ولا ما حدث للجيش، مما يدل دلالة قاطعة على أن الأمر حدث في لحظات لا تستطيع قوى البشر تحديدها، وهي لمحة (كُن، فيكون) وتستحيل معها القدرات البشرية كالسمع، والبصر، ولا يملك البشر إلا التحدث عن مشهد من المشاهد، والنظر إلى النتيجة التي تمت دون أن يدرك التفاصيل كاملة إذ غابت تمامًا عنه، أو لمح هو لمحة منها.

والروايات تقول متعاضدة: (إن العرب خرجوا إلى الجبال والشعاب بعيدًا عن موطن الحادث يرقبون ما سيحدث) فيستبعد أن يكون واحدٌ منهم قد أدرك الحادثة كاملة لبعده المكاني عنها ولصعوبة تحديد جنود لا يعلمها إلا ربها تعالى.

(٢) أما الأمر الثاني فالآية صريحة: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، والفاء هنا لا تفيد انفصالاً بعيدًا عن الحادث، فقد رمت الطير بالحجر فجعلوا كالعصف المأكول فورًا، لأن العقاب إلهي كما حدث مع ثمود، وعاد، وقوم لوط، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ (هود: ٨٢)، هكذا سريعًا لم يستغرق العقاب ساعات، ولا أيام، ولا ليالي، لكنه عقاب فوري، وأبرهة وجنده جاءوا ليجترحوا حرمة البيت، بل ليهدموا البيت الحرام، فكان العقاب سريعًا وإنما ذكرنا هذه الأقوال لنصل إلى نتيجة محددة وصل إليها (صاحب الظلال) من ذي قبل: فالميكروب - الذي زعمه الشيخ الإمام رحمه الله - يحتاج إلى فترة حضانة، ومقاومة، ويحتاج الجدري والحصبة إلى وقت لقتل صاحب المرض وحامل الميكروب، ثم إنهما يقتلان فقط - في بعض الأحوال - دون جعل الميت عصفًا مأكولاً.

أى كالتبن، أو ورق النبات المأكول، كما ذكر عامة أهل التفسير. ثم لو ظهر الجدرى أو الحصبة، أوليس ذلك هو (الوباء - أو الطاعون) فأين حظ العرب؟ أو قريش الذين يسكنون الحرم؟ ولو كان وباءً لسجله العرب فى أيامهم، ولتحدثوا عنه شعريًّا - كما هو الحال فى ديوان العرب، إن مدرسة الإمام مدرسة عقلية أدبية فنية عرف عنها الكثير من الحيف والجور على النص القرآنى، وتعسفوا فى تفسير النصوص، وكان لهذه المدرسة دوافعها، وكان لسيد قطب رحمه الله ما ردّ به على هذه المدرسة، فقال (٦/ ٣٩٧٧ - ٣٩٧٨):

إننا ندرك ونقدر دوافع المدرسة العقلية التى كان الأستاذ الإمام - رحمه الله - على رأسها فى تلك الحقبة. . ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن وأحداث التاريخ، ومحاولة ردّها إلى المألوف المكشوف من السنن الكونية. . فلقد كانت هذه المدرسة تواجه النزعة الخرافية الشائعة التى تسيطر على العقلية العامة فى تلك الفترة، كما تواجه سيل الأساطير والإسرائيليات التى حشيت بها كتب التفسير والرواية فى الوقت الذى وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها، وموجة الشك فى مقولات الدين إلى قمتها. فقامت هذه المدرسة تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل، ومن ثم تجتهد فى تنقيته من الخرافات والأساطير، كما تحاول أن تنشئ عقلية دينية تفقه السنن الكونية، وتدرك ثباتها واطرادها، وترد إليها الحركات الإنسانية كما ترد إليها الحركات الكونية فى الأجرام والأجسام - وهى فى صميمها العقلية القرآنية - فالقرآن يرد الناس إلى سنن الله الكونية باعتبارها القاعدة الثابتة المطردة المنظمة لمفردات الحركات والظواهر المتناثرة.

ولكن مواجهة ضغط الخرافة من جهة وضغط الفتنة بالعلم من جهة أخرى تركت آثارها فى تلك المدرسة. من المبالغة فى الاحتياط، والميل إلى جعل مألوف السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسنة الله. فشاع فى تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده - كما شاع فى تفسير تلميذيه الأستاذ الشيخ رشيد رضا والأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى - رحمهم الله جميعًا - شاع فى هذا التفسير الرغبة الواضحة فى ردّ الكثير من الخوارق إلى مألوف سنة الله دون الخارق منها، وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه «المعقول»! وإلى الحذر والاحتراس الشديد فى تقبّل الغيبيات.

ومع إدراكنا وتقديرنا للعوامل البيئية الدافعة لمثل هذا الاتجاه، فإننا نلاحظ عنصر

المبالغة فيه، وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآنى الكامل، وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التى اختارها سواء المألوف منها للبشر أو غير المألوف - هذه الطلاقة التى لا تجعل العقل البشرى هو الحاكم الأخير، ولا تجعل معقول هذا العقل هو مرد كل أمر بحيث يتحتم تأويل ما لا يوافقه - كما يتكرر هذا القول فى تفسير أعلام هذه المدرسة. اهـ.

إن نتاج هذه المدرسة يشبه إلى حد كبير نتاج المعتزلة الذين بوأوا العقل منزلة كبرى فاستغنوا به عن كثيرٍ من الأمور الشرعية، فراحوا ينغمسون فى ترهات العقل، فجرهم إلى إنكار الشفاعة، وردّ الأحاديث الصحيحة، وأمورٍ أخرى، كنزول المسيح الدجال، ودابة الأرض، مع تواتر القرآن بها، وتواتر السنة النبوية أيضًا، لقد هولوا فى إنكار الإسرائيليات نعم، لكن تهاونوا وهونوا من أمر صحاح الأحاديث كما فعل محمد فريد وجدى، وعبد العزيز جاويش، وعبد القادر المغربى، وقد قام د. فهد عبد الرحمن الرومى بدراسة جيدة لهذا الاتجاه فى كتابه: (منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير).

إنهم فرسان العقل، لكن القرآن نصٌّ يحتاج إلى فارس نصى لا عقلى، والله يغفر للجميع.

***

## ثعلبة بن حاطب
## الصحابى المفترى عليه

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة: ٧٥-٧٧).

روى السيوطى فى الدر المنثور، وفى أسباب النزول:

أخرج الطبرانى، وابن مردويه، وابن أبى حاتم، والبيهقى فى الدلائل، بسند ضعيف عن أبى أمامة، أن ثعلبة بن حاطب، قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالاً، قال: ويحك يا ثعلبة! قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه. قال: والله لئن آتانى الله مالاً لأوتين كل ذى حق حقه! فدعا له فاتخذ غنمًا، فنمت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة

فتنحى بها، وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها، ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعى المدينة فتنحى بها، فكان يشهد الجمعة ثم يخرج إليها ثم نمت فتنحى بها، فترك الجمعة والجماعات، ثم أنزل الله على رسوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣) فاستعمل على الصدقات رجلين، وكتب لهما كتابًا فأتيا ثعلبة فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: انطلقا إلى الناس، فإذا فرغتم فمروا بى، ففعلا، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، فانطلقا، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ ...﴾ الآيات.

وروى الطبرى[1] برقم (١٧٠٠٢) والواحدى فى أسباب النزول عن على بن يزيد الألهانى أنه أخبره عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة الباهلى، أن ثعلبة بن حاطب الأنصاريّ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يرزقنى مالاً، فقال رسول الله ﷺ: (ويحك يا ثعلبة! قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه)، ثم قال مرة أخرى: (أما ترضى أن تكون مثل نبى الله، فوالذى نفسى بيده لو شئتُ أن تسيل معى الجبال فضة وذهبًا لسالت)[2]. فقال: والذى بعثك بالحق نبيًّا لئن دعوت الله أن يرزقنى مالاً لأوتين كل ذى حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم ارزق ثعلبة مالاً)، فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها، فنزل واديًا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما، ثم نميت وكثرت حتى ترك الصلاة إلى الجمعة، وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، فسأل رسول الله ﷺ فقال: (ما فعل ثعلبة؟) فقالوا: اتخذ غنمًا وضاقت عليه المدينة وأخبروه بخبره، فقال: (يا ويح ثعلبة) ثلاثًا، وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، وأنزل فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة رجلاً من جهينة، ورجلاً من بنى سليم، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة، وقال لها: «مرا بثعلبة وبفلان - رجل من بنى سليم - فخذا صدقاتهما». فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدرى ما هذا؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلىّ، فانطلقا وأخبرا السلمى، فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها، فلما رأوها قالوا: ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذه منك. قال: بلى خذوه فإن نفسى بذلك طيبة، وإنما هى إبلى، فأخذوها منه،

---

(١) وفى الحديث (على بن يزيد الألهانى وهو متروك) كما قال الهيثمى (٧/ ٣٢) فى المجمع.

(٢) وفى رواية: «لو شئت أن تسير معى الجبال فضة، وذهبًا لسارت».

فلما فرغا من صدقتها رجعا حتى مرّا بثعلبة، فقال: أرونى كتابكما حتى أنظر فيه، فقال: ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي. فانطلقا حتى أتيا النبىّ عليه الصلاة والسلام، فلما رآهما، قال: «يا ويح ثعلبة» قبل أن يكلمهما، ودعا للسلمىّ بالبركة، فأخبروه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك، فخرج حتى أتى ثعلبة، فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبىّ عليه الصلاة والسلام فسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: (إن الله قد منعنى أن أقبل منك صدقتك). فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: (هذا عملك، قد أمرتك فلم تطعنى)، فلما أبى أن يقبل منه شيئًا رجع إلى منزله، وقُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئًا، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استُخلف، فقال: قد علمت منزلتى من رسول الله ﷺ وموضعى من الأنصار، فاقبل صدقتى، فقال: لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها؟ فقُبِضَ أبو بكر وأبى أن يقبلها، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ اقبل صدقتى، فقال: لم يقبلها رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا أبو بكر أنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها، وقُبِضَ عمر رضى الله عنه ثم ولى عثمان رضى الله عنه، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: رسول الله ﷺ لم يقبلها، ولا أبو بكر، ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها عثمان، فهلك ثعلبة فى خلافة عثمان. اهـ.

* وقد كان الألوسى هو مثار العجب هنا حيث قال فى روح المعانى (١٠/ ٢٠٧): والآية نزلت فى ثعلبة بن حاطب[1]، ويقال له: ابن أبى حاطب وهو من بنى أمية بن زيد، وليس هو البدرى لأنه استشهد بأحد رضى الله عنه، وهو الصحيح فى سبب النزول!! وكذا ذكرها ابن كثير وسكت عنها تمامًا!!

* وقد ذكر القصة عامة أهل التفسير إما تصديقًا بها، وإما ردًّا عليها.

وهى قصة باطلة لا تصح، ولذلك فإننا نورد تعقيب العلماء عليها:

(١) ضعفها الحافظ ابن حجر فى موضعين:

الأول: فى تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٧٧/ ١٣٣)، وقال: إسناده ضعيف جدًّا.

---

(١) هو ما قاله ابن حجر (٢/ ٩١٩ ـ ٩٢٤) فى الإصابة.

**الثانى**:فى فتح البارى (٣/ ٢٦٦)، قال: وهذا إسناد ضعيف لا تقوم به حجة.

(٢) أما القرطبى رحمه الله، فقد كان مجيداً حيث قال فى تفسيره (٨/ ١٩٤):

قلت ـ والكلام له ـ: (وثعلبة هـذا بدرى أنصارى وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، حسب ما يأتى بيانه فى أول الممتحنة، فما روى عنه غير صحيح. قال أبو عمر ـ يعنى ابن عبد البر ـ: ولعل قول من قال فى ثعلبة أنه مانع الزكاة الذى نزلت فيه الآية غير صحيح والله أعلم، وقال الضحاك: إن الآية نزلت فى رجال من المنافقين نبتل بن الحارث، وجد ابن قيس، ومعتب بن قشير. قلت ـ والكلام للقرطبى ـ: وهذا أشبه بنزول الآية فيهم إلا أن قوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ يدل على أن الذى عاهد الله لم يكن منافقًا من قبل، إلا أن يكون المعنى: (زادهم نفاقًا ثبتوا عليه إلى الممات، وهو قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾).

(٣) وقال الشيخ الألبانى ـ رحمه الله ـ (١٦٠٧) فى الضعيفة والموضوعة: (هذا حديث منكر على شهرته، وآفته على بن يزيد الألهانى وهو متروك..) ثم أشار إلى مواطن لابن حجر، والعراقى، وغيرهما ضعفا الحديث ورداه فيها.

(٤) وفى هامش تفسير السعدى (٥٣٥)، قال المحقق:

(قصة ثعلبة هذه ذكرها كثير من المفسرين، وقد ضعفها جهابذة أهل الحديث كابن حزم، والبيهقى، والقرطبى، والهيثمى، والعراقى، وابن حجر، والسيوطى، والمناوى وغيرهم ـ رحمهم الله ـ وبيّنوا أن فى إسنادها على بن يزيد، وهو ضعيف، كما أن من رواتها: معان بن رفاعة، والقاسم بن عبد الرحمن وهما ضعيفان، وذكر ابن حزم تضعيفها من جهة متنها ينظر (المحلى) (١١/ ٢٠٨)، والإصابة: ترجمة ثعلبة، ومجمع الزوائد (٧/ ٣٢)، والجامع لأحكام القرآن (٨/ ٢١٠)، وفيض القدير (٤/ ٢٥٧)، وفتح البارى (٣/ ٨)، ولباب النقول للسيوطى (١٢١)، وتخريج الإحياء للعراقى (٣/ ٣٣٨).

**التفسير الصحيح هنا**:هو ما ذكره الطبرى (١٧٠١٠) عن عبد الله بن مسعود بسند صحيح وفيه أنه قال: (اعتبروا المنافق بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر)، وأنزل تصديق ذلك فى كتابه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾.

وصححه الهيثمى (١/ ١٠٨) فى المجمع وعزاه للطبرانى بسند رجاله رجال الصحيح.

وهذا هو الذى ذكره القرطبى من قبل فقد كان تصرفهم من قبيل النفاق، عاهدوا الله، فلما آتاهم غدروا، وقد كانوا يغدرون بالبشر أفلا يغدرون بعهد مع الله تعالى، فزادهم الله نفاقًا فى قلوبهم، وهو ما يستقيم مع قول الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠).

ولكن هل لاحظت أن (ثعلبة المسلمين) يتشابه و(قارون) بنى إسرائيل؟!

إنها نفس الرائحة العفنة تفوح من هذه الروايات.

***

# الصحابة المفترى عليهم
## بنو أمية ـ الوليد بن عقبة ـ عبد الرحمن بن أبى بكر

### (١) بنو أمية:

قال السيوطى فى الدر المنثور، وفى أسباب النزول:

أخرج الترمذى والحاكم وابن جرير، عن الحسن بن على، قال: إن النبى ﷺ رأى بنى أمية على منبره فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١).

ونزلت: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ١ـ٣).

تملكها بعدك بنو أمية. قال القاسم الحدانى: فعددنا، وإذا هى ألف شهر لا تزيد ولا تنقص.

* وأخرجه ابن جرير فى تفسيره برقم (٣٧٧١٤) عن عيسى بن مازن، قال: قلت للحسن بن على رضى الله عنه: يا مسوّد وجوه المؤمنين، عمدت إلى هذا الرجل ـ معاوية ابن أبى سفيان ـ فبايعت له. فقال: إن رسول الله ﷺ أُرِى فى منامه بنى أمية يعلون منبره خليفةً خليفةً، فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ١) ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ١ـ ٣) يعنى ملك بنى أمية. قال القاسم: فحسبنا ملك بنى أمية فإذا هو ألف شهر.

- **تعقيب العلماء على هذا الافتراء:**

(١) ومن التناقضات أن السيوطى راوى الحديث، قال فى أسباب النزول: قال

الترمذى: غريب. وقال المزى وابن كثير: منكر جدًّا.

إذن فلماذا رواه؟!

(٢) وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره تهافت هذه الرواية سندًا ومتنًا، فقال رحمه الله فى تفسيره (٨/ ٤٤٥ - ٤٤٦): ويوسف بن مازن هذا - أحد رواة الحديث: رجل مجهول، ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه، ثم قال: ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن كذا قال: وهذا يقتضى اضطرابًا فى هذا الحديث والله أعلم، ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدًّا، قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزى: هو حديث منكر.

**(قلت)**: وقول القاسم بن الفضل الحدانى إنه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد يومًا ولا تنقص ليس بصحيح، فإن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن على الإمرة سنة أربعين، واجتمعت البيعة لمعاوية وسمى ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير فى الحرمين، والأهواز وبعض البلاد قريبًا من تسع سنين، لكن لم تزل يدهم عن الإمرة بالكلية، بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر، فإن الألف شهر عبارة عن ثلاثة وثمانين سنة وأربعة أشهر، وكأن القاسم بن الفضل أسقط من مدتهم أيام ابن الزبير وعلى هذا فيقارب ما قاله للصحة فى الحساب والله أعلم.

ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بنى أمية، ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق، فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم، فإن ليلة القدر شريفة جدًّا والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر، فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة بمقتضى هذا الحديث، وهل هذا إلا كما قال القائل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر:

إذا أنت فضلت امرءًا ذا براعة ... على ناقص كان المديح من النقص

ثم الذى يفهم من ولاية الألف شهر المذكورة فى الآية هى أيام بنى أمية والسورة مكية، فكيف يحال على ألف شهر هى دولة بنى أمية، ولا يدل عليها لفظ الآية ولا

معناها، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة، فهذا كله مما يدل على ضعف هذا الحديث ونكارته والله أعلم.

ومن قبل حكم ابن الجوزى على هذا الحديث بالوضع.

* وقد قال الشيخ الألبانى فى سنن الترمذى (٣٣٥٠) فى التفسير عن هذا الحديث: ضعيف الإسناد، مضطرب، ومتنه منكر.

**قلت:** وهذا الحديث وأمثاله إنما هو من وضع الشيعة الرافضة الذين أرادوا تشويه صورة بنى أمية ملوك الإسلام، وأحد الذين نافحوا عن هذا الدين، وهذا ليس بجديد على الشيعة، فإنهم أكذب الناس فى الحديث.

**أما الصحيح فى هذه الآية:** فهو ما ذكره الطبرى:

وأشبه الأقوال بظاهر التنزيل من قال: عمل فى ليلة القدر خيرٌ من عمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، أما الأقوال الأخر فمعانٍ باطلة، لا دلالة عليها من خبرٍ ولا عقلٍ، ولا هى موجودة فى التنزيل.

**قلت:** وهو الصحيح.

## (٢) الوليد بن عقبة رضى الله عنه:

وعند قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦)، روى المفسرون هنا افتراءً على الوليد ابن عقبة رضى الله عنه، فقال الواحدى فى أسباب النزول، وكذا قال السيوطى، والطبرى، وابن كثير:

* قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.. الآية، نزلت فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى المصطلق مصدقًا وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية. فلما سمع القوم به تلقوه تعظيمًا لله تعالى ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم، فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ، وقال: إن بنى المصطلق قد منعوا صدقاتهم، وأرادوا قتلى، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك، فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى إليه ما قبلنا من حق الله تعالى، فبدا له فى الرجوع، فخشينا أن يكون إنما ردّه من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب

رسوله، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ يعنى الوليد بن عقبة.

وفى رواية أخرى:

أخبرنا عيسى بن دينار، قال: أخبرنا أبى أنه سمع الحارث بن ضرار يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسلام، فدخلت فى الإسلام وأقررت فدعانى إلى الزكاة، فأقررت بها، فقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومى فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لى جمعت زكاته، فترسل لإبّان كذا وكذا لآتيك بما جمعت من الزكاة، فلمَّا جمع الحارث بن ضرار ممن استجاب له وبلغ الإبّان الذى أراد أن يبعث إليه رسول الله ﷺ احتبس عليه الرسول، فلم يأته، فظنّ الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله، فدعا سروات قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ قد كان وقت لى وقتًا ليرسل إلىّ ليقبض ما كان عندى من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخُلْف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا فنأتى رسول الله. وبعث رسول اله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فَرَقَ فرجع، فقال: يا رسول الله إن الحارث منعنى الزكاة، وأراد قتلى، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، وأقبل الحارث بأصحابه فاستقبل البعث وقد فصل من المدينة، فلقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فرجع إليه، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذى بعث محمدًا بالحق ما أريته ولا أتانى، فلما أن دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: (منعت الزكاة وأردت قتل رسولى؟) قال: لا والذى بعثك بالحق ما رأيت رسولك. ولا أتانى ولا أقبلت إلا حين احتبس علىّ رسولك خشية أن تكون سخطة من الله ورسوله! قال: فنزلت فى الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحجرات: ٨).

وقد اغتر قومٌ فصححوا الحديث بالنظر إلى سنده لا إلى متنه، فقال الهيثمى (٧/ ١٠٩)، فى المجمع: رواه أحمد ورجال أحمد ثقات. وحكم السيوطى على الحديث بأنه جيد، فقال: (أخرجه أحمد وغيره بسند جيد).

إلا أن اعتراضات المحققين على هذا الحديث قد كثرت .

* فقال ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف بعد أن عزا الخبر لابن إسحاق، والطبرانى من حديث أم سلمة :

وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وقال أحمد : منكر الحديث وضعفه النسائى وغيره .

وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس . قلت : وهو (ضعيف، رمى بالرفض، وكان يخطئ)

وقال : وهذا الخبر يعارضه ما أخرجه أبو داود فى سننه عن الوليد بن عقبة، أنه قال : (لما فتح رسول الله ﷺ مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم، فيدعو لهم بالبركة ويمسح رءوسهم، قال : فجىء بى إليه، وأنا مُخلَّق، فلم يمسنى من أجل الخلوق) . والخلوق : أخلاط من طيب ممزوجة بالزعفران .

إلا أن المحققين - ومنهم ابن حجر - قد بينوا ضعف الخبر السابق، ورجحوا أن الوليد كان كبيرًا لما فتحت مكة . فقد ذهب الوليد فى فداء ابن عم أبيه (الحارث بن أبى وجزة بن أبى عمرو بن أمية) وكان أُسر يوم بدرٍ فافتداه بأربعة آلاف، حكاه أصحاب المغازى) . فالاضطراب فى الروايات هنا والاختلاف يعنى أن نرد الحديث برمته .

* وقال الشيخ محب الدين الخطيب ص ١٠٢ فى تحقيق العواصم من القواصم :

وقد ساورنى الشك فى نزول هذه الآية فى الوليد بن عقبة، ويسميه الله فاسقًا، ثم تبقى له فى نفس خليفتى رسول الله ﷺ أبى بكر وعمر المكانة التى سجلها له التاريخ[1] . وبعد أن ساورنى الشك أعدت النظر فى الأخبار التى وردت عن سبب نزول الآية، فلما عكفت على دراستها وجدتها موقوفة على مجاهد، أو قتادة، أو ابن أبى ليلى، أو يزيد ابن رومان، ولم يذكر أحد منهم أسماء رواة هذه الأخبار فى مدة مائة سنة، أو أكثر مرّت بين أيامهم وزمن الحارث، وهذه المائة من السنين حافلة بالرواة من مشارب مختلفة، وإن الذين لهم هوًى فى تسوىء سمعة مثل الوليد، ومن هم أعظم مقامًا من الوليد قد ملأوا الدنيا أخبارًا مريبة ليس لها قيمة علمية وما دام رواة تلك الأخبار فى سبب نزول الآية مجهولين من علماء الجرح والتعديل بعد الرجال الموقوفة هذه الأخبار

---

(١) ذكر الشيخ ص٩٨ أنه تولى لأبى بكر، وعمر ولايات ومهمات منها إيصال الرسائل الحربية، وقيادة المدد العسكرى وصدقات قضاعة، والاشتراك فى حروب الشام وغيرها .

عليهم، وعلماء الجرح والتعديل لا يعرفون من أمرهم حتى ولا أسماءهم. فمن غير الجائز شرعًا وتاريخًا الحكم بصحة هذه الأخبار المنقطعة التى لا نسب لها.

**قلت**، والسبب فى اتهام الوليد بذلك أنه أخو عثمان بن عفان لأمه، وأحد بنى أمية، وأحد الذين أذاقوا الشيعة مرارة الكبت والهزيمة إبان حكمه للكوفة فافتروا عليه شرب الخمر وهو من ذلك براء.

أما عن التفسير الصحيح للآية: فقال الخازن (٤/ ١٦٧) فى تفسيره:

(... وقيل: هو عام. نزلت لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق، وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه؛ لأن الفسوق خروج عن الحق، ولا يظن بالوليد ذلك إلا أنه ظنّ وتوهّم فأخطأ، فعلى هذا يكون معنى الآية:

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ أى: خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وقرئ (فتثبتوا)، أى: فتوقفوا، أو أطيلوا بيان الأمر، وانكشاف الحقيقة، ولا تعتمدوا على قول الفاسق). اهـ.

وقال الفخر الرازى: (١٤/ ٣٦٩ـ ٣٧٠) فى مفاتيح الغيب:

(وفى التفسير مسائل: المسألة الأولى فى سبب نزول هذه الآية، هو أن النبى ﷺ بعث (الوليد بن عقبة)، وهو أخو عثمان لأمه إلى بنى المصطلق وليًا ومصدقًا فالتقوه، فظنهم مقاتلين، فرجع إلى النبى ﷺ وقال: إنهم امتنعوا ومنعوا، فهمّ الرسول ﷺ بالإيقاع بهم، وأما إن قالوا نزلت لذلك مقتصرًا عليه ومتعديًا إلى غيره فلا.

بل نقول: هو نزل عامًا لبيان التثبت، وترك الاعتماد على قول الفاسق، ويدل على ضعف قول من يقول: إنها نزلت لكذا، إن الله تعالى لم يقل إنى أنزلتها لكذا، والنبى ﷺ لم ينقل عنه أنه بيّن أن الآية وردت لبيان ذلك فحسب.

غاية ما فى الباب أنها نزلت فى ذلك الوقت، وهو مثل التاريخ لنزول الآية، ونحن نصدق ذلك.

ويتأكد ما ذكرنا إطلاق لفظ الفاسق على (الوليد) شىء بعيد، لأنه توهّم ظنّ فأخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقًا، وكيف والفاسق فى أكثر المواضع المراد به من خرج عن ربقة الإيمان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (المنافقون: ٦).

وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ (الكهف: ٥٠).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ (السجدة: ٢٠). إلى غير ذلك.

## (٣) عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما:

قال السيوطى (٦/ ٤٤) فى الدر المنثور، وص ٣٩٠ فى أسباب النزول: وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى، قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (الأحقاف:١٧). فى عبد الرحمن بن أبى بكر، قال لأبويه، وكانا قد أسلما وأبى هو أن يسلم، فكانا يأمرانه بالإسلام فيرد عليهما ويكذبهما، ويقول: فأين فلان وأين فلان؟ يعنى مشايخ قريش ممن قد مات. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فنزلت توبته فى هذه الآية: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف: ١٩).

وأخرج ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس مثله. وكما ترى فالرواية مدارها على الضعفاء وهذا كفيلٌ بردها تمامًا.

**دليل دامغ على براءة عبد الرحمن بن أبى بكر من هذه الفرية:**

روى البخارى (٤٨٢٧) فى التفسير: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن يوسف بن ماهك، قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ فخطب وجعل يذكر (يزيد بن معاوية) لكى يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ شيئًا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذى أنزل فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ الآية. فقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ من وراء حجاب: (ما أنزل الله عَزَّ وَجَلَّ فينا شيئًا من القرآن إلا أن الله أنزل عذرى).

وهذا الدليل من أكثر الدلائل وضوحًا على براءة عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنها لشهادة أم المؤمنين عائشة له، ولقوة السند هنا، وضعف السند فى الرواية السابقة.

* ونقل القرطبى عن الزجاج فى تفسيره (١٦/ ١٩١ ـ ١٩٢) قوله: كيف يقال نزلت فى عبد الرحمن قبل إسلامه، والله عز وجل يقول: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ﴾ (الأحقاف:١٨)، أى العذاب، ومن ضرورته عدم الإيمان، وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين؛ فالصحيح أنها نزلت فى عبدٍ كافر عاقٍّ لوالديه.

* أما ابن كثير (٧/ ١٧) فى تفسيره، فقال: رحمه الله تعالى: (ومن زعم أنها ـ أى الآية السابقة ـ نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما ـ فقوله ضعيف، لأن

عبد الرحمن بن أبى بكر أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه، وروى العوفى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنها نزلت فى ابن لأبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى صحة هذا نظر، والله تعالى أعلم).

ثم قال: وإنما هذا عامٌ فى كل من عقّ والديه، وكذب بالحق، وهو نفس ما ذهب إليه الفخر الرازى فى تفسيره وهو ما نستريح إليه.

***

# حديث موضوع فى سورة الفرقان وتفسير مرفوض فى سورة القدر

## (١) حديث موضوع فى سورة الفرقان:

وفى قول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان: ١٠).

فأخرج الواحدى فى أسباب النزول ص٢٥١، وابن كثير (٥/ ١٠٤) فى تفسيره، وابن جرير (١٨/ ١٤٠) هذا الحديث عن إسحاق بن بشر (الكاهلى) قال: أخبرنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، قال: لمّا عَيّر المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة - أى بالفقر - وقالوا: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٧)، حزن رسول الله ﷺ فنزل جبريل عليه السلام معزيًا له يقول: (السلام عليك يا رسول الله، رب العزة يقرئك السلام ويقول لك: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ (الفرقان: ٢٠) أى: يبتغون المعاش فى الدنيا، قال: فبينا جبريل عليه السلام والنبى ﷺ يتحدثان إذ ذاب جبريل عليه السلام حتى صار مثل الهُردة، قيل: يا رسول الله وما الهردة؟ قال: العدسة، فقال رسول الله ﷺ: ما لك ذبت حتى صرت مثل الهردة؟ قال: يا محمد فُتح باب من أبواب السماء ولم يكن فُتح قبل ذلك اليوم، وإنى أخاف أن يُعذّب قومك عند تعييرهم إياك بالفاقة، وأقبل النبى وجبريل عليهما السلام يبكيان، إذ عاد جبريل عليه السلام إلى حاله، فقال: أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضا من ربك. فأقبل رضوان حتى سلم ثم قال: يا محمد

رب العزة يقرئك السلام - ومعه سفط[1] من نور يتلألأ - ويقول لك ربك: هذا مفاتيح خزائن الدنيا مع ما لا ينتقص لك مما عندى فى الآخرة مثل جناح بعوضة، فنظر النبى ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له، فضرب جبريل بيده إلى الأرض فقال: تواضع لله، فقال: يا رضوان لا حاجة لى فيها، الفقر أحبّ إلىّ وأن أكون عبداً صابراً شكوراً، فقال رضوان عليه السلام: أصبت أصاب الله بك، وجاء نداء من السماء فرفع جبريل عليه السلام رأسه، فإذا السموات قد فتحت أبوابها إلى العرش، وأوحى الله تعالى إلى جنة عدن أن تدلى غصنًا من أغصانها عليه عذق عليه غرفة من زَبَرْجَدَة خضراء لها سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء، فقال جبريل عليه السلام: يا محمد ارفع بصرك، فرفع فرأى منازل الأنبياء وغرفهم، فإذا منازله فوق منازل الأنبياء فضلاً له خاصة ومنادٍ ينادى: أرضيت يا محمد؟ فقال النبى ﷺ: رضيت، فاجعل ما أردت أن تعطنى فى الدنيا ذخيرة عندك فى الشفاعة يوم القيامة.

ويروى أن هذه الآية أنزلها رضوان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان: ١٠).

والحديث فيه آفتان:

**الأولى:** أن جويبر تالف الإسناد، وهو ضعيف، والضحاك لم يلق ابن عباس.

**الثانية:** فيه إسحاق بن بشر الكاهلى الكذاب الوضاع وقد سبق حاله.

أما ما لفت انتباهى حقًّا فهو وجود (سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء)، فهذه أساليب القصاص الذين لا يرون فوق السبعين ولا تحتها ولا يعلمون إلا الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر فلعلها هكذا - أى حديثًا من أحاديث القصاص -.

## (٢) تفسير مرفوض فى سورة القدر:

وقد قيدنا منهجنا فى هذا الكتاب أننا لن نقبل الخبر إلا عن مستند من كتاب أو سنة، خاصة إذا تعلق هذا الخبر بعالم الغيب، وفى قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (القدر: ١) روى المفسرون هذا التفسير الشهير الذى يجرى على ألسنة الجميع.

* فقد روى الطبرى (٣٧٧٠٤) فى تفسيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى

(١) سفط: وعاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الفاكهة وغيرها.

الله عنهما قال فى سبب نزول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١) أنزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا، فكان بموقع النجوم، فكان ينزله على رسوله ﷺ بعضه فى إثر بعض، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان: ٣٢).

* وذكر الماوردى (٦/ ٣١١)، والقرطبى (٢٠/ ١٣٠) فى تفسيرهما عن ابن عباس قال: نزل القرآن فى شهر رمضان وفى ليلة القدر، وفى ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين فى السماء الدُّنيا، فنجمته السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة، ونجمه جبريل على النبى ﷺ عشرين سنة.

قلت، وهذا التفسير بفرض صحة روايته، فإننا لا نجد له سندًا، فمن أى الطرق حصل عليه حبر الأمة رضى الله عنه، أمن وحى أنزله الله على رسوله لم يعلمه إلا هو؟ وهذه حالة من حالات وضع الحديث. أم من جراء اجتهاد شخصى لابن عباس رضى الله عنه؟ وهنا لا يثبت المستند فى عالم الغيب.

ولقد عارض هذا الرأى صحيح القرآن حيث قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)، وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ (الدخان: ٣)، فصار معروفًا يقينًا أن التاريخ الثابت الذى لا احتمال فيه لشك أن القرآن نزل فى رمضان بداية وتحديدًا فى ليلة القدر، ثم نزل مفرقًا على النبى ﷺ، ولم يخبرنا المعصوم - ﷺ - أو يخبر أصحابه فيخبرونا عن تلك الأحداث الغيبية التى تحدث عنها ابن عباس رضى الله عنهما مع جلالة قدره فى التفسير، لأن عالم الغيب لا نعرف عنه شيئًا إلا عن طريق الوحى الذى اقتصر على رسول الله ثم انقطع من بعده فلا سبيل لأحدٍ به.

ولذلك قال القاضى ابن العربى المالكى - كما روى القرطبى عنه (٢٠/ ١٣٠ فى تفسيره): وهذا باطلٌ، ليس بين جبريل وبين الله واسطة، ولا بين جبريل ومحمد ﷺ واسطة.

أما الاختيار الصحيح كان من الشعبى - رحمه الله - الذى فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١)، بقوله: (إنه ابتدئ إنزاله ليلة القدر من شهر رمضان، ثم نزل بعد ذلك منجمًا فى أوقات مختلفة)[1].

(١) ذكره القرطبى (٢٠/ ١٣٠)، والسيوطى (١/ ١٩) فى الإتقان.

وهذا هو التفسير المتفق مع المعنى اللغوى، والواقع التاريخى فلسنا بحاجة إلى تكلف أخبار عن عالم الغيب، بالرغم من أن جمهور العلماء على قول ابن عباس رضى الله عنهما.

إننا مقيدون بالروايات الصحيحة، ثم بالمتن الصحيح، وهو ما لا يتوافر لهذه الرواية التى تلقفتها حشود المفسرين بالترحاب دون تمحيص لها، والله أعلم.

● **أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر:**

وقد ذكر ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار نبأ آخر يتعلق بعالم الغيب دون مستند قرآنى أو حديثى يعتمد عليه، ورواه ابن كثير مشيراً إلى غرابته وعجبه، فقال كعب:

إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلى الجنة فهى على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة، علوها فى الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسى، فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله، يعبدون الله عز وجل على أغصانها فى كل موضع شعرة منها مَلَكٌ، ومقام جبريل عليه السلام وسطها فينادى الله جبريل أن ينزل إلى الأرض فى كل ليلة قدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى، وليس فيهم ملكٌ إلا وقد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين، فينزلون مع جبريل فى ليلة القدر حين تغرب الشمس، فلا تبقى بقعة فى ليلة القدر إلا وعليها ملكٌ إما ساجدٌ، وإما قائمٌ يدعو للمؤمنين والمؤمنات، إلا أن تكون كنيسة أو بيعة[1]، أو بيت نارٍ، أو وثن، أو بعض أماكنكم التى تطرحون فيها الخبث، أو بيت فيه سكران، أو بيتٌ فيه مُسْكِر، أو بيت فيه وثن منصوب، أو بيت فيه جرسٌ معلق، أو مبْوَلة، أو مكان فيه كسَّاحة البيت، فلا يزالون يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحداً من المؤمنين إلا صافحه، وعلامة ذلك من اقشعر جلده، ورقّ قلبه، ودمعت عيناه فإن ذلك من مصافحة جبريل.

وذكر كعب: أنه من قال فى ليلة القدر: لا إله إلا الله (ثلاث مرات) غفر الله له بواحدة، ونجَّاه من النار بواحدة، وأدخله الجنة بواحدة، فقلنا: يا كعب الأحبار، يا أبا إسحاق صادقًا؟ فقال كعب الأحبار: وهل يقول لا إله إلا الله فى ليلة القدر إلا كل صادق؟ والذى نفسى بيده إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل، فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر، فأول من يصعد جبريل حتى يكون فى

(١) دار العبادة عند اليهود.

وجه الأفق الأعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما إلا فى تلك الساعة، فتصير الشمس لا شعاع لها ثم يدعو ملكًا ملكًا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحى جبريل، فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة، فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك فى دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولمن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله، فإذا أمسوا دخلوا إلى السماء الدنيا فيجلسون حِلقًا حِلقًا فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجلٍ رجلٍ وعن امرأةٍ امرأةٍ، فيحدثونهم حتى يقولوا: ما فعل فلان وكيف وجدتموه العام؟

فيقولون: وجدنا فلانًا عام أول فى هذه الليلة متعبدًا، ووجدناه العام مبتدعًا، ووجدنا فلانًا مبتدعًا ووجدناه العام عابدًا، قال: فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقبلون على الاستغفار لهذا، ويقولون: وجدنا فلانًا وفلانًا يذكران الله ووجدنا فلانًا راكعًا وفلانًا ساجدًا، ووجدناه تاليًا لكتاب الله، قال: فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون إلى السماء الثانية، ففى كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى، فتقول لهم سدرة المنتهى: يا سكانى حدثونى عن الناس وسموهم لى فإن لى عليكم حقًّا، وإنى أحب من أحب الله، فذكر كعب الأحبار أنهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم، ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول: أخبرينى بما أخبرك سكانك من الملائكة فتخبرها.

قال: فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة، اللهم عجلهم إلى فيبلغ جبريل مكانه قبلهم، فيلهمه الله فيقول: وجدت فلانًا ساجدًا فاغفر له، فيغفر له، فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون: رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان، ويقول: يا رب وجدت عبدك فلانًا الذى وجدته عام أول على السنة والعبادة، ووجدته العام قد أحدث حدثًا وتولى عما أمر به فيقول الله: يا جبريل إن تاب فأعتبنى قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له، فيقول جبريل: لك الحمد إلهى أنت أرحم من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم، قال: فيرتج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم، قال: وذكر كعب أنه مَنْ صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصى الله، دخل الجنة بغير مسألة ولا حساب. اهـ.

وما قلناه فى الحديث السابق يصح أن نقوله هنا، فما أدرى كعبًا بما يحدث بين رب العزة وملائكته؟ ثم ها هو كعب يشرع للمسلمين دينًا فبدلاً من: «إنك عفو تحب العفو»، يقال: (لا إله إلا الله)، ثم ها هو كعب يتحدث عن أدق التفاصيل بين الله عز وجل، وبين جبريل. بل وعن ارتجاج العرش، والسموات.

اللهم براء من هذا، الذى ما أراه إلا منسوبًا لكعب منحولاً عليه، وإلاَّ فالكل يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم ﷺ.

* * *

## موضوعات فى أسباب النزول
## ثلاث قصص

### (١) قصة أسير:

جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢، ٣) قصة لا أصل لها من الصحة بل هى منكرة، فذكر الواحدى هذه القصة من طريقين:

**الأولى:** طريق بلا سند معتمد، بل ذكره عاريًا من السند فقال:

* قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. نزلت الآية فى عوف بن مالك الأشجعى، وذلك أن المشركين أسروا ابنًا له فأتى رسول الله ﷺ وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابنى وجزعت الأم فما تأمرنى؟ فقال النبى ﷺ: «اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثرا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله». فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله ﷺ أمرنى وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت: نِعْمَ ما أمرنا به، فجعلا يقولان، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهى أربعة الآف شاة، فنزلت هذه الآية.

**والثانية:** أخبرنا عبد العزيز بن عبدان، أخبرنا محمد بن عبد الله بن نعيم، قال: أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين السكونى، أخبرنا عبيد بن كثير العامرى أخبرنا عباد بن يعقوب، أخبرنا يحيى بن آدم أخبرنا إسرائيل، أخبرنا عمار بن معاوية، عن سالم بن أبى الجعد، عن جابر بن عبد الله، قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ في رجل من أشجع كان فقيرًا خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله ﷺ فسأله، فقال: «اتق الله واصبر»، فرجع إلى أصحابه، فقالوا: ما أعطاك رسول الله ﷺ؟ فقال: ما أعطاني شيئًا، قال: اتق الله واصبر، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى جاء ابن له بغنم وكان العدو أصابوه، فأتى رسول الله ﷺ فسأله عنها وأخبره خبرها، فقال رسول الله ﷺ: (إياكها).

وقد ذكر الحاكم الحديث (٢/ ٤٩٢) في المستدرك وصححه ولكن الخبير بالرجال، ذلك الناقد من الطراز الممتاز الإمام الذهبي قال: بل منكر، وعباد رافضي جبل، وعبيد متروك. قاله الأزدي.

وروى السيوطي ص٤٤٩ في أسباب النزول:

وأخرج الخطيب في (تاريخه) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ الآية، قال: نزلت هذه الآية في ابن لعوف بن مالك الأشجعي، وكان المشركون أسروه وأوثقوه وأجاعوه فكتب إلى أبيه، أن ائت رسول الله ﷺ، فأعلمه ما أنا فيه من الضيق والشدّة، فلما أخبر رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ: (اكتب إليه وأخبره ومُرْه بالتقوى والتوكل على الله، وأن يقول عند صباحه ومسائه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٨، ١٢٩)، فلما ورد عليه الكتاب قرأه، فأطلق الله وثاقه، فمر بواديهم التي ترعى فيه إبلهم وغنمهم فاستاقها، فجاء بها إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني اغتلتهم بعدما أطلق الله وثاقي فحلال هي أم حرام؟ قال: (بل هي حلال إذا شئنا خمسنا)، فأنزل الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢، ٣). من الشدة والرخاء ﴿قَدْرًا﴾ يعني أجلاً. وقال ابن عباس: من قرأ هذه الآية عند سلطان يخاف غشمه، أو عند موج يخاف الغرق، أو عند سبع، لم يضرّه شيء من ذلك.

والطريق في القصة إلى ابن عباس طريق الكذب فيه جويبر والضحاك.

وحتى السيوطي نفسه راوي الحديث قال: أخرجه الثعلبي من وجه آخر ضعيف.

ورواه ابن أبي حاتم مرسلاً.

**قلت:** فالحديث ضعيف.

وقد رواه ابن كثير (٨/ ١١٧) فى التفسير من طريق السُّدى ـ وأنت أعلم منا به وبكذبه.

وذكره من طريق الإمام أحمد عن ابن وكيع وهو ضعيف أيضًا، وضعف الطرق يعطى لنا مزية ردّ الحديث خاصة امتلاؤه بالضعفاء، والمتروكين، وأصحاب الأهواء والبدع.

والتفسير الصحيح هنا هو ما نقله القرطبى (١٨/ ١٥٦) عن الزجاج فقال: من إذا اتقى وآثر الحلال والتصبر على أهله، فتح الله عليه إذا كان ذا ضيق، ورزقه من حيث لا يحتسب ـ والله أعلم.

## (٢) خاتم على رضى الله عنه:

وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المجادلة: ١٢)، والآية منسوخة ـ كما اتفق العلماء ـ إلا أن بعض المفسرين تلقفوا هذا الحديث عند هذه الآية، وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥).

فروى عن على رضى الله عنه أنه قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾، فخرج رسول الله ﷺ فدخل المسجد والناس يصلون بين راكع وقائم، وإذا سائلٌ فقال: يا سائل هل أعطاك أحدٌ شيئًا؟ فقال: لا! إلا هذا الراكع ـ لعلى ـ أعطانى خاتمه.

وفى رواية: أن على تصدق فنزلت الآية.

فقال ابن كثير (٨/ ٣٥٩) فى البداية: (وهذا لا يصح بوجهٍ من الوجوه لضعف أسانيده، ولم ينزل فى على من القرآن بخصوصيته شىء). اهـ.

## (٣) المسكين، واليتيم، والأسير:

قال القرطبى (١٩/ ١٢٦ ـ ١٣٠) فى تفسيره عند قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٨)، قال: وقد ذكر النقاش والثعلبى والقشيرى وغير واحد من المفسرين فى قصة على وفاطمة، وجاريتهما حديثًا لا يصح ولا يثبت،

رواه ليث[1] عن ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: ٧، ٨).

قال: مَرِضَ الحسن والحسين فعادهما رسول الله ﷺ، وعادهما عامة العرب فقالوا: يا أبا الحسن. . . وروواه جابر الجُعفى عن قنبر مولى على قال: مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر رضى الله عنه: يا أبا الحسن. . . . - رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبى سليم - لو نذرت عن ولديك شيئًا، وكل نذرٍ ليس له وفاءٌ فليس بشيء.

فقال على: إن برأ ولداى صمت لله ثلاثة أيام شكرًا، وقالت جارية لهم نوبية: إن برأ سيداى صمت له ثلاثة أيام شكرًا. وقالت فاطمة مثل ذلك.

وفى حديث الجعفى، فقال الحسن والحسين: علينا مثل ذلك فأُلْبِس الغلامان العافية، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق على إلى (شمعون بن حاريا الخيبرى) وكان يهوديًّا فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير، فجاء بها، فوضعها فى ناحية البيت، فقامت فاطمة - إلى صاعٍ فطحنته واختبزته وصلى علىّ مع النبى ﷺ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه.

وفى حديث الجعفى: فقامت الجارية إلى صاعٍ من شعير فخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحدٍ منهم قرص، فلما مضى صيامهم الأول، وضع بين أيديهم الخبز والملح، والجريش، إذ أتاهم مسيكن فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد - فى حديث الجعفى - أنا مسكين من مساكين أمة محمد ﷺ، وأنا والله جائع، أطعمونى، أطعمكم الله من موائد الجنة.

فسمعه على رضى الله عنه، فأنشأ يقول:

فاطمُ ذاتَ الفضْل واليقينْ ... يا بنت خَيْر الناس أجمعينْ

أما تَرَيْن البائس المسكينْ ... قد قام بالباب له حنينْ

يشكو إلى الله ويستكينْ ... يشكو إلينا جائعٌ حزينْ

كل امرئ بكسبه رهينْ ... وفاعل الخيرات يستبينْ

موعدُنا جنة علّيينْ ... حرّمها الله على الضَّنينْ

وللبخيل مَوْقفٌ مهينْ ... تهوى به النار إلى سجّينْ

---

(١) [illegible] وهو ضعيف ولم يلق ابن عباس.

شرابه الحميم والغِسْلينْ من يفعل الخَيْرَ يقم سمينْ
ويدخل الجنَّة أىّ حِين

فأنشأت فاطمة - رضى الله عنها - تقول :

أمرُكَ عندى يا ابن عمٍّ طاعهْ ما بى من لُؤْم ولا وَضَاعهْ
غَديتُ فى الخبز له صناعهْ أطعمه ولا أُبالى السّاعهْ
أرجو إذا أشبعتُ ذا المجاعهْ أنْ ألْحقَ الأخيارَ والْجَمَاعهْ
وأدخل الجنَّة لى شفاعهْ

فأطعموه الطعام ، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئًا إلاّ الماء القراح ، فلما أن كان فى اليوم الثانى قامت إلى صاع فطحنته واختبزته ، وصلّى علىٌّ مع النبى ﷺ ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم ، فوقف بالباب يتيم ، فقال :

السلام عليكم أهل بيت محمد ، يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدى يوم العَقَبة ، أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة .

فسمعه علىٌّ فأنشأ يقول :

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبىّ ليس بالزَّنيمْ
لقد أتى الله بذى اليتيم من يرحم اليوم يكن رحيمْ
ويدخل الجنة أى سليم قد حُرِّم الخلد على اللئيمْ
ألاّ يجوز الصراط المستقيم يزلّ فى النار إلى الجحيمْ
شرابه الصديدُ والحميمْ

فأنشأت فاطمة - رضى الله عنها تقول :

أطعَمه اليوم ولا أبالى وأوثر الله على عيالى
أمْسَوْا جياعًا وَهُمُ أشبالى أصغرُهم يُقْتَلُ فى القتالِ
بِكْربلا[1] يُقتل باغتيال يا ويل للقاتل مع وَبَالٍ
تهوى به النار إلى سِفَال وفى يديه الغُل والأغْلالِ
كبولة زادت على الأكبال

فأطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يَذوقوا شيئًا ، إلا الماء القرَاح ، فلما كانت فى اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباقى فطحنته واختبزته ، وصلّى علىٌّ مع النبى ﷺ ،

(١) كربلا : قصد كربلاء ، ولا أدرى من أعلمها بهذا .

ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم؛ إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال:

السلام عليكم أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدُّوننا ولا تطعمونا! أطعمونى فإنى أسير محمد. فأنشأ على يقول:

فاطم يا بنت النبى أحمدْ بنت بنى سيد مسوّدْ

وسمّاه الله فهو محمدْ قد زانه الله بحسن أغْيَدْ

هذا أسيرٌ للنبى المهتدْ مثقل فى غُلّه مُقَيَّدْ

يشكو إلينا الجوع قد تمردْ من يطعم اليوم يجده فى غدْ

عند العلى الواحد الموحدْ ما يزرع الزارع سوف يحصدْ

أعطيه لا لا تجعليه أقعد

فأنشأت فاطمة تقول:

لم يبق مما جاء غيرُ صاعْ قد ذهبت كَفِّى مع الذِّراع

ابناى والله هما جياع يا رب لا نتركهما ضياع

أبوهما للخير ذو اصطناع يصطنع المعروف بابتداع

عَبْلُ[1] الذراعين شديد الباع وما على رأسى من قناع

إلا قناعًا نسْجهُ أنْساعْ[2]

فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئًا إلا الماء القَراح، فلما أن كان فى اليوم الرابع وقد مضى الله النذر، أخذ بيده اليمنى الحسن، وبيده اليسرى الحسين، وأقبل نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما أبصرهم رسول الله ﷺ قال: (يا أبا الحسن ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتى فاطمة)، فانطلقوا إليها وهى فى محرابها، وقد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع، فلما رآها رسول الله ﷺ وعرف المجاعة فى وجهها بكى، وقال: (واغوثاه يا الله، أهل بيت محمد يموتون جوعًا) فهبط جبريل عليه السلام، وقال: السلام عليك ربك يقرئك السلام يا محمد ـ خذه هنيئًا فى أهل بيتك. قال: (وما آخذ يا جبريل) فأقرأه ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان: ١ـ٩)

(١) عبل الذراعين: ضخم الذراعين.

(٢) نسع: سير يضفر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال.

* وروى الواحدى فى أسباب النزول، السيوطى (٦/ ٢٩٩) فى الدر المنثور:

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا﴾ (الإنسان:٨). قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه نوبة أجر نفسه يسقى نخلاً بشىء من شعير ليلة حتى أصبح، وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئًا ليأكلوه، يقال له: الخزيرة، فلما تم إنضاجه، أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثانى، فلما تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية.

● **تعقيب العلماء على هذه الروايات المغلوطة:**

(١) سبق قول القرطبى أنها رواية لا تثبت، ونزيد عليها أن جابر الجعفى: ضعيف، وكذلك ليث، والضعفاء فى الحديث كما تراهم كثيرون، ولذلك ردها الشوكانى فى الفوائد المجموعة.

(٢) قال أبو حيان (٨/ ٣٩٥) فى البحر المحيط: وذكر النقاش فى ذلك حكاية طويلة جداً ظاهرة الاختلاف فيها أشعار للمسكين، واليتيم والأسير، يخاطبون بها بيت النبوة، وأشعار لفاطمة رضى الله عنها تخاطب كل واحدٍ منهم ظاهرها الاختلاف، لسفساف ألفاظها وكسر أبياتها، وسخافة معانيها.

(٣) أما ابن كثير فى البداية (٧/ ٣٥٨) فقد أشار إلى القصة من بعيد، فقال: ولا يصح منها شىءٌ.

(٤) ويعود القرطبى فى تفسيره (١٩/ ١٢٦) ليقول:

قال الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى (نوادر الأصول): فهذا حديث مُزَوّق مُزَيف، فقد تطرّف فيه صاحبه حتى تشبّه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يعضّ شفتيه تلهفًا ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم، وقد قال الله تعالى فى تنزيله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ (البقرة:٢١٩). وهو الفضل الذى يفضل عن نفسك وعيالك، وجرت الأخبار عن رسول الله ﷺ متواترة بأن «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»[١]. و«وابدأ بنفسك ثم بمن تعول» وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت»[٢] أفيحسب عاقل

(١) صحيح: البخارى (١٤٢٦) فى النفقات.

(٢) حسن: أحمد (٢/ ١٦٠) فى المسند، وأبو داود فى الزكاة برقم (٤٥).

أن عليًّا جعل هذا الأمر حتى أجهد صبيانًا صغارًا من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن؟ حتى تضوّروا من الجوع، وغارت العيون منهم، لخلاء أجوافهم، حتى أبكى رسول الله ﷺ ما بهم من الجهد، هَبْ أنه آثر على نفسه هذا السائل، فهل كان يجوز له أن يَحْمل أهله على ذلك؟!

وهب أن أهله سمحت بذلك لعليّ فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بلياليهن؟!

ما يُروج مثل هذا إلا على حمقى جُهّال؛ أبى الله لقلوب متنبهة أن تظن بعليّ مثل هذا. وليت شعرى من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن عليّ وفاطمة، وإجابة كل واحد منهما صاحبه، حتى أدّاه إلى هؤلاء الرواة؟! فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجون فيما أرى بلغنى أن قومًا يخلّدون فى السجون فيبقون بلا حيلة، فيكتبون أحاديث فى السَّمر وأشباهه، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزَيفوها، وما من شىء إلاّ له آفة ومكيدة، وآفة الدِّين وكيدُه أكثر.

**الصحيح فى سبب النزول:** ما قاله القرطبى (١٩/ ١٢٦): والصحيح أنها نزلت فى جميع الأبرار ومن فعل فعلاً حسنًا فهى عامة.

وقال ابن كثير (٨/ ٢٢٦) فى تفسيره: وروى الأعمش عن نافع، قال: مرض ابن عمر، فاشتهى عنبًا أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية - يعنى امرأته - فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتبع الرسول سائلٌ فلما دخل به، قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه.

فأرسلت صفية إلى السائل: فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيرًا أبدًا، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به.

وفى الحديث: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر»[1].

أى فى حال محبتك للمال، وحرصك عليه، وحاجتك إليه. اهـ.

***

(١) صحيح: البخارى (٩/ ١٤) فى الزكاة، ومسلم (١٠٣٢) فى الزكاة.

# الموضوعات فى فضائل بعض سور القرآن الكريم

سبق أن ذكرنا أن بعض الوضاعين كان حسن النية - فيما يزعم - حين وضع بعض الأحاديث تكذب للإسلام لا تكذب عليه، فى تصوره الشخصى، ومنهم ذلك الوضاع الذى قال عن أحاديث وضعها: (وضعتها أرغب الناس فيها).

* وكان أكثر هؤلاء حماقة هو نوح الجامع، أو نوح بن أبى مريم صاحب أخبار فضائل القرآن، سورة سورة عن عكرمة، ولما سُئِل عن سبب تفرده بها دون بقية أصحاب عكرمة اعترف بوضعها زاعمًا أنه قاوم بها اشتغال الناس بفقه أبى حنيفة، ومغازى ابن إسحاق[1]!! وقد أعيت الحماقة من يداويها.

إنه لا فارق فى الشرع بين الكذب لى، والكذب علىّ، لأنه فى كلتا الحالتين كذب، خاصة إذا كان هذا الكذب منسوبًا إلى النبى ﷺ، وليس فى ذلك حسبة لله تعالى بل هو كذب على الله عَزَّ وَجَلَّ، وقد يقبح الفعل مع توافر حسن النية فيه، لأن العمل المقبول عند الله له شرطان بعد إخلاص النية:

(١) ألا يكون مخالفًا للشرع.

(٢) وأن يكون موافقًا للكتاب والسُّنَّة.

والكذب كبيرة من الكبائر فكيف بعقاب صاحبها أمام الله تعالى؟!

لقد وضع الوضاعون - ورغم حسن نيتهم فهم وضاعون - حديثًا طويلاً هو حديث أبى بن كعب الذى يعرض لفضائل القرآن سورة سورة، وقد ثبت وضع هذا الحديث بما لا يدع مجالاً للشك، ورغم ذلك رواه الثعلبى، والواحدى والزمخشرى مفرقًا إما فى أول كل سورة، أو فى آخر كل سورة، وهذه إحدى الأمور التى تهاون وترخص فيها بعض المفسرين لا كلهم، وقد كان الأولى بهم الابتعاد عنها، والإعراض عما فيها، وسنذكر بعض هذه الأحاديث، مع أحاديث أخرى، مع تعقيب العلماء عليها.

### (١) حديث مشهور فى فضل سورة الرحمن:

عن على رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل شىء عروس، وعروس القرآن الرحمن).

(١) ميزان الاعتدال (٤/ ٢٧٨ - ٢٨٠)، والحاكم (ص ٢٠٠) فى المدخل إلى علم الحديث.

والحديث مشهور يجرى على ألسنة العوام، وقد قال العلماء فى رواة هذا الحديث، الآتى:

(١) قال المناوى فى فيض القدير: فيه (أحمد بن الحسن بن دبيس) عدّه الذهبى فى الضعفاء والمتروكين. وقال الدارقطنى: ليس بثقة.

(٢) وقال الألبانى (١٣٥٠) فى الضعيفة: منكر.

(٣) وبذلك حكم الألوسى (٨/ ٢٨٧) فى تفسيره.

### (٢) حديث مشهور فى فضل سورة يس:

وعن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال: «اقرأوا يس على موتاكم».

والحديث قال عنه النووى فى الأذكار: ضعيف، وفيه مجهولان.

وقال ابن حجر: أعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف، وبجهالة حال راويه أبى عثمان وأبيه، ويسمى النهدى، ونقل ابن العربى عن الدارقطنى: أنه حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن. وقال: لا يصح فى الباب حديث.

### (٣) حديث آخر فى فضل سورة يس:

وعن أنس عن النبى ﷺ قال: «إن لكل شىءٍ قلبًا، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها، قراءة القرآن عشر مرات».

والحديث عند الترمذى (٢٨٨٧) فى فضائل القرآن.

وفيه هارون أبو محمد: شيخ مجهولٌ، وإسناد الحديث ضعيف.

قلت: وبالجملة لا يصح من أحاديث فضل سورة يس شىء، كحديث: (المعممة - قراءتها عشر مرات، وقراءتها عشرين مرة وغيرها).

ولا يجوز قراءتها بالشكل الذى يقوم به المسلمون الآن على المقابر وفى الجنائز، وأثناء الاحتضار لميت من الأموات والله أعلم.

### (٤) حديث فى فضل سورة الدُّخان:

وعن عمر بن راشد عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الدُّخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف مَلَكٍ».

قال أحمد بن حنبل: عمر بن راشد لا يساوى شيئًا.

وقال ابن حبان: يضع الحديث لا يحل ذكره فى الكتب إلا بالقَدح فيه.

**(٥) فى فضل سورة (الزلزلة) و(الكافرون):**

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تعدل نصف القرآن، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن. و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن». وقد أخرجه الترمذى والحاكم.

قلت: والجزء الأخير منه صحيح وقدأخرجه الترمذى والحاكم ومشهور بالصحة.

أما فضل سورتى (الزلزلة) و(الكافرون) فمدار الرواية على (يمان بن المغيرة الغرى).

وقال الذهبى: (يمان ضعفوه).

وقد روى الترمذى الحديث عن أنس بن مالك يرويه عنه (الحسن بن سلم بن صالح العجلى).

قال عنه الذهبى: لا يكاد يعرف، وخبره منكر.

والحديث ذكره الثعلبى بسند ضعيف أيضًا.

**(٦) فى فضل السبع الطوَل:**

وذكر الوضاعون عن أبى بن كعب أنه قال: إن رسول الله ﷺ عرض علىّ القرآن فى السنة التى مات فيها مرتين، وقال: «إِنَّ جبريل عليه السلام أمرنى أن أقرأ عليك القرآن، وهو يقرئك السلام».

فقال أُبىّ: فقلت لما قرأ علىّ رسول الله ﷺ: أكانت لى خاصة، فخصنى بثواب القرآن مما علمك الله وأطلعك عليه؟

قال: «نعم يا أُبىّ، أيما مسلم قرأ فاتحة الكتاب أُعطى من الأجر كأنما قرأ ثلثى القرآن، وأعطى من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة.

ومن قرأ (آل عمران) أعطى بكل آية منها أمانًا على جسر جهنم، ومن قرأ (سورة النساء) أعطى من الأجر كأنما تصدّق على كل من ورثه ميراثًا.

ومن قرأ (المائدة) أعطى عشر حسناتٍ، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى تنفس فى الدنيا.

ومن قرأ سورة (الأنعام) صلَّى عليه سبعون ألف ملك، ومن قرأ (الأعراف) جعل الله بينه وبين إبليس حجابًا، ومن قرأ (الأنفال) أكون له شفيعًا وشاهدًا وبرئ من النفاق.

ومن قرأ (يونس) أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من كذّب بيونس، وصدّق به، وبعدد من غرق مع فرعون، ومن قرأ سورة (هود) أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق نوح وكذب به».

وهكذا الحديث وهو الحديث الطويل الذى وضعه الوضاعون على أُبى.

وقد قال ابن الجوزى: (وقد فرّق الثعلبى فى تفسيره فذكر عند كل سورة منه ما يخصها، وتبعه أبو الحسن الواحدى فى ذلك، ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث، وإنما عجبت من أبى بكر بن أبى داود كيف فرّقه على كتابه الذى صنفه فى (فضائل القرآن) وهو يعلم أنه حديثٌ محال، ولكن شره المحدثين، فإن من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالباطل، وهذا قبيح لإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ حَدَّث عنى حديثًا يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين».

وهذا حديث فضائل السور مصنوعٌ بلا شك[1].

## (٧) حديثان فى فضل سورتى الواقعة، والقيامة:

(أ) عن أحمد بن عمر اليمامى بسنده إلى ابن عباس عن النبى ﷺ، قال:

(من قرأ سورة (الواقعة) كل ليلة، لم تصبه فاقةٌ أبدًا، ومن قرأ كل ليلة، ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لقى الله يوم القيامة ووجهه فى صورة القمر ليلة البدر).

والحديث موضوع رواه الديلمى فى مسند الفردوس، وقال السيوطى: أحمد اليمامى كذاب.

(ب) وعن أبى طيبة عن ابن مسعود مرفوعًا: (من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا)، قال الذهبى: أبو شجاع نكرة لا يعرف عن أبى طيبة، ومَنْ أبو طيبة، عن ابن مسعود بهذا الحديث مرفوعًا.

وفيها حديث موضوع من طريق السيوطى عن أنس رضى الله عنه وفيه: عبد القدوس ابن حبيب، قال عبد الرزاق: ما رأيت ابن المبارك يفصح بقوله: كذاب إلا لعبد القدوس، وقد صرّح ابن حبان بأنه كان يضع الحديث.

(١) الموضوعات (١/ ٢٤٠) لابن الجوزى.

## (٨) حديث فى فضل الفاتحة وآية الكرسى عقب الصلاة:

وعن الحارث بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فاتحة الكتاب، وآية الكرسى، وآيتين من آل عمران ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٨) إلى آخر الآية، و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧)، معلقات بالعرش يقلن: يا رب تهبطنا إلى أرضك إلى من يعصيك؟ قال الله عز وجل: إنى حلفتُ لا يقرأكنّ أحد من عبادى دبر كل صلاة إلا جعلتُ الجنة مثواه، وإلا أسكنته حظيرة القدس، وإلا نظرت إليه بعينى المكنون فى كل يوم تسعين نظرة، وإلاّ قضيتُ له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، وإلا نصرته من كل عدو وأعذته منه».

قال ابن الجوزى (١/ ٢٤٥) فى الموضوعات:

هذا حديث موضوع تفرد به الحارث بن عمير.

قال أبو حاتم بن حبان: كان الحارث ممن يروى عن الأثبات الموضوعات، روى هذا الحديث ولا أصل له.

وقال ابن خزيمة: الحارث كذاب، ولا أصل لهذا الحديث.

## (٩) فى فضل سورة الحشر:

وعن أنس بن مالك قال: «من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وفيه يزيد الرقاشى وقد سبق حاله وضعفه، وأنه قاص مغفل.

وعن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال: «من قرأ خواتيم سورة الحشر فى ليلٍ أو نهارٍ فقبضه الله فى تلك الليلة أو ذلك اليوم فقد أوجب له الجنة». ذكرهما الزمخشرى (٤/ ٨٥).

* وروى معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات فى يومه مات شهيدًا، ومن قرأها حين يمسى فكذلك».

وقال الترمذى: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وضعفه الألبانى (٢٩٢٢) فى سنن الترمذى ـ كتاب فضائل القرآن.

### (١٠) فى فضل (قل هو الله أحد):

عن ليث بن سعد عن الخليل بن مرة عن الحسن بن الحسن السدوسى عن سعيد بن عمرو عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ على طهارة مائة مرة كطهره للصلاة يبدأ بفاتحة الكتاب، كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وبنى له مائة قصر فى الجنة، ورفع له من العمل فى يومه ذلك مثل عمل نبىّ، وكأنما قرأ القرآن ثلاثًا وثلاثين مرة، وهى براءة من الشرك ومحضرة للملائكة ومنفرة للشياطين، ولها دوى حول العرش تذكر صاحبها حتى ينظر الله إليه، فإذا نظر إليه لم يعذبه أبدًا».

زاد ابن منده، قال: ومن قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائتى مرة غفر الله له خطيئة خمسين سنة إذا اجتنبت خصالاً أربعًا: الدماء، والأموال، والفروج، والأشربة.

قال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ.

قال يحيى بن معين، والنسائى: الخليل ضعيف.

وقال ابن حبان: منكر الحديث عن المشاهير، كثير الرواية عن المجاهيل[١].

### (١١) حديث فى فضل سورة الكهف:

وعن ابن لهيعة عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه قال رسول الله ﷺ: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها، كانت له نوراً بين يديه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من السماء إلى الأرض». وفى الحديث ابن لهيعة، وزبان بن فائد ضعيفان.

### (١٢) فى فضل قوله تعالى: (له مقاليد السموات والأرض):

وعن الأغلب بن تميم عن مخلد بن هزيل بسنده عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضى الله عنهم أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الزمر: ٦٣، والشورى: ١٢) فقال: «ما سألنى عنها أحدٌ قبلك، تفسيره: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىءٍ قديرٍ، من قالها إذا أصبح عشر مرات أعطى ست خصال:

---

(١) الموضوعات (١/ ٢٥٠).

أما أولهن : فيحرس من إبليس وجنوده .

وأما الثانية : فيعطى قنطاراً من الأجر .

وأما الثالثة : فيرفع له درجة فى الجنة .

وأما الرابعة : فيتزوج من الحور العين .

وأما الخامسة : فيحضرها اثنا عشر ألف ملك .

وأما السادسة : فله من الأجر كمن يقرأ التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان .

وله مع هذا يا عثمان كمن حج واعتمر ، فقُبلت حجته وعمرته ، فإن مات من يومه طُبع بطابع الشهداء» .

قال الهيثمى (١٠/ ١١٥) فى المجمع : رواه الطبرانى فى الكبير وفيه الأغلب بن تميم وهو ضعيف .

قلت : قال البخارى : منكر الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشىء .

وقال الذهبى فى الميزان فى ترجمة مخلد أبو الهذيل : هذا موضوع فيما أرى .

ولو كان الأمر هكذا لاكتفينا بقراءة هذه الآيات ـ بل هذا الجزء من الآية .

إنه فعل الوضّاع الزنديق ، يريد من المسلم الاكتفاء بآية من كتاب الله فيهدم معها الحج والعمرة ، ومن ثمّ الصلاة والزكاة ومن أجل هذا ترى كثيراً منهم يدعون الصلاح ولا يصلون لاعتقاده فى مثل هذا الهراء عافانا الله منه .

وهذا آخر ما نقدمه فى هذه الدراسة نسأل الله العفو والمغفرة .

**دمنهور ـ ليلة الأربعاء**
**الحادى والعشرون من ربيع الآخر ١٤٢٥هـ**
**الثانى عشر من مايو ٢٠٠٤م**

**كتبه راجى عفو ربه**
**أبو أنس حامد بن أحمد الطاهر**
**آل البسيونى**

# فهرس الموضوعات

**الموضـــوع** **الصفحة**

***